الكويت وأيام الاحتلال

محمد عبد الهادي جمال

الكويت وأيام الاحتلال

محمد عبد الهادي جمال

* فبراير ١٩٩٢ *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ

سورة آل عمران ـ آية (١٦٠)

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ
عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

سورة آل عمران ـ آية (١٦٩)

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

سورة القصص ـ آية (٥)

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا الكتاب لشهداء الكويت الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم ودمائهم من أجل تحرير ترابها الغالي وتطهيره من دنس الغدر والخيانة .. كما أهديه إلى أسرانا الأعزاء الذين لازالوا يعانون الأمرين من بطش النظام العراقي الجائر، ولعوائل الشهداء والأسرى الذين يعانون لوعة الفراق بقلوب راضية من أجل أن تكون كويتنا حرة أبية .

تمهيد

كانت الفكـرة الأساسية من وراء خروج هذا الكتاب إلى حيز الوجود اقتراحا طرحتـه على بعض الإخـوة من جيراني بمنـطقة مشرف، وذلك بعد التحرير ببضعة أسابيع. فقد اقترحت عليهم أن يقوم كل منا بتسجيل الوقائع والأحداث التي وقعت في حينا والشوارع المحيطة به أثناء فترة الاحتلال الغاشم، حتى لاتؤدي الأيام والسنون إلى نسيان تلك الأحداث التي عايشناها أثناء تلك الفترة. وقد رحبوا بالفكرة وأبدوا حماسا في متابعتها، وتطوّع عدد منهم للإدلاء بالمعلومات المتوفرة لديهم، في حين أبدى عدد آخر استعداده للمشاركة بالكتابة. ولكثرة مشاغل البعض وسفر البعض الآخر بين فترة وأخرى، قررت متابعة الموضوع كلما سنحت لي الفرصة لذلك. وقد تطورت الفكرة بعد بدء الكتابة، إذ وجدت قلمي ينساب في ذكر الأحداث الواحد تلو الآخر دون كلل أو ملل، كما وجدت ذهني يسترجع تلك الذكريات الأليمة وكأنها شريط من أشرطة الفيديو التي لا نهاية لها، بينما تتزاحم الأحداث أمام عيني وأنا أستذكر تلك الأيام والليالي الرهيبة التي قضيناها ونحن نعيش تحت رحمة تلك الوحوش الآدمية.

وبعد أن تجاوز ما كتبته الحد المطلوب في سبيل تحقيق الهدف الأصلي، رأيت أن أعرض الموضوع على الإخوة الذين وعدتهم بالكتابة، لعلهم يجدون لي مخرجا نختصر فيه ما نستطيع من تلك التفاصيل وننتهي من إنجاز المهمة؛ إلا أن ما وجدته منهم هو عكس ما كان بالبال. فقد طلبوا مني الاستمرار في كتابة الأحداث والتفاصيل التي بدأت تغيب عن الذاكرة شيئا فشيئا ولم يمض على التحرير أكثر من شهرين، فكيف بها إذا مرت عليها السنون. وكان رأيهم أن ما وقع من أحداث ومعاناه إنما هو تاريخ يجب أن يقوم بتسجيله كل من تتاح له الفرصة وتكون لديه الإمكانية للقيام بذلك العمـل، ليطّلع عليه الجميع ويعـرفـوا كيف عانى هذا الشعب تحت وطـأة الغزاة الـطامعـين، الذين لم يتركوا مجالا للقهر إلا وسلكوه في سبيل تحقيق مآربهم الدنيئة وشهـوتهم للتسلط والاستبـداد. وكـان التشجيع المستمر من جانب الإخوة بضرورة

الاستمرار في الكتابة وحثّهم على نشر ماكتبت هو أكبر دافع لي على المضي قدما بهذه المهمّة وإخراجها بالصورة التي هي بين يدي القارىء الآن.

أما المصادر الرئيسية للأحداث المذكورة في هذا الكتاب فتأتي مشاهداتي الشخصية ومعايشاتي اليومية لها في المقام الأول، يلي ذلك تسجيلي - بالفيديو وبأشرطة الكاسيت - لكثير من الأحداث، مما ساعد على حفظها وتدوينها بالتواريخ والنصوص المذاعة. كما كان (لاكتشافي) بعد التحرير كشكولا كاملا، كانت إحدى بناتي قد سجلت فيه كثيرا من الأحداث والوقائع التي دارت محليا، يوما بيوم، أكبر الأثر في تسجيل تفاصيل وتواريخ كثير منها. ومن المصادر التي رجعت إليها بعد التحرير - والتي كانت ملقاه في بعض الزوايا المهملة والتي لم أستطع إقناع نفسي حتى بتصفحها أثناء فترة الاحتلال - جريدة (النداء)، التي أصدرها العدو من مطابع جريدة القبس الكويتية والتي حرصت على جمع أكبر عدد منها أثناء تلك الفترة. وقد كنت واثقا بأني سأرجع يوماً ما - بعد تحرير وطننا من رجس الغزاة - لقراءة تلك الصفحات، فقط لأتذكر تلك الأيام الحالكة السواد التي مرّت علينا ونحن نرزح تحت نير أولئك الطغاة، إذ لم أشك ولو للحظة واحدة بحتمية تلك النتيجة.

وجاءت الرياح بما تشتهي السفن وكانت الأيام التي كنا ننتظرها بفارغ الصبر، وبدأت أتصفح، بل وأقرأ بكل عناية كل حرف كان الغزاة يكتبونه في تلك الجريدة الصفراء التي كانت تعبّر عن حقدهم الأسود وتحاملهم على هذا البلد المعطاء الذي أنكروا فضله عليهم. ولم تعد قراءة تلك الصحيفة من أجل تذكّر ما كان يدور من أحداث في تلك الأيام فقط - وهو ما كانت تلك الصحيفة وأمثالها تنقلها بعد تشويه معانيها وتحريفها لتتماشى مع سياسة أسيادها في سبيل تضليل قرائها - بل أيضا لتسجيل ذلك كأحد الأدلة لدمغ وإدانة ذلك النظام الموغل في الوحشية والإجرام. وهكذا أصبحت تلك الجريدة أحد المصادر الرئيسية لتسجيل خطابات وتخرّصات رئيس العصابة البعثية وتصريحات زبانيته وتصرفات أزلامه.

وكانت جلسات الحراسة الليلية - التي بدأت بالمنطقة التي أسكن بها في مشرف

مساء يوم السبت الرابع من أغسطس عام ١٩٩٠ وانتهت مساء يوم الأربعاء السادس عشر من يناير ١٩٩١ ـ مصدرا رئيسيًا للمعلومات. فقد كانت تنقل إلينا الأخبار والتطورات المحلية يوما بيوم من قبل المشاركين في تلك الجلسات، والذين كانوا يقضون نهارهم بزيارة أقاربهم في المناطق المختلفة، ليأتوا ليلا ومع كل منهم ما حصل عليه من معلومات وأحداث دارت في تلك المناطق. كما زودتني المقابلات التي أجريتها بعد التحرير مع بعض الإخوة من (الجنود المجهولين) ـ ممن قاموا بأعمال عظيمة في سبيل الكويت ـ قسطا وافرا من المعلومات وكثيرا من التفاصيل التي لم يكن من الممكن الحصول عليها دون مقابلة هؤلاء المواطنين، الذين وضعوا أرواحهم على أكفهم، وبذلوا كل ما كان لديهم من طاقة، وتفانوا في سبيل عزة وطنهم وخدمة مواطنيهم.

ومن المصادر المهمة الأخرى التي تم نقل بعض الأحداث منها جريدة (الأهرام) المصرية ـ أعداد يناير ١٩٩١، بالإضافة إلى الكتاب الذي أصدره المركز الإعلامي الكويتي بالقاهرة تحت عنوان (جريمة غزو العراق للكويت ـ أحداث ووقائع).

مقـدمـة

الحمـد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. ونحمد الله على نعمته علينا بالنصر والتحرير بعد أن أنقذنا من ظلم المعتدين وفك قيدنا من أسر البغاة المستبدين.

وبعد،

فإن الهدف من وراء هذا الكتاب هو اطلاع العالم على معاناة الشعب الكويتي أثناء فترة الاحتلال وإبراز النواحي الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عايشهـا في تلك الحقبـة من الزمن. كما يبين الظلم الذي وقع على هذا الشعب، والإرهاب الذي عاناه على أيدي الغزاة المعتدين الذين لم يلتزموا بأي اعتبارات إنسانية أو مبادىء أخلاقية في سلوكهم. كما يشير الكتاب إلى التصميم الرائع والتحدّي العنيد الذي أبداه الشعب الكويتي، والمقاومة الشجاعة التي قام بها ضدّ العدو المحتل، بشتى الأساليب والوسائل، والتي نالت إعجاب العالم وتقديره. تلك الوقفة الصلبة من هذا الشعب الذي جعل العدو يجن جنونه ويفقد أعصابه ليقوم بارتكاب أفظع الأعمال الانتقامية والتي كانت غاية في القسوة، ويرتكب جرائم بشعة لم يسبقه إليها أحد في التـاريخ الحديث، وينفّذ أعمالا تعتبر قمة في الترويع والوحشية بهدف القضاء على مقاومة ذلك الشعب وطمس معالم نهضته وكيانه.

وفي سبيل إبراز الحدث بكل تفاعلاته على الطبيعة وكما وقع، وبتسلسله الزمني، رأيت أنَّ أفضل طريقة لذلك هي سرد وقائعه حسب ما جاءت، وشهراً بشهر. كما رأيت أن أعطي لكل شهر الصفة القريبة من واقع مادار فيه من أحداث، وما كانت تعنيه تلك الأحداث بمجملها للمواطنين. فكان شهر أغسطس مثلا شهر (الصدمة) التي لم يتوقعها أحد، بينما كان شهر سبتمبر هو شهر (الأمر الواقع) الذي فرضه العدو بالقوة والقهر. أما اكتوبر فكان شهر (القلق) الذي طالت بقدومه أيام الاحتلال أكثر مما كان

يتوقع الكثيرون، وأصبح فيه المواطنون يعيشون في رعب ليس له نهاية منظورة. وهكذا سيجد القارىء أن لكل شهر خاصيته المميزة التي تعكس ما شهده من تطورات، وردَّة فعل المواطنين تجاهها.

وكـان الـتركيز في كل شهر من الأشهر السبعة يدور حول الأوضاع بالداخل بصورة رئيسية، مع عدم إهمال الأحداث العالمية التي كانت تشهدها الساحة الدولية، والتي لا يمكن فصلها عن الجناح الآخر للأزمة. وقد حاولت، بصورة مختصرة بقدر الإمكان، التعليق على الأحداث المهمة التي وقعت بالداخل وتحليلها وشرح مغزاها، لإعطاء القارىء صورة حقيقية ومتكاملة عما كان يدور في الساحة المحلية، التي كانت هي المحور الرئيسي الذي دارت حوله ومن أجله الأحداث. وكان ذلك لقناعتي بأن القارىء لازال يريد معرفة المزيد عن الوضع الغامض الذي ساد الساحة الكويتية في تلك الفترة، والذي بذلت سلطات الاحتلال كل ما كان لديها من طاقة وخبرة لعزله إعلاميا عن العالم، من خلال التعتيم الإعلامي الرهيب الذي فرضته، والذي أدّى إلى استحالة الحصول على أي معلومات تفصيلية مهمة، إلا بصورة محدودة وغير منتظمة. لذلك ـ وحسب اعتقادي ـ فإن كثيرًا من المهتمين بالقضية، والذين لم يتواجدوا في الكويت أثناء شهور الأزمة، لا زالوا متعطشين لمعرفة حقيقة ما كان يدور من أحداث وتفاعلات، لا زالت تبدو غامضة لكثير منهم. وإني آمل أن يكون هذا الجهد المتواضع أحد الروافد التي يستطيع الباحث عن الحقيقة من خلالها الحصول على بعض ما يصبو إليه من معرفة.

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب ليس كتابا وثائقيا، ولا هو تسجيل تاريخي لحدث معين يقصد منه رصد كامل تفاعلات وتفاصيل ذلك الحدث أو تدوين وقائعه بصورة علمية يمكن الاعتماد عليها بصورة كاملة من قبل الباحثين. وليس المراد منه التحليل العلمي لجريمة اجتياح العراق للكويت والبحث عن أسبابها التاريخية، والاعتبارات الأخرى التي ساهمت في بروز الحدث بالطريقة التي شهدها العالم يوم الثاني من أغسـطس عام ١٩٩٠ ومـا تلاه من أيام وأسـابيع. فذلـك متروك لأقلام وآراء وتحليلات المتخصّصين في علوم التاريخ والاجتماع والسياسة وعلم النفس ليقوموا من

جانبهم بمعالجة ذلك الحدث وتحليله كل حسب رؤياه ومن منطلق تفاعله مع الحدث ومعايشته إياه.

كما لا أزعم هنا أنني استطعت في هذا الكتاب تغطية جميع الأحداث الداخلية - بل ولا حتى جزء يسير منها. لكنني آمل أن أكون قد أعطيت للقارىء بعض المؤشرات المهمّة في ذلك الاتجاه وغطيت، ولو جزءًا بسيطًا منها، تاركا للآخرين إكمال تلك المهمة للوصـول إلى الحقيقة الكاملة. ومن المهم هنا التنويه إلى أن ما استطعت جمعه من معلومات ووقائع وأحداث تعكس في معظمها ما دار في بعض المناطق من الكويت، مع الـتركيز على منـطقة مشرف التي أسكنها. وسيجد القارىء أني أبرزت كثيرًا من المشـاهدات اليومية والوقائع والأحداث المتفرقة، التي دارت في المناطق المختلفة من الكويت والتي قام بها أفراد سلطات الاحتلال، مهما كان بعضها صغيرًا، وذلك ليطّلع القارىء على واقع النفسيات المريضة والعقليات التافهة التي تتكون منها تلك النوعية البشرية التي نفّذت ذلك العمل اللاحضاري بغزوها للكويت واستباحة كل ما كان على أرضها. وكان الهدف الآخر من ذلك هو تقريب الجو الذي كان سائدًا في تلك الفترة للقارىء الذي لم يعايش أحداثها عن كثب. كما أبرزت أيضا، ما قام به بعض المـواطنين، الذين استطعت الوصول إليهم والتعرف على ما استطاعوا القيام به من أعمال وأدوار اثناء فترة الاحتلال والتي كانت قمة في النبل والتضحية والإيثار.

وغنى عن القول أن كل فرد من أفراد هذا الشعب قد قام بدوره، حسب موقعه وحسب الظروف التي أحاطت به، في سبيل تحرير وطنه. إذ يكفي أن المحتل الطامع لم يجد فردًا واحدًا على استعداد للتعاون معه أو حتى مهادنته. فقد أثبت هذا الشعب الصغـير بعـدده، والكبـير بعـزمـه، والذي كان المعتدي ينظر إليه نظرة استضعاف واستخفاف قبل أن يجرّب حظه معه، أنه شعب أصيل بمعدنه، ثابت في وقفته للدفاع عن تراب وطنه، عنيد في تصميمه على دحر الغزاة، شاهرًا سيفه في وجوههم في سبيل رفـع راية بلده خفـاقـة في سماء الكـويت، التي أراد لها أن ترفـل على الدوام بالعز والشموخ. هذا الشعب الذي أدت مواقفه الشجاعة إلى تركيع المعتدي وانهزامه شر هزيمة، ليصل إلى مستوى ما يستحقه من الخزي والعار، بعد أن قام جيشه الجبان

بالاستئساد على المواطنين العزّل، وأذاقهم صنوف القهر ومرّ العذاب، لا لسبب إلا لأنهم أحبوا وطنهم ورفضوا تدنيس ترابه من قبل عصابات بطشت بشعبها وأذلته، قبل أن تبطش بأي شعب آخر. فكان هذا الشعب جديراً باحترام العالم وأهلاً للعيش رافعًا رأسه مزهوًّا فوق أرضه الطاهرة وهي تتمتع بالحرية والاستقلال والطمأنينة، رغم أنف المعتدين ومن وقف وراءهم.

ومن المهم التأكيد هنا بأن ذلك النصر المبين لم يكن ليتحقق لولا وقوف ذلك الشعب بكامله صفًا واحدًا، متراصًّا ومتكاتفًا ومستمسّكًا بوحدته الوطنية التي جعلت منه كتلة واحدة كالبنيان المرصوص ضدّ العدو الغاشم، الذي لم يستطع اختراق صفوفه بالرغم من محاولاته اليائسة في سبيل ذلك. كما كان لوقفة أشقائه الأوفياء في دول مجلس التعاون الخليجي، الذين بذلوا الغالي والنفيس وضحّوا بكل ما استطاعوا في سبيل الكويت، أكبر الأثر في تحقيق النصر ضد المعتدي. فقد كانوا السند والظهير الذي آوى أبناء الكويت ـ بعد أن شردهم الغزاة ـ وجعلوا من أرضهم وقلوبهم الركيزة التي انطلقت منها قوافل التحرير، وخاطروا بكل شيء في سبيل عودة الكويت إلى أهلها عزيزة كريمة. كما أن موقف بقية أشقائه، الذين عرفوا حق الأخوة، وفي مقدمتهم مصر، بموقفها المبدئي الشجاع كان من أبرز المواقف التي عبّرت عن شهامة النفس وأصالة المنبع لذلك الشعب الغيور المتمسك بالمبادىء قولا وفعلا. ولن ينسى الكويتيون أبدًا موقف سوريا ولبنان وكثير من الدول الإسلامية التي وقفت معهم، بينما يقدّرون كل التقدير مواقف الأصدقاء، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وبقية دول التحالف الذين ضحوا بأبنائهم ووقفوا مع الكويت في محنتها وأثبتوا أنهم أصحاب حضارة حقيقية. فالحضارة لا تقاس فقط بالآثار الصمّاء التي خلّفها الأولون على قطعة معينة من الأرض، ليأتي بعدهم بآلاف السنين أناس همّهم فقط التغنّي بتلك الآثار ومشيّديها دون أي اعتبار للإنسان وما يعنيه من قِيَم ومعانٍ وحقوق. فالحضارة تقاس بالإنجازات والمواقف، جنبا إلى جنب، لأنها تعني الإنسان والانسانية معا، قبل أن تكون قلاعاً ومباني وآثاراً جامدة يتغنى بها المفلسون، ممّن لفظهم الزمن الذي يعيشون فيه لتخلّفهم العلمي والفكري والحضاري أيضا.

شكر وتقدير

لم يكن هذا الجهد ليخرج إلى حيّز الوجود لولا المساهمة الكبيرة والفعّالة لكثير من الإخوة والأصدقاء الذين كان لوقفتهم منه وتشجيعهم لفكرته أكبر الأثر في خروجه كما هو الآن بين يدي القارىء. فقد كانت الفكرة منه ـ كما ذكرت في (التمهيد) ـ محدودة وغير ذات صلة كبيرة بالعمل المنجز في الصفحات التالية. إذ كان الجهد الذي قصدنا القيام به بداية لا يتعدى إنجازه أسابيع معدودة، لكنه امتدّ إلى أشهر زادت عن الستة. وكان التصور أن لا تزيد وريقات ذلك العمل عن العشرين ورقة، فوصلت إلى ما يعادل أو يزيد عن العشرين ضعفًا. وكان ذلك كله ثمرة لتشجيع الإخوة الذين أعطوني الدافع وبثوا في نفسي الحماس لأستمر في إنجاز ما بدأته من عمل بصورة أشمل وأعمق من الهدف الأصلي. وإني أجد لزامًا عليّ أن أتقدم بالشكر والعرفان للأخ الأستاذ أنور عبدالله النوري على ملاحظاته القيمة وأفكاره السديدة وتشجيعه لي للمضي قدما في هذا العمل. ولقد أعطاني ذلك دافعًا قويًّا لإنجازه، كما كانت استفادتي كبيرة من فكره العميق ونظرته الشاخصة لكثير من الأمور التي لفت انتباهي إليها. كما أود أن أخص بالذكر الأخ الكريم السيد صالح محمد اليوسف رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لبنك الكويت الصناعي، والذي كان له الفضل الأول في إخراج هذا العمل بالصورة التي هو عليها الآن، فقد قدّم لي من التشجيع والدعم ما جعل إنجازه يتحقق بفترة كان سيستغرق على الأقل ضعفها من الزمن لولا ما وضعه بين يديّ من إمكانيات مهمة ساعدت في ارتقائه إلى المستوى المطلوب. كذلك أود تقديم جزيل الشكر والامتنان للأخ الدكتور عمرو محي الدين الأستاذ بجامعة القاهرة والمعار مستشاراً لبنك الكويت الصناعي، وأمين عام اللجنة المصرية للتضامن مع الشعب الكويتي الذي كان من أوائل من اطلع على هذا العمل منذ بدايته، وأكّد على ضرورة إخراجه إلى حيز الوجود ليطّلع عليه كل من له اهتمام بالقضية. وأخص بالشكر أيضا الدكتور جعفر يعقوب العريان الذي بدأ معي منذ بداية الطريق وكان السند

الحقيقي لي في كل ما قمت به، والظهير الذي ما انفك يتابع كل خطوة خطوتها، إلى أن تم إنجاز العمل. ومن المهم أيضا إبراز دور الأخت لميعة يوسف أبو الحسن التي قامت بدور رئيسي وجوهري في إخراج الكتاب من الناحية اللغوية كما هو بين يدي القارىء، بعد أن بذلت جهودا كبيرة تشكر عليها في سبيل ذلك. كما أشكر الأخ كامل سليمان العبد الجليل على بذله لجهوده المميزة ووضعه لإمكانياته الكبيرة في سبيل إبراز هذا العمل بالشكل المطلوب. ولن أنسى أخيرًا أن أقدّم خالص الشكر والامتنان لكل الإخوة والأخوات الذين ساهموا بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تزويدي بالمعلومات الأساسية، من خلال المقابلات التي أجريتها معهم، حيث كانت هي المرتكز الأساسي في بلورة هذا العمل وبلوغ الهدف من ورائه، وهو إيصال الرسالة التي نريد للعالم أجمع أن يعرفها عنا كشعب محب للسلام والحرية وعلى استعداد للتضحية في سبيل ذلك مهما كان الثمن.

الفصل الأول
أغسطس.. الصدمة

(١) اليوم الأول . . . وقوع الكارثة

- أسلوب تنفيذ المؤامرة
- ردود فعل المواطنين
- إعلام العدو

(٢) اليوم الثاني للعدوان وماتلاه من أيام خلال الأسبوع الأول

- الوضع السياسي
- الوضع الداخلي
- أساليب المقاومة
- الحراسة الليلية
- تحدّي العدو والاستعداد للمواجهة

(٣) الأسبوع الثاني للغزو وما بعده

- الأحداث المهمة عالميا
- مواقف وتصرفات العراق وردود الفعل العالمية تجاهها
- الوضع في الداخل

الفصل الأول
أغسطس .. الصدمة

(١) اليوم الأول . . . وقوع الكارثة

صحا الكويتيون صبيحة يوم الخميس الثاني من أغسطس ١٩٩٠ الموافق الحادي عشر من محرم ١٤١١، في جو غير طبيعي مكهرب، لايكاد يوصف من شدة الذهول وعدم التصديق. فقد جاءت أخبار الاجتياح العراقي كالصدمة العنيفة في أم الرأس وكانت نتيجتها الفورية الشلل الفكري التام وعدم المقدرة على استيعاب مغزى الحدث.

وكان البعض قد سمع الخبر في الصباح الباكر عن طريق المكالمات الهاتفية التي توالت من الخارج دون تصديقه، بينما سمعه البعض الآخر عن طريق بعض الإذاعات الغربية فيما أذاع راديو الكويت خبرًا في نشرة أخبار الساعة السادسة صباحًا قال فيه: أن القوات العراقية قد اجتازت الحدود الكويتية في بعض النقاط الحدودية في شمال البلاد عدة كيلو مترات، وأتبعت الخبر بموسيقا وأغانٍ وطنية. لكن كثيرًا من الناس بدأ يتداول خبر وصول القوات العراقية داخل المدينة وبالتحديد في منطقة الصالحية والسوق منذ حوالي الساعة الخامسة صباحًا من خلال المكالمات الهاتفية التي أخذت تتوالى على كل بيت دقيقة بعد أخرى. وما إن جاءت الساعة السابعة صباحًا إلاّ وكان أكثر سكان الكويت قد علموا بحلول الكارثة سواء أكان عن طريق الأخبار أو بالمشاهدة في الشوارع والطرقات أو من خلال نوافذ البيوت التي تطل على الشوارع الرئيسية. وكانت المفاجأة أكبر للمواطنين الذين غادروا بيوتهم في الصباح الباكر متوجّهين إلى أعمالهم دون علم، وإذا بهم يشاهدون جنود الغزو وهم منتشرون في شوارع المدينة بأعداد كبيرة وفي آليات مختلفة يتجوّلون في كل مكان. كما شاهد الكثير من المواطنين الذين صادف مرورهم في طريق المغرب وشارع الخليج العربي بعض مراحل القصف لقصر بيان وقصر دسمان دون معرفة ما كان يجري.

ـ أسلوب تنفيذ المؤامرة

كانت القوات العراقية قد بدأت في الساعات الأولى من صباح يوم الخميس بالتوجّه من داخل الحدود العراقية جنوبا إلى الكويت برًّا من خلال طريق العبدلي ــ الجهراء وطريق السالمي ــ الجهراء حيث انتشرت قبل الظهر في مدينة الكويت ومعظم الضواحي. أمّا جوًّا فقد قامت مئات من الطائرات المروحية العراقية بإنزال جوي في كثير من مناطق الكويت بينما قامت الطائرات المقاتلة بقصف العديد من النقاط المهمة في البلاد. كما قامت القوات البحرية بنقل أعداد كبيرة من القوات إلى عدة نقاط على شواطيء الكويت، أهمها المنطقة القريبة من الأبراج مقابل قصر دسمان.

وكان تركيز جيش العدوان في الساعات الأولى من الصباح ينصبّ على عدة نقـاط رئيسية أهمّها قصر دسمان وقصر بيان ومنطقة جيوان ومركز الحرس الوطني في الطريق الدائري السادس وقاعدتي علي السالم وأحمد الجابر الجويتين بالإضافة إلى المطار الدولي والقاعدة البحرية في الجليعة. أما بقية قواته فقد انتشرت في كثير من المناطق السكنية كالجهـراء والفـروانية والصليبية فيما دخلت بعض القـوات منـطقة الشويخ الصناعية ومدينة الكويت العاصمة حيث تركّزت في منطقة الأسواق والصالحية وساحة العلم، كما توجّهت بعض القوات لتطويق محطتي الإذاعة والتلفزيون. وعند الساعة العـاشرة والنصف كانت قوات أخـرى قد دخلت بعض المناطق السكنية الداخلية كالدسمة والمنصورية وتمركزت في ساحاتها واحتلت بعض النوادي الرياضية والشوارع الرئيسية فيها والطرق السريعة المحيطة بها.

وكان الإنزال كثيفا أمام قصر دسمان حيث كانت الطائرات المروحية تقوم بإنزال مئات الجنود الذين كانوا يطلقون النار عشوائيا في جميع الاتجاهات بينما كان الدخان الكثيف يتصاعد والأرض تهتز من تحت الأقدام. وقد أدّى ذلك إلى قتل وجرح أعداد كبيرة من المارة من مختلف الجنسيات حيث قام بعض المتطوعين بنقلهم من الشوارع المحيطة إلى المستشفى الأميري بسياراتهم.

هذا وكـانت مقـاومة بعض ثكنات الجيش والحرس الوطني عنيفة ومتفانية في الدفاع عن مواقعها بالرغم من المفاجأة الكبيرة التي أصابتهم وعدم توقعهم لما حدث. كما أنهم لم يتلقـوا أية أوامر أو تعليمات بالمقاومة أو الرد ولم يكونوا متأهبين لمثل تلك المهمة. إلا أن أعدادا كبيرة منهم استبسلت في مقاومة العدوان وخاصة أصحاب الرتب الصغيرة والمتوسطة من الضباط بالإضافة إلى الحرس الوطني والمجنّدين الذين لم يتوقفوا عن المقاومة إلا بعد أن أصبح الوضع غير متكافيء بصورة كبيرة عندما دخلت دبابات العدو ومصفحاته المعركة بأعداد هائلة وبدأت بالقصف المدمر والمكثّف دون وضع اعتبار لأي شيء.

وكانت طائرات العدو المروحية تحلّق منذ الصباح الباكر على قاعدتي علي السالم بالشمال وأحمد الجابر بالجنوب والمطار العسكري قرب صبحان حيث قامت بقصف المـدارج لمنـع الطائرات الكويتية من التحليق. وقد أدّى التشويش على الدفاعات الجوية لتلك القواعد إلى إصابتها بالشلل، بينما استمرت الطائرات المروحية في الإنزال الكثيف في كل مكان. كما وصلت أعداد هائلة من الدبابات والمصفّحات وحاملات الجنود القادمة من العراق إلى المناطق المختلفة من الكويت وهي تشق طريقها نحو الجنوب في الاتجاهين المتضادين لكل من طريق العبدلي ــ الجهراء والسالمي ــ الجهراء. وكانت الأرتال تسير وهي متراصّة لاتكاد تفصل بين الدبابة الواحدة منها والأخرى أي مسافة من شدّة زحامها وضخامة أعدادها. وكان طولها يمتد إلى مدى البصر وهي تسير كالسيل الجارف.

وقـد قامت الدفاعات الجوية في فيلكا بالتعامل مع طائرات العدو وأسقطت عددًا منهـا، فيما استـطاعت بعض الطائرات التي حلّقت من قاعدة علي السالم في الساعات الأولى من الصباح ــ وقبل سقوط القاعدة ــ مهاجمة وإسقاط أعداد من الطائرات المروحية العراقية التي انتشرت بالجو كالجراد. أما الطائرات في قاعدة أحمد الجابر فقد استمرت طوال ذلك اليوم بالتحليق وضرب طائرات العدو المروحية وقصف الأرتال بالرغم من تدمير مدرج القاعدة واضطرار الطيارين الكويتيين المتواجدين فيها

لقيادة طائـراتهم عبر إحدى الطرق الضيّقة المخصّصة لسيارات المطافيء والسيارات المدنية التابعة للقاعدة. وقد تم قتل أعداد كبيرة من قوات العدو وتدمير آلياته إلا أن ذلـك لا يعد شيئا بالنسبة للأعداد الضخمة من القوات والمعدّات التي أرسلها إلى الكويت والتي كانت تزيد على المائة ألف مقاتل بمعدّاتهم وآلياتهم. وكان العدو يحرص على عدم تدمير المطارات بعد ضرب المدارج ليتمكن من الاستيلاء على ما كان فيها من أسلحة وعتاد ومعدّات. كما لم يحاول الدخول في اشتباكات جوية لاعتقاده، على ما يبدو، بأن إمدادًا أمريكيًا كان قد وصل إلى الكويت. حتى أن بعضًا ممّن تمّ أسرهم من الجنود كانوا يسألون بعض الضباط الكويتيين الذين ألقوا القبض عليهم عن كيفية قدوم القوات الأمريكية بهذه السرعة لمساعدة الكويت.

وكان السقوط السريع لقاعدة علي السالم يعود إلى المفاجأة وعدم توقّع الهجوم والاستعـداد له بالإضـافة إلى القصف المدفعي الكثيف ممّا أدّى إلى صعوبة المقاومة. لذلك لم تستطع مغادرة القاعدة إلا أعداد قليلة من طائرات الميراج حيث توجّهت إلى قاعدة أحمد الجابر في الصباح الباكر.

أمّا قاعدة أحمد الجابر فقد استمرت في إرسال الطائرات لضرب جيوش العدو إلى أن حلّ الظلام. وقد تقرّر بعد منتصف الليل إخلاء القاعدة حيث توجّهت كثير من الطائرات إلى المملكة العربية السعودية. وفي صباح يوم الجمعة قامت الطائرات العراقية بقصف القاعدة مرة أخرى لاختبار دفاعاتها فيما حاصرتها الأرتال العراقية من كل جانب ممّا أدّى إلى سقوطها عند الظهر.

ـ ردود فعل المواطنين

كانت ردة الفعـل الأولى للمـواطنـين أن بدأوا يديرون أقراص الهواتف لمعرفة تفاصيل الأخبار وآخر التطورات من أصدقائهم وأقاربهم لعلّهم يصلون إلى الحقيقة التي كان من الصعب عليهم تصـديقها من شدة وقع الخبر عليهم. كما بدأ الناس

بتشغيل أجهزة التلفزيون في محاولة لسماع خبر فيه سلوى للنفس واطمئنان للقلب. وكان تلفزيون الكويت لا يزال يعمل ولكن بصورة مشوشة وهو يبث الأناشيد الوطنية محاولا رفع معنويات المواطنين واستنهاض عزيمتهم. لكن الوضع بدأ يتضح شيئا فشيئا والأمور تزداد سوءا دقيقةً بعد أخرى بينما أخذ الذهول يسيطر على الناس الذين أخرج كل واحد منهم كل ما لديه من أجهزة الراديو ليثبِّت كل واحد منها على محطة للتأكد من سماع جميع الأخبار من مختلف المصادر. إلا أن النتيجة مع الأسف كانت واحدة وهي أن قوات العدو بدأت تعزز مواقعها في كل اتجاه وتسيطر على المواقع المختلفة بالبلاد الواحد تلو الآخر.

ولقد زاد ما كان بالنفوس من كآبة في صبيحة ذلك اليوم المشئوم أن الإذاعات التي كان المواطنون ينتظرون منها ردة فعل سريعة وحاسمة قد تجاهلت ما حدث تمامًا وكأن شيئا لم يحدث، مما زاد الألم في النفوس والحسرة في القلوب. كل هذا وإذاعة الكويت تستنجد بالجميع... مجلس التعاون... درع الجزيرة... الجامعة العربية... اتفاقية الدفاع العربي المشترك... مؤتمر الدول الإسلامية... دول عدم الانحياز... الدول الكبرى... وكل ذلك دون مجيب.

أما إذاعة بغداد فقد كانت تزيد من طنطنتها ساعة بعد ساعة وتهلّل وتمجّد بثوار الكويت المزعومين، بينما استمر تلفزيون بغداد في عرض الأغاني والأناشيد الحماسية والتي كانت كل عبارة فيها لا تخرج عن الخط المعروف في تمجيد صدام وكيل المديح له. وبالرغم من الوقع المؤلم لتلك الأساليب الإعلامية الهوجاء على نفوس المواطنين إلاّ أنهم اضطروا لمتابعتها لمعرفة حقيقة الوضع بالرغم من السموم التي كانت تنفثها.

وكانت ردة الفعل لما وقع لا تختلف من بيت إلى بيت أو من شارع إلى شارع أو من منطقة لأخرى في الكويت كلها. فقد خرج الناس من بيوتهم بعد امتصاص الصدمة الأولى ليسأل كل جار جاره عن حقيقة ما حدث وقد سيطرت الدهشة والغضب والذهول على الجميع، إذ أن أمرًا مثل ذلك لم يكن متوقعًا من بلد كان

للأمس القريب يمجّد بمواقف الكويت ويطري ذكرها ولا تكاد تمرّ مناسبة إلا ويشير بالبنان إلى أفضالها عليه. لكن أحدًا من الكويتيين لم يكن يختلف مع الآخر على أن صفة الغدر والخيانة تكاد تكون لصيقة بهذا الجار العاق طوال تاريخه. لذلك كان كثير من المواطنين يُذكّر بعضهم البعض بتاريخ ذلك البلد المليء بالممارسات المشابهة ويؤكّد أن ما حدث ليس بالشيء الغريب أو غير المتوقع من هؤلاء.

وما إن تناصف نهار ذلك اليوم إلا وكان الجميع قد تأكد من وقوع الكارثة وبدأ بتصديق الخبر وابتلاع الجرعة المرة. وبدأ من كان متوجها إلى عمله بالعودة إلى منزله، كما بدأت المحال التجارية تغلق أبوابها في حين أخذت الوزارات تخلو من الموظفين والمراجعين، الذين جاءوا منذ الصباح الباكر لإنجاز معاملاتهم دون أن يكونوا قد سمعوا الخبر. وهكذا أصبحت الكويت برمّتها عند الظهيرة دون أي نشاط يذكر إلاّ الجلوس أمام أجهزة المذياع والتلفزيون ومتابعة نداءات الاستغاثة وطلب العون. وقد هدأت الشوارع إلا من هدير الدبّابات وناقلات الجنود التي ملأت البلد دون أن يستطيع أحد أن يحدّد الجهة التي أتت منها ودخلت البلاد من خلالها. هذا وقد شاهد عدد كبير من المواطنين أعدادًا من الطائرات المروحية وهي تجوب الأجواء فوق المناطق السكنية ظانّين في البداية أنها طائرات كويتية. إلاّ أنهم فوجئوا بمشاهدة علم العراق المشئوم مرسومًا أسفل تلك المروحيات ممّا تسبب في زيادة الألم والخذلان.

وقد تناقل الناس أخبارًا كثيرة في ذلك اليوم، منها إشاعات عن مقتل بعض المسئولين واقتحام قصر دسمان وقصر بيان وقصف الأبراج وغيرها من المراكز والمؤسسات الحكومية، واحتلال محطة الإذاعة والتلفزيون وتوجّه القوات العراقية إلى الجنوب ومغادرة بعض الطائرات الكويتية إلى السعودية، بالإضافة إلى مغادرة سمو الأمير وبعض أعضاء الحكومة إلى المملكة العربية السعودية. وكانت أعداد كبيرة من المواطنين قد توجّهت إلى المخافر لتسجيل أسمائها للتطوّع للدفاع عن البلاد فيما أخذ البعض الآخر في التشاور حول طريقة الحصول على السلاح حيث قام عدد منهم بالفعل بالتوجّه إلى بعض الأماكن وأخذ كمية من الأسلحة والعتاد وتوزيعها على المواطنين. كما توجّه عدد كبير من المواطنين إلى بنك الدم المركزي للتبرّع بدمائهم.

ـ إعلام العدو

في حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً ــ وبعد أن صمّت آذان الناس من سماع تلك الأناشيد المبتذلة والأهازيج السخيفة ــ أذاعت محطتا تلفزيون وإذاعة بغداد (بياناً تاريخياً) صادراً عن مجلس قيادة الثورة العراقي قرأه أحد المذيعين المعروفين بإجادة التمثيل والدجل وقد جلس أمام الكاميرا نافخاً نفسه محملقاً بعينيه الزائغتين وبنظراته الزائفة، مصوراً نفسه وكأنه أحد (أبطال) ذلك الحدث. وكان الحقدينبعثمن أنفاسه والغطرسة تطغى على ملامحه وتصرّفاته، فيما بدا وكأنه قائد (النصر) المزعوم و (الفتح) الزائف. وقد بدأ قراءة البيان بثلاث صيحات تكبير ــ وهو وأسياده أبعد من يكون عنها وعن معانيها وما ترمز إليه ــ ثم قال «أيها الشعب العراقي العظيم، يا درة تاج العرب ورمز عزتهم واقتدارهم وعقال رؤوسهم؟ أيها العرب الغيارى المؤمنون بأن أمة العرب أمة واحدة وأن حالها ينبغي أن يكون حالاً واحداً عزيزاً كريماً وأن الدنس والخيانة والغدر يجب أن لا تتصل بصفوفهم ونواياهم».

وبعد أن استمر المذيع في قراءة بقية العبارات المعتادة والإسفاف المعهود أخذ يوجّه الاتهامات إلى الكويت وحكومتها ممّا كان في الواقع يعكس كل ممارسات ذلك النظام الإجرامية وتصرّفاته المعروفة وكأنه يشير بالبنان ــ من حيث لا يدري ــ إلى واقعه الأسود ويطبّق على نفسه المثل القائل (كاد المريب أن يقول خذوني). وبعد تلك المقدّمة (الخائرة) أضاف «أن الله أعان الأحرار من بين الصفوف المخلصة ليقوّضوا النظام الخائن في الكويت والضالع في مخططات الصهيونية والأجنبي). وبعد أن أطاح بنظام حكمهم فتية آمنوا بربّهم فزادهم هدى ناشد الأحرار من أبناء الكويت العزيزة القيادة في العراق لتقديم الدعم والمساندة لدرء أي احتمال لمن تسوّل له نفسه التدخّل من الخارج في شئون الكويت ومصير الثورة فيها، وناشدونا المساعدة في استتباب الأمن لكي لا يصيب أبناء الكويت سوء. وقد قرر مجلس قيادة الثورة الاستجابة لطلب حكومة الكويت الحرة المؤقتة والتعاون معها على هذا الأساس تاركين لأبناء الكويت أن يقرروا شئونهم بأنفسهم. وسننسحب حالما يستقر الحال وتطلب منّا حكومة الكويت

المؤقتة ذلك، وقد لا يتعدّى ذلك بضعة أيام أو بضعة أسابيع». واستمر البيان في سرد أمجاد (شعب وجيش القادسية) وبطولاته زاعما أنه سيجعل من «الكويت العزيزة مقبرة لكل من تسوّل له نفسه وتحرّكه شهوة الغزو والغدر».

وبعد تلاوة البيان استمر تلفزيون بغداد في إذاعة الأناشيد وقراءة الشعارات التي كانت تظهر مكتوبة على شاشة التلفزيون وقد وضعت في وسط قوس النصر الذي لم يكن في الواقع معبّرا حقيقيا عن المعنى الذي يرمز إليه ولو ليوم واحدمن تاريخ ذلك البلد الذي لم ير أي نصر حقيقي أو حتى بصيص من ذلك منذ عشرات السنين. إذ كان النصر بالنسبة له هو تغلّب فئة على أخرى عبر الانقلابات والمؤامرات التي تحيكها كل فئة أو جماعة ضد الأخرى في سبيل الوصول إلى السلطة والتشفّي ببعضهم البعض. وكان من بين الشعارات التي كتبت على الشاشة واستمر تلفزيون العدو في بثها طوال ذلك اليوم:

«العراق والكويت طريق واحد في خدمة الشعبين ومصالح الأمة العربية».
و «لتعش الأخوّة وعلاقة العائلة الواحدة العراقية الكويتية».
و «عاش ثوار الكويت الوطنيون والقوميون وعاشت يمينهم يوم هدّوا أوكار التجسس على رؤوس الخونة».

أما الأغاني والأناشيد فكانت تعكس مدى الانحدار والتردّي والوغول في أوحال النفاق والافتراء الذي وصل إليه المسئولون في ذلك البلد وخاصة منهم من كان يقوم بتوجيه الأجهزة الإعلامية فيه. وكان من ضمن الكلمات التي حوتها تلك الأناشيد مثلا:

«من عمرنا على عمرك ياصدام نصر كل العرب نصرك ياصدام
ما شفنا الفرح إلاّ بوجودك وما شفنا النصر إلاّ على إيدك
من عمرنا على عمرك يا صدام»

وقد كان واقعهم الأليم على عكس ما كانوا يرددونه من أقاويل فارغة.

وفي حوالي الساعة الواحدة ظهراً أعلن تلفزيون بغداد وإذاعتا بغداد وصوت الجماهير أن إذاعة حكومة الكويت الحرة المؤقتة قد أذاعت البيان رقم واحد الصادر عن تلك الحكومة. وكان البيان عبارة عن صورة طبق الأصل عن البيانات العراقية المعروفة سواء بالأسلوب أو النهج أو المحتوى. وقد بدأ البيان بالإشارة إلى (تطلّعات) شعب الكويت للحرية والإسهام في تحقيق أهداف الأمة العربية في التحرير والوحدة، ثم عرّج على فلسطين وأعطاها حصتها من النحيب والأسى، ووعد باستعادة حقوقها المغتصبة، ثم أشار إلى نهب (المستعمر) لثروات البلاد بعد إذلالها. كما نوّه بممارسات وانتهاكات حكومة الكويت «وتآمرها ضدّ العراق الشقيق الأبي الذي تحمّل شرف الدفاع البطولي المرير عن البوابة الشرقية للوطن العربي وعن الكويت وعن كل دول الخليج العربي». وأدان (إيداع عشرات بل مئات المليارات من ثروات البلاد في البنوك الأجنبية وربط استثماراتها ببعض المصالح المشبوهة المرتبطة بالدوائر الصهيونية)*. وبعد أن استمر في سرد العبارات المعروفة والمكررة في كل البيانات والبلاغات المشابهة أعلن «أن القوى الوطنية قررت وبعد الاتكال على الله وعلى إرادة الشعب الحرة وممثليه الخيّرين تسلّم زمام المسئولية والإطاحة بالنظام المستبد». كما أعلن «أن حكومة الكويت الحرة المؤقتة تعتبر من أولى واجباتها ومسئولياتها الوطنية والقومية والأخلاقية إصلاح الأذى والعدوان الذي ألحقه النظام السابق بأهلنا وإخوتنا في العراق، فهم سندنا وظهيرنا في الملمات، على أساس الأخوّة التي تجمعنا وبأمانة الشرفاء في التصرف إزاء مسئولياتهم. وسنعمل على معالجة مسألة الحدود والعلاقة مع العراق العزيز على قاعدة الأخوّة بيننا ووفق ما تتطلبه المصلحة القومية العليا». وكان هذا البيان يعبّر بوضوح عن كل ما حدث وما كان وراءه من أهداف ونوايا دون حاجة إلى توضيح.

---

* كانت احتياطات العراق تقارب ٦٠ بليون دولار عندما قفز صدام للسلطة عام ١٩٧٩. وكانت جميع تلك الأموال مودعة بالبنوك الأجنبية. وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وصلت ديون العراق إلى ما يقارب من ١٠٠ بليون دولار بينما قاربت الآن الألف بليون دولار، اذا أخذ بالاعتبار التعويضات التي يجب على العراق دفعها للكويت وإيران وبقية دول العام المتضررة من وراء عدوانه.

وبعد حوالي ساعة من إذاعة البيان الأول تم إذاعة البيان الثاني الذي أعلن منع التجـوّل وإغـلاق الحدود ومنع السفر. كما أذيع البيان الثالث والذي «ناشدت فيه حكومة الكويت الحرة المؤقتة إخواننا النشامى في العراق أبطال القادسية والفارس العربي الشهم الرئيس صدام حسين أن يساعدوا ويدعموا إخوانهم في الكويت» مضيفا «وكما هو عهدنا بفرسان العراق الأشاوس فقد لبّوا النداء وباشرت طلائعهم بالوصول إلى الكـويت لتسهم مع أهلها في الكويت في حماية الديار من كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين. وإننا ندعو المواطنين الأعزّاء وكل الجهات المسئولة إلى تسهيل مهمّة إخواننا والترحيب بهم لندافع سوية عن الكويت، عن أرض العرب وعن شرف العرب وعن عزة العرب».

وبذلك اكتملت واتضحت فصول المسرحية.

وما إن حلّ مساء ذلك اليوم الأسود حتى أصبح المواطنون يعيشون في كابوس رهيب بعد أن شعروا بفداحة الخطب وغموض الوضع وعدم وضوح المستقبل. كما بدأ الكثير من المواطنين بالتفكير بما يجب أن يقوموا به من عمل لحماية أنفسهم وذويهم. وقد اختلفت ردود فعل الناس حسب رؤية كل منهم للأوضاع وتحليلهم لها وتفاعلهم معها. فمنهم من قرر جمع ما يستطيع جمعه من مال وعزم على الرحيل مع أهله بعد أن رأى خطورة البقاء تحت رحمة الغزاة. ومنهم من أصابه الذهول وأخذ منه مأخذًا كبيرًا جعله مشلول التفكـير غير قادر على القيام بأي عمـل في حين كانت هنـاك جماعات من المواطنين قد قررت البقاء والمقاومة والرد على العدوان وتحدّيه بأي طريقة كانت وبأي ثمن.

وعموما فإن وقع الخبر على النفوس كان من الشدة بحيث وضع الجميع في شبه دوّامـة لا يدرون كيف وقع ما وقع. وقد أصبح الكل في مفترق الطرق مذهولين ممّا حدث وغير متقبلين للأمر. وبات أهل الكويت تلك الليلة وهم في حالة لا يمكن وصفها من شدة المرارة والحزن. فقد كانت ليلة الجمعة (مساء الخميس ٢/٨/١٩٩٠) من أشدّ الليالي كآبة حيث بقى المواطنون في بيوتهم وهم يعيشون في جو يملؤه الرعب

والفزع، لا يكاد الواحد منهم يعرف ماذا سيحدث له بعد لحظات. ولم يخرج أحد من منزله في تلك الليلة إلا من واجهته ظروف استثنائية أو كان مضطرا للبقاء في عمله نظراً لطبيعة ذلك العمل.

إن ما وقع من أحداث في ذلك اليوم المشئوم لا يمكن محوه من الذاكرة لشدة الهول وفداحة الكارثة وعظمة المصيبة . . . لقد كان أطول وأسوأ يوم في تاريخ الكويت والكويتيين.

(٢) اليوم الثاني للعدوان وما تلاه من أيام خلال الأسبوع الأول

ـ الوضع السياسي

اقتصر نشاط معظم الناس يوم الجمعة، وهو ثاني يوم للعدوان، على متابعة الأخبار من الإذاعات المختلفة بالإضافة إلى الاتصالات الهاتفية التي كانت تتركز على تبادل الأخبار والتوقعات بشأن ردة فعل الدول الكبرى والعالم، وسبب صمت معظم الدول العربية. وقد تميّز اليومان الأولان من الغزو بتلاحق الأحداث المليئة بالعنف داخلياًّ والتردّد عربياً والاستنكار عالمياً وخاصة من قبل الدول الأوروبية. أما الأخبار التي كانت تتناقلها الإذاعات، فكانت تتلخص بقرار مجلس الأمن الدولي رقم (٦٦٠) الذي أدان العدوان وكذلك إدانة وزراء خارجية الدول الإسلامية المجتمعين بالقاهرة للعراق وقرار الجامعة العربية بالإدانة، والذي جاء على غير ما كان متوقعاً بسبب انقسام الدول العربية وبروز بعض المواقف التي رفضت الإدانة، مما جعل كثيراً من الناس يضع علامات استفهام كبيرة على مواقف هذه الدول.

وكان الناس في الداخل يغلون من شدة الغضب لهذه المواقف المريبة بينما ازداد الإرهاب والبطش بكل من كان يبدي أي مقاومة أو عدم قبول لما وقع من غدر وعدوان. ولم يكن هناك من الأخبار ما يطمئن إلاّ خبر وصول سمو الأمير والحكومة إلى المملكة العربية السعودية سالمين. فقد أعطى هذا الحدث نوعا من الطمأنينة للناس حيث كان وجود الأمير على قيد الحياة وبأمان يعني استمرار الشرعية المتمثلة فيه.

أما زعم النظام العراقي بأن ثورة قد قامت بالكويت وطلبت مساعدة العراق لمنع تدخّل القوى الأجنبية لقمع هذه الثورة، فكان زعما تافها لم يصدّقه أحد. ولكن هذا النظام أصر على هذه الكذبة، وبذل جهدًا ضخمًا في سبيل إقناع بعض الرعاع من المأجورين سواء داخل العراق أم في بعض الدول العربية بها. ومن هذا المنطلق أخذ النظام العراقي يتخبط بقراراته وإعلامه ليدعم هذه المقولة ويثبتها دون جدوى. فقد خرج علينا تلفزيون العراق الموجّه للكويت والذي سمّوه بتلفزيون حكومة الكويت الحرة المؤقتة وبه بعض المذيعين العراقيين وقد أُلبسوا الزي الكويتي (الغترة والعقال) وهم يقرأون الأخبار والبيانات ليوحي بأنهم كويتيون. إلاّ أن هذه اللعبة الساذجة لم تنطل على أحد حيث كان التصنّع واضحا على المذيعين الذين فشلوا حتى في تقليد اللهجة الكويتية، كما كان واضحًا أنهم لم يلبسوا الغترة والعقال من قبل.

كذلك بدأت فرق الغناء والتهريج العراقية التي أُلبست الزي الكويتي تقدّم أغانيها المبتذلة محاولة تقليد الطريقة الكويتية دون نجاح. وكانت البيانات المزعومة باسم حكومة الكويت الحرة المؤقتة تفوح بالأسلوب العراقي المعهود من استعمال للكلمات الجوفاء والعبارات الرنّانة. وكان التخبّط والارتجال والارتباك واضحًا كل الوضوح في كل تصرّف يصدر عن الجهاز الإعلامي التابع للعدو وذلك نتيجة لاضطراره في الأيام الأولى للغزو ــ وفي محاولته لتمرير كذبته من أن هناك حكومة كويتية ثورية ــ لإدارة وتوجيه جهازين أو محطتين مختلفتين (أو هكذا تُحتّم اللعبة أن يكونا) حيث من المفترض أن يكون لكل منهما كيانه واستقلاليته (ونعني بذلك محطة تلفزيون بغداد ومحطة تلفزيون الحكومة الكويتية الثورية المزعومة).

وبالرغم من سياسة العدو الثابتة في إعطاء الإعلام أهمية قصوى تمثّلت دائما بدعم هذا الجهاز المؤثر بكل الإمكانيات منذ سنوات طويلة، حيث كان هذا الجهاز هو الآلة التي تقوم بخداع الجماهير وتوجيهها نحو الأهداف التي يرسمها هذا النظام ــ بالرغم من ذلك كله إلاّ أنه لم ينجح هذه المرة في تشويه الحقيقة وتلفيق الافتراءات كما نجح في السابق وخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وقد كان واضحًا للعيان أن ما

حدث هو اجتياح شامل من قبل الجيش العراقي لدولة الكويت دون حدوث أي ثورة أو أي طلب للعون.

هذا وكان المواطنون يترقبون على أحر من الجمر ويتساءلون كيف سيخُرج العراق نفسه من الورطة التي وضع نفسه فيها بزعمه أن الثوار سيعلنون تشكيل حكومة الثورة في القريب العاجل، إذ كان الكويتيون متأكدين من عدم إمكانية تعاون أي فرد منهم مع المعتدي. وكان هذا بالفعل سبب تأخر إعلان الحكومة المزعومة إلى يوم السبت ١٩٩٠/٨/٤. وكان المواطنون قد ظنوا حال سماع أسماء أعضائها بأنهم من العراقيين، لكنه تبين فيما بعد أنهم كانوا من المجنّدين الكويتيين الذين اختطفهم المحتلون وأجبروهم على ذلك تحت تهديد السلاح. وقد استقبل العالم بسخرية نبأ إعلان الحكومة المؤقتة وأكد على ضرورة انسحاب قوات العدو من الكويت. أما القوات العراقية فقد توغّلت جنوبا إلى أن وصلت قرب الحدود السعودية ممّا دعا الأخيرة إلى إعلان التعبئة العامة.

هذا وقد شهد يوم الأحد ١٩٩٠/٨/٥ أكذوبة كبيرة أطلقها العراقيون بادعائهم بأنهم بدأوا بسحب قواتهم من الكويت. لكن تلك الأكذوبة لم تنطل على أحد إذ تبيّن أن الانسحاب المزعوم كان عبارة عن أول عملية سرقة على نطاق واسع تقوم بها الحكومة العراقية، وذلك عندما قامت بنهب الأسلحة بجميع أنواعها بالإضافة إلى العتاد من مخازن الجيش الكويتي التي استولت عليها وبدأت بنقلها إلى العراق متذرّعة بالانسحاب. وكانت إدانة العالم لذلك العمل الإجرامي شاملة، إذ أنه كان عملاً مكشوفًا وفاضحًا. وكان الرئيس جورج بوش أول من أدانه واصفًا حكومة العراق وجيشه بأنهم مجموعة من المجرمين الدوليين.

وفي خطوة حاسمة وسريعة لإدانة العدوان والتأكيد للعراق بوقوف العالم بأسره ضد جريمته، أصدر مجلس الأمن الدولي قراره الثاني رقم (٦٦١) بتاريخ ١٩٩٠/٨/٦ بفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية شاملة ضد العراق لإجباره على تنفيذ القرار الأول الداعي إلى الانسحاب. وقد وافقت ثلاثة عشر دولة على القرار فيما

امتنعت اليمن وكوبا عن التصويت. وفي القاهرة فشلت محاولة قام بها بعض الرؤساء العرب لعقد مؤتمر قمة مصغر يجمع الكويت والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية والأردن بسبب رفض العراق للإعلان المسبق عن عزمه على الانسحاب من الكويت وتذبذب موقف الملك حسين الذي كان يبدو أنه ضالع في المؤامرة ضدّ دولة الكويت. كما خرج رئيس ليبيا ورئيس منظمة التحريرالفلسطينية بمشروع مشبوه يعطي للعراق بعض المميزات التي تشمل دفع (التعويضات) للعراق مقابل النفط الذي زعموا أن الكويت أخذته بدون وجه حق من حقل الرميلة، بالإضافة إلى موافقة الكويت على تأجير جزيرتي وربة وبوبيان للعراق واستبدال قوات الاحتلال العراقية بقوات احتلال ليبية وفلسطينية. وقد مات ذلك المشروع في مهده لعدم جديته، ومكافأته للمعتدي ومحاولة ابتزاز المعتدى عليه بالإضافة إلى جلب قوات تتعاطف مع الطرف المعتدي ولا تحظى بأي ترحيب أو احترام من قبل الشعب الكويتي الذي صدم بمواقف قادة تلك القوات.

وشهدت نهاية الأسبوع الأول للعدوان تحركات سياسية مكثفة أخرى شملت زيارة سمو ولي العهد للقاهرة وصدور بيان من المجلس الوزاري لدول مجلس التعاون الخليجي يدين العدوان ويدعم الشرعية الكويتية، وإدانة مجموعة عدم الانحياز في اجتماعها بنيويورك للعدوان العراقي ومطالبة العراق بالانسحاب، وزيارة وزير الدفاع الأمريكي ريتشارد تشيني إلى القاهرة والرياض لبحث تطوّرات الوضع بالخليج، وإعلان الولايات المتحدة وبريطانيا استجابتهما لطلب المملكة العربية السعودية بإرسال قوات إلى أراضيها للدفاع عنها في حالة وقوع أي عدوان عليها، وترحيب دولة الكويت بأي تدخل أجنبي لإجبار العراق على الانسحاب.

وفي خطوة جديدة أعلن تلفزيون ما يسمى بالحكومة الحرة المؤقتة يوم الثلاثاء ٧ أغسطس قرار إعلان الجمهورية الكويتية الذي قوبل بالاستهجان من قبل المواطنين فيما أخذ تلفزيون العراق يعرض (لقاء) صدام مع حكومة الكويت المزعومة وقد ظهر (الوزراء المغلوب على أمرهم) على شاشة التلفزيون وهم يرتجفون من هول ما رأوا ومن

عدم قدرتهم على إجادة الأدوار التي فرضت عليهم في تلك المسرحية. وكان الشخص الوحيد الذي نطق منهم هو رئيس الحكومة المزعومة الذي لم يستطع التفوّه إلاّ بكلمة أو كلمتين لم يعرف أحد من المشاهدين فحواها من شدة الارتباك والذعر الذي كان يسود الموقف.

وفي صباح يوم الأربعاء ٨ أغسطس دعت أجهزة الإعلام العراقية المواطنين إلى سماع بيان مهم سيصدر خلال ذلك اليوم عن حكومة الكويت الحرة المؤقتة ومجلس قيادة الثورة العراقي. وقد أحسّ كثير من المواطنين بالأمر وتوقّعوا أن يكون ذلك الإعلان هو (الثمرة) الحقيقية التي كان يهدف إليها العراق من وراء كل ما قام به. ولم يكذب ظنهم. فقد أعلن تلفزيون وإذاعة بغداد عن «موافقة مجلس قيادة الثورة العراقي والمجلس الوطني العراقي على طلب حكومة الكويت الحرة المؤقتة قيام الوحدة الاندماجية بين القطرين». كما عرض تلفزيون بغداد خطاب صدام في المجلس الوطني العراقي الذي أعلن فيه قيام الوحدة الاندماجية المزعومة. وكان الخطاب في الواقع عبارة عن تمثيلية غير محكمة وصلت إلى مستوى الفضيحة المكشوفة من سخافة ما جاء فيها من إسفاف. فبعد أن عرض صدام على المجلس الوطني ـ الذي ثبت أنه كالدمية في يده ـ طلب (حكومة الكويت الحرة المؤقتة) الوحدة المزعومة، وموافقة مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزبه على ذلك، أخذ يلقي عليهم ما اعتاد عليه من أحاديث خالية من الجوهر وكلام لا يفهم معناه أي صاحب عقل، وعبارات حشر فيها من الكلمات والألفاظ والأفكار الجوفاء ما أفقدها أي معنى. وقد انتهت المسرحية بالكلمة القصيرة التي تفوّه بها رئيس مجلسه الوطني الذي قال «إني أرى الموافقة على الاقتراح في أعين جميع الأعضاء قبل أن تتم مناقشته والتصويت عليه. لذلك فلا داعي لأخذ رأيهم أو الطلب منهم التصويت». وهكذا تمت الطبخة دون أن ينبس أي من الأعضاء أو (الرفاق التماثيل) ببنت شفة.

وبذلك تمّ إسدال الستار على الفصل الأول والمهم من المسرحية التي نفّذها النظام العراقي ابتداءً من يوم الخميس المشئوم الموافق الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠.

ويرى بعض المحللين أن هناك أسبابًا مهمّة دعت النظام العراقي، إلى التعجيل في إعلان الوحدة الاندماجية المزعومة، أهمّها عدم العثور حتى على كويتي واحد على استعداد للتعاون مع سلطات الاحتلال مما أدى إلى فشل مخططات العدو السياسية وانكشاف أمره بسرعة. أما السبب الثاني فكان فشله في إدارة جهازين مختلفين (سياسيا واجتماعيا) للإعلام، أو هكذا يجب أن يكونا، إن استمر في ادعائه باستمرار حكومة الكويت الحرة المؤقتة. أما السبب الثالث فكان عدم إمكانية تسيير شئون حكومتين (مستقلتين) في خضم أوضاع عالمية تتلاحق فيها الأحداث كل دقيقة وتشتد فيها الضغوط على العراق من كل جانب. لذلك كانت الوحدة الاندماجية المزعومة هي المخرج السريع الوحيد الذي يخدم أغراض العراق التوسعية وبنفس الوقت ينقذه من الورطة التي وضع نفسه فيها، والتي كانت تتطلب تسيير أمور (حكومتين) بكل ما يتبع ذلك من مهام ومسئوليات وعلاقات مختلفة تشمل الإعلام والسياسة الداخلية والعلاقات الخارجية والاعتراف الدولي المتبادل مع دول العالم وما شابه ذلك.

ـ الوضع الداخلي

بدأ بعض المواطنين في الأيام الأولى للغزو بالخروج من بيوتهم إلى الشوارع القريبة بحذر متحاشين الاحتكاك بجنود الاحتلال. كما قام البعض الآخر بزيارة الأقرباء والأصدقاء للاطمئنان عليهم والتشاور معهم بشأن ما يمكن عمله. وقد شوهدت في الأيام الأولى للعدوان كثير من الآليات العراقية المعطلة في الشوارع وبعض شتات الجنود العراقيين الذين كانوا يجوبون بعض الشوارع الرئيسية ويعتريهم الخوف، إذ كانوا يسيرون في جماعات وكانوا شديدي الحذر ودائمي الالتفاف في كل جانب للاطمئنان على أنفسهم من أي خطر.

وقد استمرت الأوضاع بين الناس في تلك الفترة بين مسافر وتارك وراءه ما تبقّى من متاع وأملاك، مفارقا الأقارب والأصدقاء على أمل أن يعود بعد أيام أو أسابيع على

الأكثر ـ حسب اعتقاده ـ بعد انجلاء الامور. وبين صامد لاينوي الخروج مهما كان الثمن، وبين حائر لا يدري ما العمل وما هو المصير الذي ينتظره وينتظر الجميع معه. كما قام المواطنون بشراء وتخزين بعض المواد الغذائية والتردّد على أماكن بيع الغذاء وعلى الجمعيات التعاونية لشراء أكبر كمية من الغذاء خاصة بعد أن قررت بعض هذه الجمعيات بيع أهالي مناطقها على الحساب بواقع مبلغ معّين من الدنانير لكل فرد من العائلة أسبوعيًا بعد أن قلت السيولة النقدية لدى الناس وزاد اقتصادهم في الصرف. وكان الناس يركزون في مشترواتهم على المواد الغذائية الأساسية كالرز والطحين والحليب والسكر والشاي وزيت الطعام. كما أن بعض الجمعيات بدأت بصرف التموين لشهري أغسطس وسبتمبر على الناس نظراً لغموض الموقف.

وقد شهدت تلك الأيام نشاط بعض أهل الرأي والقيادات في المساجد الذين بدأوا يحثّون الناس على التكاتف والصمود والبدء بعمل ما للحفاظ على مناطقهم من أي عبث أو اختراق من المحتل أوالمتعاونين معه، خاصة بعد أن انتشرت أخبار السرقات من قبل بعض الجاليات الأجنبية إلى جانب الاعتقالات والاعتداءات على من حاول المقاومة، وإطلاق النار على بعض المتظاهرين في بعض المناطق وقتلهم.

وفي يوم ١٩٩٠/٨/٦ أعلنت سلطات الاحتلال عن مساواة الدينار الكويتي بالدينار العراقي مما جعل العراقيين يستغلون ذلك ويُجبرون المحلات التجارية والجمعيات التعاونية على بيع بضائعها لهم بالدينار العراقي مما يعني بيعها بعُشر قيمتها الحقيقية. وقد تمّ بالفعل نهب واستنزاف معظم هذه المحلات بهذه الطريقة. كما استغلّ بعض الباعة من جنسيات معينة هذه الفرصة وأخذوا بدفع قيمة البضائع بالدينار العراقي عند الشراء ـ تحت طائلة إخبار «القيادة» عند رفض استلام الدينار العراقي ـ وبيعها بالدينار الكويتي، أو بالدينار العراقي بعد مضاعفة السعر عشر مرات. وقد أدّت تلك الظاهرة إلى حنق الناس على هؤلاء المستغلّين الذين لم يكفهم ذلك بل امتدت أيديهم إلى جميع أماكن بيع المواد الغذائية حيث كانوا يشترون المواد بالدينار العراقي ويبيعونها بالدينار الكويتي على المواطنين. كما تسلّطت أعداد كبيرة

منهم على شبرة الخضراوات حيث كانوا يشترون كامل حمولة الخضار القادمة بالشاحنات من الأردن ثم يبيعون ما فيها للناس بأسعار مضاعفة بعد أن كانت تباع نفس البضاعة قبل ذلك بلحظات بأقل من نصف الثمن قبل شرائها من قبل هؤلاء المستغلين. هذا وقد اضطر الناس تحت التهديد إلى قبول التعامل بالدينار العراقي إلى جانب الدينار الكويتي فيما بدأ البعض بتعديل الأسعار على هذا الأساس.

ـ أساليب المقاومة

بدأت مقاومة المواطنين الفعلية للعدو في الواقع منذ الساعات الأولى لعدوانه على الكـويت. فكـان إغلاق المواطنين لمحلاّتهم التجارية من اليوم الأول للعدوان واستمرارهم في ذلك، وعدم توجّه الموظفين لأماكن عملهم وإصرارهم على المقاطعة أول بوادر المقاومة للعدو. وقد أدت تلك الخطوات العفوية في نشأتها والمؤثرة في وقعها إلى تشكيل وبلورة أروع عصيان مدني شهـده التـاريخ الحديث سواء بأسلوب تنفيذه، العفوي ـ والذي لم يخضع لأي قيادة أو أسلوب معين في التنظيم ـ أو بنتائجه الحاسمة التي أدت إلى عزل العدو تماما عن المواطنين الرازحين تحت سيطرته والرافضين لكل ما كان يتعلق به من أمور، صغيرة كانت أم كبيرة. وكان سلاح المواطنين الأول هو تحلّيهم بالعزم والثبات والجدية في مقاومة العدو.

وكان من أولى الخطوات التي قام بها المواطنون في الأيام الأولى للعدوان نزع أرقام البيوت والشوارع، ومحو الكتابات من على (دليل المناطق) التابع لإدارة المرور الذي يبين موقع كل قطعة وشارع، والذي عادة ما يكون مثبتاً في مدخل كل منطقة من المناطق السكنية. كما كان من أساليب مقاومة العدو التي انتشرت في الأيام الأولى للعدوان كتابة الشعـارات المعادية للعدو على الجدران وفي الأماكن المختلفة، حيث انتشرت تلك الظاهرة في جميع أرجاء الكويت. وكان من الكتابات اللطيفة التي شوهدت ـ والتي تعكس براءة الأطفال الذين قاموا بكتابتها وتعبّر عن رفضهم للغزو ـ ما كتبه بعضهم على براميل القـمامة. فقد كانت عبارة (هذا بيت صدام) مكتوبة على كثيرمن تلك

البراميل بالإضافة إلى ماكتبه الأطفال أيضا، بالقرب من الخنادق التي حفرها الجنود والتي تقول (هذا قبر صدام). كما كتب بعض الصبيان على بوابات بعض محولات الكهرباء ومراكز المجاري (اقتل عراقيا تربح دينارا كويتيا) مما أثار حفيظة جنود العدو.

كما بدأ معظم المواطنين بتضليل جنود العدو عندما كانوا يسألونهم عن أماكن معينة. فكانوا يوجهونهم عكس الاتجاهات التي يسألون عنها. فإذا سألوهم عن الأحمدي مثلا أشاروا لهم باتجاه مدينة الكويت، وإن سألوا عن السالمية وجّهوهم إلى خيطان. كما كان الجواب الذي اتفق عليه جميع المواطنين هو (لا أعلم) حينما يسألهم أي شخص لا يعرفونه عن عنوان أو اسم شخص معين. وكان ذلك الأسلوب مؤثرا جدًا لدرجة كبيرة، إذ كان قد انتشر عدد كبير من أفراد استخبارات النظام العراقي في الأيام الأولى للغزو في عدد من المناطق السكنية سائلين عن عناوين بعض المواطنين والمسئولين في الدولة وبعض مؤسساتها ولكن وعي المواطنين أحبط مخططهم وجعلهم لا يستطيعون الوصول إلى العناوين التي لديهم في كثير من الأحيان.

وكان من ضمن ردة الفعل العفوية لكثير من الشباب أن توجّهوا إلى المخافر في مناطقهم السكنية منذ اليوم الأول للعدوان، وقبل أن يستولى عليها الغزاة وقاموا بتسجيل أسمائهم وعناوينهم كمتطوعين للدفاع عن الوطن. وكانت المخافر في معظم الأحيان خالية من المسئولين. وقد حصل بعض المواطنين على كمية بسيطة من الأسلحة الخفيفة من بعض المخافر، فيما قام بعض العسكريين الكويتيين بمساعدتهم في جمع تلك الأسلحة وتدريبهم عليها بصورة سريعة ومركزة. مما ساعد ذلك في انخراط عدد كبير من الشباب في المقاومة خاصة وأن الأهداف كانت سهلة لتصيُّدها في الأيام الأولى للغزو وذلك قبل أن يقيم العدو مراكز للتفتيش. وقد استمر الشباب في تلك الفترة بجمع الأسلحة في صناديق سياراتهم ونقلها من منطقة لأخرى، فيما كانوا يلاحقون أفراد العدو ومركباته ويطلقون عليها النيران والقنابل مما أدّى إلى القضاء على عدد كبير منهم وإدخال الرعب في قلوب البقية الباقية.

تصدرها حركة نساء واطفال الكويت (العدد ٩) ٩ اغسطس ١٩٩٠

اخي المواطن .. اختي المواطنه

الكويت بخير، ما دامت قيادتها بخير والكويت بخير مادام شعبها على وفاء لتراث عزتها بحكم الأمير الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح. وسعدها بحكم ولي العهد الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح. لنكتفي ملوبنا مع امرنا وولي العهد واعضاء الحكومه الرشيده وهم يقودون مسيرة التحرير ومسيرة مقاومة الغزاه. ومسيرة بناء الكويت هي مستمره.

إضراب عام

اخي المواطن اختي المواطنه.

التزاما ليوم بعدم تنفيذ مطالب المحتلين بالعوده الى وظيفتك وتحالف احد اشكال المقاومه ضدهم كن شاهم في عملية التحرير. وتذكر للعالم باسره ان الكويتي لا يساوم على انتمائه الوطني ولا يرضى بديلا عن قيادته الشرعيه ويرفض الاحتلال

ولهنك

اخواني وجودكم اليوم في ارضكم وولائكم وبقاءكم هنا لهو اهم اشكال المقاومه للغزاة المحتلين فالكويت لن تكون الا لقيادتها الشرعيه ولشعبها ولتقل كل منا للمحتلين انا باقون هنا. ولن نغادر ارضنا ولن نتنازل عن اعلامنا فهي هنا بديرتنا. اخواني. بقاؤنا هنا يوم كل يوم مساهمة في تأزيم المحتلين وخرابهم وحصارهم وحواجزهم .. لا مغادرة الارض والوطن في ظل هذه الظروف هي امنية الغزاة لذا علينا ان لا نحققها لهم. نترك الكويت علاوة على ما تحمله من مظاهر الكآبة على كل من يحاول المغادرة فأنت تقيم وطننا لتعيش سائحة للغزاة. تحية الباسلة والعودة الى زوال بإذن الله.

ترشيد الاستهلاك

اخواني .. واجبكم الوطني وحقدتكم على مقاومة الاحتلال ومجابهة الغزو تدعوك اليوم للتخلي عن الكثير من العادات الاستهلاكية وفي طليعتها التبذير والاسراف. لذا ان اشكم وجودكم اليوم لممارسة ترشيد الاستهلاك من المأكل والمشرب والطاقة وكل وسائل العيش الضروريه لا قدر تتخلى على الصمود في ظل الظروف الاستثنائية هو احد وجوه مقاومة الغازي الذي لم نحتمل سلبنا ولا لتجويعنا وارغامنا على التعامل معه

تكافل

اخواني .. ليقم كل منا بجاره وتحريض وتشجيعه على تحريض شعوبه حياته وعياله بدلا من العويل. لنا عذا ولئك الذين لم يريدون يعيش محنوم خارج البلاد ولنكن لصيق الصابره على بيوتنا واهلنا وشوارعنا

إلتزام

نلتزم جميعا بالقوانين التي شرعها لنا حاكمنا الشرعي ومن خلال التقيد بقوانين المرور وبآداب التعامل واحترام حقوق التطريب وحرياتهم وعدم تجاوز حقوقنا الشخصية ولتكن الكويت اماله من عبورنا. فبقاؤها من بقائنا

□ إحدى المنشورات أو (الجرائد) التي انتشرت أثناء الأسابيع الأولى للغزو □

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت الحق

العدد الأول

٢٢ من محرم ١٤١١هـ / ١٣ من اغسطس ١٩٩٠م

- حسبي الله ونعم الوكيل -
- وما توفيقي إلا بالله -

قال تعالى " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "

حكمة العدد : " اتقِ شرَّ من أحسنتَ إليه "

دعاء

- اللهم اكشف العذاب عن المؤمنين وابعثه جهرة على الظالمين .
- اللهم بادر غضبة الحق بالعون وبادر أعوان الظلم بالقصم .

الاحتياطات من التأثير الكيماوي .

١- أن تتجمع الأسرة بغرفة واحدة مغلقة بإحكام ومعزولة عن الهواء الخارجي .
٢- عدم تشغيل المكيفات أو السنترال أو المراوح .
٣- تبليل القطن أو قطع من القماش بالماء ووضعها على الوجه كله .
٤- تكرار العملية لمدة ساعة تقريبًا حيث أن تأثير المواد الكيماوية نصف ساعة .

أبيات من الشعر

إذا الشعب يومًا أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

خيركم أنفعكم للناس

- مساعدة الأهل و الجيران والأصدقاء في قضاء حاجاتهم وتوفير كل ما يلزمهم .
- مساعدة الأسر التي تسكن في منطقتكم ومد يد العون لهم .

كلمات مأثورة :

* كفى بالمؤمن خيانة أن يكون أمينًا للخونة .
* الأيام تهتك لك الأستر عن الأسرار الكامنة .
* العامل بالظلم ، والمعين عليه والراضي به ، شركاء .

AL-Ji

الصمود الشعبي

لسان حال حركة المقاومة الشعبيه الكويتيه (حماك)

اول جريده كويتيه تصدر تحت الإحتلال
١٥ اغسطس ١٩٩٠
العدد الخامس

الإفتتاحيه

درب الحريه مليء بالامل والتضحيات

الغزو البربري للجيش العراقي للاراضي الكويتيه في الثاني من اغسطس الجاري ، اول احتلال اجنبي للكويت في تاريخنا الحديث ، فهذه الدوله الصغيرة والمسالمه ، لم تكن يوما من الايام ارض محتله لاي قوى عسكريه اقليميه او عالميه مع انها كانت محميه بريطانيه منذ يناير عام ١٨٩٩ ، الا انها لم تتحول الى قاعدة عسكريه اجنبيه ، ومنذ استقلالها في ١٩ من يونيو ١٩٦١ ، وهي تحافظ على موقف متوازن من الصراع بين الشرق والغرب واحتلت مكانة مرموقة في حركة عدم الانحياز وعملت على ان تكون واحة سلم وامان وفجاة وبدون مقدمات تسلط مؤسسات الدوله وتدوس اقدام الغزاة اراضي الكويت في يوم صيفي غامض، ولكن الشعب الكويتي الذي ترعرع في حضن الدوله الدستوريه وعشق الحريه وقيم التقدم والوطنيه ، رفض من الدقيقه الاولى واستهجن مسرحية صدام في " الثورة والانتفاضه والحكومه المؤقته والوحدة وعودة الفرع الى الاصل "

وقرر كل ابناء الكويت وابناء الشعب العربي في الكويت مقاومة الاحتلال والعمل على عودة الشرعيه الدستوريه بدعم كامل من الدول العربيه والمنظمات الدولية بمؤسساتها العالميه وخاصة منظمة الأمم المتحدة وهذه المقاومه تتمحور حول :

١- التمسك بالارض والدفاع عن الوطن بكل السبل المتوفره وعدم الهرب من البيوت والمساكن والبقاء على ارض الكويت .

٢- التجاوب والعمل مع لجان العمل الشعبي السلميه في كل المناطق كل حسب تخصصه .

٣- الاقتصاد في استهلاك الأكل والمواد الغذائيه وتوزيعها بين العوائل بصورة تناسب كل حسب حاجته وعدد افراده .

٤- تنويع اساليب المقاومه السريه والعلنيه ضد قوى الاحتلال مثل تظاهرات النساء في الضواحي والاحياء والتطوع في العمل الصحي والانساني ودفع الشباب الانخراط في الخلايات السريه للمقاومه بعد التدريب والالتزام بمفاهيم الربط والضبط والسريه .

ودرب الحريه طويل ومليء بالتضحيات والآلام وان الكويت المحرره من الغزاة لابد ان يشرق فجرها عما قريب باذن الله .

ارفعوا الاعلام على البيوت

فلترفع اعلام الكويت على بيوتنا جميعا .
فلتكن رسالة ضد الاحتلال . فليرفرف علم الكويت على بيوتنا عاليا خفاقا .

ماهي الطيارات التي سرقها الاحتلال

الصمود الشعبي - المطار

اكدت مصادر مطلعة للصمود الشعبي بان عدد الطائرات التي سرقتها قوات الاحتلال من المطار كانت كالتالي :

(٨)	باص جوي
(٢)	تاكسي جوي
(١)	بوينج ٧٢٧
(٢)	بوينج ٧٦٧
(٢)	جلف ستريم٣

وقد اشارت المصادر بان هذه الطائرات كانت تابعة للخطوط الجوية الكويتيه وقد نقلت جميعها الى بغداد .

استشهاد طفل امام عيني امه برصاص الاحتلال

لستشهد طفل كويتي ١٣ سنه على ابراهيم الريحان في منطقة كيفان حيث اطلق عليه جنود الاحتلال النار امام عيني امه والجدير بالذكر بان شقيق الطفل عبدالله ابراهيم الريحان كان قد استشهد .

رحمهما الله واسكنهما فسيح جناته

لانريد المزيد من الاشاعات والإخبار غير الدقيقه

الصمود الشعبي - خاص

حصلت الجريده على مجموعه من بيانات الصمود الشعبي في الكويت وهو امر محمود ومطلوب ويدل على اننا لازلنا كشعب ابيا واحياء ومتمسكون بتراب هذا الوطن وحكومته وشرعيته الدستوريه والذي بدونها يصبح هذا الوطن الذي نعرفه .

الا اننا يجب علينا ان نحذر بشده من التمادي في اطلاق الشائعات تحت تاثير الحماس والرغبه في حماية الوطن . فالمثل الكويتي يقول الصبح بكذب الليل فلا داعي لان ترفع امالنا بالشائعات ونحن لن نغير لدينا في الامر شيء ان مات صدام او ظل حيا ولكن مايهمنا هو خروج قوى الاحتلال وعودة الحكومة الشرعيه واستتباب الامن والعدل في ارضنا الطيبه .

فاحذروا الشائعات حتى التي تاتي من اخواننا واحبائنا في الخارج فاثرها السلبي اكثر من الايجابي

المدنيون العراقيون يناولون باحتلال البيوت الخاليه

بدات جحافل من العراقيين القادمين من مناطق مختلفه من العراق باحتلال المساكن الخاليه من اهلها . ولذا فاننا نهيب بمواطنينا بعدم مغادرتهم لبيوتهم والتمسك بوطنهم وارضهم بدلا من التشرد .

ساعدوا الجنود العراقيون على تسليم انفسهم

يرغب العديد من جنود الجيش العراقي بتسليم انفسهم حيث يتخلون عن ملابسهم العسكرية ويطلبون ملابس مدنيه للهروب . فساعدوهم وحاولوا ان تكسبوهم فهؤلاء الجنود مظلومون .

مامعنى العصيان المدني

تستخدم الشعوب في نضالها اسلوبا مؤثرا للضغط على سلطات الاحتلال وهو الامتناع والاحجام عن القيام او المشاركة باي نشاط انتاجي الا الضروري منه كالخدمات الصحيه والاطفاء ومشابه .

ويعني ذلك ضمن مايعنيه الامتناع عن الذهاب للعمل واغلاق المحال التجاريه ، لقد نجح العصيان المدني وكان واضحا ان هناك شللا قد سيطر على العديد من أماكن العمل ، فلندعم هذا العصيان ولنلتزم به .

عيون أحرارا في دنياكم

أحرار الكويت

" قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا "

هيهات منا الذلة

جريدة يومية يصدرها ابناء الحسين (ع)

العدد الرابع ٢٦ محرم ١٤١١ هـ ١٧ اغسطس ١٩٩٠ م

دعاء الافتتاح : اللهم انى اسألك باسمك العظيم الاعظم الاعز الاجل الاكرم النور الحق البرهان المبين الذى هو نور مع نور ونور من نور ونور فى نور ونور على نور ونور فوق كل نور تضئ به كل ظلمه ويكسر به كل شده وكل شيطان مريد وكل جبار عنيد لا تقر به ارض و لا يقوم به سماء و يأمن به كل خائف و يبطل به سحر كل ساحر و بغى كل باغ و حسد كل حاسد يتصدع لعظمته البر و البحر و يستقل به الفلك حين يتكلم به الملك فلا يكون للموج عليه سبيل و هو اسمك الاعظم الاعظم الاجل النور الاكبر الذى سميت به نفسك و استويت على عرشك و اتوجه اليك بمحمد واهل بيته واسألك بك و بهم ان تصلى على محمد وال محمد وان تطرد الغزاة الطامعين بأرض وترد كيدهم فى نحورهم. آمين .. يا رب العالمين .

شريط الانباء:

اولا الاخبار المحلية: قام الغزاة الصداميين بأخراج رجال الاطفاء من مراكز اعمالهم وتسريحهم بحجة عدم الحاجة اليهم.

يواصل البرابرة اطلاق النار بقصد التخويف على اهالي بيان ومشرف متخذين من مدرسة الرصافي العراقية الكائنة في منطقة سلوى مركزا لهم.

تم حرق شاحنه معادية في منطقة بيان مساء امس واخرى في الجابرية وثالثه في الرميثية .. وذلك باستخدام الزجاجات الحارقه من قبل الشباب الكويتي.

وصل الى ارض الوطن مجموعه من الكويتيين الذين كانوا في الخارج ابان العدوان العراقي وذلك للمشاركة في المقاومة الشعبية.

يواصل الغزاة نهب الشعب الكويتي حيث بدؤا بسرقة البضائع الموجودة في ميناء الشويخ وميناء الشعيبة واخذها الى العراق.

تبادل الجنود العراقيين الموجودين في الكويت اطلاق النار على بعضهم البعض بعد ان تأكد للشرفاء منهم جحود قيادتهم وعدالة مطالب الكويت ادى الى قتل وجرح اكثر من ٢٥٠ جندي عراقي.

يواصل الصداميون احراق المرافق والمؤسسات العامه حيث تم حرق مصنع تكرير وصناعة الملح في منطقة الشويخ.

...يتبع

تحيه واكبار:

الى اخواننا في المملكة العربية السعودية لمواقفهم المشرفه مع اخوانهم الكويتيين نقدم لهم ولحكومة المملكه الشقيقه تحيه حب وتقدير وكذلك اشقائنا في دولة الامارات العربيه وحكومتهم والاخوه فى كل من البحرين وقطر نقدم الشكر والعرفان على مواقفهم النبيلة التي ان دلت على شئ فانها تدل على اصالتهم ومدى الترابط الاخوي بين دول مجلس التعاون الخليجي.

تحية ملؤها الحب والعمر الى اخواننا في مصر العربيه لمساندتهم لنا وكذلك الى كل الدول العربية والاسلامية والصديقة التي وقفت الى جانب الحق.

لاننس ان نتوجه بالشكر الى المتطوعين والمتطوعات العاملين في مؤسسات الدول التي تشرف على المعوقين و الايتام ودور العجزة.

الاطباء والهيئات التمريضية الذين يسهرون من اجلنا لهم منا الشكر والعرفان.

لكل من يعمل للكويت الف شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الصباح

أنا غايتي عنوانها

الله - الوطن - الأمير

السبت ٢٧ محرم - ١٨ أغسطس

العدد الخامس

يا شباب المقاومة إنتو سندنا

بارك الله في شبابنا البواسل الذين لم تثنهم بغية تحقيق النصر للكويت.

فيا شباب المقاومة الكويتية الوطنية سيروا وفق من وراكم سمو أمير البلاد .. إن خير انتصاراتكم البشارات قد بزغ الكويت وأرضنا الطاهرة الطيبة من الدميثية والجابرية حتى صباح السالم وكيفان وغيرها من المناطق الكويتية التي ستشهد لكم بأفعالكم البطولية وبأنكم أنتم من سحقتم الدرهن من اليد الحمراء للأعداء والظلم .. وهنا عشتم الكويت بأبنائها البررة المخلصين .. فكويتنا التي أغلت دون حسابه لا تزيد الآن إلا الوفاء وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

نعم يا سيدنا يا أفراد المقاومة الكويتية لقد أثبتم للعدو العراقي بأن في الكويت شباباً قادراً على حماية أرضه وعرضه من رجس الغزاة وبارك الله فيكم ووفقكم في خطاكم حتى النصر.

الإفتتاحية :- . . إلى متى يا دراكولا ؟

سازال أمام صدام فرصة لسحب قواته من أرض الكويت دون أن يسبب له وليوده وليغداد الدمار ... فروش قد أمر جيوشه في الخليج بتفتيش كل السفن المتوجه للعراق ومنع التي تكون مخالفه للحصار المفروض على بغداد ... ولكن للأسف ذراكولا العراق يزداد شراسة يوماً بعد يوم ، فيزرع الموت والدمار ما يكون بحر صافي الدماء للذين تريد حرية يتمضى على كل أفراد شعبه العراقي .

آخر الأخبار :-

* عاد الله حسين من امريكا (ففي حسين ، وهو مكتب وفهايق خلقه.
* أما ياسر عرفات فقد وجهت إليه أصابع اللوم بالاستخفاف من موقفه الشاذ وموقفه مع الغزو العراقي على الكويت ... وتبقى الإشارة للوم بأن أحد المسئولين أشار إلى أن ياسر عرفات يظن بأنه سيناور مكافحاً مع صدام ... (وأقرب ما تكون بتسيبه فلسطين)
* من ناحية أخرى اعتبر عمر بأن غزو العراق للكويت طعنة للعرب في الظهر (بالبلي كل العرب مجبون بهذا الشيء)
* نتمنى بنعلن ش بالغزو العراقي للكويت هبه خلال المظاهرات والمسيرات وطالبت العراق بسحب قواتها وأكدت بنعلن ش بأنها مستعده أن تبعث ٥٠٠ رجل لينضم هذا العدد إلى القوات المتعددة الجنسيات الموجوده في الخليج .
* تأشد حسن مبارك رئيس الجمهورية العراق ٢٢ للاستجابة لقرار صدام ٢ أن يتحكم الكارثة وإراقة الدماء .

الرجاء توزيع النشرة على الآخرين

حقائق :-

① من الواضح أن الغزو العراقي للكويت قد ساهم في نسيان العالم للقضية الفلسطينية، مما يدل على أن هذا الغزو مخطط مدروس ليس لغزو الكويت فحسب، بل لتحطيم الإرادة العالمية وتضليله بعيداً عن القضية الفلسطينية.

② تخشى معظم الدول العربية التدخل الأجنبي في منطقة الخليج وهذا إنطلاقاً من العروبة العربية، والدليل هو أن معظم الشعوب العربية قد نددت بالتدخل الأجنبي والأمريكي على وجه الخصوص. ولكن لماذا لا تأمن هذه الشعوب أنتصاراً من هو السبب الرئيس في التدخل الأجنبي لمنطقة الخليج ؟

③ إن الخطوة التي بادر بها صدام ٢ ووافقته على إتفاقية الجزائر يدل على أن صدام ٢ يعاني من ضغوط إقتصادية فشلت به إلى الرضوخ والى خسارة جديدة لشعبه وللعراق وعند هذا المنطلق توجه سؤالنا للقادة في العراق وكل جندي عراقي : ماذا ستجني من وراء حروبك في الكويت غير خسارة في الأرواح والأموال لن تكون أقل من خسائرك في حربك مع إيران .. والمصير الواضح الذي ينتظرك هو أن أمريكا ستستخدم القوة لأول حالة لنضع نهاية لمهزلة العراق وغزوه الكويت وستقطع دابر صدام ٢ فتعود إلى أرضك أولاً لتقود مذلولاً .

الوطنية هو شعار وكلنا الوطنية في صاروخ فعال وسلاح وأزياء قوية ورفاقي عند الأذان موقعة وهيئة وهمات يا هند ..

هذا يوم يا للي اكتب ديرتك وزيد الكويت . اشتلز فيها واشتكثر انت مستعد تضحي من اجلها .. هذه أختك قامت واهوته ستاهنه عكريت ، اشلون انت ما تقوم بشتاريك ؟ شمر ذراعك وتشمر عن أنيابك وانبذ وطنيتك .

قف : كثرت حوادث السيارات نتيجة عدم التقيد بالإشارات .. فتيان الدول لا يعنى أن تجاوز القوانين .. فالرجاء الإلتزام بقواعد المرور لكي نحافظ على الأرواح

التفاؤل

بالتفاؤل يعد الأمل والتفاؤل في قلوبنا ، فغداً بإذن الله ستشرق شمس الكويت كما كانت ويعمنا الفرح من جديد .

القبس

الاربعاء ٢٤ محرم - ١٤١١هـ - ١٥ اغسطس - ١٩٩٠م

كويتي أنا - أنا قول وفعل وعزومي قوية - انا عمو موقفي تحكي الجابرية

الافتتاحية :-

نؤكد في مجموعة من الكويتيين الوطنيين بأن العدو العراقي لن يستطيع ان يمحو هوية الكويت والكويتي فهذه جريدة القبس تخرج للنور ثانية على ايدي ابناء الكويت .. والله معنا ولينصرنا على عدو الله صدام ولينصرنا على اعداء العروبة جميعا صدام

اخواني واخواتي :

الله معنا ، فلقد بدأت الاذاعة الكويتية ببث برامجها بصوت " هنا الكويت " عبر الاذاعة على الموجة المتوسطة ٦٩٠ A.M .

استمعوا لاذاعة الكويت لتتأكدوا أن أميرنا راجع بإذن الله لأرضه ولشعبه .. ولشعبه .. وسيعمنا الخير والأمان عما قريب .

المبادرة العراقية

راستمعنا اليوم الى مبادرة صدام التي وجهها الى ايران ... فالحكومة العراقية التي كانت قبل أعوام تسب وتلعن الحكومة الايرانية سمعناها اليوم وهي تمجد وتناشد حكومة الارهاب الخامنئي .. ووافقت على تلبية كل طلبات ايران

فما يربط المواطنون الشرفاء .. ماذا تستنتجوا من هذه المبادرة ؟ ارتباط بداية سقوط صدام الطاغية لقد بدأ في الوضوح وسيستمر في ذلك .. فأهل الكويت وأهل السعودية وكل الشرفاء يرفع يديها للسماء لينصر الله الحق .. والحق مع الكويت .. ولذلك يشتعل الحماس في عروقنا لنزداد تكاتفاً ووحدة وصمودا في وجه العدو الغاشم فالمسألة تحتاج الى الصبر .. فالى اللقاء الصبر .

قد للحزازيات

لا وقت لدينا للحزازيات .. فكلنا يجب أن نتحد من أجل تحرير الكويت .. كما يجب أن نقفل باب النقاش في إختلاف الآراء .. فالموقف يدعونا للاتحاد ولنكون جبهة داخلية صامدة

إخواني لاتتركوا الفرصة لمن تسول له نفسه بعمل شق في صفوفنا .. ولتعملوا جميعاً يداً واحده .. ولتعلموا أننا كويتيون ومقيمون وأجانب في إتحادنا قوة وفي تماسكنا تحرير لأرضنا من العدو العراقي .

بشرى :-

اطمئنوا يا أهالي الكويت .. فالفرج قريب .. فكل الأخبار التي ترد تبشر بالخير .. وبأن الحكومة الرشيده ستعود عن قريب لأرض الوطن .. وأن مأساة من العدوان العراقي أمده قصير .. فالعراق تسير من أسوأ الى أسوأ .. فصدام لا يعطي الأوامر دون الخروج من وكره .. هذه المؤشرات تدفعنا الى التفاؤل أكثر والتأكد في وجه العدو العراقي حتى ينصرنا الله عما قريب .

الأخبار الأمريكية :-

جاءتنا الأخبار بأن المخابرات الأمريكية استطاعت أن تكتشف المكان الذي اختبئ فيه صدام .. مما يؤكد حيرة الناس عامة بأن صدام ظل على حياته وهو محروم للموت في أية لحظة ..

فإخواني عمر صدام قصير و بإنتهاء هذا الفيروس ستنتهي كل المشاكل بإذن الله .

الرجاء : توزيع النسخة بعد القراءة على الأهل والجيران .

دعاء

يا من تحل به عقد المكاره .. يا من يفتش به هم التدابر .. ويا من يلتمس منه المخرج الى روح الفرج افتح لي يارب باب الفرج بطولك .. واكفني سلطان الهم بحولك واثلج أمني النصر فيما سكنت .. اللهم آمين .

نداء : إخواننا

نناشدكم يا خواتكم المحتاجين من الأرامل والأيتام والمطلقات وكل من كان تصرف له معونة من الحكومة الرشيدة الكويتية .. فإنهم الآن أحوج الناس لنا ولمساندتهم وما تنفقوا من خير يعلمه الله .

أنا غايتي .

عنوانها

لله

الوطن

الأمير

ـ الحراسة الليلية*

بدأ الأهالي في كثير من المناطق منذ اليوم الثاني للعدوان بالتجمّع بالمساجد بعد صلاة العشاء للتباحث وتبادل الرأي فيما يمكن عمله. وكان التجمّع يزداد ليلة بعد أخرى، كما بدأ بعض المواطنين في طبع وتوزيع بعض المنشورات و(الجرائد) اليومية التي تنقل إلى الناس بعض الأخبار وتحثّهم على المقاومة والصمود. وكان ضمن أسماء هذه النشرات (الصمود الشعبي)، (حماك)، (المرابطون)، (القبس)، (صوت الحق)... وغيرها كثير. وكان للمرأة الكويتية دور بارز في هذا المجال حيث قامت مجموعات من الفتيات بكتابة وتصوير تلك النشرات وتوزيعها على البيوت والمحلات.

وبـدأت حلقات التشاور في المساجد بالاتساع مع الأيام وقام الأهالي بخطوة مهمّة تمثّلت بتنظيم مجموعات للحراسة، تقوم كل مجموعة منها بحراسة الشارع الذي تقيم فيه بحيث يتناوب عدد من سكان ذلك الشارع حراسته على فترات. ففي أحد الأحياء بمشرف مثلاً تمّ الاتفاق بين سكان ذلك الحي على تقسيم الحراسة طوال الليل إلى ثلاث فترات، تبـدأ الفـترة الأولى من الساعة العاشرة مساءً إلى الساعة الثانية عشرة. والفترة الثانية من الساعة الثانية عشرة إلى الساعة الثانية صباحًا. والفترة الثالثة من الساعة الثانية صباحًا إلى الساعة الرابعة فجرًا، أي قبل أذان الفجر بقليل. وكانت الحراسة في البداية بالسيارات إذ كان كل ثلاث أفراد يجوبون الشوارع المخصّصة لهم ذهابًا وإيابًا بسيارات بها أجهزة تلفون.

كما تمّ وضع تلفون في إحدى غرف المسجد الكائن في ذلك الحي حيث كان يتواجد قربه عدد من الأفراد كانت مسئوليتهم تلقّي أي نداء أو استغاثة من مجموعات الحراسة أو من البيوت في حالة حدوث أي طارىء أو مشكلة. وكان الاتفاق أن يهبّ الجميع إلى موقع الحدث حالا للمساعدة.

---

* انتشرت الحراسات الليلية في كثير من الأحياء السكنية التي لم يغادر أهلها الكويت وكان لكل حي أسلوبه في الحراسة وطريقته الخاصة بتنظيمها وتوزيع المسئوليات بين السكان. ويُبيّن هذا الجزء من الكتاب الطريقة التي اتبعها سكان أحد الأحياء بمشرف في حراسة حيهم والذي يسكن فيه الكاتب.

واستمر الحال على ذلك كما استمرت الاجتماعات بعد صلاة العشاء بالمسجد لتلقي الاقتراحات وتطوير عملية الحراسة. وكان عدد المصلين والحضور للاجتماع يزداد ليليًّا وذلك بعد ازدياد شعور الناس بالاطمئنان، واتضاح مدى أهمية الحراسة الليلية. وكان الرأي السائد آنذاك أن هدف الحراسة هو إبعاد اللصوص والمشبوهين عن المنطقة، أمّا جنود جيش الاحتلال فإننا كمواطنين عزّل لا نملك أن نقاومهم بالسلاح أو بغيره في حالة هجومهم على المنطقة سواء أكان هذاالهجوم للسرقة أم لأي هدف آخر. ولكن مع ذلك فإن أهمية الحراسة هي في أنها تعطي انطباعا لمن ينوي القيام بأي عمل إجرامي عن تواجد أهل المنطقة وضبطهم للأمور فيها أثناء الليل. كما كانت هذه الحراسة تعطي للنساء والأطفال الطمأنينة والأمان أثناء تواجدهم في المنازل.

هذا وكانت الاقتراحات والأفكار المختلفة تطرح ليليًّا في الاجتماع وكان الكل يتعاون ويؤدي واجبه سواء أكان بالحراسة أم بغير ذلك خير أداء. وقد تمّ تطوير الحراسة بناءً على هذه المقترحات وجعلها مشيًا على الأقدام بدلا من السيارة مع وضع تلفون لكل مجموعة حراسة في السيّارة المخصّصة لهم لوقت الحاجة. وكان يتم إعداد جدول أسبوعي لكل شارع ينظّم الحراسة ويتّم تصويره ليوزع على كل فرد من أفراد كل مجموعة للعمل بناءً عليه. كما تم تسجيل عنوان وتلفون كل متطوع لدى اللجنة الرئيسية بالمسجد وإعطاء كل عضو من أعضاء المجموعات أرقام تلفونات أفراد مجموعته ليتم الاتصال بهم وقت الضرورة.

ـ تحدّي ا لعدو والاستعداد للمواجهة

كانت أعداد كبيرة من المواطنين قد أخذها الحماس والغيرة منذ سماع خبر الاجتياح، فقررت اتباع أسلوب التحدّي والمقاومة المسلّحة ضد العدو وجيشه بالرغم من معرفتها بالفارق الشاسع بينها وبينه فيما يتعلق بالعدد والعدة والإمكانات والأساليب. إلاّ أن حبّها للوطن وتفانيها في سبيل عزته وشموخه طغى على كل ما عداه من اعتبارات أو مشاكل قد تقف في طريق ذلك التوجّه. فكان القرار حاسما لا رجعة

فيه، وهو الوقوف في وجه العدو وحمل السلاح ضدّه وملاحقة جنوده أينما كانوا، بغض النظر عن مستوى التضحية وفداحة الثمن الذي قد يضطرون لدفعه، من دمائهم أو مما قد يقع من معاناة على ذويهم.

وكانت الخطوة الأولى التي أقدم عليها الشباب المندفع هو التوجّه نحو مخازن السلاح وثكنات الجيش للحصول على أكبر كمية من السلاح. وقد ساعد على ذلك بعض ضباط الجيش والحرس الوطني والمجنّدين الذين كانوا على علم بأماكن وجود السلاح بحكم عملهم أو كونهم قد قضوا بعض الفترات في واجب التجنيد الإجباري. وكان الشباب يتوجّهون أثناء الليل إلى أماكن وجود السلاح، والتي لم يسيطر عليها جيش الاحتلال بالكامل، ويتمّ كسر أبوابها أو دخولها من فوق الأسوار من الجهة الخلفية التي لا تلفت الانتباه، ويتمّ ملء السيارات من مختلف أنواع الأسلحة والذخيرة ويتمّ جلبها لمنازلهم أو توزّع على المواطنين. وقد استمر بعض الشباب في التوجّه إلى معسكر الدفاع الجوي والحرس الوطني خلال الأيام الثلاثة الأولى من الاحتلال، وقبل أن يبسط جيش العدو سيطرته بالكامل، حيث تم أخذ كميات لا بأس بها من الأسلحة وتوزيعها على المواطنين. وقد تمّ تسليح أعداد كبيرة من المواطنين في المناطق المختلفة حيث كانت قطع السلاح تسلّم لكل مواطن عند إبرازه بطاقته المدنية للتأكّد من هويته. وكان يتمّ تخزين الأسلحة والذخائر في المنازل الخالية من السكان أو في المزارع المنتشرة ما بين الطريقين الدائريين السادس والسابع. وبدأ بعض الشباب في خطف جنود العدو عندما كانوا يطلبون توصيلهم إلى بعض المناطق ويتمّ الاستيلاء على أسلحتهم، فيما قام البعض الآخر بدهسهم بالسيارات عند نقاط التفتيش العراقية، خاصة عندما يكون عددهم قليلا، ويتمّ الاستيلاء على ما لديهم من سلاح. كما قامت بعض النساء الكويتيات بعدة عمليات من هذا النوع في الشوارع حيث كان بعض الشباب من الجنسين يتفق على السير بقافلة من ثلاث أو أربع سيارات للتأكد من نجاح العملية وحماية بعضهم البعض، وتقوم الشابات بدهس جنود الاحتلال ومغادرة المكان ثم يقوم الشباب السائر خلفهن بالانقضاض على (الفريسة) والاستيلاء على السلاح ومن ثم التوجّه به ـ تحت حماية بقية المجموعة ـ إلى مكان حفظه. كما بدأ بعض

الشباب بصنع قنابل المولوتوف والتي لعبت دورًا كبيرًا في إدخال الرعب في نفوس جيش الغزاة والقضاء على أعداد لا بأس بها منهم. وقد تطوّرت عملية الاستيلاء على السلاح فيما بعد حيث كان شباب المقاومة يتربصون لمرور بعض السيارات العسكرية للعدو ليصبوا عليها نار أسلحتهم ويقتلوا من فيها ويستولوا على أسلحتهم.

كما قام بعض الشباب باقتحام قصر بيان من المدخل الخلفي القريب من فرع الجميعة التعاونية أثناء ليلة الأحد ١٩٩٠/٨/٥ بعدما علموا بوجود كميات من الأسلحة هناك. وقد هاجموا الجنود المتواجدين في نقطة التفتيش المتواجدة عند المدخل حيث تم قتلهم ودخول القصر ونقل كميات من الأسلحة كان العراقيون قد تركوها هناك مساء يوم الجمعة ١٩٩٠/٨/٣ بعد أن دارت معركة كبيرة بينهم وبين حرس القصر، الذين استبسلوا في الدفاع عن مواقعهم في ذلك اليوم وقتلوا أعدادًا كبيرة من المهاجمين حيث ظلت جثثهم ملقاة هناك لعدة أيام دون قيام سلطات العدو بدفنهم. وكان من بين الأسلحة التي استولى عليها الشباب أثناء اقتحامهم للقصر في تلك الليلة أعداد من مدافع البازوكا التي استخدمت فيما بعد لضرب أرتال قوات الاحتلال. كما استخدمت إحداها في ضرب السفارة العراقية كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد.

وكانت أساليب المقاومة المسلّحة في الأيام الأولى للعدوان عفوية وبسيطة، لكنها كانت مؤثرة. كما أنها اختلفت عن بعضها البعض حسب اجتهاد وإمكانية من كان يقوم بها. فكان دهس جنود الاحتلال بالشوارع من أولى تلك الأساليب، كما ذكرنا، بينما اتبع عدد آخر من الشباب أسلوب ملاحقة المدنيين العراقيين الذين بدأوا يزحفون على الكويت بالمئات، بل وبالآلاف، في الأيام الأولى للعدوان بهدف السلب والنهب، وكانت الباصات العراقية والوانيتات وسيارات الأجرة تنقلهم صباحًا إلى مناطق الأسواق التجارية ليقوموا بكسر أبواب المحلات ونهب ما فيها من بضائع ونقلها معهم إلى العراق في المساء. وقد استفحلت هذه الظاهرة في الأيام الأولى للعدوان لكنها ما لبثت أن انحسرت بعد أن وقف شباب الكويت وقفة صلبة ضد هؤلاء اللصوص جعلتهم لا يتجرّأون على التفكير بالرجوع مرة أخرى لهذا العمل إلاّ تحت حراسة واشتراك

عدد من الجنود المسلّحين. وكان الأسلوب الذي اتبع من قبل الشباب هو حرق سيارات الأُجرة والشاحنات، التي كانت تقوم بتوصيل اللصوص إلى الكويت ونقل مسروقاتهم إلى العراق، حتى لا يتجرأ غيرهم بعمل الشيء نفسه. وقد تمّ حرق أعداد كبيرة من تلك السيارات عن طريق ملاحقتها من قبل الشباب وإطلاق الرصاص على السائق أثناء قيادته للسيارة، أو رمي زجاجات المولوتوف عليها أو استعمال بعض الوسائل الأخرى التي ابتكرها بعض الشباب لذلك الهدف. فقد استعمل بعض الشباب طلقات (الفلير)، وهي عبارة عن طلقات تطلق من مسدس للإنارة في حالة طلب النجدة من قبل القوارب وهي في البحر. وكانت هذه الطلقات توجه إلى داخل (كابينة) السيارة لتدور بسرعة كبيرة وسطها وهي مشتعلة، مما يؤدي إلى حرق كل ما تصادفه من أشياء وجعل السائق ومن معه في الكابينة يتعرضون للنيران المحرقة من تلك الطلقة ووضعهم في حالة من الرعب لا يتمكنون خلالها مجرد التفكير في طريقة للتخلص من ذلك الوضع أو عمل أي شيء، مما يؤدي إلى اصطدام السيارة أو انحرافها عن الطريق واشتعالها بمن فيها.

كما بدأ بعض الشباب في الأسبوع الأول من العدوان باستعمال اللاسلكي فيما بينهم للتبليغ عن مرور أو تواجد أي سيارة عراقية ـ مدنية كانت أو عسكرية ـ في بعض المناطق السكنية. وكانت المجموعة تتّفق على التوجّه إلى الموقع بالسرعة الممكنة للقيام بالعملية المطلوبة.

وبعد مرور عدة أيام على الاحتلال ـ وأثناء الأسبوع الأول أيضا ـ تمّ تنظيم عمليات المقاومة بصورة أفضل، بعد اكتساب (الخبرة) والاستيلاء على مزيد من الأسلحة. فقد وجه بعض شباب المقاومة تركيزهم على أرتال الجيش العراقي وخاصة ناقلات الجنود بهدف إدخال الرعب في قلوبهم. وفي سبيل ذلك تمّ تشكيل فرق ليلية لضرب تلك الأرتال من على الجسور أثناء مرورها بالشوارع الرئيسية. كما تمّ استعمال البازوكا في تلك العمليات بعد أن أثبتت (فعاليتها) أكثر من الطلقات النارية من الرشاشات. وكان يتم ضرب مقدمة الرتل ومؤخرته بالإضافة إلى وسطه بالبازوكا مما

يؤدي إلى خلق فوضى وارتباك بين صفوف قوات العدو، فتتصادم الشاحنات مع بعضها البعض ويبدأ شباب المقاومة عندها بضربهم بالرشاشات. وقد شهد طريق السفر السريع وبعض الطرق الرئيسية الأخرى العديد من تلك العمليات أثناء الأسابيع الأولى للعدوان. كما شهد الأسبوع الأول للعدوان مقاومة فريدة من نوعها قام بها بعض الشباب الذين خرجوا من أحد معسكرات الجيش الكويتي في (جيوان) وتوجهوا مع أسلحتهم إلى أحد المناطق السكنية ليقوموا بتصيّد جنود العدو وآلياته من هناك. فقد كان جيش العدوان قد طوّق معسكرات الجيش الكويتي في جيوان منذ الصباح الباكر ليوم الخميس الثاني من أغسطس وبدأ بضربها بالمدافع. وقد اضطر المتواجدون بالمعسكر ـ من أفراد الجيش والحرس الوطني والطلبة العسكريين وكذلك المجندين الذين توجهوا إلى المعسكر عند سماعهم نبأ العدوان ـ للانسحاب من المعسكر بأسلحتهم بعد أن استمر المعتدون بتوجيه مدافعهم عليه بكل تركيز ووحشية. وقد توجّه هؤلاء بسياراتهم إلى أقرب منطقة سكنية للمعسكر ـ وهي منطقة كيفان ـ وقرروا القيام بعمل ما ضد الغزاة. وقد تجمّعوا قرب مخفر المنطقة الذي أصبح مركزاً للمقاومة وبدأوا بتوزيع السلاح على المواطنين. هذا وقد اصطحب أحد الضباط المنسحبين من المعسكر شاحنة مملؤة بالأسلحة معه إلى كيفان حيث تمّ توزيعها على المواطنين مما زاد الحماس والإصرار على المقاومة. وقد ساعد على ذلك وجود إدارة حماية الشخصيات بالمنطقة وتواجد نخبة من العسكريين والقنّاصة فيها. وقد تمّ إغلاق منافذ المنطقة وصعد الشباب فوق سطوح المنازل المطلّة على الشوارع الرئيسية المواجهة لمداخل المنطقة وأخذوا باقتناص جنود العدو وآلياته المتوجّهة إلى العاصمة والمناطق المختلفة من الكويت أثناء سيرهم في طريق المطار والطريق الدائري الثالث وطريق الجهراء. كما كانوا يلقون القنابل اليدوية على الشاحنات العراقية المارة في تلك الطرق. وقد تمّ إطباق القبضة على منطقة كيفان وشوارعها الرئيسية خلال الأسبوع الأول للعدوان ولم يستطع أي جندي عراقي دخولها. وكان الشباب منتشرا في كل مكان من المنطقة لمنع أي شخص من الدخول إليها إلا بعد التأكد من هويته. وبقيت الحالة على ما هي عليه إلى أن بدأ يفلت الزمام نظراً لوجود عدد كبير من المدنيين من بين المتطوعين، والذين تنقصهم الخبرة العسكرية والانضباط لعدم تعودهم على إطاعة

وتنفيذ الأوامر العسكرية بصورة دقيقة وصارمة. وقد بدأ بعضهم بالخروج من منطقة كيفان ـ بعد أن أخذهم الحماس ـ وهم يحملون أسلحتهم ليهاجموا جنود العدو ويعودوا إلى المنطقة مما أدى إلى وقوع بعض المطاردات والتسبب في المخاطر على الأهالي. كما توزعت «المقاومات» بعد يومين على الأحياء المختلفة من المنطقة وأصبح كل حي يخضع لسيطرة مجموعة من شباب المقاومة.

وعند نهاية الأسبوع الأول للغزو قام العدو بحشد حوالى عشرين دبابة ومصفّحة عراقية في مواجهة المنطقة من ناحية منطقة الشامية، وبدأوا بقصف المخفر والمنطقة القريبة منه. وقد توجّهوا بعد ذلك إلى المخفر وسيطروا عليه وعلى مركز حماية الشخصيات والجمعية التعاونية ثم صعدوا على أسطح تلك المؤسسات لمراقبة الأوضاع وانتشروا في شوارع المنطقة لفرض السيطرة عليها فيما قام الشباب ببعض عمليات القنص والمقاومة. ووقعت عدة مطاردات من بيت إلى بيت وعلى أسطح المنازل خلال اليومين الأولين من دخول العراقيين للمنطقة. كما قاموا بدخول وتفتيش بعض المنازل فيما بقي جيش الغزاة منتشرا بالشوارع بصورة مكثفة لمدة ثلاثة أيام إلى أن تمّ بسط سيطرتهم على المنطقة. وكان شباب المقاومة في كيفان قد أحرقوا وأعطبوا عدة آليات للعدو شوهد منها ثمان شاحنات مقابل مدخل منطقة الخالدية ودبابتان وشاحنة في الطريق الدئري الثاني.

(٣) الأسبوع الثاني للغزو وما بعده

ـ الأحداث المهمة عالميا

كان الأسبوع الثاني يعج بالمؤتمرات والاجتماعات والزيارات واللقاءات الصحفية، وكذلك المبادرات. وقد شهد اليوم الأول من ذلك الأسبوع لقاء القمة العربية التي دعا إليها الرئيس حسنى مبارك في محاولة لتطويق الأزمة. وبالرغم من الانقسامات التي كان وراءها بعض الرؤساء المتحالفين مع صدام، إلاّ أنها نجحت في إدانة الغزو العراقي للكويت وعدم الاعتراف بقرار الضم، وتأكيد استقلال الكويت

وحق المملكة العربية السعودية بطلب المساعدة من الأشقاء والأصدقاء لحماية أراضيها من أي عدوان. كما أصدر مجلس الأمن الدولي قرار رقم (٦٦٢) بتاريخ ٩ أغسطس والذي يعتبر قرار العراق بضم الكويت باطلاً ولاغياً وطالب العراق بسحب قواته فورا وبدون قيد أو شرط وعودة السلطة الشرعية إلى الكويت. وفي يوم السبت ١١ أغسطس بدأت طلائع القوات المصرية بالوصول إلى المملكة العربية السعودية بناءً على طلبها وتنفيذاً لقرار مؤتمر القمة العربي فيما تلتها القوات السورية، التي وصلت بعدها بيومين. وقد أكد الرئيس جورج بوش يوم ١٢ أغسطس أن الولايات المتحدة ستعمل على إخراج العراق من الكويت والمساعدة على إعادة الحكومة الشرعية إليها، بالتعاون مع الدول الأخرى، وحسب ما نصت عليه قرارات مجلس الأمن الدولي. كما استمرت الولايات المتحدة في تعزيز قواتها في الخليج والسعودية بينما بدأت بعض دول الغرب الأخرى والدول الإسلامية بإرسال قواتها للمشاركة مع قوات التحالف المتواجدة هناك.

وقد تلاحقت الأحداث والتطورات خلال شهر أغسطس حيث كانت معظم الجهود تنصب على محاولة إيجاد حل سلمي للأزمة بينما تزداد الاستعدادت لتعزيز القدرة العسكرية لقوات التحالف، وزيادة الضغوط على العراق من خلال إصرار كثير من الدول على تنفيذ قرارات مجلس الأمن بالمقاطعة الاقتصادية بكل حزم، خاصة عندما بدأ العراق بحجز المواطنين الأجانب كرهائن ومحاصرة سفارات الدول الأجنبية بالكويت بعد أن رفضت تلك الدول إغلاق سفاراتها بناء على طلب العراق بذلك وقيامه بتحديد مهلة تنتهي يوم الجمعة الموافق ٢٤ أغسطس لتنفيذ ذلك القرار.

وقد وجّه كثير من رؤساء الدول العربية والإسلامية ودول عدم الانحياز والاتحاد السوفييتي وبعض الدول الغربية نداءات متكررة لرئيس النظام العراقي ناشدوه فيها الرجوع إلى رشده والرضوخ إلى الإرادة الدولية دون جدوى. وكانت ردود فعله لتلك النداءات تتمثل في زيادة إصراره على خطيئته والاستمرار في توجيه الاتهامات والشتائم في كل اتجاه لتشمل الرئيس حسني مبارك والملك فهد والرئيس جورج بوش ورئيسة وزراء بريطانيا مارجريت تاتشر وبقية الرؤساء الذين وقفوا ضد عدوانه على الكويت.

وقـد أصدر مجلس الأمن الدولي قبل نهاية أغسطس عدة قرارات، أدان فيها تصرّفات العراق تجاه الرعايا الأجانب ومنع سفرهم واحتجازهم في المنشآت العسكرية. كما طالب بفك الحصار عن السفارات الأجنبية بالكويت وعدم إساءة معاملة البعثات الـدبلومـاسية، فيما توجّـه السكرتير العام للأمم المتحدة إلى عمّان، للاجتماع بوزير خارجية العراق يوم ٣١ أغسطس، في محاولة للبحث عن مخرج سلمي للأزمة إلاّ أن الاجتماع لم يسفر عن أي نتيجة.

ـ مواقف وتصرفات العراق وردود الفعل العالمية تجاهها

الإعلام والأزلام

تميّز الأسبوع الثاني بالتكثيف الإعلامي من قبل العراق فيما يتعلق بعقد المؤتمرات الصحفية وزيارات الوفود المؤيدة له واستقبال كل من يريد أن يبرز نفسه كقائد أو زعيم لمجموعة أو منظمة أو حزب ومن أي مكان. كما تمّ حسم موضوع الثورة المزعومة عند إعلان الوحدة الاندماجية يوم ٨ أغسطس وأصبح الأمر واضحا وضوح الشمس وهو أن العراق قام بغزو الكويت ليضمها إلى أراضيه. كما أن السبب لذلك كان واضحاً وهـو أن العـراق، وقـد أصبـح على وشك الإفلاس بسبب سياساته العدوانية والتي اقتضت تبذير كل أمواله لشراء الأسلحة الفتّاكة ودفع ملايين الدولارات للمرتزقة من كل مكان، أراد أن يحصل على كنز جديد لتمويل هذه المصاريف والإبقاء على نظامه قويا في المنطقة والعالم وليستمر في الابتزاز والتهديد وليتبوأ مكانة الصدارة في قيادة الدول العربية وعلى حساب غيره.

وكـانت القيادة العراقية مقتنعة كل الاقتناع بسياسة البذخ هذه ودفع رواتب ومصاريف مئات الآلاف من الجنود والحرس الجمهوري غير المنتجين والذين هم في الواقع عالة على الدولة (اللهم إلا الحفاظ على النظام الحاكم) وصرف مئات الملايين على المؤيدين والمنتفعين في جميع أنحاء العالم من إرهابيين ومنافقين وبعثيين ينفذون كل ما يطلب منهم من أعمال إجرامية أو تصرّفات مشينة. أضف إلى ذلك الآلاف المؤلفة

التي وظّفها النظام للتجسس على المواطنين في كل صغيرة وكبيرة وهم يمثّلون جهاز الاستخبارات الذي لا يرحم ولا يعرف شيئًا إسمه الشفقة. ولم يكن ذلك طبعا بدون ثمن. إذ كان الثمن هو استمرار هذه الطفيليات التي تربَّت على قوت الشعب العراقي بامتصاص دم هذا الشعب ونهب خيراته إلى أن وصل الاقتصاد العراقي إلى ما وصل إليه من شبه انهيار. وليس زعم صدام أن الكويت والإمارات تقومان بزيادة إنتاجهما من النفط وتخفيض أسعاره إلاّ ذريعة يريد بها تبرير أعماله الإجرامية التي بانت للجميع وفي مقدّمتها السلب والنهب والتخريب الذي قام به أزلامه في الكويت، حتى لا يرى الشعب العراقي بجانبه دولة ذات اقتصاد متين وشعب يعيش برفاهية وأمان ويواكب العصر الـذي يعيش فيه، بينما العراق يتخلّف باستمرار ويرجع للوراء يوما بعد يوم بسبب سياسة حكومته.

المبادرات المتلاحقة والبيانات والمؤتمرات

شهدت معظم أيام شهر أغسطس مبادرات ومؤتمرات ولقاءات نظّمها العراق في سبيل زيادة الـزخم الإعـلامي وصرف الأنـظار عن القضية الأساسية وهي احتلاله للكويت. كما ازداد تخبّط النظام العراقي وكثرت انتهاكاته لكل ما هو حضاري. فقد طلب من الدول إغلاق سفاراتها في الكويت وبدأ الضغط والمضايقات عليها في سبيل إجبار موظفيها على الرحيل. كما تمّت مداهمة بعض السفارات ومنازل الدبلوماسيين الأجـانب فيما بدأ بمنع الرعايا الأوربيين والأمريكيين من السفر وأخذت السلطات العراقية بحجزهم كرهائن، خاصة بعد أن بدأت أمريكا بإرسال قواتها للمملكة العربية السعودية وتبعتها في ذلك بعض الدول الأوربية. وفي مقابل ذلك بدأ النظام العراقي يلعب بعض الألاعيب التي كان يقصد من ورائها كسب الشارع العربي والإسلامي. وكان من أبرزها بيان ١٢ أغسطس الذي حاول فيه ربط مسألة احتلاله الكويت مع حل القضية الفلسطينية، وعرضه لإيران بتطبيع العلاقات معها وحل مشاكل الحدود على أساس اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥.

وكان بيان ١٢ أغسطس عبارة عن محاولة خبيثة لجرّ بعض الشعوب المغلوبة على أمـرهـا وتضليلهـا وجعلهـا تركض خلف سراب زائف. فقـد ربط في تلك المبادرة

«استعداده للنظر في وضع الكويت» بعدد من المطالب والشروط التي ليس لها علاقة بالقضية ولاتمت إليها بصلة. فطلب مقابل (النظر في وضع الكويت)، انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة «بدون قيد أو شرط» وانسحاب سوريا وإسرائيل من لبنان وإنهاء الحصار الاقتصادي الذي فرضه مجلس الأمن الدولي على العراق والاعتراف «بحق العراق التاريخي في الكويت». وفيما رفض العالم بأسره تلك المبادرة واصفًا إياها بأنها محاولة يائسة للمماطلة أخذت المنظمات الإرهابية وجماهير الحقد تلتف أكثر حول الطاغية. فقد أصبحت كل منظمة وجماعة من المأجورين تتسابق للصياح من ورائه، زاعمةً أن تلك المبادرة هي الحل المنطقي والوحيد للأزمة، وأنه لن يُقبل أي حل لايأخذ ذلك بالاعتبار، وكأن الكويت هي التي خلقت المشكلة الفلسطينية وأيدت اسرائيل ودعمتها للاستمرار باحتلالها للأراضي الفلسطينية.*

أما مبادرته لإيران فقد بدأت بإرسال رسائل إلى الرئيس الإيراني هاشمي رفسنجاني يقترح عليه فيها تطبيع العلاقات بين البلدين «نظرا للجيرة والأهداف المشتركة بمقاومة الإمبريالية» وما شابه ذلك من شعارات معروفة. كما عرض عليه تبادل أسرى الحرب مقابل الموافقة على جميع الشروط الإيرانية المتعلقة بالحدود بما فيها شط العرب. فما كان من الإيرانيين إلاّ أن وافقوا على ذلك وكسبوا ما لم يكونوا يحلمون به من ميزات لم يكونوا ليحصلوا عليها بعد عشرات السنين من التفاوض والمباحثات مع العراق. ويكفي قراءة فقرة من كتاب صدام حسين لرفسنجاني لنعرف مدى الذل الذي وضع صدام نفسه فيه والمقدرة الفظيعة لتغيير المواقف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار دون خجل أو شعور بأن هناك من يرصد هذه المواقف ويحاسب عليها. فقد قال في إحدى فقرات الكتاب «. . . وكبادرة حسن نية فإن انسحابنا سيبدأ اعتباراً من اليوم الجمعة السابع عشر من آب عام ١٩٩٠. وسنسحب قواتنا التي تواجهكم على طول

---

* يعرف المتتبعون لموقف العراق من القضية الفلسطينية أنها لم تكن في يوم من الأيام تشكل احدى الأولويات في سياسة النظام العراقي، خاصة بعد استلام حزب البعث للسلطة. كما أن مواقف الحزب والسلطة كانت واضحة ومعروفة تجاه المنظمات الفلسطينية التي كان لها بعض الأنشطة في العراق أثناء فترة حكم عبد الرحمن عارف، التي سبقت استيلاء حزب البعث على السلطة. فقد منع جميع نشاطاتها وأسس (جبهة التحرير العربية) لتقوم بالنيابة عنه بالأدوار التي يرسمها لها. وقد كشفت الأحداث عن وجود اتصالات سرية بين النظام العراقي وإسرائيل ولأكثر من مرة.

الحـدود بما يُبقي على ما هو رمـزي منهـا مع حرس الحـدود والشرطة فحسب لتنفيذ الواجبات اليومية بظروف طبيعية . . . وأن يتم تبادل فوري وشامل لكل أسرى الحرب بكل أعدادهم المحتجزين في كل من العراق وإيران وأن يتم ذلك عبر الحدود وعن طريق خانقين وقصر شيرين ومنافذ أخرى يتفق عليها. **وسنكون نحن المبادرين إلى هذا** وسيباشر ذلك يوم الجمعة المصادف السابع عشر من آب ١٩٩٠ . . . أيها الأخ الرئيس علي أكبر هاشمي رفسنجاني في قرارنا هذا أصبح كل شيء واضحا **وبذلك تحقق كل ما أردتموه وما كنتم تركزون عليه**» . . . وهذا ما حصل فعلاً. فقد أخذت إيران كل ما طلبته وحسب اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ والتي شنّ صدام حربه ضد إيران بسببها.

وقـد أدّى هذا الاتفاق الجديد إلى تبادل الأسرى بين البلدين وتركيز الإعلام العـراقي عليه خاصـة في برامجه التلفزيونية في محاولة لكسب تعاطف شعبه وكذلك الشعوب الإسلامية التي أخذ يحاول كسب تأييدها من منطلق اتفاقه على إبرام معاهدة السلام مع «الجارة المسلمة إيران» والتي تحوّلت بقدرة قادر من دولة الفرس والمجوس والأعداء التاريخيين للعرب إلى الأخوان في الدين. وكان تلفزيون بغداد، وبعد توقيع الاتفـاقية والبدء بتبادل الأسرى، ينقل وصول الأسرى يوميًّا ولساعات طويلة حيث كانت تترجّـل الأعداد الضخمة منهم من الحافلات متوجهة مباشرة إلى صورة كبيرة لصدام نصبت أمام باب الحافلة ليقوم الجندي بتقبيلها بكل (إجلال) صائحا بأعلى صوته (صدام اسمك هز أمريكا) مذكرينا بعبدة الأصنام من أمثال (هُبل) و (اللاّت) و(العُزّى).

تخبّطات النظام العراقي وإصراره على تحدّي المجتمع الدولي

استمر العراق بتصرفاته غير المقبولة دوليا والمرفوضة إنسانيا وغير اللائقة أخلاقيًّا. كما قام بإصدار الكثير من القرارات الطائشة والتي ظهر فيها وكأنه يتحدى العالم بأسره معتبرًا نفسه وكأنه القوة المهيمنة على كل ما هو فوق هذه الأرض.

وكـان من بين القـرارات التي أصدرها إلغاء ديون العراق المستحقة للكويت والبـالغـة أربعة عشر مليار دولار بتاريخ ٩ أغسطس، والإعلان عن مصادرة أموال وممتلكات العائلة الحاكمة بالكويت والوزراء وبعض المسئولين بتاريخ ١٩ أغسطس. كما أصدر مجلس قيادة الثورة العراقي قراراً بتاريخ ٢٦ أغسطس يقضي بتطبيق عقوبة الإعدام بكل من يؤوي رعايا أجانب معتبراً ذلك جريمة من جرائم التجسس. وفي يوم ٢٨ أغسطس أعلن العراق أن الكويت أصبحت المحافظة التاسعة عشرة في هيكل التقسيمات الإدارية للعـراق فيما تمّ إلحـاق منطقة العبدلي بمحافظة البصرة. وقد تمّ تقسيم «محافظة الكويت» إلى أربعة أقضية هي كاظمة (وتشمل العاصمة) والجهراء والنداء (الأحمدي) وصدامية المطلاع.

كما استمر العراق في شهر أغسطس بأعمال النهب للممتلكات والأرصدة المهمة للدولة وذات الوزن المؤثر على اقتصاد البلاد. فقد استطاع فتح خزينة بنك الكويت المركزي والسطو على أموال الدولة من سبائك ذهبية وعملات أجنبية وأرصدة ووثائق رسمية وقـام بنقلهـا للعـراق. كما استـولى على حوالى خمس عشرة طائرة مدنية تابعة للخطوط الجوية الكويتية ونقلها للعراق.

وفيما استمرت قرارات مجلس الأمن المتلاحقة بالصدور وإدانة تصرّفات العراق، استمـر ذلـك النـظام في تصرّفـاته المستهجنة التي شملت قطع الماء والكهرباء عن السفارات الأجنبية ومحاصرتها بعد أن رفضت الرضوخ لقراره بإغلاقها، بالإضافة إلى ملاحقة الأجانب واعتقالهم واحتجازهم في المنشآت الاستراتيجية والقواعد العسكرية. وقد حاول صدام في الوقت نفسه الظهور بمظهر المهتم بحقوق الإنسان عندما ظهر على شاشة التلفزيون وبجانبه بعض الرهائن البريطانيين الذين احتجزهم، وكان بينهم النساء والأطفال، مما انعكس سلباً عليه وأعطى صورة واضحة للعالم عن ممارسات ذلك النظام. وقد أدى ذلك إلى زيادة استنكار العالم لتلك التصرفات اللاإنسانية. كما طرح صدام في نفس الوقت فكرة التفاوض مع الدول الأوربية وأمريكا بشأن إطلاق سراح الرهائن مقابل بعض التنازلات، وإجراء مناظرة تلفزيونية مع الرئيس بوش والسيدة

تاتشر. فكـان رد السيدة تاتشر حاسمًا بالرفض بينما رفض الرئيس بوش دعوة صدام واصفًا إياه بأنه كاذب.

وفي تلك الأثنـاء هدّد منـدوب العـراق لدى الأمم المتحـدة بأن بلاده ستقوم باستخدام الأسلحة الكيماوية دفاعا عن النفس إذا ما هوجمت من قبل الدول المتحالفة فيما هاجم صدام الرئيس بوش في «رسالة مفتوحة» ملأها بالشتائم والإهانات وحذّره من «وقوع كارثة عالمية إذا لجأ بوش إلى شنّ هجوم على العراق».

وقـد شهـدت نهاية أغسطس تكدّس آلاف النازحين الأجانب الذين غادروا الكويت والعراق متوجّهين إلى الحدود العراقية الأردنية في طريقهم إلى بلدانهم بعد أن لاقـوا من المعـاملة الـلاإنسانية والإرهاب ما جعلهم يتركون ما لديهم من ممتلكات مفضّلين النجاة بأنفسهم من بطش السلطات العراقية. وكانت مناظر النساء والأطفال والشيوخ النازحين مأساوية وتدعو للشفقة وهم يفترشون الأرض تحت أشعة الشمس الحارقة حيث بلغت درجة الحرارة أكثر من ٥٠ درجة، ممّا أدّى إلى وفاة العديد منهم من شدة الجـوع والعطش، بينما لم تحرك السلطات الأردنية ساكنًا في سبيل إنقاذ أولئك الأبرياء. بل إن تصرفها كان في منتهى الوحشية وعدم الاكتراث واستغلال ظروفهم الصعبة لابتزازهم وسلب أموالهم بطريقة مكشوفة. فقد كان (ليتر) الماء يباع بعشرة دنـانـير أردنية حسب ما ذكـر بعض المراسلين بينما لم يحمل معظم هؤلاء ــ وخاصة الآسيوين منهم ــ أية مبالغ، بعد أن سلبها منهم جنود وأزلام النظام العراقي أثناء مرورهم عبر أراضيه.

مشاريع التنمية المزعومة والمظاهرات المدبرّة

بدأت سلطات الاحتلال في تلك الفترة حملة نفسية من نوع آخر على المواطنين هدفها إحباط المعنويات وفرض الأمر الواقع. فقد بدأت بتغيير أسماء بعض المناطق والشوارع لتعطيها الصبغة العراقية. فبدّلت اسم مدينة الأحمدي (بالنداء) والسالمية

(بالنصر) والجابرية (بحي الأحرار) وضاحية عبد الله السالم (بحي البصرة). كما غيرت اسماء بعض الشوارع والمدارس والمستشفيات. فقد سمي المستشفى الأميري بمستشفى (الوحدة) ومستشفى مبارك بمستشفى (النداء) ومستشفى الصباح بمستشفى (صدام). أما ثانوية عبد الله السالم فسميت ثانوية (صدام). كما بدأت المزاعم تتوالى بأن العراق سيقوم ببعض مشاريع التنمية بهدف التكامل الاقتصادي بين الفرع والأصل. فقد صرّح مدير (المنشأة العامة للسكك الحديدية) أن فريقاً فنيًّا متخصّصًا جرى تشكيله من هذه المنشأة (والشركة العامة للمشاريع)لدراسة البدء بتنفيذ مشروع سكك الحديد لربط الكويت (بمدينة المدن)ويعني البصرة، وكذلك بقية محافظات العراق. كما أذيع عن بدء توصيل مياه شط العرب عن طريق الأنابيب إلى الكويت والكل يعرف أن أهل البصرة كانوا أكثر الناس عطشا بالرغم من وقوع مدينتهم على هذا الشط الملوّث.

وقد استمر تلفزيون بغداد في عرض المظاهرات (الحاشدة) المؤيدة لعودة الفرع إلى الأصل والاحتجاج على (العدوان الأمريكي). وخرجت هذه المظاهرات من مدن العراق المختلفة (والمحافظة التاسعة عشرة) وبعض البلدان العربية. وغني عن القول أن جمع الناس بالإكراه وسوقهم إلى الشوارع ومعاقبة من لا يشارك في هذه المظاهرات داخل العراق هو من الأمور المسلّم بها والمعروفة والتي درج عليها هذا النظام منذ اغتصابه السلطة في العراق عام ١٩٦٨. إلاّ أنه ابتكر طريقة جديدة بعد عدوانه على دولة الكويت وهي نقل (المتظاهرين) بالباصات من البصرة والقرى القريبة منها إلى الكويت وإلباسهم الزي الكويتي وأخذهم في نفس اليوم لعدة مناطق في الكويت لتصويرهم على أنهم جماهير (المحافظة التاسعة عشرة). وعند تصوير مظاهراتهم في الجهراء كان يطلق عليهم جماهير قضاء الجهراء. وبعد نقلهم إلى السالمية يصبحون (جماهير مدينة النصر). وعند أخذهم أمام السفارة العراقية يتحوّلون إلى جماهير (مدينة كاظمة) ويعني الكويت. . . وهكذا تصبح هذه الجماهير ذات ثلاث أو أربع هويات في يوم واحد. وقد كانت هذه الباصات معروفة وكثيرة القدوم من العراق سواء بمناسبة أو بدون مناسبة. فإذا صادف أن خطب «السيد الرئيس القائد» في ذلك اليوم أو تفتّق

ذهنه عن مبادرة جديدة، أتت هذه الباصات وهي تحمل تلك (الجماهير الحاشدة) وقد كتبت لهم لافتاتهم مسبقا لتتناسب مع حدث ذلك اليوم.

السلب والنهب

بدأ العدو في الأسبوع الثاني من الاحتلال بتنظيم عمليات السرقة والنهب والسطو على المحلات التجارية. وقد أصبحت مناظر السيارات الكبيرة التي كانت تنقل المسروقات منظراً مألوفا بالشوارع بعد أن كانت تقوم بالمهمة في البداية سيارات التاكسي العراقية والصالونات والوانيتات القادمة من جميع أنحاء العراق. وقد انتشر العراقيون في جميع أنحاء الكويت وخاصة في العاصمة والشوارع الرئيسية. وكانت مهمتهم كسر أبواب وزجاج الدكاكين ونهب كل ما يستطيعون حمله من بضائع في سياراتهم. ومن المشاهد المألوفة أن عائلات عراقية بكاملها كانت تأتي للنهب بنسائها وأطفالها وشيوخها وكأن المسألة أصبحت سباقًا أو تنافسًا بين هؤلاء اللصوص لسرقة ما يمكنهم سرقته بالسرعة الممكنة والعودة ثانية للكويت بعد إيصالها إلى مدنهم وقراهم. كما أصبح من المناظر المألوفة رؤية هؤلاء في كل مكان وهم يسرقون عجلات السيارات ثم بقية الأجزاء التي يسهل فكّها من السيارة. وقد شارك الجنود العراقيون في جميع هذه العمليات ـ سواء سرقة المحلات التجارية أو السيارات وكذلك عملية نقل المسروقات للعراق.

وفي نهاية الأسبوع الثاني من الغزو، أخذت السرقات طابعًا منظمًا مما يدل على أن الدولة ــ أي الحكومة العراقية وكل مؤسساتها ــ هي التي تشجع وتشارك في النهب. فبعد أن بدأت تبسط سيطرتها على معظم المناطق السكنية والتجارية وتهيمن على الدوائر والمؤسسات الحكومية من خلال بعض الموظفين الأجانب الذين بدأوا يعودون إلى أماكن عملهم، أخذت بتنظيم النهب المبرمج ونقل كل ما يمكن نقله من أجهزة وأثاث وبضائع وآليات وكل ما تقع عليه العين إلى العراق. كما أنه كان من الواضح أن أوامر صدرت للجلاوزة بتخريب كل ما لا يمكن نقله. إذ تميزت تلك الفترة بكثرة الحرائق وبدأت عصابات السرقة تحرق معظم الأماكن التي تكمل عملية سرقتها فيما قامت

السلطات العراقية بسرقة معظم سيارات المطافيء ونقلها مع كامل أجهزتها إلى بغداد لإخلاء الكويت من سبل مقاومة الدمار وإكمال حلقة التدمير فيها.

وقد أصبحت الشوارع في تلك الفترة تعج بآليات العدو ومصفحاته وناقلات جنوده وكذلك السيارات الفاخرة التي بدأ (الرفاق) في سرقتها من المارة. وأصبح أمرًا مألوفًا في تلك الفترة أن يتم توقيف أي سيارة تنال إعجاب أحد الضباط ليطلب من أصحابها النزول منها تحت تهديد السلاح ويأخذها لتصبح ملكًا له. وقدسلبت آلاف السيارات بهذه الطريقة.

وكانت سيارات العدو وآلياته لا تلتزم بإشارات المرور ولا تكترث بالسير في الاتجاه الصحيح، بل كانت دائمة المخالفات وتتعمّد ذلك وكأن هذا التصرّف كان يشفي لها بعض الحقد الذي بدا واضحًا على كل فرد منهم. وقد أصبحت الإشارات الضوئية منذ ذلك الحين غير ذات معنى ممّا أدى إلى وقوع حوادث يومية أتت على أرواح كثير من المواطنين.

وكان من ضمن الطرق والأساليب التي تفنّن فيها الغزاة للنهب أنهم كانوا يسألون المواطنين عن الوقت عند نقاط التفتيش. وكان هناك فارق ساعةواحدة في التوقيت الصيفي بين العراق والكويت، وعندما كان المواطن يجيبهم بالوقت حسب التوقيت الكويتي يبدأون بالاستفزاز والسؤال عن سبب عدم تغيير توقيت ساعته حسب توقيت العراق. وكان ذلك يؤدي في بعض الأحيان لمصادرة الساعة التي كان المواطن يفضل التضحية بها بدلا من الجدل الذي قد يؤدي الى أخذه للمخفر عند إصرار ضابط نقطة التفتيش على موقفه.

الهجوم على الجمعيات التعاونية ونهب المواد الغذائية

صدر قرار في الأسبوع الثاني من الاحتلال بإعدام كل من يحتكر المواد الغذائية أو يقوم بخزنها ورفع أسعارها. وكان المقصود من هذا القرار إيجاد الذرائع لنهب المواد

الغذائية من الكويت ونقلها إلى العراق، حيث شهدت هذه الفترة السطو على كثير من الجمعيات التعاونية وكسر أبواب مخازن الغذاء المختلفة في الشويخ والعارضية والصليبية ومعظم المناطق وسرقة ما فيها من مواد غذائية ونقلها إلى العراق.

كما بدأ الجنود والضباط وكل من جاء من العراق في هذه الفترة بالهجوم على الجمعيات التعاونية وأخذ كل ما يرونه أمامهم من على الرفوف والدفع بالدينار العراقي بدلا من الدينار الكويتي، مما يعني شراء السلعة بأقل من ٧٪ من قيمتها. وكانت الطريقة الذي غزا بها هؤلاء الناس الجمعيات التعاونية لا توصف من شدة الانبهار والتعجب الذي كان واضحا على وجوههم. وهم في الواقع لا يلامون على ذلك، إذ أن أعينهم لم تبصر قط طوال حياتهم هذه الخيرات الوفيرة والأماكن المنمقة والمتاجر النظيفة التي يخلو منها العراق من شماله إلى جنوبه. إذ لم يترك لهم النظام الحاكم شيئا من خيرات بلدهم يقتاتون به بل قدّمه على طبق من فضة «للرفاق» والمأجورين الآخرين ومن لف لفهم ثمنًا لوقوفهم معه وتطبيلهم له وتأييدهم لكل خطوة يقوم بها مهما كانت. وكانت النتيجة أنه عندما أرسل هؤلاء الرعاع إلى الكويت كانوا كالجراد الجائع الذي يأتي على كل ما يراه أمامه دون تمييز.

وكان هؤلاء يجهلون معظم البضائع المعروضة في الجمعيات ولا يعرفون استعمالاتها. وكان همهم ملء العربة وأخذها للمحاسب ودفع ثمنها الزهيد لوضعها بالسيارة ثم العودة لعمل الشيء نفسه. وكان الهدف بالطبع بيعها في العراق بعشرين ضعف أو أكثر. وقد تنبهت كثير من الجمعيات التعاونية لذلك وبدأت برفع الأسعار إلى ما يقارب مستواها الصحيح، لكنها لم تنجح في كثير من الأحيان، إذ كان جلاوزة النظام يراقبون ذلك ويعترضون عليه.

وكثيرا ما هدّدوا أعضاء مجالس إدارات الجمعيات التعاونية بالعقاب ـ الذي يعني الإعدام في كثير من الأحيان ــ مما اضطرهم إلى التردّد والحذر في رفع الاسعار. وقد استعمل عدد كبير من الجمعيات التعاونية الأسلوب الذي يتماشى مع النفسيات

الدنيئة لهؤلاء المسئولين ــ سواء أكانوا من الاستخبارات أم من ضباط الجيش. إذ كان تزويدهم (بوجبة) مجانية منوّعة من بضائع الجمعية كافيًا لإسكاتهم يومًا أو يومين لتتحاشى الجمعية عملية النهب الكبيرة المتمثلة بتخفيض الأسعار إلى أقل من العشر. وعند اعتراضهم على الأسعار بعد ذلك بيومين كان هذا يعني أن (مفعول) الوجبة قد انتهى وتوجب تقديم تشكيلة أو وجبة جديدة وهكذا. . .

ومن الأحداث الطريفة التي وقعت في إحدى الجمعيات التعاونية أن أحد الجنود العراقيين سأل من كان يقف بجانبه من الكويتيين عن نوعية البضاعة التي كانت في علبة معدنية صغيرة، وكانت العلبة تحتوي على نوع من الكريمات التي تستعمل لدهان الجلد. فأخبره الكويتي بأنها (قيمر) أي قشطة. . . فما كان من الجندي إلاّ أن فتحها وأخذ يلعق ما فيها بإصبعه من شدة الجوع واللهفة. وقد جاء هذا الجندي في اليوم التالي للجمعية وهو يشكو من شدة المغص بسبب «عدم صلاحية القيمر». كما أن ضابطًا عراقيًا سأل أحد المواطنين بإحدى الجمعيات التعاونية عن استعمال «المادة» الموجودة داخل إحدى الزجاجات، فأخبره المواطن بأنها (كريم ما بعد الحلاقة)، وكانت الزجاجة تحتوي على (المايونيز).

ـ الوضع في الداخل

التكبير كأحد أساليب الاحتجاج

كان ذكرى مرور أول أسبوع على العدوان كمرور سنة من شدة وقع الكارثة على النفوس. وقد استعد الناس للتكبير فوق السطوح مساء الخميس (ليلة الجمعة) الموافق ٩ أغسطس ١٩٩٠. وكانت تلك الليلة ليلة مشهودة بالتحدِّي للمحتل والصدق في الابتهال إلى الله أن يُعين هذا البلد ضد المعتدي. وكانت صيحات التكبير تنطلق من حناجر الأطفال والكبار من على السطوح وداخل المنازل مما خلق جوًا متميزا لم يسبق أن عاشه الكويتيون من قبل وكانت الأصوات البريئة للأطفال ــ الذين كانوا يتنافسون

في رفع أصواتهم بالتكبير وبترديد الشعارات التي راجت تلك الأيام ــ تمتزج مع أصوات ذويهم من النساء والرجال، لتصل إلى العدو ناقلة إليه تحدّي هذا الشعب ورفضه لوجوده على أرضه. وقد نُقل عن بعض الأحياء السكنية أن الجنود العراقيين بدأوا يهربون في كل اتجاه إذ ظنوا أن مظاهرات عارمة قد جرت وأن هجومًا وشيكًا قد يقع عليهم. ولكنهم أخذوا يطلقون النار في كل اتجاه بعد ذلك عندما علموا أن الناس العزّل كانوا يقومون بالتكبير من فوق أسطح منازلهم.

واستمر التكبير ليالي الجمعة ولعدة أسابيع في جميع المناطق، وكان ذلك يُضفي على الجميع نوعًا من الخشوع للّه والتحدّي للعدّو. وكان العدو يطلق النار في الهواء أحيانًا ويطلقه على أسطح المنازل التي تصدر منها أصوات التكبير أحيانا أخرى بعد سماع كل تكبيرة، بينما الناس تصيح بأعلى أصواتها الله أكبر. . . الله أكبر. . . بعد سماع كل طلقة. وقد استشهد أحد المواطنين ــ على الأقل ــ أثناء التكبير. فقد كان يُكبّر مع أبنائه من على سطح منزلهم عندما طلب منه جنود الغزو التوقف عن ذلك العمل فأجابهم بأنه لم يقم بعمل مناف للقانون، فما كان منهم إلاّ أن أطلقوا عليه الرصاص وسقط شهيدًا أمام أبنائه. كما جُرح عدد كبير من المواطنين أثناء التكبير في الأسابيع اللاحقة. وكان المواطنون يتحاشون أخذ جرحاهم للمستشفيات خوفا من اكتشاف استخبارات العدوّ لسبب الجراح. وقد استمرّ تكبير المواطنين لمدة تزيد على الشهر إلى أن بدأ العدّو يطبق قبضته على المناطق السكنية الواحدة بعد الأخرى ولا يترك للمواطنين أي مجال للتحرّك بحرية.

مظاهرات المواطنين والأسلوب الفاشي في مواجهتها

قامت عدة مظاهرات في مناطق سكنية مختلفة من الكويت، من بينها الجابرية والعديلية والرميثية وبيان ومشرف، أثناء الأسبوع الثاني من الاحتلال. وقد وقعت تلك المظاهرات بالرغم من معرفة المواطنين بالأساليب الفاشية التي اعتاد عليها النظام الحاكم بالعراق، والذي لم يتورع طوال تاريخه عن استخدامها لقمع من يتجرأ على إبداء أي معارضة لممارساته. وكان معظم المشاركين بتلك المظاهرات من النساء اللاتي حملن

لافتـات كُتبت عليهـا عبارات الاحتجاج والتنديد بالعدوان العراقي ورئيسه. وكان الرجال يحيطون بالنساء لحمايتهن ولمواجهة أي طارىء، وكان بعضهم مترجلاً بينما بقي الآخرون في سياراتهم وهم يتبعون المظاهرة. وقد وقعت عدة مواجهات بين المتظاهرين وجنود الغزو في الجابرية والرميثية.

ففي الجابرية تصدّى الجنود للمظاهرة ــ وكانت ثالث مظاهرة تقوم خلال ثلاثة أيام ــ واصطفّوا وهم شاهرون أسلحتهم أمام مقدمتها محاولين منعها من الاستمرار في السير دون جدوى. وكانت المظاهرة قد بدأت من أحد الشوارع الخلفية القريبة من المخفر ــ والذي سيطر عليه العراقيون في الأسبوع الأول من العدوان. وقد توجّهت المظاهرة من هناك ــ بعد أن اكتمل تجمع المواطنين وحسب الاتفاق الذي تمّ بينهم ــ إلى ناحية (مستشفى هادي) ومن ثم إلى الشارع الرئيسي في اتجاه المخفر. فحاول جنود الغزو منع المظاهرة لكن المشاركين فيها لم يعيروهم أي اهتمام وأصّروا على الاستمرار فيها. وقد وقعت مشادات كلامية بين الجانبين قام على أثرها الجنود بإطلاق النار على المتظاهـرين مما تسبّب في قتـل وجرح عدد منهم. وقد روَّع ذلك العمل الإجرامي المواطنين العزّل المشاركين في تلك المظاهرة والذين كان أغلبهم من النساء والأطفال وكـان معـظم الجـرحى من النساء اللواتي بدأت الدماء تنزف منهن. وقد قتل أحد الشباب في الحال في حين سقطت شابة على الأرض وكانت إصابتها خطيرة. فتوجّه نحوها أحد الشباب وكان يقود سيارة جيب زرقاء ــ متحدّيا جنود الاحتلال ــ وحملها إلى مستشفى مبارك حيث فارقت الحياة هناك. كما كان من ضمن الجرحى امرأة حامل نقلت مع الجرحى إلى مستشفى مبارك أيضا. وكان من ضمن الذين استقبلوها في المستشفى مضمدة عراقية أخذت تشتمها وتضربها على بطنها. أما في الرميثية فقد وقعت ثلاث مظاهرات جرح على إثرها عدد من النساء والشباب بينما استشهد طفل في إحدى تلك المظاهرات.

انتظام عملية الحراسة وأخذها بصفة الديمومة

انعكست نتائج الأحداث الأليمة على نفسيات الناس على شكل توتّر مستمر

□ جانب من المظاهرة النسائية التي خرجت يوم ١٩٩٠/٨/٨ في منطقة مشرف ضد الاحتلال الغاشم □

بالأعصاب وقلق متزايد وشعور بعدم الاطمئنان. وقد أدّى ذلك إلى أن يبحث الناس عن شيء ما يعيد لهم الشعور بالأمان، فكانوا يجتمعون أثناء النهار خارج المنازل نظرًا لزيادة أوقات الفراغ لديهم لعدم توجّههم إلى أماكن أعمالهم. كما كانوا يقضون معظم ساعات الليل بالحراسة وتبادل الزيارات بين مجموعات الحراسة في المناطق القريبة. وقد تمثّل ازدياد اهتمام الناس بالأمن من خلال اتفاقهم على زيادة ساعات الحراسة الليلية وازدياد عدد المشاركين فيها. فبدأت الحراسة في كثير من المناطق تأخذ طابع الديوانية الدائمة قرب أحد المنازل في الشوارع المختلفة للمناطق السكنية، وتستمر إلى ساعات الصباح الأولى. وقد زاد ذلك من تكاتف الناس وترابطهم وتعرّف الجيران على بعضهم البعض بعد أن مرّت عليهم سنون طويلة وهم يسكنون إلى جانب بعضهم دون معرفة أحدهم للآخر.

وقد أصبحت جلسات الحراسة الليلية ــ أو الديوانيات ــ مركزًا مهمًا لتبادل الأخبار والآراء والتحليلات السياسية المتعلقة بالأحداث والتوقّعات، بالإضافة إلى أعمال التنسيق فيما بين المواطنين ــ سواء في الأحياء القريبة من بعضها البعض أو في المناطق المختلفة ــ فيما يخصّ أساليب التعامل مع العدو ومقاومته. وكان بعض المواطنين يقومون في الصباح بزيارة أقربائهم وأصدقائهم في المناطق المختلفة ويحضرون جلسات الدواوين هناك، ليقوموا في المساء بنقل آخر الأخبار إلى مجالس الحراسة في مناطقهم. وكانت الأخبار تنتشر بصورة سريعة بين المناطق المختلفة فيما يخص الأعمال التي كانت تقوم بها المقاومة إلى جانب تحركات العدو وتصرفاته وقيام أفراده بأعمال السلب والنهب والسطو على المنازل وأخبار الإعدامات التي بدأ العدو ينفذها بمن كان يلقي القبض عليه من شباب المقاومة، بالإضافة إلى الاعتقالات ومداهمة المنازل والتعذيب الذي كان يتعرض له الشباب على أيدي جيش العدو. كما كانوا ينقلون مشاهداتهم اليومية للمناظر الكئيبة في الشوارع المختلفة ومنها ما كان يقوم به أزلام النظام وجنوده من جرائم مختلفة في كل مكان، من حرائق ومصادرة للسيارات واستفزازات متعمّدة للمواطنين. وكانت الانفجارات وطلقات الرصاص تسمع في معظم الأحيان أثناء الحراسة بالليل مما يعني تبادل إطلاق النار بين رجال المقاومة وجنود

العـدو، أو قيام الجلاوزة بملاحقة بعض الشباب. كما كان جنود الغزو في كثير من الأحيان يطلقـون نيران المـدافع والرشاشات في الهواء قاصدين إرهاب الأهالي. وقد أصبح ذلك فيما بعد من الأمور الاعتيادية، بعد أن كانت طلقاتهم تُدخل الرعب في نفوس النساء والأطفال، حيث كانت تهتز على أثرها المنازل وتتقارع الأبواب. هذا وقد غمر الناس في النصف الثاني من أغسطس شعور بحتمية استعمال القوة لإجبار العراق على الانسحاب خاصة بعد التصريحات العنيفة التي أطلقها بعض قادة الدول الغربية كالرئيس جورج بوش والسيدة مارغريت تاتشر والتي اعتبرها المواطنون شبه إنذار للعراق بالانسحاب حالاً وبدون تأخير.

وقد توقّع المواطنون أن تكون ردة فعل العراق عنيفة ضد الكويتيين بالداخل. وذهب بعضهم إلى توقـع استعمال العراق للأسلحة الكيماوية ضدّهم بالإضافة إلى القصف الجوي. لذلك بدأ الناس في هذه الفترة بنشر التوعية فيما بينهم بخصوص طرق الوقاية من القصف الجوي وكذلك طرق حماية أنفسهم من الأسلحة الكيماوية. وقـد أصبح حديث الدواوين مركزًا على هذا الموضوع. وشهدت تلك الفترة إغلاق العديد من الجسور ومنع السيارات من المرور عبرها لقيام بعض شباب المقاومة بالهجوم على الجنود العراقيين المتمركزين تحت تلك الجسور بالإضافة إلى تعرض السفارة العراقية إلى القصف من أحد الجسور.

ازدياد تلاحم المواطنين وتكاتفهم في وجه العدو

مع حلول الأسبوع الثاني للعدوان توجهت أعداد كبيرة من الشباب الكويتي إلى مختلف المؤسسات للبحث عن دور يقومون به في سبيل خدمة بلدهم ومواطنيهم. وقد بدأ ذلك بعد أن شعر الجميع بأن خللاً كبـيرًا بدأ يظهر في الكثير من أجهزة الدولة ومؤسساتها، وخاصة تلك التي تقوم بتقديم الخدمات المختلفة للمواطنين. وقد حدث ذلـك نتيجة لنزوح أعداد كبيرة من الأجانب ــ وخاصة الطبقة العاملة منهم ــ إلى خارج الكويت نتيجة للرعب الذي أصابهم والمضايقات التي تعرضوا لها، وقيام جنود

الاحتلال بمصادرة وسرقة الكثير من مقتنياتهم وأموالهم، سواء أثناء تواجدهم في منازلهم أو خارجها. وكان من الشباب من توجّه إلى المخابز وبدأ ــ بالتعاون مع من تبقّى من العاملين فيها ــ بتشغيلها وتزويد المواطنين بالخبز إما بالمجان أو بأسعار زهيدة. ومنهم من قام بجمع القمامة التي تراكمت في الأحياء السكنية ليتم نقلها بالوانيتات أو حتى في صناديق سياراتهم إلى أماكن بعيدة ليتم حرقها أو التخلّص منها بطريقة ما فيما بعد. وقد تطوع كثير من المواطنين للمساعدة في إصلاح ما كان يعطب من تمديدات كهربائية أو صحية أو مياه أو تلفون بعد أن قلّ عدد الفنيين الأجانب الذين كانوا يقومون بتلك الأعمال. كما أصبح الشباب الكويتي يقوم بإصلاح السيارات وتقديم مختلف أعمال الصيانة لها بالإضافة إلى إصلاح الأجهزة الالكترونية وجميع الأعمال الفنية الأخرى. وقام بعض المتطوعين بإعادة فتح صالونات الحلاقة في الجمعيات التعاونية، أو في الأماكن الأخرى من المناطق السكنية، بالإضافة إلى محلات بيع الأدوات الصحية والكهربائية والقيام بالأعمال اليدوية الأخرى كالنجارة البسيطة والحدادة واللحامة. كما توجه كثير من الشباب إلى الجمعيات التعاونية للمساعدة في بيع وتوصيل المواد الغذائية أو توزيع المواد التموينية للمواطنين والذهاب إلى مخازن تجار المواد الغذائية بالشويخ وغيرها لاستلام المواد وإيصالها للجمعيات التعاونية لبيعها ــ على الحساب ــ على المواطنين بعد أن زاد شعورهم بضرورة تخزين أكبر كمية ممكنة من المواد نظرا لغموض الموقف وتخوّفهم من إمكانية حدوث نقص في المواد الغذائية.

وقد تطوّع عدد من الشباب للعمل بالمستشفيات للقيام بأعمال التنظيف والصيانة والخدمات المختلفة للمرضى وغيرهم، فيما توجّهت أعداد أخرى منهم لمراكز الإطفاء والخدمات العامة بهدف المساعدة في تسيير دفة العمل هناك. كما اتفقت كثير من الجمعيات التعاونية مع بعض المواطنين على نقل المواد الغذائية من مخازن تلك الجمعيات إلى سراديب منازلهم لإبعادها عن عيون جنود الاحتلال بعد استفحال عمليات النهب والسلب، فيما بدأ بعض الأطباء ومسئولو مخازن الأدوية بنقل كميات منها إلى المنازل والأماكن التي كان يصعب على المحتلين الوصول إليها. وقد تبرّع عدد من المواطنين والمواطنات بتخصيص سراديب منازلهم لعلاج جرحى المقاومة وإيوائهم

طوال فترة علاجهم، حيث تمّ تجهيز الأسرة لذلك الغرض ونقل كميات كبيرة من الأدوية لتلك السراديب، مما شكل خطورة كبيرة على أصحابها. وقد بذل عدد كبير من المواطنين جهوداً ضخمة في سبيل الحفاظ على المال العام وإبعاده عن أنظار الغزاة الذين سال لعابهم على كل شيء، بعد أن أصابهم الانبهار لما رأوا من خيرات ونِعم لم يحلموا بمشاهدتها في حياتهم نظراً للبؤس والحرمان اللذين كانوا يعيشون فيهما.

ومن الأمور التي راجت تلك الأيام (تزوير) الهويات والبطاقات وإجازات القيادة ودفاتر السيارات في محاولة لإخفاء هوية المطلوبين من المقاومة والعسكريين أو غيرهم من المسئولين الذين كانوا يتعرّضون للاعتقال عند تعرّف العدو لهم. وقد تطوّع كثير من الشباب الكويتي للقيام بهذا العمل حفاظاً على أرواح بعض المواطنين. وكان هذا العمل من الخطورة بمكان إذ أنه كان يؤدي إلى الإعدام في حالة إلقاء القبض على من يقوم به.

كما قام العديد من المواطنين في الأحياء السكنية المختلفة بتشكيل لجان سرية لمساعدة الأهالي وحثّهم على الصمود والاستمرار في مقاطعتهم للعدو والبقاء وعدم ترك البلاد إلاّ في الظروف الاستثنائية التي تحتم عليهم السفر. وكانت تلك اللجان تقوم بتوصيل المواد الغذائية والمؤن لعائلات بعض الضباط والعسكريين الذين لم يستطيعوا الذهاب للأماكن العامة، بالإضافة إلى جمع المواد الغذائية وتنظيم توصيلها إلى الأجانب الذين كانوا يختبئون في بعض المنازل خوفاً من إلقاء القبض عليهم من قبل سلطات الاحتلال. كما قامت هذه اللجان بإيصال المرضى للمستشفيات والاتصال بالأطباء للحضور ومعالجة المرضى وكبار السن الذين لا يستطيعون الذهاب للمستشفيات.

وقد لعب بعض تجار المواد الغذائية دوراً مشرفاً في تلك الفترة، إذ فتح بعضهم أبواب مخازن الغذاء التابعة لهم على مصراعيها وقدّموا للمواطنين كل ما احتاجوه من مواد غذائية أو استهلاكية أخرى، سواء على الحساب أو بالمجان، في كثير من الأحيان. وكانت سياراتهم تقوم بنقل تلك المواد إلى كثير من المراكز التي تطوّع موظفوها بالاستمرار

في خدمة المواطنين، كالمطافيء والمستشفيات ودور العجزة والمعوقين وغيرهم حيث استمرّوا في ذلك طوال فترة الاحتلال. كما قام أحد التجار بالتبرع بشاحنة كاملة مملوءة بالأكفان لأحد مراكز المطافيء، الذي تطوع الموظفون الكويتيون المتواجدون فيه للقيام بجميع الأعمال لخدمة المواطنين بالإضافة الى عملهم الأساسي وهو إطفاء الحرائق. وكان جنود الاحتلال قد سرقوا حتى الأكفان من المقابر بعد سرقتهم لسيارات الصهاريج التابعة لها بالإضافة إلى معدّات حفر القبور، ونقلهم كل ما كان يمكن نقله منها من أثاث ومبرّدات مياه وما شابه ذلك. وكان بعض تجّار الكويت في منتهى الكرم والإيثار وقمّة في التضحية والمواساة للمواطنين الذين انقطع مصدر رزقهم بعد أن امتنعوا عن الذهاب لأعمالهم وصمّموا على مقاطعة العدو. فقد تبرّع عدد من التجار بملايين الدنانير التي تمّ توزيعها على عدد كبير من المواطنين بعد أن ساءت الحالة المعيشية لكثير منهم، وذلك قبل أن تصل إلى البلاد المعونات المالية التي قامت الحكومة بتقديمها للمواطنين. وكان العديد من المواطنين قد اضطروا لبيع ممتلكاتهم من أثاث وما شابه ذلك ليقوموا بالصرف على عائلاتهم في تلك الفترة بعد أن انقطع مورد رزقهم.

ومن التطورات المهمة التي شهدتها الساحة الكويتية في الأيام الأولى للعدوان تطوّع عدد من المواطنين وحثهم لأصدقائهم من الفلسطينيين بتشكيل لجان من الجانبين لزيارة تجمّعات الفلسطينين من جهة ودواوين الكويتيين من جهة أخرى لحث الجانبين على التكاتف وبناء موقف موحّد فيما بينهم ضدّ المعتدين والتأكيد على الأخوّة الكويتية الفلسطينية لما لذلك من أهمية ومصلحة مشتركة. وكان تجاوب بعض الفلسطينيين حماسيًّا فيما اندفع بعض الشباب الكويتي في دعم تلك الفكرة والعمل من أجلها من خلال بث الوعي بين الدواوين وإبراز أهمية كسب جماهير تلك الجالية إلى جانب الشعب الكويتي. وقد تمّ بالفعل في البداية توعية أعداد كبيرة من الجانبين الذين كانوا من الحكمة والوعي بحيث لم تكن تنطلي عليهم ألاعيب النظام العراقي. لكن تصرفات بعض قيادات الفلسطينيين الذين انجرفوا بحماس خلف الشعارات الجوفاء للعراق وأيّدوا عدوانه بكل قوة ووضوح، أدّى إلى وأد تلك الحركة مما جعل الجانب الكويتي يتحرّج من طرح أفكاره بين المواطنين الذين فُجعوا وخاب أملهم من

تلك المواقف المشينة، خاصة لبعض القيادات التي كانوا يرون فيها بقايا من الإخلاص والتجرّد للمبادىء الأساسية التي لاخلاف عليها وهي حرية تقرير المصير والوقوف بوجه العدوان عموما.

تصاعد وتطور أعمال المقاومةالمسلحة ضد المحتلين

ازداد عدد شباب المقاومة في الأسابيع القليلة التي تلت العدوان، بانضمام أعداد كبيرة من المتطوعين الذين أخذهم الحماس وكانوا على استعداد لعمل أي شيء في سبيل الدفاع عن بلدهم وتلقين المعتدي دروسًا لن ينساها. وبدأت المجموعات بتنظيم صفوفها بصورة أفضل، وخاصّة بعد أن حصلوا على كميات لا بأس بها من السلاح وأخفوها في أماكن آمنه. وبالرغم من انعدام الخبرات العملية والتنظيميّة لديهم في هذا المجال إلاّ أن عمليات شباب المقاومة كانت مؤثرة وملموسة من قبل كثير من المواطنين. ويرجع ذلك إلى (كثرة) الأهداف التابعة للعدو، وارتباكه وعدم قدرته على السيطرة على قواته التي اندفعت بأعداد كبيرة جدًا في كل اتجاه وفي أرض ليست بأرضها وبين شعب لا يطيق حتى سماع ذكر اسم ذلك النظام وممارساته. وقد واصل الشباب ملاحقة جنود الاحتلال واستخدام كافة الأساليب المتاحة لتصيّدهم وقتل أكبر عدد منهم. وفي سبيل ذلك استمروا في استخدام قنابل المولوتوف التي كانوا يلقونها على الشاحنات وحاملات الجنود بالإضافة إلى حرق سيارات الأجرة (والباصات السياحيّة) التي كانت تنقل اللصوص وكذلك ملاحقة الأرتال وضربها والاشتباك معها أينما كانت. كما نشطوا ابتداء من النصف الثاني من أغسطس بتفخيخ السيارات وتفجيرها قرب أماكن تواجد أزلام النظام المعتدي ورجال استخباراته. وقد انتشرت ظاهرة السيارات المفخّخة في تلك الفترة بصورة كبيرة وأدت إلى وقوع إصابات كبيرة بين صفوف العدو. وكانت التفجيرات تقع عادة قرب تجمّعات جنود وضباط العدو وفي أماكن نقل وبيع المسروقات، كدوّار مستشفى العظام أو في المقاهي المختلفة التي أخذ يرتادها جنود وضباط العدو. كما نفّذت عمليات عديدة قرب أماكن سكنهم في الفنادق وبعض العمارات التي استولوا عليها.

وكان شباب المقاومة جسورين في ملاحقتهم لجنود الاحتلال. وكانوا ينقضّون عليهم كالنسور غير آبهين بالعواقب، مما زاد في فعالية عملياتهم وأرعب جنود الاحتلال وجعلهم يحسبون لذلك ألف حساب. وكان جنود الاحتلال، مثلا، يقفون عند نقاط التفتيش أثناء النهار، مسلِّطين أنظارهم الحاقدة على المواطنين المارّين عبر تلك النقاط بسياراتهم، قائلين لهم (إننا نراكم الآن مسالمين وكأحسن ما يكون، فما بالكم إذا جاء الليل أصبحتم كالوحوش لا تكادون تعطوننا فرصة للنوم أو الراحة). وكان هذا فعلاً ما حصل لهم. فقد دخل الرعب في قلوبهم وأصبح تفكير الواحد منهم ينصبّ فقط على انقضاء فترة خدمته في الكويت بسلام ليعود سالماً إلى أهله. وكان ذلك واضحًا من تصرفات الجنود الذين بدأو يحتكون بالمواطنين سواء أكان أثناء مرورهم (بالسيطرات) أم عندما يطلب أحدهم من المواطنين توصيله إلى مكان ما، فيخلوا له الجو ويزول عنه الخوف أثناء وجوده مع المواطن داخل السيارة، لينقل له همومه.

وينقل بعض رجال المقاومة أن معظم جنود العدو كانوا (يتطايرون) من شاحناتهم ويلقون بأنفسهم، من على الشاحنات، أرضًا عندما كان الشباب يهاجمونهم بالرشاشات أو يلقون عليهم القنابل اليدوية أثناء مرورهم بجوار تلك الشاحنات في الطرق السريعة. وكان ذلك يعكس خوفهم على أنفسهم وعدم تفكيرهم بشيء آخر، كحماية أهدافهم أو الدفاع عن مجموعتهم أو الردّ على المهاجمين. إذ كان كل واحد منهم لايفكر إلاّ بنفسه مما يعني أن معظمهم ــ إن لم يكن جميعهم ــ لم يؤمنوا بالعمل الذي قامت به حكومتهم. كما أن أعدادًا كبيرة منهم بدأت تستسلم بعد أول طلقة كان يطلقها رجال المقاومة. وقد ازدادت تلك الظاهرة بصورة كبيرة حتى وصلت إلى حدّ لا يمكن معه أخذ أي (أسير) آخر منهم، خاصة بعد انتشار قوات العدو في كل مكان وبسط سيطرتهم وقيامهم بتفتيش المنازل. وقد وصل عدد (الأسرى) لدى إحدى مجموعات المقاومة إلى ستين أسيرًا في الأسبوع الثالث للعدوان حيث تم وضعهم في أحد المنازل الخالية بمنطقة القرين. وكان شباب المقاومة يزوّدونهم بالطعام ويقومون بحراسة المنزل. ومن الملفت للنظر ــ كما يقول أحد رجال تلك المجموعة ــ أن أحدًا من أولئك (الأسرى) لم يحاول الفرار. وعند تفاقم الوضع رأى شباب المقاومة أنه لا توجد

هناك مصلحة من وراء إبقاء أولئك الجنود في الأسر، إذ أن وجودهم يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق الشباب، فقرّروا إخلاء سبيلهم.

وفي أواخر أغسطس نمى إلى علم بعض رجال المقاومة أن السلطات العراقية اتخذت من سفارتها في الكويت مقرًّا لتعذيب المعتقلين الكويتيين واتباع مختلف الأساليب الوحشية معهم في محاولة لانتزاع بعض الاعترافات منهم. فقرروا ضرب السفارة ليبيِّنوا للعدو أنهم سيلاحقونه أينما كان وبأي وسيلة. وقد تم اختيار جسر الشعب ليكون المكان الذي تنطلق منه القذيفة نظرًا لقربه من السفارة وإمكانية مشاهدتها بصورة كاملة من هناك. ولم يكن أحد من المجموعة يعرف مدى قوة قذيفة البازوكا التي كان سيتم استعمالها، والمسافة التي يمكن أن تصل إليها، علمًا بأن السفارة كانت تبعد حوالي ٥٠٠ ــ ٧٠٠ مترًا من الجسر. ومع ذلك قرّروا التوكل على الله وتنفيذ العملية بعد إكمال الاستعدادات والتهيوء للضرب. وقد تم تنفيذ العملية في ذلك اليوم بصورة محكمة لم يكن يتوقعها حتى الذين قاموا فيها. فقد سقطت القذيفة على الأرض قرب مبنى السفارة ثم تدحرجت نحو فتحة السرداب لتصطدم بالمبنى وتنفجر وتتسبب في إشعال حريق أرعب سلطات الاحتلال بعد أن شعروا بأن المقاومة تلاحقهم حتى في عقر دارهم. وقد أخذت القوات المسئولة عن حماية السفارة بإطلاق نار المدافع في اتجاه مصدر القذيفة إلاّ أن ذلك كان متأخرًا. فقد غادر شباب المقاومة المكان متوجّهين إلى مقرهم حيث كانت تنتظرهم المكالمات الهاتفية من زملائهم الذين كانوا يرصدون نتائج العملية، ليخبروهم بتوافد سيارات الإسعاف والمطافيء بصورة مكثفة نحو السفارة لنقل الجرحى والقتلى وإطفاء الحريق. وكانت نتيجة تلك العملية أن قامت سلطات الاحتلال بإغلاق معظم الجسور في الكويت ومنع المرور عليها ووضع نقاط تفتيش حولها. كما تمّ وضع عدة دبابات على التلال الترابية والمناطق المرتفعة المحيطة بمقر سفارتهم.

وقد تطورت أساليب المقاومة بعد ذلك وأخذت مسارًا مؤثرًا كانت نتائجه تظهر كل يوم. وكانت أخبار الهجمات على مراكز تجمّع العدو وأرتاله وآلياته تتوالى يومًا بعد

يوم. ونظرًا لعفوية هذه الأساليب وانعدام التخطيط المُحكم لها فقد أدّت إلى إلقاء القبض على عدد كبير من الشباب وأهاليهم. كذلك بدأ العدو بالانتقام من المواطنين بالجملة دون رحمة. فكان إذا وقع انفجار في أحد الأحياء أو قتل أحد أفراده في ذلك المكان قام باعتقال عدد من الشباب وإعدام بعضهم أمام الناس في الساحات وقرب البيوت سواء حصل على دليل ضدهم أم لم يحصل. وكان الهدف من ذلك إرهاب الناس وتخويفهم. وقد أدّى ذلك إلى تغيير أساليب المقاومة حيث أخذ الشباب بتصيّد أرتال العدو وآلياته وأفراده خارج الأماكن السكنية وعلى الطرق الرئيسية. لكن ذلك أيضًا لم يمنع العدو من المضي في عمليات الانتقام. فكان أن قامت المقاومة باتباع أساليب أخرى كمهاجمته في أماكن تجمعه وسكنه في المناطق البعيدة، حتى وصلت ضربات المقاومة فيما بعد إلى عقر داره في بغداد والبصرة والزبير.

وكانت البصرة قد أصبحت مركزاً مهماً من مراكز بيع المسروقات بعد أن انتشرت تلك الظاهرة نتيجة اتساع عمليات السلب والنهب. فقد (زخرت) العديد من مدن العراق وقراه (بأسواق بيع المسروقات) من الكويت التي كان ينهبها اللصوص من الكويت بعد أن يقوموا بكسر أبواب المحلات وينقلوا كل مافيها بالشاحنات إلى العراق. وقد اتبعت المقاومة طريقة فعّالة للانتقام من أولئك اللصوص وأزلام النظام بعد جذب أكبر عدد منهم للفخ لإنزال العقوبة فيهم. إذ قام شباب المقاومة بملء عدد من الوانيتات بالبضائع وعرضها (للبيع) في بعض تلك الأسواق والساحات القريبة من مراكز ومقرات ضباط الجيش. وكان الضباط والجنود يتزاحمون حول تلك السيارات المليئة بالبضائع للاستيلاء على ما يستطيعون الاستيلاء عليه منها خاصة عندما كان يبتعد عنها (أصحابها). وكان شباب المقاومة يقومون بتفجير السيارة عن طريق جهاز التحكم عن بعد (الرموت كنترول) عند بدء عملية نهب البضائع.

وقد تم تنفيذ عدة عمليات من هذا النوع كان أهمها انفجار سيارة مفخخة في منطقة العشّار يوم ١٩٩٠/٨/٢٠ والانفجار الثاني الذي أعقبه بيومين أو ثلاثة والذي وقع في ساحة سعد عند مفرق طريق العمارة عند أول دخول البصرة، وانفجار آخر في

بغداد في شارع الكفاح في أواخر شهر أغسطس. كما وقع انفجار مشابه عند مدخل الزبير يوم ٢٩ سبتمبر قرب مركز تجمّع ضباط الجيش هناك حيث انتشرت نيران الانفجار وأصابت أحد صهاريج البنزين (تنكر) الواقفة قرب المركز وأحدثت حريقا كبيرا نتيجة لذلك.

وقد أخذ أهالي البصرة وبعض المدن العراقية الأخرى بعد ذلك بالابتعاد عن السيارات الكويتية خوفا من أن تكون مفخخة، كما تمّ منع الكويتيين من دخول البصرة لفترة معينة ابتداء من ٢٩ سبتمبر ١٩٩٠ نتيجة لتلك العمليات.

الإشاعات وتأثيرها على المواطنين

انتشرت كثير من الإشاعات والأخبار غير الدقيقة بين الناس أثناء الأسابيع الأولى من العدوان، مما كان له أثر كبير على المواطنين. وقد ظل الناس في حيرة من أمرهم لا يكادون يصدقون أي خبر إلاّ بعد سماعه من عدّة مصادر (شهدت) وقوعه. وكان (نوع) الخبر ومحتواه وتأثيره يعتمد بالدرجة الأولى على ناقله. فمن الناس من كان متفائلا ولا يسمع للأخبار السيئة، بل ويحث ناقلها على عدم نشرها حتى لا تؤثر سلبًا على نفسيات المواطنين. بينما كان البعض الآخر ــ وخاصة منهم من أخذ منه الخوف مأخذًا كبيرًا ــ يقوم بنقل تلك الأخبار مما يزيد من تخوّف المواطنين ويجعلهم يعيشون في رعب دائم.

وقد استمرت ظاهرة بروز الإشاعات حتى أن بعض الأخبار كانت تنتشر كالنار في الهشيم وما تلبث أن تتضخم بصورة كبيرة لتصل بين ليلة وضحاها إلى أضعاف حجمها الأصلي الذي بدأت منه. ومن الإشاعات التي ترددت في الأيام الأولى للعدوان خبر بأن العراقيين قاموا بتسميم المياه مما حدا بكثيرٍ من الأهالي للاتصال ببعضهم البعض للتحذير من شرب الماء القادم من الأنبوب الرئيسي. فقام كثير من الناس بغلق ذلك الأنبوب واقتصار استعماله لسقي النباتات. كما تداول الناس خبر مراقبة

التلفونات وحذروا بعضهم البعض بعدم استعمال التلفون لتبادل الأخبار والتعبير عن شعورهم تجاه المحتل الغاشم. إلاّ أن كثيرا من الناس وخاصة النساء والأطفال لم يتقيّدوا بذلك. ومن الإشاعات التي انتشرت أيضا أن جميع الجسور قد تم تلغيمها وأن عددًا من الجنود الأمريكيين شوهدوا في النويصيب بينما نقل آخرون أن أولئك الجنود متواجدين في الوفرة فيما زعم البعض الآخر أنهم وصلوا القرين.

وقد خرجت على الملأ في تلك الفترة (وكالة) جديدة للأنباء سميت (وكالة يقولون). وقد استعمل المرابطون هذا الاصطلاح للإشارة إلى الإشاعات والأخبار غير المؤكدة التي ملأت البلد وأصبحت تتوالى من كل صوب حاملة معها كل خبر سواء أكان صحيحا أم غير ذلك، إذ أخذت هذه الأخبار تنتشر بسرعة عجيبة. وكان بعضها جيدًا ويؤدي إلى رفع المعنويات بينما كان هناك من الإشاعات ما أدّى إلى العكس من ذلك. وعموما فإن كثيرًا من الناس بدأوا بعدم تصديق ما يقال إلاّ بعد التأكد من أن ناقل الخبر هو الذي شاهده بعينه أو سمعه من مصدر يثق به ثقة كاملة.

وكان وقع الأخبار على النفوس ذا تأثير كبير في الواقع. كما وكان لكل خبر وقع معين على المعنويات حسب ما كان ينقله من تطورات. فتارة ما كنّا نسمع من الأخبار ما يرفع من المعنويات ويطمئن النفس ويزيد من التفاؤل بقرب الخلاص من قبضة العدو. وبينما نحن كذلك وإذ بخبر يقلب الأوضاع رأسًا على عقب ويحط من المعنويات ويؤدي إلى الكآبة والإحباط. وكنّا أشبه بركاب سفينة تائهة في وسط البحر، لا ندري من أين ومتى ستأتي العاصفة؟ وكيف ومتى وهل سيأتي من سينقذ تلك السفينة من الغرق؟ وكان اليوم يطول كالسنة في انتظار وصول الفرج. وكنا أثناء ليالي الحراسة الطويلة نشدّ من أزر بعضنا البعض ونتعاهد على الصمود والبقاء على هذه الأرض مهما كان الثمن، ونحاول قدر الإمكان التفاؤل والتركيز على الأخبار والتطوّرات الإيجابية والتي هي في صالح قضيتنا محاولين رفع المعنويات. وبالرغم من تلك المحاولات الكثيرة لتسلية النفوس ونسيان الواقع الأليم ولو للحظة، إلاّ أننا كنا لا نلبث أن نتذكر أننا نعيش تحت رحمة أُناس لا يعرفون الرحمة. وبالرغم من الأحاديث المسلية والأخبار التي

تؤكد أن العالم لن يتركنا تحت رحمة هؤلاء إلى الأبد، إلاّ أن الواقع المر كان شيئا آخر. اذ لا أحد كان يمكنه أن يضمن لنا أننا سنعيش لنرى يوم التحرير. فقد تمر علينا أي مجموعة من الجلاوزة وتقوم بتلفيق أية تهمة في سبيل نيلهم بعض المكاسب على حساب أرواحنا أو أرواح الآخرين. وكان الليل طويلاً وثقيلاً على النفوس، وكان سكونه لا يؤدي إلاّ إلى مزيد من الرعب والهلع. وكانت طلقات الرصاص في كثير من الأحيان تخترق سكون الليل لتزيده كآبة.

وهكذا مرّ شهر أغسطس وكأنه قرن من الزمان من شدة الويلات والمصائب التي وقعت فيه. وكان معظم الكويتيين، عند وقوع الغزو، يعتقدون بأن الأزمة ستنتهي بانتهاء ذلك الشهر إن طالت. ولم يكن أحد يعلم أو حتى يتوقّع بأن الأشهر القادمة ستأتي بمصائب وويلات أعظم وأن الانتظار سيطول لأشهر عديدة قادمة ستكون أشد قسوة وأكثر ترويعا ومعاناة مما أصابهم أثناء شهر أغسطس.

الفصل الثاني
سبتمبر.. الأمر الواقع

(١) الذكرى الحزينة

(٢) الأحداث الرئيسية التي شهدها هذا الشهر

- تصريحات رئيس العصابة ومساعديه
- محاولات العراق الفاشلة للمماطلة وكسب الوقت
- موقف الأردن وبقية المتاجرين
- خطاب الرئيس الفرنسي بالأمم المتحدة
- خطاب الرئيس جورج بوش للشعب العراقي وردّ صدام عليه
- مبادرات صدام الأخرى والهجوم الإعلامي على (الإمبرياليين)

(٣) تطورات الموقف في الداخل

- تأقلم الناس مع الوضع الجديد من الناحية المعيشية
- أساليب العصيان المدني ومعاناة الصامدين
- استفزاز المواطنين
- مسلسل السرقات
- انتشار الفساد
- القوانين والقرارات الجديدة وقلب الحقائق
- تزوير التاريخ

- تصرّفات جنود الاحتلال وشعور المواطنين تجاههم
- التهريج اليومي والمقابلات التلفزيونية مع الجنود (الأشاوس)

(٤) تأقلم المواطنين مع الوضع وتفاعلهم مع الأحداث المطروحة بالساحة.

- تفاعل المواطنين مع الأمر الواقع
- مناقشات ليالي الحراسة الطويلة

الفصل الثاني
سبتمبر.. الأمر الواقع

(١) الذكرى الحزينة

كان لذكرى مرور شهر على الغزو أثر كبير على النفوس التي غلب عليها الحزن والكآبة، وقد جثم على صدرها هذا الكابوس البغيض الذي طالت أيامه. وقد صعد الناس على أسطح المنازل في منتصف ليلة الأحد الموافق ٢ سبتمبر للتكبير احتجاجا على الجريمة. وكانت تلك الليلة من الليالي العظيمة التي أكدّ فيها الكويتيون مرة أخرى تمسّكهم بهويتهم وارتباطهم بأرضهم وإصرارهم على رفض أي تبعات للعدوان. كما أغلقت الجمعيات التعاونية أبوابها في ذلك اليوم احتجاجا على الغزو، مما أفقد المعتدي صوابه وجعله يزيد ضغطه على هذه الجمعيات. وقد طُلب من المواطنين عدم الخروج من بيوتهم في ذلك اليوم لتجنّب الاحتكاك بجنود العدو. وكان المواطنون قد صمّموا أكثر من السابق على رفض العدوان والالتزام بالعصيان المدني الذي أقضّ مضجع الغزاة. أمّا المعتدون فقد أخذوا يزدادون قسوة يومًا بعد يوم، لايردهم عن ذلك وازع من ضمير، أو رادع من أخلاق، بل استمروا في غيّهم منفلتين كالوحوش الجائعة التي كانت مربوطة، وقد تم فكّها من الربّاط لتعيث فى الأرض فسادا وتخريبا وتدمّر كل ما تجده أمامها من حياة وعمار، وتُزيل كل عقبة تواجهها في الطريق إلى ذلك.

وكان رد فعل الغزاة هذه المرة على التكبير أعنف مما كان عليه في المرات السابقة. إذ أخذ إطلاق النار نحو البيوت التي تنبعث منها التكبيرات يزداد كثافة وعنفا عاكسا الحقد الدفين لدى هؤلاء الدخلاء. وكان الرصاص يتطاير في كل جانب، مما تسبب في كسر زجاج العديد من المنازل وثقب العديد من خزّانات المياه الموجودة على سطوح المنازل. كما استشهد عدد من المواطنيين في تلك الليلة نتيجة لذلك فيما تمت مداهمة بعض البيوت التي انطلقت منها صيحات التكبير واعتقال الشباب المتواجدين فيها.

وكانت التكبيرات في ذكرى مرور شهر على العدوان هي التكبيرات الأخيرة في معظم مناطق الكويت، إذ رأى المواطنون أنه وبعد أن أكمل العدو سيطرته على جميع

أرجاء البلاد وأخذ ينتقم بصورة تخلو من أي شعور بالإنسانية أو الرحمة، فإن الثمن سيكون باهظا للتكبير، الذي أدى الهدف والدور المراد منه في فترة معينة. إذ قد يؤدي الاستمرار فيه ليلاً من على أسطح المنازل إلى انتهاك حرمات البيوت وقتل الأنفس وهتك الأعراض. لذلك توقفت هذه الظاهرة مع منتصف الشهر التاسع تقريبا.

(٢) الأحداث الرئيسية التي شهدها هذا الشهر

من الأحداث المهمة التي أثرت في المواطنين الخطاب الذي ألقاه سمو أمير البلاد بمناسبة مرور شهر على العدوان والذي حثّ فيه المواطنين على الصبر ومقاومة المعتدي والتمسّك بالأرض. كما كان لزيارات وفود الكويت للدول الصديقة أثر إيجابي على المرابطين، بعد أن اطمأنوا بأن حكومتهم أصبحت في وضع تستطيع فيه طرح وجهة نظرها أمام العالم ليتعرف على عدالة القضية الكويتية بصورة أفضل.

وقد شهد هذا الشهر صدور عدة قرارات من مجلس الأمن تؤكد إدانتها لاستمرار الاحتلال العراقي للكويت، ومعاملته الوحشية للمواطنين وكذلك الرعايا الأجانب الذين احتجزهم كرهائن، بالإضافة إلى تعامله غير المقبول مع البعثات الدبلوماسية وسفارات الدول الأجنبية بالكويت. كما أكدت تلك القرارات ضرورة إحكام الحصار الاقتصادي ضدّ العراق ليشمل فرض حظر جوي شامل عليه وعدم السماح لأي رحلات جوية قادمة من أو إلى العراق باستخدام مطارات وأراضي الدول المختلفة. وكان لقرارات مجلس الأمن ومواقف دول العالم في وجه العدوان العراقي أكبر الأثر في رفع معنويات المواطنين، واطمئنانهم بأن ما قام به العراق من عدوان لن يستمر، وأن المعتدي لن يكافأ أو ينال أي ميزات جرَّاء عدوانه. واستمرت معظم دول العالم في تأييدها لقرارات مجلس الأمن، وتأكيدها على ضرورة إحكام إجراءات الحصار الاقتصادي ضدّ العراق، فيما استمرت دول الغرب وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا في إرسال سفنها الحربية وقواتها إلى منطقة الخليج لتعزيز وجودها هناك استعدادًا لأي طارىء. وقد وصلت إلى المنطقة في تلك الفترة عشرات البوارج والسفن الحربية التي نقلت عشرات الآلاف من القوات والمعدات المختلفة وأنواع الطائرات،

بينما نشطت السفن الحربية لتلك الدول بملاحقة السفن التي كانت تحمل بضائع من وإلى العراق لمنعها من إيصالها إلى الموانيء المعنيّة. كما أكدت تلك الدول على أن قيام العراق بحجز الأجانب كرهائن لن يؤثر على أي قرار تراه تلك الدول ضروريًا ضدّ العراق.

وكان من التطوّرات المهمة في تلك الفترة بروز بعض الخلافات بين بعض الدول بشأن ضرورة اتخاذ إجراء عسكري ضدّ العراق. فقد بدأت تطفو على الساحة العالمية بعض الآراء المتناقضة، حول فاعلية المقاطعة الاقتصادية، وتأكيد بعض الجهات بأن تلك المقاطعة ستعطي ثمارها خلال ستة أشهر أو سنة، بينما ذهب آخرون إلى ضرورة التفكير جديًا بالحل العسكري قبل نهاية العام، حيث أن الحصار الاقتصادي لوحده لن يجدي نفعا. وقد أدّت تلك الآراء المتضاربة إلى زيادة قلق المواطنين الذين اتضح لهم أن وجود القوات المعتدية على أرض الكويت سيستمر لمدة أطول مما كان يتوقع كثير منهم.

وقد نشطت خلال سبتمبر عملية نقل الرعايا الأجانب من النساء والأطفال بعد أن سمح العراق لهؤلاء بمغادرة الكويت والعراق. كما أنه بدأ يسمح للمقيمين من بعض الجنسيات التى اعتبرها (غير معادية للعراق) بالمغادرة، فيما استمرت (حرب السفارات) وذلك بقيام العراق باقتحام عدة سفارات أجنبية بالكويت بينما قابلت دول العالم ذلك بطرد الدبلوماسيين العراقيين من أراضيها.

ومن الأحداث المهمة لهذا الشهر انعقاد قمة هلسنكي بين الرئيس جورج بوش والرئيس جورباتشوف، وسفر سمو الأمير إلى نيويورك في نهاية الشهر، وإلقاء خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢٧ سبتمبر، ومقابلته للرئيس جورج بوش بعد ذلك بيومين، وتأكيد الأخير له بتأييد الولايات المتحدة للكويت، وعدم سماحها للمعتدي بالحصول على أي مكسب نتيجة لعدوانه على الكويت، مؤكدًا أن الكويت ستكون حرة كما كانت.

وكان لخطاب سمو الأمير في الجمعية العامة للأمم المتحدة صدى عالمي مؤثر

ووقع كبير على سير الأحداث. فقد أبرز من خلاله معاناة الشعب الكويتي، الذي لاقى على أيدي المحتلين صنوف القهر والبطش والإذلال من نظام لا يعترف بحقوق الإنسان ولا يعير أي اهتمام للقوانين والأعراف الدولية.

كما شكر الموقف النبيل لمنظمة الأمم المتحدة بإدانة العدوان ورفض نتائجه وتأكيدها على وجوب الدفاع عن الشرعية الدولية واحترام القوانين التي ارتضاها المجتمع الدولي في سبيل الوصول إلى وضع يعيش فيه الجميع بأمن واستقرار واحترام متبادل بين الدول. وقد قوبل خطاب سمو الأمير بتصفيق حاد من أعضاء الجمعية العمومية للأمم المتحدة استمر لعدة دقائق. وكان ذلك أكبر تعبير عن مدى إيمان العالم بأجمعه بقضية الشعب الكويتي العادلة وإدانته للجريمة التي قام بها النظام العراقي ضدّ دولة الكويت بصورة خاصة، والمجتمع الدولي بصورة عامة.

ـ تصريحات رئيس العصابة ومساعديه

وصلت عنجهية صدام إلى مستوى لا يمكن وصفه من شدة الغرور الأجوف، وعدم الاكتراث بما كان يدور حوله من مؤشرات واضحة بأن العراق سيدفع الثمن باهظًا إن لم ينصع للقرارات الدولية. وقد صرّح في لقاء مع بعض الوفود التي التقت به «بأن الكويت عراقية ولا نعطيها حتى لو حاربنا عليها ألف سنة» وزعم «بأن الأمر قد انتهى، فهو شعب رجع إلى أهله وأرض عادت إلى أهلها، وعادت لتكون جزءًا من الإيمان بعد أن كانت مكانا يطبّق فيه الكفر». وقال «إن البترول خرّب الإيمان مع تخريبه الأخلاق، وأن النصر قريب وآت بإذن الله، وأراه وكأني احتفل به . . .».

أما سعدون حمادي فقد خرج على شاشة التلفزيون وهو نافخ نفسه كالطاووس، وقد وضع أمامه خريطة (العراق الجديد) متبجحا بأن العراق أصبح دولة لها ساحل طويل يمتد على البحر (ويمتلك) عدة موانٍ ومصافٍ، وأصبح يسيطر على ٢٠٪ من الاحتياطي العالمي للنفط. كما زعم أن طاقته الإنتاجية للنفط ارتفعت إلى ٧٫٣ مليون برميل يوميا، مما يعني زيادة عائدات العراق إلى ٣٨٫٣ مليار دولار سنويا (كحد

أدنى) قابلة للزيادة الى ٢ر٦٠ مليار دولار سنويا، مما يساعد العراق على سداد ديونه خلال فترة لا تتجاوز ٥ سنوات. كذلك زاد الساحل البحري للعراق من ٦٠ كيلومترًا (قبل الوحدة) إلى ٣٦٢ كيلومترًا بعدها.

وقد عكست هذه الأحلام الأطماع والأسباب الحقيقية للغزو الهمجي على الكويت.

ـ محاولات العراق الفاشلة للمماطلة وكسب الوقت

استمرّ العراق في مماطلاته محاولا تمييع القضية والاستفادة من (تقادمها) لتصبح (قضية فلسطينية) أخرى لا تجد من يحلها. وكان طارق عزيز وبقية مجموعته يلعبون على هذا الوتر. فقد كان واضحًا من أن زيارة طارق عزيز لموسكو يوم ٥ سبتمبر ١٩٩٠ كانت لهذا الهدف. ولكن موقف الاتحاد السوفيتي الحازم أثناء تلك الزيارة لم يترك مجالاً للعراق ليشق صف الدول الخمس الكبرى، ولا أن يزحزح اتفاق الدولتين العملاقتين. وبالتالي فقد رجع الوفد دون أن يحصل على أي شيء. وكان واضحًا من اللقاء الذي عرض على شاشة التلفزيون بين الرئيس غورباتشوف وطارق عزيز، أن الزيارة لم تكن ناجحة. فقد ظهر غورباتشوف وهو مكفهر الوجه لا يظهر عليه أي نوع من الارتياح وهو يحادث طارق عزيز الذي كان يحاول أن يصطنع ابتسامة صفراء ليوهم بها مشاهديه بأن نوعًا من التفاهم قد تمّ التوصل إليه بين الجانبين. ولكن كان واضحا من الجو العام للقاء أن موسكو أرادت في نفس هذا اللقاء المنقول على الهواء مباشرة أن توضح بأن موقفها هو عكس ذلك تماما. وقد نجحت موسكو في نقل هذه الرسالة للعالم من خلال هذا اللقاء القصير والمنقول عبر شاشات التلفزيون.

وكانت أهمية هذا اللقاء تأتي من كونه قد سبق اجتماع قمة هلسنكي بين الرئيس جورج بوش والرئيس غورباتشوف يوم ٨ سبتمبر ١٩٩٠. فقد توقع العالم أن ينتهز العراق هذه الفرصة ليعود إلى رشده ويخرج بحل يحفظ ماء وجهه. إلاّ أن هذا التوقع لم يكن في محله. إذ أن صدامًا أعاد الكرة مرة أخرى بعد فشل رحلة وزير خارجيته لموسكو، وبعث هذه المرة برسالته الشهيرة يوم ٨ سبتمبر للرئيسين بوش وغورباتشوف،

النداء

تصدر عن دار الغروبة للصحافة والطباعة والنشر

الاحد ١٩ صفر ١٤١١ هـ ـ ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠م ـ السنة الاولى ـ العدد ٣٠ ـ (مدينة الكويت ـ العراق)
Sunday, 9 September 1990 — 1st Year, No. 30 — Kuwait City

تضامنا مع جند العراق

مواطن اردني يتبرع باعضاء جسمه

عمان ـ واع ـ تبرع المواطن محمد امين ريان من ابناء محافظة اربد شمال العاصمة الاردنية عمان بجميع اعضاء جسمه للجند العراقيين البواسل الذين يتصدون للعدوان الامريكي ـ الصهيوني على الامة العربية. وقد ابلغ المواطن المذكور سفير العراق في عمان السيد نوري اسماعيل الويس بموقفه القوي الاصيل هذا تعبيرا عن اعتزازه بموقفة ابناء العراق النشامى في دفاعهم عن الامة العربية والمقدسات الاسلامية بوجه الحملة الصليبية الجديدة .

أطلب مع العدد
هدية «النداء»
صورة ملونة كبيرة
للرئيس القائد صدام حسين
(حفظه الله)

من عبد الله المؤمن صدام حسين إلى غوربا تشوف وبوش :

عندما تقع المنازلة سينتصر شعب العراق

■ العراق دولة تحب السلام وتتوكل على الله وتعمل ما يرضيه

■ إحتلال الكعبة وقبر الرسول اهانة للعرب والمسلمين

■ ابرهة الحبشي حاول إحتلال الكعبة فهزمه الله ومن مزق جيوشه باق خالد

■ اجتزاء الكويت من العراق لم يسلم به نوري السعيد وعبد الكريم قاسم

■ محاولات اعادة الامور الى ما قبل ٨/٢ غير عملية وعقيمة

■ اننا نجزم ان مكانة امريكا ستهبط اذا ما انزلقت الى هاوية الحرب

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ـ واع ـ قال السيد الرئيس صدام حسين مخاطبا الرئيس ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش ان موقف اي منكما سيثبت وهو يتخذ قراراته في اجتماعكما هذا مكانة بلاده ودرجة تقدمها في الانسانية وربما خاتمة اساسية من مصيرها على مدى بعيد.

واضاف السيد الرئيس في رسالة وجهها امس الى الرئيس غورباتشوف اجتماعهما اليوم في هلسنكي اجزم بان اي بلد يتشدد في عكره وعشه عن الموضوع الصحيح سوف يهبط بسيده درجة او درجات في سلم ما يسجل عنده وفي سمعة وسمعتها.

العرب التي شرفها الله بان تكون مهد الانبياء والرسالات على مر الازمان.

وفي الوقت الذي سكونان فيه في موقع من يقرر ما يتعمل بمصير الخير او الشر لبشرية تشوم حولكما الملائكة في جنانها والشياطين في الجانب الاخر، كل يدعو وعوده. وكل مكون لهواه حسب ما فطر عليه وما اراده الله له. وسيكون الله فوق الجميع.

وانني لا اقول لكما ولا لنفسي احدا منكما ما يقرر الا لكما سكما بمثل ارادته وبمثل حرية التقرير وفق ما جناه او اراده الله له من عقل وفق الطريقة التي تشكل فيها وفاعليها الله والناس. في الوقت الذي يتوكل العراق.. شعبا وقيادة على الله الواحد الاحد ويعمل بما يرضي الله وبما يهديه اليه كاختيار لا بد منه لبناء مقتضيات وطنيته وشرف انتمائه القومي والانساني المؤمن وامته وسعادة ابنائه الذين رتب الله لهم حقوقا قرر ايصالها بكتابه بل وبكتبه معلومة الى الانسانية كافة ومن طريق انبيائه على التوالي.

ومن من يؤمن بالله وبكتبه وبرسله لن يهديه الى ادراكه لتلك المبادئ، والقيم وعندما تتحدد واضحة للعيان وتستذكر بما فيه الكفاية عن فيها ما يلقى جزيرة بعد ذلك ان يرسل غلاة جيشه او يتجرأ على الكعبة المشرفة وان الله الذي مزق جيوش ابرهة الذي سولت له نفسه التجاوز على هذه الارض المقدسة قبل ما يزيد على الف وأربعمائة سنة باق خالد. وعلى من يتجاوز على بيت الله وقبر رسول الله ان يتذكر ويتعبر وان لا ينسى القول المأثور ان للبيت ربا يحميه .. وعلى الجميع ان يتذكر ان الكعبة هي الوجهة التي يتوجه اليها مليار مسلم في صلواتهم الخمس .ومن حيث خرجت قبول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره... صدق

■ جريدة النداء او البوق الذي أطلقه العدو ليبث أكاذيبه ■

والتي وقّعها باسم (عبد الله المؤمن) في محاولة يائسة للتأثير على مسار الاجتماع، وبنفس الوقت شحذ تأييد مدّعي الإسلام والقومية من المنظمات وجموع الجهلة الذين ساروا وراءه. ولربما كان الهدف الأخير أكثر أهمية لديه من الأول، نظرا لمعرفته بأن مواقف الدول لا تؤثر فيها العاطفة. وقد كانت تلك الرسالة مليئة بالألفاظ والجمل العاطفية والدينية المختارة والتى كان القصدمنها التأثير على مستمعيها من المذياع والتلفزيون ودغدغة عواطفهم في سبيل زيادة أعداد المشاركين بالمظاهرات الحاشدة (ضد أعداء الإسلام). وكان من ضمن القصص التي حشرها في خطابه قصة جيش أبرهة ومحاولته هدم الكعبة. كما ذكر في هذا الخطاب مقولته بأن الشعب العراقي هو الذي علم البشرية والإنسانية «طريق إنسانيتها الصحيح يوم علمها الحرف والكتابة وعلمها القانون قبل ستة آلاف سنة». وغني عن القول أن مثل هذه العبر والمواعظ يجب أن تأتي من إنسان يحترم هذا الفكر ويطبقه، إذ يجب أن ينطبق هذا الكلام على قائله قبل غيره، وهو الذي يجب أن يتمسك به فعلاً لا قولاً، إذ يقول الخالق سبحانه «كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»* فقائل تلك المواعظ بخطابه هو أكبر منتهك للقانون والإنسانية والفكر والحضارة التي يدّعي بها في هذا الخطاب.

ومن الادعاءات الفارغة الأخرى في ذلك الخطاب قوله أيضا «بأن العراق دولة تحب السلام وتتوكل على الله وتعمل ما يرضيه». كما ادعى أن الكويت كانت دائما جزءًا من العراق، مستشهدا بمواقف أسلافه عبد الكريم قاسم ونوري السعيد اللذين «لم يعترفوا باستقلال الكويت». كما قال «إننا نجزم بأن مكانة أمريكا ستهبط إذا ما انزلقت إلى هاوية الحرب . . . وأن العراق لم يغزُ بجيوشه أياً من بلديكما . . . ».

وقد فشلت بالطبع هذه المحاولة للتأثير على سير الاجتماع، إذ كان واضحًا للرئيسين من خلال هذه الرسالة عدم جدية العراق بحل الأزمة، وبالتالي كان لزامًا عليهما اتخاذ موقف واضح لا لبس فيه من العدوان العراقي. وكان هذا الموقف حاسمًا في بيان اجتماع القمة وكذلك في المؤتمر الصحفي المشترك للرئيسين اللذين أكدا فيه توحيد موقفيهما بشجب العدوان العراقي والتأكيد على ضرورة تطبيق قرارات مجلس

---

* سورة الصف آية (٣)

الأمن والتلويح باحتمال استعمال القوة لتطبيق القرارات إن لزم الأمر. وكان لهذا المؤتمر وموقف الاتحاد السوفيتي فيه، أكبر الأثر في شدّ أزر المرابطين، الذين كانوا يرصدون كل كبيرة وصغيرة من التطوّرات، ويتابعون مواقف كل القوى، ويتأثرون بكل ما كان يدور حولهم من أحداث سلبًا أو إيجابًا. وكان هاجسهم الكبير هو أن لا يكون هناك أي تنازل عن المباديء الأساسية في سبيل إرضاء العراق، وأن لا يحصل العراق على أي مكسب مقابل عدوانه.

ـ موقف الأردن وبقية المتاجرين

أما مواقف بعض الدول التي وقفت مع العراق، فكانت تزداد انحيازًا يومًا بعد يوم للمعتدي، وتبارك كل خطوة يقوم بها دون تفكير. وكان الأردن في مقدمة هذه الدول. فقد كان موقف الملك الأردني حسين في هذه الفترة موقفًا مريبًا يتضح منه أنه ضالع في المؤامرة. وكان تأكيده على ضرورة إيجاد حل عربي للأزمة ــ مع علمه برفض العراق لقرار مؤتمر القمة العربي بالقاهرة ــ وتحذيره من آثار اشتعال آبار النفط بالكويت دليلاً أكيدًا على محاولته تطويل المشكلة وعرقلة أي حل جدّي لها، يجبر العراق على الرضوخ والانسحاب. كما أن موقفه من موضوع حرق آبار النفط يدّل على أنه على علم تام بكل تفاصيل خطط صدام الإجرامية. وما المؤتمر الذي انعقد في عمّان بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٩٠ «للقوى الشعبية العربية لنصرة العراق» والذي كان برعاية الملك حسين نفسه تحت شعار «من أجل مواجهة الهجمة الإمبريالية الأمريكية الصهيونية والتي ابتدأت باحتلال الغزاة للجزيرة العربية ومياه الخليج العربي ولنصرة العراق» والذي نفثت فيه السموم والأحقاد ضدّ الكويت ودول الخليج كافّة، إلاّ دليلا آخر على انعدام أي شيء اسمه الوفاء، أو الغيرة، أو الشهامة في نفوس المشتركين فيه. وقد كانت إذاعة عمّان الرسمية والتلفزيون يشيدان بجوّ الاجتماعات، ويتشدّقان بتزيين شوارع عمّان بصور صدام وأعلام العراق. كما كان تلفزيون عمّان ينقل (مهرجانات) التأييد لصدام، ويكثر من الدعوات لتحرير الثروات العربية لخدمة القضايا العربية، وتوزيعها على الشعوب الفقيرة، وهي بالطبع نفس مقولة صدام الجديدة.

كما شارك بعض القادة (الأفذاذ) للجيوش العربية، والذين كانوا في موقع القيادة عندما (انتصرت) جيوشهم على إسرائيل في الحروب السابقة معها. فقد شارك هؤلاء في المعمعة من خلال الإدلاء بآرائهم (السديدة) المنبثقة من الخبرة العريقة في الانتصارات. إذ قال اللواء علي أبو نوّار القائد السابق للجيش الأردني في ندوة عقدت في عمّان: «إن الأهداف النبيلة للرئيس صدام حسين أصبحت واضحة لكل مواطن عربي». وأضاف «إن العراق المتحرّر والقوي هو الآن قلب العروبة النابض، ويمتلك كل مقومات النصر ومعطياته. وإن استعادة العراق للكويت أمر طبيعي، إذ أن الكويت أرض عراقية اقتطعها المستعمر بهدف استغلال ونهب ثرواتها النفطية». كما قال «إن الجندي العراقي لا يهاب الموت أبدا» وتساءل قائلا «كيف ينتصر الجنود الأمريكيون المتذمرون والمرتزقة من العرب على الجندي العراقي الذي لا يهاب الموت؟!». *

أما بقية (القادة) فلم تخلُ هذه الفترة من تصريحاتهم الفذّة. فقد قال أسعد التميمي أمير حركة الجهاد (الإسلامي): «إن الرئيس صدام هو الفارس المنتظر لتحرير القدس». كما صرّح نايف حواتمه لجريدة (النداء) يوم ٢٣/٩/١٩٩٠ بأن المعركة المقبلة «ستنهي الامبراطورية الأمريكية. وأن المعركة ستُقصر يد إسرائيل الطويلة، وترغمها على الربط بين أزمة الخليج وبين القضية الفلسطينية». كما كان هناك موقف «لفرقة الماجدات اليمنيات الانتحارية الأولى». فقد أيّدت هذه (الفرقة) في بيان صدر بتاريخ ٢٩ سبتمبر (مبادرة الرئيس صدام حسين) بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٩٠ وأثنت على مواقفه القومية الأصيلة، بينما بدأت منظمة التحرير الفلسطينية حملة للتبرع بالدم في مخيم عين الحلوة وهو أكبر مخيم للفلسطينين في لبنان لدعم العراق.

أما (الحكيم) جورج حبش فقد كان (متيقّنا من النصر) عندما علّق على بعض كلمات صدام بقوله: «إن القيادة العراقية ربطت بشكل محكم وحكيم الحل بين ما

---

* ونحن نقول ليت هذا (القائد) العربي الفذّ صدَق مع نفسه وكشف عن الحقيقة التي يعرفها قبل غيره، والتي حجبت رؤيته لها - مع الأسف - بعض الأسباب المعروفة التي (أثّرت) عليه. إذ أنه لا يعقل أن يكون هذا هو تفكير قائد عسكري قضى عشرات السنين من عمره في هذا المجال، ويكون هذا التفكير الضيق هو حصيلة خبرته وعصارة فكره. أمّا إذا كان هذا فعلاً هو مستوى تفكيره فإن هذا الاكتشاف يساعدنا الآن على معرفة سبب النكبات والكوارث التي حلّت بجيوش الدول العربية خلال العقود الماضية.

النداء

تصدر عن دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

الاحد ٤ ربيع الاول ١٤١١ هـ - ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٩٠م - السنة الاولى - العدد ٤٤ - (مدينة الكويت - العراق)

Sunday, 23 September 1990 — 1st Year, No. 44 — Kuwait City

«النداء» تنشر أسماء الناجحين والناجحات في الثانوية العامة (الدور الثاني) في جميع الفروع

(ص ٦)

الجنود اليهود يحتفلون برأس السنة العبرية في الاراضي المقدسة

بغداد - واع - ذكر راديو العدو الصهيوني ان الجنود اليهود الموجودين في السعودية ضمن القوات الامريكية احتفلوا ليلة الخميس الماضي بعيد رأس السنة العبرية.

وقال الراديو في نبأ له بالعبرية التقط في بغداد ان كبار ضباط الجيش الامريكي كانوا يحثون معارضة الحكومة السعودية للقيام الجنود اليهود بالصلاة داخل اراضيها.

واقترح هؤلاء الضباط نقل جميع اليهود الى احدى السفن الامريكية التي ترسو مقابل شواطىء البحرين للاحتفال بعيد رأس السنة اليهودية.

واضاف الراديو ان الاقتراح رفض بعد ان اعلنت السلطات السعودية عدم ممارستها احتفال الجنود اليهود بعيد رأس السنة العبرية على اراضيها.

ناطق مخول يفند مزاعم رئيس أمريكا بأنه لا يريد الحرب

نيران المقاتلين العراقيين ستمزق الغزاة

■ الرئيس القائد واخوه الملك حسين في خندق واحد لمواجهة الظالمين

■ بوش يسعى لاختلاق الذرائع لشن عدوان على العراق

■ مؤتمر عمان كشف زيف ادعاءات بوش بأن العرب معه ضد العراق

بغداد - واع - قال ناطق مخول تصريحات ادلى بها الرئيس الامريكي جورج بوش للصحافيين يوم ١٩٩٠/٩/٢١ وزعم فيها انه لا يريد الحرب وان استراتيجية الولايات المتحدة لحل ازمة الخليج ستقتل تتمثل في العقوبات.

وحث الناطق من ان بوش يسعى لاختلاق الذرائع للقيام بعمل عدواني ضد العراق واكد ان شعار اعادة الكويت لن يشيرا من العدوان وسيخسأ دون الكويت الخاسئون بعد ان تكون جثثهم قد مزقتها نيران التناسي من المقاتلين العراقيين.

وقال الناطق ان مؤتمر القوى الشعبية العربية لنصرة العراق الذي عقد في عمان مؤخرا كشف زيف ادعاءات بوش بان ابناء الامة العربية يقفون مع سياسته ضد سياسة بغداد.

واكد الناطق ان بوش - قد في محاولة مفتوحة وبائسة منذما حاول وصوية خبيثة بث اضلين في العلاقة الوثيقة بين السيد الرئيس القائد صدام حسين واخيه جلالة الملك حسين. وقال ان هذه المحاولة جملت من بوش لزما.

ونبأ في التصريح الذي ادلى به الناطق المخول لوكالة الانباء العراقية تعليقا على تصريحات بوش الصحفية.

قال بوش للصحافيين انه اوضح لقادة الكونغرس خلال محادثاته معهم صباح اليوم نفسه حول الموقف في الخليج ان العقوبات ستبقى تمثل استراتيجيتنا لحل هذه الازمة.

واضاف انه شرح للكونغرس ان دعم العراق للارهاب سيكون له حقا عواقب خطيرة.

فاقول.. ان هذه مفارقة اخرى تضاف الى مفارقات بوش وتناقض جديد في اقواله يصطف الى جانب التناقضات الكثيرة التي حفلت بها تصريحاته فهو عندما يحشد الجيوش لا يعد ذلك عدوانا ولكن عندما يتعرض العرب دفاعا عن شرف امتهم ومقدساتهم يعتبره ارهابا.

ان الاول بانه لا يريد الحرب وفي الوقت نفسه يجيز لنفسه ان يصف اي عمل مضاد لقواته المسلحة او مصالحة ارهابا ويتسبب مسؤولية ذلك الى العراق فانما يكمن في هذا القول خطر اختلاق الذرائع لعمل عدواني ضد العراق.

وتحدث بوش عن العمليات الدفاعية والتخصيصات الاضافية التي طلبها من الكونغرس. ولكن لا تعرف الدفاع عن اي شيء يقصد قائلا: كان قصده الدفاع عن اوفر حظ وبالحجاز فقد التقح كذب هذا الادعاء... وفي كل الاحوال فاننا نعترض وفق الدراسات العسكرية العامة ان ما هو موجود من قوات احتلال في المنطقة يكفي للدفاع عن بترول الصعرمية اما الطائلون بسبب موقفهم الحالي وسبب شعورهم بانهم قاموا بعمل عدواني ضد مقدسات العرب والمسلمين فلا يدخل

(البقية على الصفحة ٢)

تؤكد تضامن الشعب الجزائري مع العراق

الرئيس صدام حسين يتلقى رسالة من العقيد احمد بن الشريف

بغداد - واع - تلقى السيد الرئيس صدام حسين رسالة من السيد العقيد احمد بن الشريف عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية عبر فيها عن تأييده وتضامنه مع العراق وقال في الرسمي مع الاسف بنياب رجالات الهمم والمواقف ولم يعد اليوم خافيا على المواطن العادي من هم الوطنيون المخلصون ومن هم المتخاذلون المتآمرون على وحدة الامة ومستقبلها.

ترأس اجتماعا موسعا للكادر الحزبي المتقدم ومسؤولي القطاع الزراعي

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة: العراق سيفشل الحصار الاقتصادي

السيد الرئيس يستقبل الأمير محمد الفاسي

بغداد - واع - استقبل السيد الرئيس صدام حسين امس الامير محمد بن شمس الدين الفاسي.

وحضر المقابلة السيد لطيف نصيف جاسم وزير الثقافة والاعلام.

□ بدون تعليق . . . !!! □

يسمّى بأزمة الخليج والقضية الفلسطينية. وإن القيادة الفلسطينية التقطت هذا الحل وستبقى تناضل من أجل إجلاء القوات الأمريكية عن أرض الخليج، ونيل الحرية والاستقلال للشعب الفلسطيني». كما زعم أنه سيدّمر الغزاة ومصالحهم إن هم مسّوا العراق.

وواضح من كلام هذا (المناضل) أنه يريد شراء حرية الفلسطينيين مقابل بيع حرية الكويتيين الذين كانوا أكثر العرب ــ وبشهادة الجميع ــ تعاطفا مع القضية الفلسطينية، وأكثرهم بذلاً وعطاءً لجميع فئات الفلسطينيين سواء أكانوا من (الفدائيين) بجميع فصائلهم أم أبناء الحجارة، أم اللاجئين على مدى الأربعين سنة الماضية.

وغني عن القول أن هذه المواقف التي وقفها الملك حسين وبقية المتاجرين بالقضية الفلسطينية، قد شجعت العراق على التشدّد أكثر في مواقفه، خاصة بعد أن شعر بأن كثيراً من المنظّمات التي تدّعي القومية والإسلام قد سارت في ركابه وصدّقت ادعاءاته ــ أو هكذا ادّعت ــ بأنه حامي حمى الإسلام والعروبة، والفارس الذي سينقذ فلسطين من براثن الصهاينة.

ـ خطاب الرئيس الفرنسي بالأمم المتحدة

كان لموقف فرنسا المتشدّد في بداية شهر سبتمبر ضدّ العراق، نتيجة لاقتحام السفارة الفرنسية بالكويت واحتجاز الرعايا الفرنسيين، أثر إيجابي ومشجع على معنويات المرابطين. إلاّ أن هذا الموقف بدأ في نهاية الشهر يميل إلى اللّين والتجاوب الخجول لمبادرات وعروض العراق لفرنسا. وكانت قمة هذه الليونة بالمواقف ــ بنظر الكثير من المرابطين ــ الخطاب الذي ألقاه الرئيس ميتران في الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠. فقد حاول في هذا الخطاب كسب ودّ العراق، وخلق دور بارز لفرنسا في حل المشكلة على حساب الطرف المعتدى عليه وهو الكويت. وقد بدا ميتران وكأنه يُمسك بالعصا من النصف عندما حاول إرضاء العراق بربط القضية

الفلسطينية بموضوع احتلال الكويت، طالبًا من العراق فقط الإعلان عن نيّته الانسحاب من الكويت مقابل تعهّد الأمم المتحدة بحل مشاكل الشرق الأوسط (مجتمعة). كما كان لاقتراحه بإعطاء الكويتيين حق تقرير المصير بعد الانسحاب العراقي أثر سيء على المرابطين الذين اعتبروا ذلك تدخّلا في شئونهم الداخلية، ونظروا لموقف ميتران وكأنه يريد أن يكون وصيًا عليهم. فإذا كان هناك أحد يحتاج لإعطائه حق تقرير المصير، فذلك هو الشعب العراقي الذي لم يكن له أي دور ورأي فيما كان يدور حوله من مشاكل خلقها نظام حكمه الذي قاده إلى المجهول نتيجة لسياساته المتهوّرة.

وكاد هذا الموقف الجديد لفرنسا أن يؤدي إلى خلاف بين دول مجلس الأمن وكذلك دول غرب أوروبا خاصّة بعد أن تجاوب العراق بصورة جزئية وبسيطة لهذا العرض في البداية. إلاّ أن رجوعه إلى موقفه المتعنت مرة أخرى أدّى إلى إجهاض هذه الخطة الفرنسية.

ـ خطاب الرئيس جورج بوش للشعب العراقي ورد صدام عليه

كان خطاب الرئيس جورج بوش للشعب العراقي مركزًا ومختصرًا وشاملاً ومنطقيًا ومؤثرًا. ولم يكن أحد في البداية يصدّق، بأن صدام سيسمح بإذاعة هذا الخطاب من تلفزيون بغداد. وعند موافقته على ذلك شعر الناس بأن هناك لعبة ما ستقوم بتدبيرها السلطات العراقية. وقد صدق فعلاً هذا الهاجس. إذ ما إن اقترب حلول التوقيت المتفق عليه لإذاعة الخطاب إلاّ وكان أزلام النظام قد بدأوا بتنفيذ الخطة المعدة سلفًا، وهي إخراج الناس من بيوتهم (للمشاركة بالمظاهرات العارمة للاحتجاج على أكاذيب بوش واعتداءاته على العراق). وكان ذلك قبل وأثناء إلقاء الخطاب. وبذلك فقد حقّق النظام العراقي ثلاثة أهداف في آن واحد وهي أولا إظهار نفسه للعالم بأنه نظام (ديمقراطي) يعطي الفرصة لشعبه لسماع الآراء المعارضة لحكومته حتى وإن كانت من أعدائه. أما الهدف الثاني فهو منع العراقيين من سماع خطاب الرئيس بوش، وذلك بإجبارهم بطرقه المعروفة للخروج من بيوتهم في الوقت المحدّد لذلك، حتى لا تكون

لديهم الفرصة لسماع ما يريد الرئيس بوش أن يقوله لهم. أما الهدف الثالث فهو انتهاز الفرصة لجمع هذه الحشود المغلوبة على أمرها، وحشرها بالشوارع لتهتف بما يأمرها به جلّادوها دون أن يكون لها رأي بما تقول ودون إعطائها الفرصة للتعبير عن رأيها الحقيقي.

هذا ولم يفوّت صدام هذه الفرصة ليطلب إعطاءه (حقه) بالرد على رسالة الرئيس بوش للشعب العراقي. وكان الرد كالعادة طويلاً ومملاً، تم حشر كل ما استطاعت أجهزة الإعلام العراقية جمعه من مفردات اللغة العربية، دون مراعاة لوقت المستمع الأمريكي الثمين، ولا آخذةً في الاعتبار ثقافته العالية، أو اهتماماته السياسية والاجتماعية التي لن تجعله يضيّع وقته في سماع جُمل وعبارات رنانة لا تهمه في شيء ولا تؤثرفي مسيرة حياته البعيدة عن الأوهام والخزعبلات. فالمواطن الأمريكي رجل عملي، يعرف كيف يقضي وقت عمله، وكيف يتصرف في الوقت المخصّص لراحته. وهو غير مرغم على عمل شيء لا يؤمن به ولا يراه في صالحه.

ومن العبارات المعتادة والمستهلكة التي أطلقها صدام في ذلك الخطاب، الذي حشر فيه بعض الآيات القرآنية الكريمة، والذي استمر حوالي تسعين دقيقة «أن العراقيين المؤمنين لا تغريهم المغريات ولا يخشون التهديدات. وأن بوش يدفع أبناءكم الى حرب يريد تجديد أحزان أمريكا فيها، كما حصل في فيتنام. كما أنه يكرر الآن ما قام به أبرهة الحبشي في محاولة غزو مكة المكرمة منذ ١٥ قرنًا. وأن الأمة العربية والمسلمين في العالم يقفون كلهم مع العراق، ويرفضون وجود الغزاة في أرض المقدسات». كما زعم أن بريطانيا هي التي اقتطعت الكويت من جنوب العراق ونصبت (السيّر) مبارك شيخًا عليها لقاء تحالفه معها ضدّ العثمانيين. كما ردّد ما كان يقوله دائما، من أن «حكومات العراق الملكية والجمهورية لم تعترف بفصل الكويت، وطالبت بعودتها للعراق الأم، وأن العراق طرح حلولاً واقعيةً لكل قضايا المنطقة ولكن بوش رفض المبادرة قبل الاطلاع عليها . . .». وهكذا كان الخطاب بعيدًا عن اهتمامات المواطن الأمريكي، وموجّهًا كالعادة إلى من كان يجري خلف هذا الطاغية من أناس جهلة ومضلّلين، لا يعرفون من دنياهم إلا الأوهام ولا يستطيعون رؤية ما هو أبعد من أنوفهم.

النداء

تصدر عن دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

الاثنين ٥ ربيع الأول ١٤١١ هـ - ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠م - السنة الاولى - العدد ٤٥ - (مدينة الكويت - العراق)

Monday, 24 September 1990 — 1st Year, No. 45 — Kuwait City

اعـــــــلان

تدعو جامعة الكويت جميع الطلاب والطالبات القدامى المسجلين في الكليات المختلفة مراجعة كلياتهم في الايام التالية :

الثلاثاء ١٩٩٠/٩/٢٥ ـ الاربعاء ١٩٩٠/٩/٢٦

الخميس ١٩٩٠/٩/٢٧ ـ السبت ١٩٩٠/٩/٢٩

وذلك لتسجيل مقرراتهم للفصل الدراسي الاول ١٩٩٠/١٩٩١ .

٢,٢ مليـــــــــــار دولار رشوة قارونية لبعض الحكومات

تونس ـ واع ـ كشفت صحيفة تونسية النقاب عن ان زمرة ال الصباح الباغية دفعت مبلغ آر٢ مليار دولار دفعة واحدة لبعض الحكومات عبرتا عن موقفها المشين في منطقة الخليج العربي.

وذكرت صحيفة «الشعب» الاسبوعية الصادرة هنا امس ان هذا المبلغ يساوي حجم التكاليف التي تتحملها القوات الامريكية الموجودة حاليا على الاراضي العربية لمدة شهر واحد.

ويذكر ان تجار البترول لم يدفعوا الى الشعب الفلسطيني على مدى ٢٥ عاما من نضاله ضد الوجود الصهيوني الا مبلغا ضئيلا لا يستحق الذكر.

في بيان مشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية :

موج الطوفان سيأتي على أمريكا والمتعاونين معها

- واشنطن تقود العالم الى طوفان يغرق النفط ومنشآته مع اسرائيل والمتعاونين
- لا مجال للحلول الوسط أو الابتزاز وشعار اخراج الاجنبي لا يقودنا الى تنازلات
- عادت الكويت الى اهلها لتكون جزءا من وطنها بقرار ابدي لا رجعة عنه
- ليسحبوا الاساطيل والجيوش والطيران فلا تفاهم تحت اسنة الحراب

بغداد ـ واع ـ ترأس السيد الرئيس صدام حسين اجتماعا مشتركا لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي وصدر عن الاجتماع المشترك بيان في ما ياتي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أوطأت امريكا في الاعمال الاجرامية الكبيرة ضد العراق وضد الامة العربية بعدوانيتها المقيتة وخاصة باحتلالها لارض مقدسات العرب والمسلمين في نجد والحجاز والمقاطعة التي عرفتها عليه العراق الاب حتى تجاوزت الحد الادنى من الحد ود الانسانية التي قد لا يتحدث اليها متى المؤمنون بشريعة السماء. وقد قادت بكل ذلك ارضاء لغرورها الذي جعلها تقع تحت تاثير المتكون بفعل التسعير بالتفرد بدور الهيمنة على العالم. وعلى امريكا الا تتمادى اكثر فاكثر. وان تنزع عن عقلها التفكير بدفع الامور الى الاصطدام العسكري بان تدرك وبسرعة خطورة ما يجري بالقضية الماطلة وان تقلع عن كل هذا وتعالجه باسرع وقت ممكن الى زوايا النفس لتتفتش عن باب حكمة تستعين بها لتخليص المتحول عن هذا النهج المخطىء وبسرعة وقت ايضا وفي المقدمة من ذلك الانسحاب عن ارض العرب وبخاصة وبديار المسلمين المقدسة. ويحسب ان على امريكا ان تدرك بوضوح بانها إنما تدفع المنطقة كلها وليس العراق فحسب، بل بيدها العالم برمته وفي المقدمة إياها الذين جاء بهم بوش الى المنطقة الى هوة سحيقة وهذا ما تخرج منها المنطقة ان تصور ذلك يسير

البترول وارضه واسرائيل في وضع اخر غير ما هم عليه الان وهكذا يكون الطوفان.

اننا لن نسمح لكائن من يكون ان يخنق بالطوفان شعب العراق من غير ان يخنق واذا ما شعرنا بان شعب العراق يختنق وهنالك من يوجه له ضربة دموية فاننا سنجعل كل المسببين يختنقون ويستصيح ارض البترول في السعودية وغيرها من دول المنطقة وكل منشآت البترول غير قادرة للاستجابة لطلبات الذين جاءوا الينا بحشدين ليستحوذوا على سيادتنا وكرامتنا وثرواتنا وسيشعل اسرائيل بشعل تلك النيران التي تريح فيها السموم والمحتلون ولم يبق فيها ما هو ظاهر غير المنشآت والخبراء الذين يرتكبون هذا التخطيط والتدمير.

فعلى الذي يشعل الطوفان لشعب العراق ومن يمده بالاسلحة ويخطط لهذا ان يتذكر جيدا بان موج الطوفان قد ياتي عليه قبل ان ياتي على شعب العراق وعلى امريكا ومن دفعها او كانوا معها ان يتركوا هذا جيدا ليعيدوا الحساب بيقين وبالتفكير الصحيح ليعطوا الادلة سيادتها ويبتدوا عليها ويكفيهم ما حصل من تصرف مشهور شائن وخطير.

واذا ما اراد الخائنون ان يتنزعوا قتيل الاحتمالات الخطرة متاملما نريد نحن وكل الخيرين في الامة عليهم ان يعودوا الى فكرة ان يعم السلام المنطقة كلها وان تسود الحقوق المشروعة الى اهلها الشرعيين فلهم في المقدمة منهم فلسطين المغتصبة وان تنزع الاسلحة الخطرة من المنطقة كلها وان يرحل المحتلون الاجانب من تطبيق سياسة العصا الغليظة في المنطقة وان يستبدلوها بسياسة التفاهم القائمة على العدل والانصاف وان يتذكر الجميع بان لا مجال ليتعايش القلم والانصاف في المنطقة ولا يتعايش الفكر والاستغلال الهمجي مع الغني ولا العدوانية مع السلام ولا التخلف مع التقدم ولا التنوع مع التطلع.

وعلى الجميع ان يدركوا ايضا بان الذي حذرنا منه قد يحصل عندنا يتطاير الشر المتبعث من قوهات الاسلحة المتناثلة ومن احتكاك اساطيل العدو وان يوسعنا واوانئا وقد يكون الشرر المتطاير صدفة وقد يكون عن عمد ليحدث بعد ذلك حريقا هائلا وعند ذلك يكون الطوفان. ولكي لا يحصل المحذور على المعنيين ان يسحبوا الجيوش والاساطيل البحرية والجوية باسرع وقت وان هذا ينبغي بل يجب ان يكون الخطوة الاولى التي تهيء لاجواء التفاهم ومن غيرها فلا تفاهم تحت اسنة الحراب والتهديد والمماطلة على هواة الحروب والمشاكل والازمات وعلى فاعلي الشر والطاغين في الظهور وعلى الساعين الى الخير من العرب ان لا يستبدوا الحل الذي قدمناه في ١٢ آب الماضي بحل جزئي لان تحويل الصراع من الاصول الى الفروع يفيد تكتيك الاعداء واعوانهم.

ان القضية الاساسية هي قضية نضال العرب والمسلمين في جهادهم الحق ضد الباطل وان الذي يقع في صدر هذه الاهداف هو تحرير فلسطين من اغتصاب المغتصبين الصهاينة وان

(البقية على الصفحة ٢)

الرئيس القائد يستقبل الوزير الاول في الجمهورية التونسية

ـ مبادرات صدام الأخرى والهجوم على (الإمبرياليين)

كثرت مبادرات صدام وخطاباته ولقاءاته الصحفيةهذا الشهر بصورة ملفتة للنظر. ومن المناسبات التي (اكتشفها) واستغلها، المولد النبوي الشريف الذي احتفل به العراق لأول مرة منذ اغتصاب حزب البعث للسلطة عام ١٩٦٨. ولا يخفى على أحد سبب ذلك وهو جمع أكبر عدد ممكن من المؤيدين وراءه. إذ قال في خطابه بهذه المناسبة: «إن قبر الرسول يناديكم لتحريره من قبضة الكفار واليهود».

كما وجه صدام (رسالة) في هذا الشهر إلى الشعب العراقي، والعرب والمؤمنين والمسلمين في كل مكان، دعاهم إلى الجهاد والنضال ضدّ الوجود الكافر في نجد والحجاز. كما قال: «إن الشعب العراقي لن يرضخ للحصار وإنه سينتصر ويهزم الأشرار». وقال: «إنه إذا عرفنا أن عدد (المتطوعين) من العراقيين فقط قد بلغ ٥ ملايين، عدا (النشامى) في القوات المسلحة الذين يزيد عددهم على المليون مقاتل، فإن هذا العدد يحتاج من (الغزاة) أن يحشدوا ضعفه (أي ١٢ مليون) حتى يستطيعوا مهاجمته».

كما وجّه صدام أيضا خطاباً مطولا (للماجدات العراقيات) ونصحهم فيه «بالاقتصاد، وعدم الإفراط في إعطاء الحلوى لأولادهم، ومساندة الرجل المقاتل في سبيل هزيمة الإمبريالية».

وكان من ضمن التصريحات التي أطلقها العراق في هذا الشهر تلك التي هاجم فيها الاتحاد السوفيتي، واتهمه بأنه تخلى عن مواقفه كدولة عظمى، وأصبح دولة تابعة لأمريكا تديره حسبما تشاء. كما خصّ بالهجوم وزير خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك السيد ادوارد شيفردنادزة الذي وصف مواقفه بأنها معادية للعرب، واتهمه بأنه «يتحدث بلهجة تفوح منها الرشوة التي قدمتها أمريكا وحلفاؤها من شيوخ البترول».

وفي محاولة يائسة لشق صفوف دول العالم التي وقفت ضدّ العدوان، عرض صدام في منتصف شهر سبتمبر على دول العالم الثالث تزويدها بالنفط مجانًا بشرط أن

تتولى تلك تدبير الناقلات التي ستقوم بنقل النفط. وقد قوبل ذلك العرض بالاستهزاء وعـدم أخذه مأخذ الجد، نظرا لمعرفة العراق قبل غيره بعدم إمكانية إختراق خطوط الحصار البحري المفروض عليه.

أمـا من النـاحية العسكرية فقد استمر العراق في عنجهيته. إذ صرح ناطق عسكري عراقي ردًا على تصريحات رئيس أركان السلاح الجوي الأمريكي والذي قال فيه أن سلاح الجو الأمريكي سيقوم في حالة نشوب الحرب بضرب أهداف حيوية معيّنة في العـراق «بـأن سماء العراق وأهداف العراق الحيوية محمّية بسواعد صقور العراق النشامى وقدرتهم الفائقة التي نالت إعجاب واحترام العالم. وقال أن هذه التصريحات لن تهز سعف نخيل العراق ولن توقظ طفلة من نومها. . .».

وفي يوم ٣٠ سبتمبر أكدّ الناطق بلسان وزارة الدفاع الأمريكية بأن العراق يواصل إرسال تعزيزاته إلى الكويت على الحدود السعودية حيث بلغ حجم قواته ٤٢٠ر٠٠٠ رجل مجهّزين بـ ٣ر٥٠٠ دبابة، و٢ر٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة، و١,٧٠٠ قطعة مدفعية. كما أكد المجلس الوطني العراقي في نفس اليوم أن (استضافة) الأجانب (أي الاستمرار في حجزهم كرهائن) في العراق سيؤدي إلى إبعاد شبح الحرب والعدوان العسكري.

٣) تطورات الموقف في الداخل

ـ تأقلم الناس مع الوضع الجديد من الناحية المعيشية

استمر الوضع في التدهور يومًا بعد يوم بعد مرور شهر على الغزو، مما زاد الفزع والرعب بين الناس. وتميزت الفترة من أواخر أغسطس إلى منتصف سبتمبر بنزوح عدد كبير من المواطنين، وكذلك الأجانب، مما أثرّ على الوضع الأمني والنفسي في البلاد، خاصـة وأن الغزاة كانوا يشجعون ذلك. وقد اتضح ذلك من تصرفاتهم تجاه بعض الجنسيات غير العربية كالباكستانيين وغيرهم، وكذلك بعض العرب من الدول التي وقفت ضدّ العراق. إذ كانت معاملتهم لهؤلاء غير إنسانية وتتصف بالخشونة والقسوة، وقد اضطرت أعداد كبيرة من الخدم والعمالة الفنية الأجنبية للسفر وترك وظائفها خوفا

من بطش الجيش العراقي. وكانت نتيجة هذا النزوح حدوث نقص كبير في الخدمات المختلفة سواء أكان ذلك داخل المنازل أم خارجها، مما أدّى إلى قيام معظم الأهالي بالأعمال التي كان يقوم بها الخدم، كالكنس وري الزراعة ونقل القمامة والإصلاحات المختلفة داخل البيوت، بالإضافة إلى التنقل من سوق لآخر لشراء ما يلزم من مواد غذائية وغيرها من مستلزمات. كما بدأت الطوابير تكثر وتطول في تلك الفترة أمام المخابز والجمعيات التعاونية وأماكن صرف الغاز والتموين. ومن الأمور التي لفتت انتباه كثير من الجمعيات التعاونية كثرة المواطنين الذين لم تكن أسماؤهم مسجلة بسجلّات التموين قبل الغزو، أو لم يكونوا في السابق يأخذون حصصهم، بالرغم من وجود أسمائهم في السجلات. وقد أدّى ذلك إلى حدوث كثير من الإرباك والازدحام في البداية بسبب زيادة عدد المواطنين الراغبين في أخذ المواد التموينية، وعدم توفر الامكانيات الكافية لدى كثير من الجمعيات لمواجهة ذلك. لكن تفهم المواطنين وتعاونهم، وتطوّع الشباب الذين قاموا بتنظيم عملية التسجيل والتوزيع والتوصيل، أدّى إلى سير العملية بصورة محكمة خدمت المواطنين بكفاءة وجعلت العملية تمر دون لفت انتباه المحتلين في معظم الأحيان.

هذا، وقد بدأت تبرز ظاهرة جديدة في هذه الفترة وهي تكوين البسطات أو الأسواق الشعبية في كثير من المناطق والساحات. إذ كان العراقيون في البداية يأتون بالبضائع والمواد الغذائية من العراق، ويعرضونها في الساحات. وقد تبعهم الفلسطينيون وغيرهم من الجنسيات ثم دخل بعض الكويتيين هذا المجال لحاجة البعض منهم للدخل. وبدأت هذه الظاهرة في دوار مستشفى العظام والشويخ، ثم امتدت إلى حولي والسالمية وميدان حولي ثم غزت معظم المناطق السكنية الكويتية. وكان يباع في هذه الأسواق كل ما يخطر على البال من بضائع، ابتداءً من الخضراوات والفواكه والمعلبات والمواد الغذائية الأخرى، إلى الطيور والأغنام والملابس وأدوات المنزل وما شابه ذلك. وكان من مساوىء تلك الأسواق انتشار القمامة والأوساخ والأتربة وتلوّث الجو بصورة لم يسبق لها مثيل في الكويت، كما انتشرت على أثرها الحشرات الغريبة وأنواع الذباب الذي لم نعرفه في الكويت من قبل. فكان منه الصغير والكبير والملون والأسود الذي غزا المنازل بصورة مكثفة ومزعجة خاصة في وقت شحّت فيه المبيدات، بينما كانت حرارة الجو تساعد على تكاثر هذه الأنواع. وكان من مساوىء تلك الأسواق

استغلال البائعين من بعض الجنسيات للناس وذلك برفع أسعار البضائع بصورة كبيرة نظرا لحاجة الناس لها واضطرارهم لشرائها. كما أن هؤلاء كانوا يذهبون مع أولادهم للجمعيات التعاونية، ويشترون البضائع بأسعار متدنيه، وحسب ما تخصصه الجمعيات التعاونية لكل فرد بالأسرة من مواد، منتهزين ظاهرة العدد الكبير لأسرهم، ثم يعودون لعرض هذه البضائع بالأسواق والبسطات بأسعار مضاعفة. وكان هؤلاء يشترون كميات كبيرة من الحليب وغيرها من البضائع التي كانت تبيعها بعض المصانع المحلية على المواطنين، بأسعار مخفضة وحسب عدد أفراد العائلة، ليعاودوا بيعها بأسعار خيالية، وصلت في بعض الأحيان إلى ٣٠ ضعفًا أو أكثر. وقد استغل هؤلاء اضطرار المصانع لبيع منتجاتها بالدينار العراقي بنفس سعر الدينار الكويتي مما يعني تخفيض السعر إلى العشر أو أقل. وكانت سلطات العدو في تلك الفترة تُنزل أشد العقوبات على الشركات التي لا تقبل البيع بالدينار العراقي على أساس مساواته بالدينار الكويتي. وقد جنى أولئك المستغلون أرباحًا فاحشة من استغلال تلك الظروف. فعلى سبيل المثال كان كرتون الحليب الذي يتم شراؤه من الشركة بدينارين عراقيين يباع في البسطات بـ ٢٥ دينارًا عراقيًا، وكرتون البسكويت الذي يبيعه المصنع بـ ١٣ دينارًا عراقيًا، يباع بالبسطات بـ ٢٨٨ دينارًا عراقيًا، وعلبة صابون التعاون التي تباع بالجمعيات التعاونية بدينارين عراقيين تباع بالبسطات بـ ١٥ دينارًا عراقيًا وعلبة الحفّاضات الصغيرة التي تباع بالجمعيات بدينارين عراقيين تباع بالبسطات بـ ٣٥ دينارًا عراقيًا، وعلبة الحفّاضات الكبيرة التي تباع بالجمعيات بـ ٧ دنانير عراقية تباع بالبسطات بـ ٩٠ دينارًا عراقيًا. وكان المواطنون هم الضحية لهؤلاء المستغلين الذين كانوا بعيدين عن مشاعر الناس ولا يهمّهم إلاّ جمع الأموال، والثراء السريع على حساب الآخرين. ولم يكن هناك بالطبع من يردعهم أو يحاسبهم، إذ كانت سلطات العدو تصب كل حقدها وانتقامها أساسًا على المواطنين الكويتيين ومن تجده يتعاطف معهم أو يحاول التخفيف من معاناتهم.

ـ أساليب العصيان المدني ومعاناة الصامدين

كان للتشاور والتنسيق بين الدواوين والأحياء السكنية والمناطق المختلفة دور

كبير في الثبات على المواقف المبدئية وشدّ أزر المواطنين بعضهم ببعض. وكان ذلك واضحًا من خلال كثير من المواقف التي شكلّت بمجملها ركائز العصيان المدني ضدّ المعتدين. وكانت هناك أمور مبدئية كان الجميع متفق عليها بصورة قاطعة وغير قابلة للتغيير أو النقاش، بينما هناك أمور أخرى تُرك أمر تنفيذها للظروف التي يمرّ بها المواطن وحسب مصلحته واجتهاده وما تتطلبه منه المواقف في كل حالة. وكمثال على الأمور التي لا تقبل النقاش الذهاب للعمل (فيما عدا الحالات التي تتطلب تواجد المواطن في مكان عمله كالطبيب في المستشفى ورجال الإطفاء وموظفي الأقسام الهامة والحساسة في أماكن توليد الكهرباء والماء والتلفون، والنشاطات التي تهم مصلحة المواطن عموما). كذلك كان من الأمور المبدئية عدم إدخال الطلبة إلى المدارس، وعدم ذهاب المدرسين للعمل مهما كانت الظروف. وكان الاتفاق بين المواطنين يشمل عدم إعطاء المعتدي أي معلومات تتعلق بأسماء وعناوين أي شخص أو منزل أو شارع يسأل عنه العدو، مما أدى إلى وضعه في مأزق كبير خاصة عند محاولته معرفة المناطق السكنية التي يعيش فيها الكويتيون عن كثب. كما كان من الأمور المهمة التي اتفق عليها الجميع عدم تبديل الهوية الكويتية بهوية عراقية مهما كان الثمن، حتى ولو أدى ذلك إلى ترحيل المواطنين قسرًا إلى خارج الحدود.

أما الأمور التي تُركت لاجتهادات وظروف المواطنين فكان من بينها تبديل أرقام السيارات، إنجاز معاملات إقامات الخدم، سحب الأموال من الحسابات بالبنوك، تقديم الشكاوى للمخافر ضدّ اللصوص والمجرمين (مع أن كثيرًا من اللصوص كانوا يقومون بعملهم بالتنسيق والتعاون مع كبار مسؤولي هذه المخافر)، بالإضافة إلى رشوة أزلام النظام إن كان الأمر يؤدي إلى مصلحة للمواطنين كإطلاق سراح المحجوزين مثلا، أو التخلّص من بعض المواقف أو الحالات التي يتطلب فيها اتقاء شرّ شراذم النظام المعتدي.

هذا وقد بدأت معاناة كثير من الصامدين في هذا الشهر من الناحية المادية. إذ توقّف مصدر الرزق لأعداد كبيرة منهم نتيجة لإصرارهم على عدم فتح محلاتهم وعدم الذهاب لوظائفهم. وقد اضطر كثير منهم إلى بيع بعض من الأثاث والمقتنيات. فصار

من لديه أكثر من جهاز تلفزيون أو فيديو يكتفي بواحد ويبيع الباقي ليسدّ رمقه ويعيش مع أهله عيشة كريمة دون الحاجة لمساعدة الغير. كما باع البعض الآخر جزءًا من أثاثه المنزلي بينما استغنى آخرون عن إحدى سياراتهم ببيعها والاحتفاظ بثمنها لوقت الحاجة. كما قرّر بعض أصحاب الدكاكين الصغيرة بيع كل ما في محلاتهم من بضائع بأي ثمن للعيش من ورائها وتلافي سرقتها من قبل جيش اللصوص. وكانت المبالغ التي تدفع مقابل هذه الأشياء متدنية، ولاتقارن بالثمن الحقيقي لها، لكن الحاجة هي التي اضطرت من انقطع مصدر رزقه إلى بيع هذه الممتلكات للعيش بقيمتها عيشة كريمة. هذا وقد اكتشف كثير من الناس فيما بعد أن معظم الدنانير التي استلموها مقابل بيع تلك الممتلكات كانت من الأرقام التي أعلنت الحكومة عن إلغائها فيما بعد.

أما من لم يرغب ببيع بعض مقتنياته التي لا يحتاج إليها فقد اضطر لإخفائها في بعض الأماكن الأمينة. وقد قام الكثير من الناس بإخفاء سياراتهم الجديدة بعد رفع عجلاتها في مخابيء وأماكن منزوية واستعمال سياراتهم القديمة أو غير المرغوبة من قبل العراقيين الذين كانوا يركّزون على السيارات اليابانية والألمانية. كما قام بعض مالكي سيارات المرسيدس الجديدة في بعض المناطق بإخفاء سياراتهم فوق السطوح إذ قيل أن البعض استأجر فعلاً رافعات قامت بنقل سياراتهم فوق السطوح بعيداً عن أعين جيش اللصوص وأزلام النظام ورسله، الذين كانوا يجوبون الشوارع لرصد السيارات المرغوبة لرؤسائهم، تمهيداً للاستيلاء عليها.

ومن الأمور التي شهدها هذا الشهر رواج تجارة العملة. حيث ازداد الطلب على العملات الأجنبية، خاصة بين المغادرين من مختلف الجنسيات، وذلك لعدم وضوح القيمة الحقيقية للدينار الكويتي، ورغبة المسافرين في استبداله بالدولار أو بعملات بلدانهم. وقد وصلت قيمة الدينار إلى دولارين ثم هبط إلى دولار واحد. كما أن الدينار الأردني عادلت قيمته قيمة الدينار الكويتي أو زادت عليه، أما التومان الإيراني فقد ارتفع سعر الألف تومان من دينارين تقريباً قبل العدوان إلى حوالي ١٢ دينار للألف تومان.

هذا، وقد استمر ابتزاز جنود العدو وضبّاطه للناس، فقد أخذوا يعتقلون المواطنين ـ وخاصة الشباب منهم ـ بدون سبب ثم يطلبون ما يدور في مخيلتهم من أشياء مقابل

إطلاق سراحهم. وكان صغار الضباط يكتفون بطلب جهاز تلفزيون أو فيديو. وقد أصبح الفيديو في هذه الفترة كلمة سحرية. إذ يبدو أن الرفاق والأشاوس لم يحلموا قط باقتناء هذا الجهاز في بلدهم من قبل. لذلك أصبح الفيديو (مفتاحًا مهمًا) لحل كثير من المشاكل كإطلاق سراح بعض المعتقلين وحل بعض المشاكل المستعصية التي تتطلب (وساطة) المتنفذين من الرفاق وما إلى ذلك. وقد استغرقت الفترة الذهبية للفيديو عدّة أسابيع إلى أن تشبّع الرفاق منها، فأخذوا ينظرون إلى أشياء (أدسم). إذ أخذ بعضهم يطلب سيارة (تويوتا) مقابل إطلاق سراح (الولد) أو مبلغ ١٠,٠٠٠ دينار عراقي للمحامي أو في بعض الأحيان (المحامية) التي «تستطيع إخراج المتهم من ورطته كالشعرة من العجين». وقد استمرّت هذه (التجارة) في الازدهار إلى نهاية فترة الغزو تقريبا، فيما ارتفعت تكلفة إطلاق سراح المحتجزين في الأشهر الأخيرة للاحتلال فبلغت في بعض الأحيان ٢٠,٠٠٠ دينار عراقي للشخص. وقد لعب بعض التجار والجمعيات التعاونية دورا كبيرًا في إطلاق سراح كثير من المواطنين من خلال تقديم الأموال الطائلة للسلطات العراقية بالإضافة إلى (الهدايا) الثمينة التي شملت جميع أنواع الأجهزة الألكترونية والساعات والأقلام.

ـ استفزاز المواطنين

لقد كان واضحًا من تصرفات العراقيين ـ سواء في تعاملهم مع المواطنين أو في طريقة إدارتهم لشؤون البلد والممتلكات العامة ـ أنهم لم يأتوا إلاّ للتخريب والنهب. ولم يكن أي منهم يعتقد أو يصدّق أن الكويت ستبقى تحت سيطرة العراق، وأن هناك ثورة محلية طلبت مساعدة العراق أو أن الوحدة الاندماجية المزعومة ستدوم. بل إنهم جميعا كانوا على علم بالحقيقة وهي أن العراق قام بهذا العدوان بهدف النهب والتخريب، وأن السلطة أطلقت أيديهم لعمل كل ما يستطيعون لتحقيق هذا الهدف. وكان هذا واضحًا من تصرف كل فرد منهم تقريبًا. إذ لم يكلف أحد منهم نفسه بكسب ود الكويتيين أو طلب قربهم، بل كان جُل همّهم السلب والنهب وفرض سيطرتهم على الناس وإهانتهم واستفزازهم، والحطّ من كرامتهم تحت تهديد السلاح، وإجبارهم على الخضوع والخنوع الذي أصبح من صفات المواطن في بلدهم. ولكن رغم كل هذه

الضغوط الرهيبة التي مارسها هؤلاء المتسلطون العتاة فإن التاريخ سيسجّل للكويتيين وقفتهم الشجاعة التي عصفت بالأحلام المريضة لهؤلاء وجعلتها تتطاير كالرماد في مهبّ الريح. وإن من حق كل من ينتمي إلى هذه الأرض أن يفخر بالوقفة الشجاعة التي وقفها هذا الشعب بكل فئاته، فقد وقف كالطود الشامخ متحديًا ذلك النظام الدّموي، رغم التضحيات الجسيمة التي قدّمها بالرّغم من صغر حجمه وقلة عدده. فيكفي أن نعرف أن عدد العراقيين الذين تواجدوا على أرض الكويت في تلك الفترة وصل إلى أكثر من نصف مليون شخص بين جندي وجاسوس ورجل أمن وإرهابي. بينما كان عدد الكويتيين في الداخل لا يتجاوز مائتي ألف بين رجل وطفل وامرأة. أي أن عدد العراقيين فاق عدد الكويتيين ضعفين ونصف. أما إذا أخذنا بالاعتبار عدد النساء والأطفال والشيوخ من المرابطين الكويتيين وافترضنا أن عددهم يبلغ الثلثين أي حوالي ١٤٠,٠٠٠ نسمة، فإن ذلك يعني أن كل رجل كويتي أعزل كان يقابله سبعة جنود عراقيين مدربين ومسلّحين يحيطون به من كل جانب ويتربصون به الدوائر. وهذا ما يبيّن أن عناية الله أوّلا، وصمود هذا الشعب ثانيًا كانا هما الركيزتين الأساسيتين اللّتين حفظتا هذا الشعب من انتقام هذا الطاغية وجلاوزته وإفشال مخططاته ضد كل فرد من هذا الشعب الصامد، الذي وقف حجر عثرة في طريق تحقيق أحلام المعتدي، ورد كيده وكيد جيشه إلى نحره، وجعلهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة خاسئين مدحورين.

ـ مسلسل السرقات

استمر مسلسل السلب والنهب من قبل الغزاة ـ سواء أكان على مستوى الفرد أم الدولة على أشدّه في شهر سبتمبر. وكان من الملاحظ أن استيلاء السلطات العراقية على الأجهزة والمعدات والبضائع والممتلكات المختلفة، يتمّ بشكل منظّم ودقيق، يوحي بأن هناك أجهزة محكمة التنظيم وجهات متخصصة (بفنون) السرقة، تقوم بترتيب العملية بصورة (مهنّية) متقنة، ابتداءً من الخطوة الأولى من المهمة، وهي (الرّصد)، إلى الخطوة الأخيرة، وهي (التسليم) في المحطة المطلوبة، وهي الموقع المحدد لإيصال تلك المسروقات إليه في العراق.

وقد استمرّ موظفو النظام العراقي المتخصصون بالهجوم على المؤسسات الحكومية والوزارات والممتلكات العامة، بصورة ملفتة للانتباه لم تنقطع ولو للحظة، وأخذوا بنهب كل ما كان أمامهم من أشياء. فقد تمّ نهب أجهزة معظم المستشفيات والمستوصفات والمدارس في المناطق المختلفة، بالإضافة إلى محتويات المعاهد والمكتبات وجامعة الكويت ومعهد الأبحاث العلمية والمتحف والمصافي ومصانع البتروكيماويات. وقد شمل ذلك كل ما كان يصادفهم من أشياء. إذ لم تسلم من أيديهم كذلك مقاعد التلاميذ في المدارس، وأسرّة المستشفيات وأثاث المستوصفات. وقد شوهد الكثير من المدارس والمستوصفات وقد تمتّ سرقة كل ما كانت تحويه من أثاث وأجهزة، وشمل كذلك في كثير من الأحيان وحدات التكييف ومصابيح الإنارة والسبورات والدفاتر. كما استمرت تلك السلطات بسرقة الباصات وسيارات نقل القمامة وسيارات الاطفاء والناقلات الكبيرة والحاويات والرافعات الشوكية الضخمة المتواجدة في الموانيء المختلفة. ولم تتوقف الشاحنات الضخمة من نقل الآف بل ملايين الأطنان من الحديد بأنواعه والآف الأمتار من الأنابيب الاسمنتية ذات الحجم الكبير التي تستخدم للمجاري وتوصيل المياه إلى العراق بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من ربطات الكابلات، التي نُهبت من مخازن وزارة المواصلات بالشويخ والتي استمروا في نقلها من هناك لمدة أسبوعين متتاليين وخلال أربع وعشرين ساعة في اليوم تقريباً. وكانت تلك الناقلات تشحن الكبريت والأسمدة الكيماوية والمواد العازلة وغيرها من أنواع البضائع ليل نهار. وقد قدّر عدد الناقلات المتوجّهة إلى العراق وهي مملوءة بالبضائع والمنتجات المسروقة بحوالي ١,٠٠٠ إلى ١,٢٠٠ ناقلة كبيرة يوميا. وكانت تخرج من الشويخ والريّ والعارضية وصبحان والأحمدي والفحيحيل والشعيبة وميناء عبد الله، متجهة إلى طريق الجهراء أو الطريق الدائري السادس أو الطريق الدائري السابع ومن ثمّ إلى طريق المطلاع. هذا، وقد شاهد كثير من المواطنين باصات شركة النقل العام وهي تجوب شوارع المدن العراقية من البصرة إلى بغداد في تلك الفترة. كما شاهدوا سيارات نقل القمامة الكويتية وهي تنقل القمامة من شوارع البصرة، بينما أفاد بعض المواطنين أنهم شاهدوا قوارب السياحة الكويتية وهي تمخر مياه نهر دجلة والفرات بعد أن استولى عليها (الرفاق).

اما بالنسبة للمحلات التجارية فقد كان لديهم لجان متخصصة لكل نوع من السلع ولكل قطاع تجاري. كما كان لديهم (خبراء) متخصصون بالسرقة يقومون بتنظيم العملية بصورة تكاد تصل إلى أعلى مستوى من الإدارة الحديثة والتنظيم. ومن بين اللجان التي عملت بصورة نشطة لجنة تسمى (لجنة الأسواق) وأخرى تسمى (لجنة المواد الغذائية) و (لجنة المواد التجميلية والكماليات) و (لجنة المواد الإنشائية). وكان لكل لجنة رموز وأرقام معينة، يتم كتابتها على كل مخزن، بعد أن يتم كسره ومعرفة محتوياته وجرد ما فيه من مواد، ليتم فيما بعد إعطاء الأوامر إلى الجهات المتخصصة بنقل كل بضاعة إلى المكان المحدد لها في العراق. وكانوا إذا جاء صاحب المحل يخبرونه بأن لديهم أوامر لنقل تلك البضائع (للحفاظ عليها) بالعراق حيث سيتم دفع قيمتها له في وقت لاحق. ولم يكن لدى تلك السلطات مانع ـ في معظم الأحيان ـ من تسليم (فاتورة) لصاحب المحل تبيّن تفاصيل البضاعة (المشتراه). وكان وزير التجارة علي مهدي صالح في بعض الفترات يشرف بنفسه على فتح المخازن بالأوكسجين. وكان أثناء نفس الفترة يمرّ على مخازن بعض التجار دون أدنى حياء أو خجل ويخبرهم بأن حكومته تقوم (بشراء) تلك البضائع لإعادة توزيعها على المواطنين بالبطاقة التموينية. وقد أخبر ذلك الوزير أحد التجار، بأن البطاقة التموينية (السابقة) للمواطنين بالمحافظة التاسعة عشرة (ناقصة) إذ أن هناك موادًا أخرى ستقوم الحكومة العراقية بإضافتها لتلك البطاقة من بينها (معجون الأسنان وشفرات الحلاقة). . . . وكانت هذه المواد من ضمن السلع التي أشرف ذلك الوزير بنفسه على سرقتها ونقلها للعراق من المخازن التابعة لنفس التاجر. كما أن ذلك (الوزير) لم يخجل من أن يبيّن للتاجر دهشته من كميّات البضائع الموجودة في تلك المخازن وتنوعّها، حين قال له: «إنه لم ير مثل تلك المخازن من قبل، وهي تعتبر كنز لأن بها كل شيء».

وكان من الأمور التي قامت بها تلك اللجان في المراحل الأولى من الغزو منع الموظفين أو الأقارب من بيع أي مواد من المتاجر أو المخازن التي سافر أصحابها. وقد قامت سلطات الاحتلال في مرحلة لاحقة بمصادرة كل ما كان فيها من بضائع ونقلها إلى العراق. وقد شملت تلك البضائع ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الألبسة والأثاث

والسجاد والأدوية بأنواعها، والمواد الغذائية المختلفة، والمياه المعدنية، والمواد الزراعية، والأعلاف والأبقار، وقطع الغيار المختلفة، والأجهزة الإلكترونية، والمواد الخام التابعة للمصانع، وأنواع المنتجات الصناعية، وكل ما يخطر على البال. وقد تمّ سرقة ٧٣٠ حاويه من تاجر واحد فقط تمّ نقلها إلى العراق في ظرف ٢٣ يومًا. كما قامت شاحناتهم ولمدة أسبوع كامل بنقل ما كان بأحد المخازن من سجاد. وقد أصبحت كثير من المخازن في بعض المناطق، كالشويخ والصليبية والدوحة وصبحان قاعًا صفصفا. وكانت تلك المواد التي تقدر قيمتها بمئات الملايين من الدنانير تابعة لتجار من القطاع الخاص. أما ما تم نهبه من القطاع الحكومي فيقدر بالمليارات.

أما بالنسبة للمنازل وممتلكات المواطنين العاديين فقد كثر عدد (النهّابة) الذين غزوا الشقق والفيلات التي سافر أصحابها، وذلك بعد أن أكمل هؤلاء سرقة المعارض والدكاكين، وكثير من المخازن في المناطق المختلفة. وكانت مئات اللوريات تنقل أثاث تلك البيوت والشقق يوميًا إلى العراق والأردن بعد أن تأخذ (إذنًا) من وزارة التجارة. وكان الجنود وبعض المقيمين يجوبون شوارع المناطق المختلفة سواء أكان بالسيارات أم مشيًا على الأقدام ويطرقون الأبواب للتأكد من خلو الشقق والبيوت من أصحابها. فإذا كان البيت خاليًا كانوا يضعون عليه علامة مميزة تمهيدًا (لزيارته) ليلًا بعد تجهيز سيارة النقل الكبيرة المستأجرة مع عمالها السودانيين الذين كانوا يشاهدون بالمئات وهم يحيطون بهذه السيارات عند أماكن وقوفها بالشويخ. أما إذا صادف وإن كان المنزل مسكونًا، فإن الطارق كان يزعم بأنه يريد ماء ليشرب، أو أنه يبحث عن بيت صديق. وكان الناس عمومًا لا يعطون أي معلومات لأي أجنبي يأتي المنطقة ليسأل عن شخص ما أو عنوان معين.

كذلك انتشرت في تلك الفترة ظاهرة قدوم مجموعة من الجنود والضباط الى البيوت زاعمين بأن المنزل مشبوه ومطلوب تفتيشه. وعند دخولهم المنزل يقومون بتقييد أهله وتهديدهم بالقتل إن لم يسلّموهم المصوغات والنقود. كما كان من ضمن الأساليب التي اتبعوها، اختيار أصغر طفل بالعائلة وضربه بقسوة أمام أهله أو التهديد بقتله إن لم يتمّ تسليمهم الذهب والنقود. وكانوا إذا أتموا العملية يدُخلون أصحاب المنزل إلى

الحمّام أو إحدى الغرف الداخلية ويتم قفلها عليهم قبل أن يفر هؤلاء (الجنود اللصوص) بسرقاتهم. وكانوا دائما يتركون أحدهم خارج المنزل أثناء العملية ليراقب الوضع بالشارع. وقد حدثت مئات الحوادث من هذا النوع مما أدى إلى انتشار الرعب في تلك الفترة في كل المناطق تقريبا، وخاصة منطقة الرميثية وبيان ومشرف والجابرية وضاحية صباح السالم والقرين.

كما ابتدع العدو طريقة أخرى لمعرفة البيوت الخالية تمهيدًا لنهبها من قبل الضباط (الكبار) الذين كانوا ينتقون البيوت والفلل الفخمة (لاقتناء) موجوداتها. فقد بدأوا بتوزيع ما سُمي باستمارة التموين «بهدف توزيع المواد الغذائية على المواطنين بالمحافظة التاسعة عشرة». وكان لهذه الاستمارة عدة أهداف، من بينها جمع المعلومات لمعرفة اسم صاحب المنزل ووظيفته وعدد ساكني المنزل. كما كان الهدف منها أيضا معرفة أسماء العسكريين، وكذلك تحديد البيوت الخالية، تمهيدًا لنهب ما فيها من أثاث. وكانت هناك طريقة أخرى لمعرفة خلو البيوت من أصحابها، وهي الاتصال بها عن طريق الهاتف. فإذا لم يُجب الهاتف لعدة أيام متتالية كان ذلك يعني خلو المنزل من أهله. وقد استفاد أولئك اللصوص من دليل الهاتف القديم الذي كان يبيّن عنوان السكن لكل مشترك. وقد وقعت أحداث كثيرة ومريعة ذهبت بممتلكات الناس، بل وبأرواح كثير من الأبرياء، الذين لم يقترفوا أي ذنب سوى كونهم يمتلكون سيارات فخمة أوفيلات حديثة. وقد جرّب بعض المواطنين الذهاب للمخافر لتقديم شكوى وتسجيل حوادث السرقة لدى هذه المخافر. إلّا أنهم عرفوا فيما بعد أن (حاميها حراميها). إذ أن الرؤوس الكبيرة بالمخافر كانت هي التي تدبّر وتخطط لعمليات السرقة، وتختار البيوت المرغوبة تمهيدًا لمداهمتها والسطو على كل ما تحتويه. ومن الوقائع المأساوية التي شهدها بعض المواطنين الذين صادف وجودهم في أحد المخافر، أن جنديًا كان موقوفا في المخفر ذلك اليوم لسرقته بعض المقتنيات من أحد المنازل، حيث تمّ القبض عليه وأخذ المسروقات منه وإيداعها في إحدى غرف المخفر. وأثناء جلوس المواطن في صالة الانتظار قرب هذا الجندي الموقوف، دخل أحد الضباط وشاهد الجندي الموقوف فسأل الحارس عن قضيته فأخبره الحارس بأنه سارق. فأخذ الضابط يركله برجله ويضربه على وجهه ويؤنبّه. وبعد ذلك سأل عن مكان إيداع المسروقات

وتوجه إليها حيث انتقى منها ما طاب له وما نال إعجابه وترل البقية. وبعد حوالي ربع ساعة جاء ضابط آخر وحدثت نفس القصة. حيث سأل عن سبب توقيف الجندي، ثم ركله برجله وضربه ثم سأل عن المسروقات واستولى على ما تبقىّ منها. وكان من المعروف لدى الجميع أنه عندما يتم التبليغ عن السرقات، ويتمّ القبض على السارق، وتُصادر المسروقات فإنها تكون من نصيب (مسؤولي) المخفر. أما صاحب الأموال المسروقة فإن من حقه فقط التمتّع بمشاهدة ضرب أو تعذيب (اللص الصغير) الذي تجرأ وسبق أسياده (بسرقة أموال المواطنين).

ومن الأمور التي لاحظها كثير من المواطنين أن نزاعات كبيرة كانت تنشب في بعض الأحيان بين بعض الضباط عند حدوث السرقات، أو أثناء معالجة المشاكل الخاصة بنهب المنازل، وذلك عندما يذهب المواطنون لتقديم الشكاوى الخاصة بذلك للمخفر. وكان يتطور الوضع فيما بين الضباط في بعض الأحيان إلى مستوى تبادل الشتائم أو عبارات التهديد. وقد تبيّن فيما بعد أن سبب ذلك يعود إلى الخلاف بين الجانبين بشأن (أحقيّة) أي طرف منهمافي الاستيلاء على (الغنائم) المصادرة من اللصوص. إذ إن هناك ثلاث جهات مختلفة تتصارع فيما بينها للحصول على الغنيمة، وهي الجيش النظامي والجيش الشعبي والاستخبارات العسكرية، وكل منها يحاول من جهته كسب أكبر كمية من الغنائم. ويعتبر التبليغ عن السرقات ضد أزلام الجيش الشعبي مثلا (فرصة) لأزلام الاستخبارات للاستيلاء على المسروقات بعد (تأنيب ومعاقبة) أصحاب صغار الرتب من أفراد الجيش الشعبي.

وعموماً فإن الكلمة المسموعة والأخيرة، كانت دائما للاستخبارات التي لا يتجرأ أحد من الجهات الأخرى على الاعتراض على قرارات أو تصرفات المنتسبين إليها. وكان كثير من ضباط المخافر صريحين في ردهّم على أي شكوى من المواطنين ضدّ أعمال وجرائم هؤلاء. وقد أدّى هذا إلى عزوف كثير من المواطنين عن الشكوى للمخافر ضدّ الأعمال الإجرامية والسرقات التى كان يقوم بها أزلام الاحتلال.

هذا وقد بدأ الناس في تلك الفترة بإخفاء ممتلكاتهم الثمينة كالذهب والدنانير الكويتية والعملات الأجنبية وما شابه ذلك من أموال، في أماكن أمينة لا تصل إليها

أيدي أزلام النظام العراقي. وقد كانت الأسقف (السندرات)، وفتحات أجهزة التكييف، والحفر في الحدائق، ومنهولات المجاري من الأماكن التي أخفى فيها كثير من المواطنين أموالهم ومصوغاتهم. وقد اكتشف العراقيون هذه المخابيء بعد فترة مما جعل المواطنين يفكرون بأماكن (أكثر أمنا وأقل احتمالا للاكتشاف). وقد تفتّقت في مرحلة لاحقة أذهان كثير من الناس على أفكار مبتكرة لإخفاء الأموال عن أعين سلطات السطو. فكان بناء الحوائط على هذه الممتلكات، أو دفنها في الغرف وإعادة تركيب البلاط عليها وتغطيتها بالسجاد من ضمن هذه الأفكار.

ـ انتشار الفساد

تحوّلت البلد بعد مرور شهر على العدوان إلى ساحة يعبث بها الغزاة كيف ما يشاءون. فقد انتشرت أماكن بيع الخمور، وأصبح الكثير من المتاجرين بها يجلبونها من العراق لبيعها في الأسواق والدكاكين وعرضها على المارة من الناس. وأصبح دوّار الصليبخات وشارع عمّان وميدان حولي والسالمية بؤرا للفساد من خلال تفشّي بيع الخمور وانتشار الدعارة. وقد تحولت بعض الشقق والبيوت هناك إلى أماكن مخصصة لممارسة جميع الموبقات والفساد فيما قام البعض بفتح ملهى ليلي في مجمّع الرحاب. وقد بلغت الجرأة في بعض الباعة إلى حدّ عرض كراتين الخمور في البسطات مع بقية البضائع مما جعلهم هدفًا لرجال المقاومة الذين قاموا بتوجيه بعض العمليات ضدّهم وأدخلوا فيهم الرعب، مما أدى إلى تقلص تلك الظاهرة بعد فترة.

ـ القوانين والقرارات الجديدة وقلب الحقائق

دأبت سلطات العدو على إصدار قرارات وقوانين جديدة يوميًا تقريبًا وذلك في محاولة للإيحاء بأن الوضع أصبح مستتبا وأن الأمور تحت السيطرة. وكانت كثير من هذه القوانين غير ذات معنى وليس لها هدف سوى تغيير الوضع الراهن بالبلاد، وإيهام الناس بأن الكويت أصبحت جزءًا من العراق «وأن الرجوع إلى الوراء أصبح شيئًا مستحيلاً».

فقد صدر في هذا الشهر قرار مجلس قيادة الثورة الذي يقضي باستبدال البطاقة المدنية الكويتية بالهوية العراقية. كما بيّن القرار بأنه لن يُعترف بالبطاقة المدنية الكويتية للأغراض الرسمية ابتداء من ١٩٩٠/١١/١. كما دعت (مديرية المرور) المواطنين في (محافظة الكويت) لمراجعتها لاستبدال إجازات السواقة ولوحات تسجيل مركباتهم. وحددت فترة المراجعة بشهر اعتبارا من ١٩٩٠/٩/٢٤. كذلك أعلنت وزارة النفط بأنه تقرّر شمول (محافظة الكويت) بتسعيرة المنتجات النفطية المعتمدة في محافظات العراق الأخرى وأنه سيبدأ تطبيق هذا القرار ابتداء من ١٩٩٠/٩/٢٠. كما صرّح ناطق باسم وزارة الشئون بأن الوزارة ستقوم بتوزيع الرواتب التقاعدية «لأبناء شعبنا ممن كانوا يتقاضون هذه الرواتب قبل ١٩٩٠/٨/٢».

أما (الإنجاز العظيم) لهذا الشهر فهو إعلان وزارة الحكم المحلّي بأنها قد (أنجزت) مع أمانة بغداد مشروع إيصال الماء الصافي من شط العرب إلى قضاء (صدّامية المطلاع بمحافظة البصرة الباسلة) بتكلفة عشرة ملايين دينار. حيث اشتمل المشروع الذي أنجز خلال ٢٥ يومًا على مدّ أنابيب بطول مائة كيلومتر وبقطر ٤٠٠ مليمتر وتشييد ٤٠ خزانًا. «وسيُلبي هذا المشروع احتياجات سكان قضاء صدامية المطلاع بعد أن تمّ عودة الفرع إلى الأصل . . .». وغني عن القول أن كل ماذكر في هذا الإعلان ماهو إلاّ وهم ومحض خيال نسجته مُخيّلة الأجهزة الإعلامية المضلّلة التابعة للنظام، والتي كانت تتفنن في فبركة الأكاذيب وصياغتها بطريقة معيّنة، لإيهام الناس البعيدين عن الساحة بأن العراق لديه المقدرة والكفاءة على إنجاز مثل هذه المشاريع الكبيرة في زمن قياسي وبكفاءة (منقطعة النظير) بالرغم من الظروف الاستثنائية التي يمرّ بها. علمًا بأن ما حصل هو مدّ أنابيب ــ تمّ سرقتها من مخازن وزارة الكهرباء والماء ــ من الخزانات الأرضية لمحطة التحلية بالدوحة إلى بعض المناطق من العراق، والتي كان يتواجد بها الجيش العراقي كالبصرة وغيرها من المدن.

أما وزير الصحة العراقي فقد التقى بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٦ بالأطباء والعاملين في (دائرة صحة محافظة الكويت) وأكّد أن جميع المؤسسات الصحية تقوم بعملها بشكل منتظم وأن الوزارة وفّرت الكوادر الطبية والاختصاصية والوسيطة بالإضافة إلى المواد

الطبية والتجهيزات والأدوية المختلفة في جميع المستشفيات!!! وقد لاحظ الكويتيون أثناء فترة الاحتلال أن كل تصريح يصدر من قبل أي وزير أو مسئول عراقي يعني العكس تمامـا. فالقـول بتجهيز المستشفيات بالمـواد الـطبية والتجهيزات والكـوادر الاختصاصية مثلا كان يعني نهب وسلب كل ماكان في هذه المستشفيات من أجهزة ومواد، وتشريد الأطباء المتخصّصين واستبدالهم برجال الاستخبارات العراقيين الذين ألبسـوا لبـاس الأطبـاء دون أن تكون لديهم أدنى خبرة أو معرفة بأي شيء يتعلق بالطب. إذ كانت مهمتهم في تلك الفترة التجسس على الأطباء الكويتيين ومن يتعاون معهم من الأطباء الشرفاء، بالإضافة إلى معرفة أماكن الأجهزة الطبية الحديثة، ومخازن الأدوية والأدوات الطبية الأخرى ليتمّ نقلها إلى العراق.

وفيما يخصّ النـظافة أفاد (مسئول كبير) في بلدية (محافظة الكويت) في أواخر سبتمبر «بأن منتسبي البلدية يواصلون تنفيذ أعمالهم بشكل استثنائي لتقديم أفضل الخدمات لمواطني المحافظة، وأن الوحدات الخاصّة بالنظافة أنجزت تنظيف ١٧ منطقة في الكويت ويجري حاليًا تنظيف بقية المناطق». وهذه أيضًا من الأكاذيب التي لم تنطل على أحد ممن كانوا متواجدين بالكويت. إذ كانت أكوام القمامة ترتفع يومًا بعد يوم مسببـة الإزعاج والمضايقة للأهالي الذين لولا تعاونهم واندفاع الشباب منهم خاصّة للتخلّص من تلك الأكوام ــ سواء بإزالتها إلى الساحات البعيدة بسياراتهم أم بحرقها ــ لنتـج عنهـا مصـائب وأمـراض لا يعلم نتـائجهـا إلاّ اللّه. أما العراقيون فكان (إنجازهم) هو سرقة كل سيارات نقل القمامة التي وقعت في أيديهم حيث تمّ نقلها إلى بغداد والبصرة وغيرها من المدن العراقية، وتُركت البلد تعاني من الروائح المنبعثة من أكـوام القمامة والحشرات التي كانت تتطاير حولها والحيوانات الضالة، والفئران التي بدأت تتغذّى على هذه الفضلات، مما أدّى إلى تحويل ساحات وشوارع الكويت إلى شبه مجمعات للأوساخ والقاذورات.

ومن التصريحات المماثلة والبعيدة عن الحقيقة التي أطلقها في هذا الشهر علي حسن مجيد لجريدة (النداء) ــ التي أصدرها الغزاة بعد أن نهبوا جميع ما احتوته دور الصحف من آلات طباعة وتجهيزات ومواد خام ــ ما قاله من أن « الأجهزة الإدارية

والخدمية في محافظة الكويت تمارس نشاطها ومهامها بشكل استثنائي لتأمين الخدمات والمستلزمات المعيشية فيها. كما أن دوائر الخدمات تنهض بواجباتها كاملة ومنها دوائر البلدية والكهرباء والهاتف والصحة. وقد تم تعويض العمالة الأجنبية بالعمال العراقيين لتشغيل شركات الخدمات، ومنها سحب المياه الثقيلة وأعمال التنظيف ورفع النفايات وغيرها!!!» وهذ التصريح أو الكذبة الكبيرة مشابهة لما قاله نفس هذا الشخص قبل ذلك بأيام من أن العراق بدأ باستكمال المشاريع غير المنجزة بالكويت والخاصة بالطرق والجسور والمجاري والتمديدات الكهربائية. وما من كويتي رابط بالكويت أيام الاحتلال إلاّ وشاهد في أحد تلك الأيام أزلام النظام العراقي وموظفيه وهم ينهبون الآليات والأجهزة التابعة لهذه المشاريع التي كانت متواجدة في أماكن العمل. وهذا أيضا من الأمثلة التي تؤكد سياسة ذلك النظام بتنفيذ عكس ماكان يصرّح به لأجهزة إعلامه.

أما (دائرة النقل والمواصلات في محافظة الكويت) فقد تقدمت للمواطنين (ببادرة كريمة)، وذلك بإعلانها «أن بريد الجمهورية العراقية سيتلقى بكل ترحاب وبالمجان رسائل وبرقيات الاحتجاج الموجهة إلى كل من بوش وتاتشر لبيان استنكار المواطنين والمقيمين في (المحافظة) لموقف الرئيس الأمريكي ورئيسة الوزراء البريطانية المعادي للعراق العظيم».

ـ تزوير التاريخ

من الصفات المعروفة للنظام البعثي في العراق أنه من أكثر الأنظمة خبرة وممارسة في تزوير الحقائق والتاريخ، وخلق أحداث وتصوّرات ليس لها أساس. وقد استغلّ هذه الخاصية أكبر استغلال عند احتلاله للكويت واخترع كثيراً من الوقائع والقصص للدفاع عن أعماله وتبرير جريمته بالاعتداء على الكويت. فبعد أن لفّق قصة نهب الكويت لنفطه من حقل الرميلة والزحف المبرمج على حدوده الجنوبية وضمّها إلى الكويت (وكأنّ الكويت دولة من القوة بمكان بحيث لا يستطيع العراق الرّد على تجاوزاتها)، والتآمر مع الإمبريالية ضدّ العراق، واختلاقه للثورة الشعبية المزعومة

بالكـويت وطلبها المساعدة منه ــ بعد كل ذلك توجهّ إلى التاريخ البعيد ليزعم أن الكويت كانت جزءًا من محافظة البصرة وقد تمّ انتزاعها من قبل بريطانيا بهدف نهب ثرواتهـا. وقـد صدر كتـاب في أوائـل شهـر سبتمبر ١٩٩٠ بعنوان (الهوية العراقية للكـويت)اشترك في تأليفه ثلاثة من (كبار البحّاثة والمؤرخين العراقيين) أو بالأحرى المزورين العراقيين الذين كانوا وسيبقون عبيدًا لأي متسلط يتسلّم السلطة في بغداد ويأمرهم بالقيام بأي عمل. وهؤلاء هم محمود علي الداود رئيس قسم التاريخ في معهد البحوث والدراسات العربية، ومصطفى عبد القادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب، وعبد الرحمن عبد الكريم العاني رئيس جامعة الأنبار. ويزعم هؤلاء في كتابهم «أن الكويت كانت جزءًا من العراق قبل الإسلام، وفي العهود الإسلامية وخلال العهد العثماني. وقد قامت بريطانيا بفصل الكويت عن العراق. ويضيف هؤلاء بأنه عند تكوين الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ وإعلان استقلال العراق عام ١٩٣٢ كان لابد من حسم مشكلة الحدود العراقية بصورة عامة مع الدول المجاورة لها بغية دخول العراق إلى عصبة الأمم، إذ أن ذلك كان من ضمن شروط الانضمام». ويزعم هؤلاء أن بريطانيا فرضت مسألة الحدود مع الكويت للبتّ فيها، وأوعزت إلى رئيس وزراء العراق آنذاك بالموافقة على الحدود بين البلدين. وقد وافقت حكومة نوري السعيد على ذلك لأنها كانت ترى أن الإسراع لدخول العراق إلى عصبة الأمم كان مكسبًا كبيرًا، يستحق القيام في المقابل بحلّ مسألة الحدود مع الكويت.

وليس هذا مجال لدحض هذه الافتراءات إذ أن الكلام في ذلك يطول. ولكن يكفي أن نشير إلى حقيقة يعرفها الجميع وهي أن الكويت كانت كيانًا مستقلاً منذ ما يقارب من ثلاثمائة سنة في وقت لم يكن للعراق ذاته في ذلك الوقت كيان مستقل، بل كان جزءا من الدولة العثمانية. أما العلاقة التي تربط الكويت بالعراق فهي لاشك علاقـة الجيرة، والتي كان الجانب الكويتي هو الجانب الحريص على استمرارها وديّة بالرغم من التضحيات الكثيرة التي كانت الكويت هي الطرف الوحيد الذي تحمّلها. أما الروابط الأخرى التي تربط الكويت بالعراق فهي اللغة والدين والتي تجمع الكويت أيضا مع جميع الدول العربية ولا يوجد أي رباط مميز آخر بين الكويت والعراق يفوق

روابط الكويت مع بقية الدول العربية. بل إن الكويت بكيانها الجغرافي وتركيبة سكّانها منذ نشأتها تعتبر جزءا من الجزيرة العربية قلبا وقالبًا وشعوراً وانتماءً. أما العراق فقد كان على مدى العصور السالفة سواء قبل الإسلام أم أثناء العصور الإسلامية المختلفة، جزءًا من الإمبراطورية الفارسية أو الدولة الإسلامية. ولم يكن العراق في يوم من الأيام وبحدوده الحالية مستقلا إلاّ بعد هزيمة الدولة العثمانية وأثناء فترة الانتداب البريطاني الذي تلا ذلك. لهذا فإن الادعاء بأن الكويتكانتجزءًا من العراق ما هو إلاّ ذريعة واهية لتبرير العدوان. وقد استغلّ صدام تلك المقولة كما استغلها من قبله الحكام المستبدون للعراق الذين كانوا وعلى الدوام ــ في حالة مواجهتهم لأي مشكلة داخلية ــ يسرعون لصرف أنظار شعبهم بعيدًا عنها بخلق مشاكل وأزمات خارجية.

ـ تصرفات جنود الاحتلال وشعور المواطنين تجاههم

كانت تصرّفات جنود الاحتلال تعكس مزيجًا من الحقد والجهل والرغبة في الاستفادة من الوضع لمصلحتهم الشخصية. وكانت الأغلبية الساحقة منهم على هذه الشاكلة بينما كان هناك عدد قليل ــ لايكاد يذُكر ــ ممن تشعر به بأنه متذمر وغير راض على الوضع. وحتى هؤلاء فلربما كان وراء شعورهم هذا بعض المشاكل الشخصية أو الأمور الخاصّة، أو نتيجة للمعاملة السيئة التي كان يعاملهم بها رؤساؤهم. فقد كان هؤلاء يسُخِّرون مرؤوسيهم كالعبيد لإنجاز ما يريدونه من أعمال ومصالح شخصية لهم ولعائلاتهم. وكان ذلك واضحًا في كثير من الأحيان، إذ كان الجندي يبدو ذليلاً ومنكسرًا أمام الضابط ولا يكاد يرفع رأسه من شدة الخوف والمهانة. وقد كان هؤلاء الجنود الذين تمّ انتشارهم في المناطق المختلفة، وفي نقاط التفتيش يبقون في كثير من الأحيان دون غذاء أو ماء ــ حسب قولهم ــ لمدة يوم أو يومين. وكانوا في بعض الأحيان وخاصّة عندما يفتك بهم الجوع والعطش يحاولون استمالة المواطنين في سبيل الحصول على حاجتهم. أما إذا امتلأت بطونهم فإن معاملتهم للناس تتغيّر (دون سابق إنذار) وتتحول إلى نوع من الغطرسة والتشفي.

أما المواطنون فكانوا لا يُعيرون اهتمامًا لهؤلاء. إذ كان المواطن يمرّ على نقاط التفتيش دون أن يسُلّم على مسئول النقطة ومساعديه. وكان هذا الموقف يثير حنق

العـراقيين فيقـابلون ذلـك بزيادة التفتيش والتدقيق مع المواطن. فبدلا من أن يطلّع الجندي على البطاقة المدنية للمواطن، يطلب منه أيضًا فتح الصندوق الخلفي للسيارة والدرج الأمامي، وربما يُلقي نظرة تحت مقاعد السيارة زيادة في المضايقة. وكانوا في بعض الأحيان يبدون عدم ارتياحهم لذلك علنًا إذ كان بعضهم يسأل الكويتي «وهل السلام بفلوس؟». ولكن معظم الكويتيين استمروا في هذا الموقف النابع من شعورهم البديهي برفض هؤلاء الدخلاء. ومن الأمور التي لاحظها الغزاة أنفسهم أنهم حتى وهم يحاولون مداعبة الأطفال وهم في سيارات أهاليهم عند مرورهم على نقاط التفتيش كان الأطفال لا يتجاوبون معهم وينظرون إليهم نظرة غيظ واحتجاج.

وقد لعبت نقاط التفتيش دورًا كبيرًا في مضايقة المواطنين وإيذائهم. وكان كل ما يقومون به مزاجيًا وحسب أهوائهم، أو حسب الجو المحيط بنقطة التفتيش في تلك اللحظة. وكانوا أحياناً يطيلون في التفتيش دون سبب، كما كانوا يتحدّثون مع بعض أصحاب السيارات المارة عبر النقطة من غير الكويتيين لفترات طويلة دون أي اعتبار أو اهتمام ببقية السيارات المصطفة بالطابور والمنتظرة لدورها للمرور. وكان أي احتجاج من أي مواطن يؤدي إلى مالا يحمد عقباه، إذ أن أي كلمة لا تعجب الجندي أو الضابط المسئول قد تؤدّي إلى توقيف صاحبها لساعات طويلة تحت حرارة الشمس بعد أن يتم حجز سيارته ثم يحوّل للمخفر ليتلقى الإهانات دون ذنب اقترفه.

كما لعب جنـود ومسئولو نقاط التفتيش دورًا كبيرًا في انتقاء السيارات الفاخرة ليستـولي عليهـا ضبـاط الاستخبـارات وغـيرهم من الأزلام. فلم يكن على ضابط الاستخبارات إلاّ أن يختار مواصفات السيارة التي يرغب (باقتنائها) حتى تجد جندي السيطرة مجندًا نفسه لعملية (السطو) لإرضاء رئيسه. وتبدأ هذه العملية باختراع مشكلة ما لصاحب السيارة من قبل الجندي بزعمه مثلاً أنها مطلوبة للمخفر أو مسروقة أو ما شابه ذلك من افتراءات. وعندئذ يتجمّع جنود السيطرة ويقومون بتمثيلية معروفة بينهم يطلبون من خلالها من صاحب السيارة تركها واصطحابهم إلى المخفر. وفي حالة تخّوف صاحب السيارة وتردده للذهاب إلى المخفـر بطلب منه ترك السيارة والانصراف. وكان كثـير من الناس يفضل ترك السيارة وتجنّب أي متاعب والتوجّه لبيته دون خلق أي

مشاكل أو اعتراضات، فهو يعلم سلفا أنه هو الذي سيكون (المذنب) في حالة ذهابه إلى المخفر. لذلك فمن الأفضل التضحية بالسيارة فقط بدلاً من التضحية بالسيارة وصاحبها!!!

وقد حدثت في كثير من الأحيان عمليات الاستيلاء على السيارات دون عناء يذكـر ودون الحـاجة لاختلاق أي مسرحية. فقد كان يكفي أن يدّعي أحد ضباط السيطرة بأن تلك السيارة مصـادرة، ليتمّ إنـزال أصحـابها منها تحت التهديد ويتم تسليمها للضابط الذي يتوجّه بها حيثما يشاء، ليسجّلها باسمه في اليوم التالي ويتمّ إرسالها إلى بلده. وكان جندي السيطرة إذا أراد (مساعدة) أصحاب السيارة المصادرة يطلب من صاحب السيارة التي تليهـا عبر نقـطة التفتيش إيصال أصحاب السيارة المصادرة إلى منزلهم.

ومن الأدوار التي قام بها جنود السيطرات البحث عن البيوت الخالية في المناطق السكنية لسرقة ما فيها من أثاث وغيره. كما كانوا كثيري الطلب للغذاء والماء وكذلك المـلابس. وكـانـوا في الأسابيع الأولى للاحتـلال يطلبـون الدشاديش والغتر وذلك استعـدادا للهـرب. أما في ليالي الشتاء القارس فكانوا يطلبون البطانيات والملابس الدافئة. وكان معظم المواطنين لا يلبون طلبهم ولا يتعاطفون معهم. ولكنهم في بعض الأحيان قد يضطرون لذلك اتقاء لشرهم خاصة بعد أن يكونوا قد تعرفوا على المواطن من خلال تردّده على نقـاط التفتيش. كما كانـوا يطلبون في بعض الأحيان السجاير والساعات والراديوات وغيرها من الأجهزة التي لا يحلمون باقتنائها في بلدهم. وكانوا يخبئونها عن مسئوليهم خوفًا من استيلائهم عليها، كما كانوا يطلبون عدم تقديم هذه الأشياء إليهم أمام الضابط المسئول. ويروي أحد الظرفاء أن أحد جنود السيطرة لاحظ عنده علبتين من السجائر فطلب منه واحدة فقال له المواطن سأعطيك كرتونًا كاملًا من السجائر إذا ما أجبتني على سؤالي، فاستفسر الجندي عن المطلوب، فما كان من المواطن إلا أن سأله متى ستنسحبون؟ فأجابه الجندي «والله إني أشدّ شوقًا منك للانسحاب وأتمنى أن يكون اليوم قبل الغد».

وكان من الملاحظ أن أعدادًا كبيرة من هؤلاء الجنود لم تكن تعرف القراءة والكتابة

مع أن معظمهم كان في سن العشرين. وكان هذا واضحًا من طريقة (قراءتهم) للبطاقة المدنية. حيث كان بعضهم يمسك البطاقة (بالمقلوب) مبينًا نفسه وكأنه يقرأ الاسم، ثم يطلب من المواطن العبور. وكان هذا يذكر الناس بشعارات حزب البعث الجوفاء والتي تعني عكس ماتنـادي به تمامـا، إذ بدلا من أن يقضي هؤلاء الشبـاب وقتهم بالدراسة وطلب العلم وهم بهذا السن، تجدهم مبعثرين كالبهائم تنقلهم حكومتهم (الثـورية) من ثكنة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر في سبيل تحقيق مآربها العدوانية في السيطرة والاستبـداد. هذا وكان عدد كبير من جنود السيطرات يسألون عن الأخبار خاصة في غياب المسئول عنهم، وكان الناس حريصين على عدم إعطائهم أي حجة قد تضعهم في مأزق. لذلك كان جواب الناس في معظم الأحيان يتلخّص في كلمة«ان شاء الله خيرا». وقد صادف في أحد المرات أن أجاب أحد المواطنين على السؤال بأن أمريكا ستدخل الحرب خلال أسبوع. وكان هذا في أواخر شهر سبتمبر، وقد أرعب هذا الخبر الجندي الذي ردّ عليه بقوله «الله يجيرنا». كما صادف في أحد المرات أن راديو أحد السيارات المارة بنقطة التفتيش كان مثبتا على إذاعة الرياض التي كان المذيع فيها يُدين الغزو العراقي. فما كان من الجندي إلاّ أن طلب من صاحب السيارة اغلاق الراديوبعدأن شتمه وهددّه. ولربما كان ذلك يعكس رعب الجندي من العقاب الذي قد يطاله من رئيسه جرّاء سكوته على (جريمة) فتح الراديو على إذاعة الرياض.

ومن الأحـداث التي سُجّلت أيضـا أن أحـد الجنود كان يتحدّث مع بعض الكويتيين المارين على أحدى نقاط التفتيش بسيارتهم. وكان الجندي عاديًا في حديثه محاولا كسب ودّهم وتعـاطفهم، وفجـأة أخـذ هذا الجنـدي يقذفهم بأقذر الألفاظ ويشتمهم ويصرخ بوجههم بأعلى صوته طالبًا منهم الانصراف حالاً وإلاّ أطلق عليهم النار. وقد اندهش المواطنون لهذا التصرّف الغريب ولكنهم عرفوا السبب بعد أن التفتوا ورأوا أن الضابط المسئول عن نقطة التفتيش قد وصل. ومن الوقائع التي بينت تفاهة العقلية البعثية أن إحـدى النسـاء الكويتيات كانت مارّة بسيارتها عبر إحدى نقاط التفتيش. وبعد أن استوقفها الجندي للتفتيش والتدقيق في الهوية لاحظ وجود جريدة كويتية قديمـة مرمية داخـل السيارة، وكانت تحمل صورة أحد المسئولين الكويتيين الكبار. فأخذ الجريدة وطلب من المرأة البصق على الصورة فرفضت ذلك. فأصرّ عليها

فأجابته بأنها ترفض هذا العمل «لأننا لم نترب على هذه الأعمال». ولما زاد إصراره زاد صمود المرأة التي قالت له إن هذه صورة في جريدة وحتى لو بصق عليها أي شخص فإن هذا لا يعني أي شيء. وعلى كل حال فإنني لن أفعل ذلك. وقد رضخ الجندي في النهاية لموقف المرأة وسمح لها بالمرور.

وكان الجنود في بعض نقاط التفتيش يوزعون جريدة (النداء) مجانًا. وكان معظم المواطنين يرفض أخذها، وعند إصرار الجندي على المواطن بأخذها يدّعي الأخير بأنه لا يعرف القراءة، وبذلك (يخلّص) نفسه من استلام هذه الجريدة.

ومن الأحداث التي وقعت في أحد الأيام ــ وكان من الممكن أن تؤدي إلى إزهاق أرواح اثنين من الشباب الكويتيين لولا عناية الله ــ أن هذين المواطنين كانا يستقلان سيارة وقد ملآ صندوقها الخلفي بالأسلحة لدرجة أن السيارة كانت تميل إلى الخلف من ثقل (الحمولة). وعند وقوفهم أمام نقطة التفتيش طلب منهم الضابط فتح الصندوق، وكان هذا يعني بالنسبة لهم النهاية. ولكن لحسن الحظ كان ذلك الضابط كرديا. فلما تمّ فتح الصندوق دُهش الضابط لما رآى. فما كان منه إلاّ أن فاجأهم بقوله «ما هكذا يتم التهريب. روحوا الله ويآكم. . .» وكانت المفاجأة للشابين كبيرة بحيث لم يصدّقا أن كان ما حدث لهما حقيقة أم حلم.

ومن المصادفات التي وقعت في إحدى السيطرات، أن أحد المواطنين كان مارًا بإحدى نقاط التفتيش وإذا به يشاهد أحد ضباط السيطرة العراقيين الذي لم يكن مظهره غريبًا عليه. ولما اقترب منه تعرف عليه هذا (الضابط)، فإذا به السائق الذي كان يعمل بنفس الشركة التي يعمل بها المواطن. وقد قضى هذا السائق العراقي سبع سنوات بهذه الشركة وهو يعمل لحساب الاستخبارات العراقية. وما إن شاهد هذا الضابط (زميله) الموظف بنفس الشركة حتى أخبره بضرورة إبلاغ الشركة بدفع الرواتب (المستحقة) له على الشركة للأشهر السبعة الماضية. . . وهكذا كان جواسيس النظام العراقي يعيثون فسادًا بالبلاد لسنوات طويلة ويوزّعون كموظفين وبائعين وماشابه في جميع أرجاء الكويت دون أن يُعير أحد الاهتمام المطلوب لهذا الموضوع. وقد دفع الكويتيون الثمن باهظا نتيجة ذلك. وكان من ضمن مالاحظه كثير من المواطنين تواجد

ضباط سودانيين ولبنانيين وفلسطينيين من ضمن مسئولي السيطرات في بعض المناطق. وكانت معاملة هؤلاء للمواطنين، أسوأ من معاملة الضباط العراقيين لهم وذلك لمحاولة هؤلاء المرتزقة، على مايبدو، إثبات ولائهم لأسيادهم في بغداد على حساب إيذاء المواطنين الكويتيين.

ـ التهريج اليومي والمقابلات التلفزيونية مع الجنود (الأشاوس)

كان من (المقررات) اليومية لتلفزيون بغداد نقل المظاهرات والمهرجانات التي ينقلها (مندوبوه) في العواصم المختلفة التي نجح النظام العراقي في شراء الذمم فيها. وكان الردح والصراخ من الأمور المتعارفة في هذه التجمعات التي تم دفع ثمنها سلفًا. كما استمرت المقابلات اليومية مع (المناضلين) من جميع الأصقاع. وكان الجميع يتسابقون في تعظيم «القائد الوعد والزعيم الملهم الذي سيهزم جيوش الغزاة ويقود العرب لتحرير كامل تراب فلسطين».

كذلك دأب تلفزيون بغداد على نقل مقابلات يومية مع «الجنود الأشاوس الذين يربضون على البحر في المحافظة التاسعة عشرة لإنزال الهزيمة بالجيوش الغازية إن تجرأت وورطت نفسها مع العراق». وكان كل (موهوب) من هؤلاء يلقي القصائد والأشعار (والأبوذيات العراقية) التي تمجّد (القائد الضرورة) و (الزعيم الوعد). كما كان الجنود يُكثرون الشتائم للرئيس بوش ومارجريت تاتشر وحكام دول الخليج، والرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد. وكان مستوى الانحطاط الذي انحدر إليه الإعلام العراقي واضحًا حيث أصبح السباب والشتائم الرخيصة هي الكلمات السائدة التي كان يتغنى بها كل من كان يظهر في هذه المقابلات، ابتداء من مذيع البرنامج المسمى بـ (حيّاكم الله) وانتهاء بكل ضابط ومسئول وجندي ظهر في هذا البرنامج. ومن الكلمات المعروفة التي كان يردّدها كالببغاء كل من تُجرى معه المقابلة هو أن العراق سيهزم أمريكا لو تجرّأت وتورّطت معه. وأن العراق سيدافع عن حدوده الممتدة من زاخو إلى البحر. وأن الجنود العراقيين (متعودون) على التقشّف ومستعدون أن يعيشوا على (الخبز اليابس) ألف سنة، وهذا يعطيهم القوة والصبر الذي سيمكّنهم من هزيمة

الجنود الأمريكان (المدللين) الذين لا يستطيعون العيش إلاّ في الخيام المكيّفة!!! وكان هؤلاء الجنود العراقيون البؤساء يبدون وكأنّهم يندبون حظّهم العاثر في هذه المقابلات ولكن بطريقة (مختلفة).

ولقد كشفت هذه المقابلات ليس فقط عن الجهل المدقع للجنود، ولكن أيضًا جهل كل من ساهم في إعداد وتنفيذ ذلك البرنامج. فقد كان ينقل يوميا عن الجنود بأنّهم يصيدون السمك الزبيدي والروبيان بالسّنارة أو (الميدار)، مع العلم بأن هذا النوع من السمك لا يمكن صيده إلاّ بالشِّباك. كما كان الجنود يشيرون، الى كل نوع من السمك الملقى أمامهم بأنه (زبيدي). وقد أصبحت هذه الظاهرة من الأمور التي كان يتندّر بها الكويتيون طوال فترة الاحتلال.

(٤) تأقلم المواطنين مع الوضع وتفاعلهم مع الأحداث المطروحة بالساحة.

ـ تفاعل المواطنين مع الأمر الواقع

كان للشهر التاسع لوعة مميزة وجوّ يختلف عن أجواء بقية شهور الاحتلال، وكان يمكن اعتباره شهر الصحوة، أو الفكرة بعد (السكرة)، ويمكن تشبيه هذه الصحوة بإفاقة النائم بعد سبات عميق حيث وجد نفسه في واقع لا يريد أن يعترف به أو أن يصدّق أنه يعيش فيه. لكنه مهما فعل فإنه لم يكن يستطيع تجاهل الحقيقة أو تغيير واقعها المرّ الذي وجد نفسه فيه. لذلك كان لزاما عليه أن يتكيّف مع هذا الواقع الجديد ويبحث بكل جدية وصبر وتصميم عن السبل الكفيلة بتغييره.

كذلك كان الكويتيون ــ بدخول شهر سبتمبر ــ قد اكتسبوا خبرة لا بأس بها عن طبيعة النظام البعثي وممارساته. فقد قضوا شهراً كاملاً تحت ظل هذا النظام الدموي الذي لم يتعودوا على شيء مثله من قبل ولم يعرفوا كيف يتصرفون تجاهه أو حتى كيف يقاومونه. فهو يتبّع أساليب جديدة في الوحشية والانتقام لم تكن تخطر على بال أي كويتي. لذلك فعند مقارنة ردة فعل وتصرفات المواطنين في الشهر الأول من العدوان نجدها تختلف تماما عن تصرفاتهم في شهره الثاني وما تلاه من شهور. فعلى سبيل المثال

شهد الشهر الأول للعدوان صيحات التكبير من على أسطح المنازل كل ليلة جمعة. كما قامت بعض المظاهرات والاحتجاجات العلنية ضدّ جيش العدو. كذلك صدرت في تلك الفترة منشورات (وجرائد) كانت توزع على المواطنين في المساجد والمنازل وأماكن التجمع. ولكن، ومع مرور الأيام اكتشف المواطنون أن هذه الأساليب (السلمية) والحضارية لن تعطي النتيجة المرجوّة ولا تعادل التضحيات الجسيمة التي دفعها المواطنون من دماءٍ سالت وأعراضٍ انتهكت وكراماتٍ أهدرت مقابل هذا النوع من الرفض الذي لم يؤلم العدو (ماديا). إذ عندما توضع هذه التضحيات بالميزان نجد أن المقابل أو المردود لا يتناسب مع الثمن.

لذلك كانت المقاومة المسلّحة والتحدّي بنفس الأسلوب من قبل المرابطين هو الردّ السليم والجواب المناسب الذي يعرفه المعتدي، بالرغم من الفارق الشاسع بينهم وبينه. وكانت نتيجة ذلك اشتداد عمليات المقاومة المسلّحة ضدّ جيش العدو في سبتمبر وازدياد عدد الشباب المنضوين تحت لوائها. فقد أصبحت كل منطقة من مناطق الكويت تقريبًا تضم أعدادا من الشباب الذين شكّلوا مجموعات فدائية فيما بينهم وأخذوا يلاحقون جنود العدو. وكانت ضربات المقاومة في شهر سبتمبر تأخذ صفة انتقاء الأهداف المهمة بعد أن كثرت مواقع العدو، مما أعطاها تأثيرًا أكثر من السابق. كما استفحلت عمليات التفخيخ التي بدأت أخبارها تنتشر، فيما أخذت مجموعات المقاومة المختلفة في التنسيق فيما بينها والقيام بعمليات مشتركة في بعض الأحيان، وكذلك تبادل الأسلحة والذخائر المكمّلة لبعضها البعض. كما بدأت بعض المجموعات الصغيرة التي تشكلت تلقائيا في الأيام الأولى للعدوان بالانضمام لبعضها البعض، والاستعانة بالمجموعات الأخرى التي كانت أكثر تجهيزا واستعدادًا من حيث توفّر السلاح والعتاد. كما ازداد خلال هذا الشهر التنسيق بين مجموعات المقاومة من جهة والشباب الكويتي المتواجد بالمراكز والمؤسسات الحسّاسة بالبلاد كالمستشفيات ومخازن الأدوية ومحطات المطافيء وكذلك بعض الجهات ذات الاتصال المباشر مع أجهزة الحكومة الكويتية بالطائف.

وكان للدور الذي قامت به المقاومة الكويتية أثناء تلك الفترة أهمية خاصة ومغزى

مهمًا، ليس من الناحية العسكرية فحسب بل من الناحية المعنوية والسياسية أيضًا. إذ أنه لولا وجود المقاومة المسلحة لما عرف العالم بصورة جليّة قضية هذا الشعب الذي رفض وجود الغزاة على أرضه وأثبت أنه على استعداد لمقاومتهم بشتى الأساليب وبأي ثمن. وقد كان لذلك القرار ثمنه الباهظ حيث تمثّل باستشهاد مئات الشباب الذين هم بنظر كل كويتي يعادل الواحد منهم آلافًا من جنود العدو الذين ارتكبوا أفظع الجرائم بحق هذا الشعب المسالم الذي وقف بكل صلابة أمام أكثر النظم الديكتاتورية المعاصرة وحشيّةً وإجراما.

ـ مناقشات ليالي الحراسة الطويلة *

تحليل الأحداث والمواقف

اتق شرّ من أحسنت إليه :

كان الشعب الكويتي ــ أثناء فترة الاحتلال ــ ينظر إلى الأشهر والسنوات القليلة التي سبقت العدوان العراقي بحسرة وندم عندما كان يتذكّر الاندفاع اللامتناهي والتسابق بين الناس لمساعدة النظام العراقي وتأييده بصورة لم يسبق لها مثيل سواء أكان ماديًا أم معنوياً. فقد انخدعت الأغلبية العظمى من الناس بالشعارات البراقة التي رفعها ذلك النظام زوراً وبهتانًا، وهو أبعد ما يكون عن تلك الأهداف النبيلة. وقد اختلفت الآراء حول سبب مساعدة الكويت لصدام أثناء حربه ضدّ إيران بهذه الصورة الكبيرة. فمن قائل بأن صداماً قد خدع الجميع بشعاراته وخلق أمامهم آمالاً كبارًا وأشعرهم ــ بإعلامه المضلّل ــ أنه هو القائد المنتظر الذي سيحقق هذه الآمال، ويقود الأمة العربية إلى الوحدة والقوة واستعادة الأمجاد التليدة التي لن يستطيع أحد غيره

* كانت الساحة الكويتية أثناء فترة الاحتلال واحة خصبة للنقاش وتبادل الآراء حول مختلف الموضوعات التي كانت تطرح، سواء أكان ذلك في الدواوين التي تم فتحها أثناء معظم ساعات النهار، أم في جلسات الحراسة الليلية التي انتشرت في معظم مناطق الكويت. وكان الجميع يدلي بدلوه، ويطرح أفكاره وآراءه بشأن ما كان يدور بالساحة من أحداث. كما كانت التحليلات السياسية والاقتصادية تتوالى من كل صوب عاكسه مختلف التوجّهات السياسية والفكرية. وتمثّل الأفكار والآراء المطروحة في الصفحات التالية رأي الكاتب وربما رأي الكثير من المواطنين أثناء فترة طرحها.

تحقيقها. وكان البعض الآخر يرى أن الكويت لم يكن أمامها خيار إلاّ الوقوف مع أي بلد عربي يدخل في صراع مع أي طرف غير عربي حتى وإن كان الطرف العربي هو المخطيء لأن ذلك موقف مبدئي يُمليه المصير المشترك. أما الرأي المقابل فكان يرى أن ذلك ليس من الإسلام في شيء، إذ أن المسلم المتمسك بدينه يجب أن يقف ضد الظالم ولو كان أخاه. أما إذا صعب عليه ذلك فعليه ــ في أسوأ الأحوال ــ أن يمتنع عن مساعدته. وقدرآى آخرون أن الكويت كانت تتعرض لضغوط شديدة من قبل العراق ومؤيديه ولم يكن بإمكانها مقاومتها، وكان كل ماقامت به هو نتيجة لهذه الظروف. فالعراق بأساليبه الاستفزازية المعروفة وتهديداته المبطّنة وضع الكويت في موقف لم يكن بالإمكان تجنّبه.

لكن الجميع كان متفقا على أن الكويت بمساعداتها السخية للعراق وبمواقفها الثابتة نحوه، إعلاميا وسياسيا، قد أعطت هذا النظام دفعه قويه للأمام، وجعلته يتبوّأ موقع الصدارة بين الدول العربية ليكون الآمر الناهي، وليحقّق أهدافه العدوانية سواء كان على مستوى العراق بالداخل ــ وذلك بقمعه للمعارضة بجميع فئاتها ــ أم على مستوى الدول العربية، حيث أخذ يعيث فسادًا في الأرض ويتدخّل في شئون الدول العربية الأخرى معتمدًا على عملائه الذين زرعهم في كل مكان لينفّذوا له جميع مخططاته.

وقد رأى الكثيرون أن ما حدث للكويت كان مخططًا له منذ فترة طويلة وكانت المسألة مسألة وقت فقط. فقد كان النظام العراقي ينوي الاستيلاء على الكويت وربما على بعض الدول الخليجية الأخرى بعد إنهاء مهمته في إيران. ولكن، وبسبب عدم نجاح حربه ضدّ إيران فإن موضوع الكويت تأجل إلى اللحظة التي كان يراها مناسبة. والدليل على ذلك انتشار جواسيسه بأعداد ضخمة في الكويت منذ فترة لا تقل عن عشر سنوات. فالأعداد الكبيرة من العراقيين وغيرهم ــ والتي كانت بالآلاف ــ والتي كانت تأتمر بأمرة السفارة العراقية بالكويت وتحتمي تحت مظلتها ــ كان عملها الرئيسي رصد الأوضاع المحلية، والتعرف على طريقة تسيير الأمور، والتغلغل في أجهزة الدولة ومؤسّساتها لمعرفة الجوانب المختلفة لهذه المؤسسات للانقضاض عليها في الوقت المناسب.

كما كانت الوفود العراقية تزور الكويت باستمرار وبصورة ملفتة للنظر ــ خاصّة في الفترة التي سبقت العدوان ــ ولم تكد تستثني أي وزارة أو مؤسسة وذلك «للاطلاع على أوجه التقدّم الذي أحرزته الكويت في مختلف المجالات» حسب ما كانت تزعم تلك الوفود. وقد شملت تلك الزيارات معظم المؤسسات الحسّاسة للدولة كالإذاعة والتلفزيون والمراكز المهمة الأخرى. وكانت الوفود تركز في زياراتها على النواحي الفنية، بينما كان المسئولون الكويتيون ــ وبحسن نية ــ يفتحون صدورهم لهذه الوفود ويطلعونهم على ما كانوا يريدون معرفته من أمور، ويجيبون على أسئلتهم مهما كانت دقيقة وحساسة دون أن يخطر على بال أحد من المسئولين حجم الخطّة الإجرامية المبيتة لهؤلاء المتآمرين، والغدر المتأصّل في نفوسهم المريضة.

حكمة إلهية :

رأى كثير من الناس أننا ساعدنا هذا الطاغية على ظلمه مع علمنا بأعماله اللاإنسانية ضدّ شعبه وشعوب أخرى في المنطقة دون أن نحاول حتى تقديم النصيحة له بتقوى الله فيما كان يفعل. ومن هذا المنطلق ــ وهو مساعدة الظالم على المظلوم، سواء أكان المظلوم هو الشعب العراقي أم غيره من الشعوب التي أجرم بحقّها صدام ـ فإن قطاعات كبيرة من الشعب الكويتي رأت أن ماجرى لنا هو عقاب على ما اقترفناه من مساعدة وتأييد لامحدود لهذا الظالم الذي استبدّ بالخلق والعباد وعاث بالأرض فسادًا وأهلك الحرث والنسل. وبذلك يريد الله سبحانه وتعالى أن يبيّن لنا أن ما قمنا به لم يكن عملا صالحًا ولم يكن يبتغى من ورائه وجه الله كما كان يزعم البعض منّا، خاصة أولئك الذين ركبوا موجة الدين وهرولوا خلف صدام، وكانوا في مقدمة الذين هتفوا خلفه «أنت حامي حمى الإسلام ومنقذه وقد بعثك الله لهذا الهدف». وكان ذلك قبل الغزو بأسبوعين فقط، وتحديدًا يوم ١٧ يوليو ١٩٩٠.

ومن المصادفات العجيبة التي لاحظها معظم المرابطين، أن الجهات التي تضرّرت أكثر من غيرها من الغزو ــ من خلال النهب والتخريب وحرق الممتلكات ــ هي نفسها التي كانت في مقدمة من مدّ له يد المساعدة، وكان سخيًا في عطائه وتبرعاته

أكثر من غيره لهذا الطاغية خلال السنوات الماضية. وكان ذلك من الوضوح بحيث يوحي بأن صداماً كان (ينتقي) من قدّم له أكثر لينتقم منه أكثر. لذلك فإن عدوان صدام علينا هو تجسيد للحديث الشريف «من أعان ظالما على ظلمه سلّطه الله عليه».

أما الرأي الآخر فيقول: إن ما حدث لنا هو بمثابة عقاب على ما كان يجري في البلاد من فساد وظلم وتعدّ على الحقوق، كنا مسئولين عنه جميعًا سواء أكان ذلك بصورة واضحة ومباشرة أم بصورة خفية وغير مباشرة. وسبب ذلك بالطبع توفّر الأموال (والتخمة المادية) التي أصابت البلد، ووضع أموال الدولة بين أيدي أناس ينقص بعضهم الحرص والأمانة والكفاءة مع غياب الرقيب والحسيب. وقد وصل الفساد في أجهزة الدولة مستوى لم يصل إليه في أي يوم من الأيام. وأصبحت المصلحة الشخصية والأنانية هي السائدة في التعامل بين الناس، وتميّزت عملية إنجاز المعاملات في وزارات وأجهزة الدولة بتبادل المنافع (كما يطلق عليها محليا شيلني وأشيلك). وتفشت الرشاوي بصورة أصبحت واضحة للجميع، كما أصبحت الواسطات بالتعيين وملء المراكز هي (الشريعة) السائدة بدلاً من اختيار الكفاءات المناسبة للمراكز والمسئوليات المناسبة. أما الظلم والتعدّي على حقوق الغير من قبل كثير من المتسلطين فحدث ولا حرج. فقد أصبح القوي يحصل على ما يريد والضعيف ليس أمامه إلاّ الشكوى إلى الله. أما التهاون بالعمل وعدم الاكتراث بالممتلكات العامة فقد بدا واضحًا أينما تلفّت الإنسان. فالمشاريع لا تنجز حسب المواصفات، ويتمّ غض النظر عن المقاول لأسباب معروفة. والشوارع لا تكاد تراها يومًا نظيفة من شدّة إهمال المتعهد وعماله الذين لايهابون ولا يتوقّعون أي محاسبة. والأشجار تكاد أن تموت من شدة العطش ــ بعد أن صرفت عليها الدولة ملايين الدنانير حتى وصلت إلى هذه الكثافة ــ بسبب عدم اكتراث موظفي الزراعة والأشغال الذين يقضون معظم أوقات الدوام لإنجاز أعمال مدرائهم ، أو للاسترزاق في بيوت المواطنين، أو التجوال في الوانيتات التي أصبحت تنافس سيارات الأجرة.

أما المواطن فهو تائه في هذه المعمعة لا يدري ما العمل. فهو إن قام بإنجاز

عمله بكل جد وإخلاص لا يسمع حتى كلمة شكر ، بينما يرى (المرضي عليهم) وقد تبوّأوا المراكز الهامّة في الدولة ومؤسساتها بالرغم من حداثة عهدهم بهذه المؤسسات (ونعومة أظفارهم) وقلّة أو انعدام خبراتهم . ويرى نفسه في المقابل وقد قضى ردحًا من الزمن في هذه المؤسسة أو الوزاراة بعد أن حقّق (طموحه) بالحصول على الشهادة الجامعية وقد مرّ الزمن عليه كالسحاب وهو باقٍ (ومستمّر) في محله وقد ذبلت طموحاته وماتت أحلامه وتجمّدت أفكاره من شدّة الظلم وانعدام التقدير، بينما وصل (أطفال الأمس) ــ الذين سبقهم إلى نفس المؤسسة بسنين طويلة ــ إلى أعلى المراكز القيادية لالسبب إلاّ لكونهم من (المرضي عنهم) .

وعندما كان المواطن يذهب لإنجاز أصغر معاملة أو عمل أي إجراء في أي وزارة من وزارات الدولة يصطدم بالتعقيدات والقوانين البالية . فيرى أن ما تقوم أي وزارة في أي بلد من بلدان العالم بإنجازه في ساعة من الزمن يستغرق عندنا أيامًا طويلة بل أسابيع في بعض الأحيان بسبب الروتين القاتل والبيروقراطية المقيتة . أما من لايقف في الطوابير من أصحاب النفوذ فإن إنجاز معاملاتهم تتمّ بأسرع من البرق وهم في بيوتهم أو جلوسًا على مكاتبهم الفخمة .

أما المحاكم فإن أقل وأصغر قضية تحتاج إلى أشهر عديدة بل وفي بعض الأحيان سنوات طوال ، بينما تبقى مصالح الناس معطّلة دون أن يحرك ذلك ساكنًا ، وكأن الدولة تقول للمواطن إن لم يعجبك هذا فاخرج من أوسع الأبواب .

كما كان الناس يقارنون ما يتمّ إنجازه في دول الخليج المجاورة من مشاريع تنمويّة تضاهي أفضل ما هو موجود في الدول الأوروبية تقدمًا من شوارع فسيحة ومطارات حديثة وحملات تشجير حولت الصّحارى إلى جنان في زمن قياسي ، وسواحل لا تكاد توصف من شدة جمالها ورونقها ، وأهم من ذلك كله الخدمات المختلفة والتي هي في غاية الرقي والكمال لخدمة المواطن وتوفير الراحة له وتيسير أموره . بينما نجد عكس ذلك لدينا بالرغم من توفّر الأموال وفارق الزمن ، إذ أن الكويت سبقت دول الخليج بأكثر من عشرين سنة في اكتشاف النفط وتصديره وإنجاز مشاريع التنمية .

ويسترسل الحديث ويطول ليصل إلى قناعة بأن ما أصبنا به من محن ما هو إلاّ عقاب لنا على ما اقترفناه من ظلم وفساد وغرور. إذ «أن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم»*. وقد تغيّرت نفوسنا فعلاً بفعل المال ومغرياته. لذلك فإذا أردنا لهذا البلد أن يعيش بأمن وسلام واستقرار ــ وذلك بعد أن يعود لأهله بعد طرد الغزاة، وهذا شيء مؤكّد بإذن الله ــ فإننا يجب أن نغيّر النفوس لتعود على ما كانت عليه في الأزمان التي سبقت مجيء الثروة، صافية نقيّة لا تؤثر فيها المغريات ولاتدنسها الانحرافات. أما إذا عدنا إلى نفس الممارسات فلربما يصيبنا ما هو أعظم مما نحن فيه من بلاء والعياذ بالله.

وكان النقاش يستمر والهموم تتراكم في تلك الليالي الطويلة طول الدهور والمملّة والمظلمة ظلمة القبور والحالكة بتواجد الغزاة الهمجيين... ويختتم الحوار مع بزوغ الفجر ليقوم الجميع للصلاة قائلين إننا نفضل العيش مدى الدهر في (جحيم الحرية) تحت سلطة أبناء بلدنا، ومهما كانت الظروف بدلا من العيش في (جنة العبودية) ولو للحظة واحدة تحت حكم هؤلاء الهمج الرعاع الذين وصفهم الإمام عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ «بأشباه الرجال... الذين ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح... والذين هم كالبهيمة المربوطة همُّها علفها...» وقد كان أصدق من تكلّم عنهم، وأبلغ من وصفهم وأخبر من عرفهم.

أحلام اليقظة :

اعتقد الكثير من المرابطين بأن الكارثة التي حلّت بنا ما هي إلاّ اختبار وسنجتازه بنجاح، خاصّة بعد أن رأينا المواطنين بكل فئاتهم وأعمارهموقد هبّوا للدفاع عن حرمات بلدهم في وجه أعتى النظم المتسلّطة، غير آبهين بما قد يصيبهم من انتقام. فجعلوا البلد في ظرف أسابيع قليلة تسير بكل إتقان وتدار بإحكام قلّ نظيره مع غياب سلطة مركزية منظمة لتلك النشاطات، بالرغم من محاولة العدو تخريب بنيتها الأساسية وتدمير مؤسساتها وإرهاب شعبها وملاحقة شبابها.

---

* سورة الرعد آية رقم (١١).

وقد توصّل الناس إلى قناعة ــ بفضل هذا التكاتف والتفاني في خدمة المواطنين والذي تحلّى به الجميع ــ بأن فجراً جديداً قد بزغ علينا بالرغم من الظلمة الطارئة التي تخيم علينا. فقد عرف الكويتيون جميعًا من خلال هذه الأزمة قيمة الوحدة الوطنية والمعزّة والحب والتفاني الذي يكنّه الجميع لهذه الأرض الطيبة. لذلك لا يمكن لهذه الأزمة إلاّ أن تؤدي إلى تمهيد الطريق أمامنا نحو عمل جاد لبناء هذا البلد على أسس قوية ومباديء نبيلة وممارسات صحيحة. لذلك ستنبذ الكويت الجديدة ــ بعد بزوغ فجر التحرير ــ كل الممارسات والأخطاء السابقة والتي كانت أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى الكارثة. فأمور من مثل الوساطة للحصول على مصلحة معينة دون وجه حق أو محاباة لنيل مكاسب غير مشروعة، أو ماشابه ذلك من ممارسات يجب أن تنتهي وإلى الأبد. كما يجب أن تدار البلد على أسس حديثة أسوة بالدول المتقدمة والتي وصلت إلى مستويات من التقدم لا ينقصنا شيء في سبيل الوصول إليها. فالأموال متوفرة والثقافة ذات مستوى مرتفع والعزيمة موجودة. لذلك يجب أن نضع هذه الأهداف أمامنا ونحن نعيد بناء البلد. كما أن في مقدمة الأمور المهمّة الواجب ترسيخها، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص وسيادة القانون. فقد عرف الجميع أن كثيرًا ممن كانوا في مراكز حسّاسة لم يكونوا أهلاً لها ولذلك يجب أن تكون الدولة حاسمة في مثل هذه الأمور. كما أن الديمقراطية هي الضمان الأكيد لرصد أي انحراف وتقويمه. وأن دولة المؤسّسات والقانون هي التي يجب أن تسود فهي المؤهلة فعلاً لإعطاء كل ذي حقٍ حقه ومكافأة المحسن ومعاقبة المسيء. أما الأفراد فزائلون لا محالة ولن يبقى من أثرهم إلاّ عملهم الصالح، وهو الذي سيخلد ذكراهم في قلوب أبناء بلدهم إن كانت هذه الأعمال لصالح البلد. لذلك يجب على الدولة أن تكون بمثابة الأم الحنون التي لا تفرق بين أبنائها والتي يلوذ إليها كل مواطن لتعطيه من دفئها ما يجعله يتفانى في تقديم كل جهد يستطيعه في سبيل تقدمها أو ازدهارها وخدمة كل من يعيش عليها. وبهذه الطريقة فقط يشعر جميع المواطنين بأنهم سواسية لاتوجد هناك تفرقة بين مواطن وآخر، بل إن الجميع متساوون في الحقوق والواجبات. وبدون ذلك لن تقوم لنا قائمة مرة أخرى ولن تعود البلد إلى المستوى الذي يطمح إليه الجميع بعد مرورنا بهذه الأزمة.

ومن الأمور المهمّة التي أجمع عليها المرابطون ضرورة القيام بإعادة تنظيم التركيبة السكانية. فالكويت لا تتحمّل هذا الكم الهائل من السكان والذين تغدق عليهم الدولة مبالغ باهظة لاتكاد تحصى من خلال الخدمات المدعومة كالكهرباء والماء والصحة والتعليم والطرق والأمن والمواد التموينية، بينما يتضح في وقت الأزمات أن قطاعًا كبيرًا منهم ينقصه الوفاء والعرفان لهذا البلد. لذلك يجب مكافأة المنتج والشريف وتقديره. أما المسيء ومن ثبت أنه من الطابور الخامس فلا مكان له بعد اليوم في هذا البلد. فمن غير المقبول أن تؤوي الكويت بعد الآن كل من هبّ ودبّ وخاصّة من ثبت عدم إخلاصهم، بل وشماتتهم وتشفّيهم بما حل بنا، ليعيشوا بيننا متمتعين بكل الميزات التي يحصل عليها المواطن دون حساب. وعلى العموم فإن الرأي الذي كان سائدًا بين الجميع هو ضرورة تقليص عدد السكان ليصل إلى مليون نسمة فقط إذ أن عهد المجاملات على حساب مصلحة البلد قد ولّى إلى غير رجعة.

الإعلام الكويتي :

كانت فرحة المواطنين لاتكاد توصف عند سماعهم ولأول مرة برنامج (رسالة الكويت) الذي بدأ يذاع من خلال محطات تلفزيون دول الخليج. وكان الناس ينتقلون من محطة لأخرى عند إعادة بثّ نفس البرنامج من محطة ثانية في نفس الليلة، لما كان لذلك من وقع محبّب على النفس يعيد إليها الاطمئنان والسكينة. ولكن بالرغم من انشداد الناس وتشوّقهم إلى ذلك الصوت الذي كان يذكرهم بأيام الحرية إلاّ أن البرامج لم تكن بالمستوى المطلوب لتلك الفترة. فقد كان الكويتيون يصبون إلى سماع صوتهم وقد عاد وبزغ مرة أخرى من بين الركام وهو أشدّ بأسا وأصلب عودًا، متحدّيًا الظروف ومتجاوزا كل سلبيات الماضي ليعود من جديد ليبرز الحقائق بطريقة علمية متقنة وجذّابة لجلب أكبر عدد ممكن من المشاهدين المتشوّقين لسماع أخبار الكويت من المنبع. لكن المقابلات التي كان يذيعها البرنامج وكذلك نوعية الأخبار كانت تتصّف بعدم التخطيط والارتجال، وكانت تؤدي إلى الإحباط في بعض الأحيان. فالإعلام هو السلاح الذي يقف جنبًا إلى جنب مع الأسلحة المؤثرّة الأخرى لتحقيق الهدف من خلال رفع المعنويات وإدخال العزيمة والتحدّي في نفوس مستمعيه. وبالرغم من

عدالـة قضيتنـا وتوفّر جميع الإمكانيات المادية والبشرية لدينا إلاّ أن العدو كان أكثر نجاحًا منّا في هذا المجال من خلال إعلامه المدروس، بالرغم من التضليل الذي هو ميزته الرئيسية والكذب الذي هو جزء لا يتجزأ منه.

وقد وصل إعلامنا في تلك الفترة إلى مستوى كان ضرره أكثر من نفعه في بعض الأحيان. وكان الناس يتذمّرون من سماع بعض الأخبار التي ما كان يجب أن تذاع أصلاً لأنها كانت تفيد العـدو ولا تنفـع المـواطن أو الصديق. وقد كشفت بعض الأخبار والمقابلات عن كثير من الأمور التي استفاد منها العدو من خلال تعرّفه على طريقة تفكير وتصرف المـواطن الكـويتي. وكمثال على ذلك كان من ضمن الأخبار التي أذاعتها (رسـالة الكويت) أن المفاومة "كويتية اشتدّت في المنطقة الفلانية وبدأت تستعمل الأسلوب الفلاني وأن الأطباء والممرضات الكويتيات يعالجون رجال المقاومة في بيوتهم ويخفـون الأدوية فيها، كما أن بعضهم يقوم بتبديل هويّات الجرحى في المستشفيات ويدخلونهم بأسماء مستعارة وما إلى ذلك من معلومات.

أما بعض النسوة اللاتي خرجن في بعض المقابلات التلفزيونية فقد كنّ أكبر معين للعدو من حيث لا يعلمن. فقد كنّ يتسابقن في الإدلاء بكل ما كان يخطر ببالهن من معلومات، وكأن ذلك كان من الإنجازات البطولية التي كنّ يقمن بها، دون الخضوع لأي توجيه أو رقابة من قبل الجهة المسئولة عن البرنامج. وقد أصبح من الأمور العادية أن نسمـع ليليًا من خلال (الـرسـالة) هؤلاء النسوة وهن يكشفن عن أماكن إخفاء الذهب والأموال وحتى الأسلحة المخفية في الحديقة أو (السندرة) أو تحت البلاط أو غيرها من الأماكن.

ومن الأمور المفجعة حقًا والتي أثّرت كثيرا في نفسيات المرابطين ما تفوّهت به بعض النساء في العديد من المقابلات التي أجريت معهن من خلال محطات تلفزيون خليجية عديدة (وبدون قصد طبعا). فقد طلبت بعضهن من أهلها وأقاربها مغادرة الكويت بأسرع وقت والتوجه إلى إحدى دول الخليج «حيث العيشة الهنيئة والأمان والمسـاعـدات السخية التي تقـدّمها هذه الدولة وغيرها من دول الخليج للمواطنين

الكويتيين». أما إحدى النسوة فقد زادت على ذلك «بأن المخلصين من أهل الكويت هم الذين غادروها، أما من بقي في الداخل فهم من (الهيلق واللفو!!!)» على حد تعبيرها، وتعني بذلك غير الأصيلين والحثالات!!!... وقد كان وقع ذلك على المرابطين شديداً، ليس بما تفوّه به بعض الجهلة فحسب، ولكن لسماح أجهزة الإعلام الكويتية والخليجية بإذاعة هذا المستوى من الإسفاف.

العراق والمستقبل :

كان المرابطون يحاولون جاهدين البحث عن السبب الحقيقي للغزو الغادر. وكان معروفًا لكل ذي عقل بأن أول من كان يعلم بأن العراق لن يستطيع البقاء طويلا في الكويت هم المسئولون العراقيون أنفسهم. كما أن هؤلاء أنفسهم كان يجب أن يعلموا بأن الحل العسكري سيكون حتمياً إن لم ينسحب العراق من الكويت بدون شروط. ومع ذلك لم يكن أحد يعرف سبب إصرار النظام العراقي على البقاء رغم وضوح الموقف. وكان الجميع متفقًا على أن العراق كبلد وعلى مرّ التاريخ كان مصدراً للعدوان والإيذاء لجميع جيرانه. فهو كالوحش الكاسر لن ينفك عن هذا المراس مادامت لديه القوة. والتاريخ ــ قديمه وحديثه ــ خير شاهد على ذلك. لهذا يجب لجمه وتقييد حركاته وتصرّفاته اتقاءً لشره. وكان الرأي بين الناس أن خير حل لهذه المشكلة هو أنه وبعد وقوع الحرب وهزيمة العراق يجب أن تقوم الأمم المتحدة بفرض انتداب أو وصاية دولية على العراق لمدة لا تقل عن سنتين، على أن يكون هذا الانتداب مسنوداً بقوة عسكرية دولية تحفظ الأمن والنظام داخل العراق بعد الحرب. وتكون مهمة هذا الانتداب الدولي فرض نظام ديمقراطي ممثل لجميع الفئات التي يتكون منها سكان العراق. كما يجب أن يكون من شروط وقف إطلاق النار نزع السلاح من العراق ومنعه من اقتناء الأسلحة الهجومية أو أي أسلحة أخرى قد تستعمل للاعتداء على مواطنيه أو جيرانه في المستقبل. كما تقوم الأمم المتحدة بضمان حدود العراق الحالية مع جيرانه، وضمان عدم الاعتداء بين العراق وبينهم. كما يجب ضمان عدم قيام حكومة ديكتاتورية مرة أخرى حتى لا تتكرر المآسي التي سببتها مثل هذه الأنظمة على

مدى الثلاثين سنة الماضية. وسيكون الشعب العراقي هو المستفيد الأول من هذا النوع من الترتيبات التي ستضمن حقوق جميع الفئات بحياة حرة ديمقراطية كريمة، كما ستوجّه موارد العراق الضخمة نحو التنمية الاقتصادية التي سيستفيد منها الجميع بدلاً من تبذيرها على شراء الأسلحة الفتّاكة وعلى مئات الآلاف من الجنود الذين ليس لهم دور إلاّ الحفاظ على النظام الحاكم بأي ثمن. ومن المؤكّد أنه إذا أتيحت هذه الفرصة للعراق وذاق شعبه حلاوة الاستقرار والرخاء فإنه لن يفكر مرة أخرى إلاّ بالسلم والأمان واحترام الاتفاقات والمواثيق. كما سيتمّ تركيز جهود العراق وجيرانه على مشاريع التنمية والتعاون المشترك في سبيل تحقيق الأهداف النبيلة والعدالة الاجتماعية. ولن يتمّ ذلك مادام العراق يملك جيشًا قويًا وأسلحة فتّاكة وينفق جميع موارد العراق لاقتنائها، ويترك الشعب جائعًا مشردًا ينظر إلى جيرانه بعين الحقد والضغينة.

الحرب . . . الحرب هي الأمنية

رأى كثير من المرابطين أن الحرب أصبحت حتمية ولا مناص منها خاصّة وأن النظام العراقي مصمم على رأيه ويتجاهل كل الأطروحات والاقتراحات التي تقدم بها كثير من رؤساء الدول والموفدين الآخرين، الذين زاروا العراق وحاولوا إيجاد حلول قد تكون مقبولة للجانب الكويتي، وبنفس الوقت تعطي العراق بعض الميزات. لكن إصرار النظام العراقي على موقفه أوحى للكثيرين بعدم جدوى أي حل غير الحرب. وكانت الحرب وتلقين المعتدي ما يستحقّه من عقاب هي أمنية معظم المرابطين مهما كان الثمن. فقد كانت وحشية المعتدين وتجاوزاتهم وانتهاكاتهم من الفظاعة بمكان بحيث لم تترك مجالاً لأي نوع من العطف أو الشفقة عليهم حتى ولو رآهم المواطنون وهم يمزّقون أمامهم إربًا إربًا. فقد كانت جرائمهم تجاه الشعب الكويتي لاتكاد توصف. لذلك كان الناس يتمنون وقوع الحرب بأسرع وقت. وقد كان من مزايا الحرب ــ كما رآها المرابطون ــ فرض الشروط على العراق بدلاً من أن يكون هو المطالب ببعض الميزات كثمن لانسحابه. فالتدمير الذي قام به في جميع أنحاء البلاد، والسلب والنهب وقتل المواطنين الأبرياء يجب أن لا يمرّ دون عقاب ودون تعويض لكل من تضرّر من جرّاء هذا العدوان البربري. وليس من باب المبالغة القول بأن كثيرًا من المرابطين كان

يحزنهم سماع الأخبار التي توحي بأن هناك حلاً سلمياً يدعو لانسحاب العراق والتفاوض بشأن الحدود والجزر وحقول النفط. فهذه جميعها حقوق كويتية لا يحق لأي طرف التنازل عنها أو التفريط فيها. كما كان المواطنون لا يكترثون بالتكلفة المادية للحرب فكل أموال الكويت وثرواتها وأبنائها وما تملك من خيرات فداء لأرضها وحريتها وكرامتها.

مواقف مريبة :

كان لمواقف الدول الزاعمة بضرورة حل القضية سلمياً ومن خلال البيت العربي وفي مقدّمتها الأردن أهداف غير نبيلة. فقد طبّل وزمّر هذا النظام لتوأمه العراقي حتى أصمّ الآذان من نعيقه. وقد كانت كل الدلائل تشير إلى ضلوعه في المؤامرة وتعاطفه مع منفّذيها. ومن الأخبار التي تداولها كثير من الناس أنه تمّ شراء مواقف معظم المسئولين الأردنيين قبل وقوع الغزو بعدة أشهر، وتحديداً في أوائل عام ١٩٩٠ أثناء انعقاد مؤتمر قمّة مجلس التعاون العربي في عمّان. فقد قيل أن ما يقارب من ٥٠٠ سيارة مرسيدس طراز ١٩٩٠ موديل (500 SEL) قد وصلت إلى عمّان هدية من (السيد الرئيس القائد صدام حسين) حيث تمّ توزيعها على المسئولين في النظام الأردني وكذلك مدعي الإسلام من زعماء المنظّمات (الإسلامية). ومن الواضح أن هذه الهدايا (فعلت فعلها) عند وقوع الغزو العراقي على الكويت. إذ لم يكن وقوف هؤلاء مع صدام نابعاً من مبدأ أو ضمير أو وجدان بل هو بيع للذمم والضمائر. وقد عرف صدام كيف وبكم يشتري هؤلاء البائعين لدينهم وضمائرهم.

كما أن حدثاً مماثلاً قد وقع على الحدود الأردنية العراقية وبالتحديد في المنطقة الحرة وذلك بعد الغزو الغاشم بعدة أسابيع. فقد وصلت آلاف مؤلفة من سيارات الكويت المنهوبة من قبل سلطات الاحتلال وتمّ نقلها إلى الأردن، وكان معظم هذه السيارات جديدة تمّ الاستيلاء عليها من مخازن ومعارض وكلاء السيارات الألمانية والأمريكية واليابانية. وقد بدا أن هناك تنسيقاً بين السلطات العراقية والأردنية لتسهيل عملية دخول هذه السيارات للأردن لإكمال عملية توزيع الهدايا على من لم يطله شيء من الدفعة الأولى من (هدايا الرئيس). أما الباقي فقد حاول العراق شحنه لليمن

لإهدائه للرفاق هناك. لكن العملية لم تتمّ بسبب وقف هذه السفينة من قبل الحلفاء بعد خروجها من ميناء العقبة الأردني. ويتضّح من هذه الأحداث والممارسات مدى الانحدار السحيق الذي وصل إليه بعض ممن يفترض فيهم أن يكونوا في موقع المسئولية في حكومات تمثّل دولاً وليس عصابات أو قطّاع طرق. لكنه ومع الأسف اتضح أن هذه هي الحقيقة المرة التي عرفها الجميع.

مواقف كان يمكن أن تؤدي إلى وضع أفضل :

كان دور القلّة من الفلسطينيين بالكويت أثناء الاحتلال مشرّفا. فقد شارك بعضهم في المقاومة المسلّحة ضدّ الاحتلال واستشهد البعض الآخر. كما قام البعض بنقل وتوصيل الأسلحة إلى المناطق المختلفة ليتمّ تسليمها للمقاومة، بينما قام عدد منهم بمساعدة بعض الأهالي بشراء المواد الغذائية لهم وكذلك توصيل الأموال من بعض الجهات لبعض الأسر. إلاّ أن الأغلبية الساحقة ـ ومع الأسف ـ لم تكن متعاطفة مع الشعب الكويتي ولم تعش آماله وآلامه خلال تلك الفترة الرهيبة. وكان الكويتيون يتوقّعون هذه المشاركة من الفلسطينيين نظرًا لتواجد الكثير منهم بالكويت منذ أكثر من ثلاثين سنة. كما أن أعدادًا ضخمة من الشباب الفلسطيني ولد وترعرع على أرض هذه البلد. وكان كثير من المرابطين يعتقدون بأنه لو أن الفلسطينيين بالكويت قاموا بمظاهرة واحدة في الأسابيع الأولى للغزو، يحتجّون فيها على العدوان العراقي على الكويت ويعلنون وقوفهم إلى جانب الشعب الكويتي، لتغير اتجاه الأحداث، ولكان تأثير ذلك كبيرًا على الساحة. إن موقفًا كهذا من أكبر جالية فلسطينية خارج فلسطين كان لا شك سيعُطي للحق الكويتي دفعة قوية إلى الأمام ويجبر القادة الفلسطينيين على الوقوف على الحياد والتجاوب مع موقف شعبهم، والامتناع عن الجري بهذه الطريقة المهينة خلف الطاغية الذي كان كثير من القادة الفلسطينيين من ضمن ضحاياه. كما أن هذا الموقف كان سيعطي الشعب الكويتي دعمًا غير محدود، ويجعله يتكاتف مع هذه الجالية الكبيرة للوقوف ضدّ المعتدي والدفاع عن المصلحة المشتركة للجانبين مما كان سيجعل من تلك الجالية ظهيرًا للشعب الكويتي الذي لا يمكن أن ينسى موقفًا كهذا .ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.

ومن المؤكد أن تأثير الإعلام العراقي بالإضافة إلى مواقف القادة الفلسطينيين الذين جروا خلف الطاغية كان له الأثر الكبير على تصرّف الكثير من الفلسطينيين. فقد رسّخت هذه المواقف في أذهانهم أن صداما قد قام بهذا العمل فعلاً من أجل حل القضية الفلسطينية. كما أن بعضهم قد ثبت في ذهنه أن موضوع الكويت أصبح شبه منته وأنه من المستحيل انسحاب العراق منه، وأن أمريكا لن تتدخّل وتضحّي بأرواح أبنائها من أجل الكويت. لذلك بنيت كثير من المواقف على هذا الأساس.

كما كان للدور الدّعائي الذي قامت به المنظمة أكبر الأثر في نفوس ومواقف كثير من الفلسطينيين. فمن ضمن الإشاعات التي كان يطلقها بعض أزلام المنظمة في الكويت في ذلك الوقت أن هناك سفارة إسرائيلية كانت تعمل بالكويت قبل الاحتلال العراقي وكانت تنقل كل ما يدور عن الفلسطينيين لإسرائيل. أما «مقرّ» هذه السفارة، فيضُيف هؤلاء بأنه البيت المهجور الواقع على شارع الفحيحيل عند تقاطعه مع الدائري الرابع. وتعمل هذه السفارة حسب زعمهم بصورة سرية أثناء الليل حيث تبدأ ساعات العمل من الساعة العاشرة ليلاً إلى الساعة الثانية صباحا. كما كان لدى المنظمة (مستندات) تثبت ذلك.

أما من كان منصفًا من الفلسطينيين فقد أدان العدوان العراقي وكان يرى فيه أكبر ضربة لقضيتهم. وكان الكثير من هؤلاء يؤكّد أن الدمار والتخريب الذي قام به العراقيون بالكويت لا يكاد أن يوصف لشدة ضخامته. كما أنه لا يمكن أن يقارن حتى بما قام به الإسرائيليون في فلسطين سواء أكان في حرب عام ١٩٤٨ أم عام ١٩٦٧. إذ أن الإسرائيليين لم يقوموا بتدمير الممتلكات العامة أو الخاصة بل كانوا يركّزون على الأهداف العسكرية. وقد نقل عن بعض الفلسطينيين الذين كانوا متواجدين في الضفّة الغربية وغزة أثناء احتلالها من قبل إسرائيل عام ١٩٦٧ بأنّ الإسرائيليين سمحوا لهم بالذهاب إلى أعمالهم بعد ثلاثة أيام من توقّف الحرب، حيث وجدوا كل شيء في مكانه ولم يتعرّض أحد من الإسرائيليين لممتلكاتهم أو يمسّها بسوء. وكان كل شيء كما كان عليه قبل اندلاع الحرب.

وقفة الأخ . . . مقابل وقفة الأجنبي

لقد حزّ في نفس الكويتيين حقًا وقوف الدول والشعوب الأجنبية إلى جانب الحق الكويتي وتعاطفهم معه مقابل تنكّر كثير من الشعوب والجماهير العربية والإسلامية لهذا الحق، وتأييدهم للنظام الباغي الذي كانوا يعرفونه حق المعرفة.

وكان النقاش يدور حول سبب وقوف كثير من الحكومات والشعوب العربية مع صدام. فموقف هؤلاء ـ سواء أكان على مستوى الحكومات أو الشعوب ـ لا يمكن تفسيره مهما حاولنا البحث عن المبررات أو خلق الأعذار. فإذا قلنا أن بعض الحكومات والمنظمات العربية ضالعة في المؤامرة لمصلحة ما ـ وهذا مؤكد ـ فكيف نفسر موقف الشعوب. فهذه الشعوب تعرف أكثر من غيرها مواقف الكويت من قضاياها وأيادي الكويت البيضاء سواء أكان على مستوى الدولة أم المواطنين. وكان الوفاء لهذه المواقف والعرفان بالجميل يتطلّب على الأقل الوقوف على الحياد إن لم نقل المساندة والعون للكويت. ولا بأس في أن نعيد إلى الذاكرة بعض مواقف الكويت البيضاء والتي تعتبر غيضا من فيض، ليس بهدف المنّة ولكن بهدف التذكير لهؤلاء الناس بما فعلته الكويت وما فعله الآخرون، وكيف أن موقفهم هذا يعتبر مشاركة في الجريمة التي كانت أول نتائجها، انعكاسها سلبيًا عليهم قبل غيرهم من الناحية الاقتصادية والسياسية على السواء.

فلسطين :

إن موقف الكويت من القضية الفلسطينية لا يقارن بموقف العراق، خاصّة بعدما استلم حزب البعث السلطة. والكل يتذكّر موقف حزب البعث ـ بعدما استلم السلطة في العراق عام ١٩٦٨ ـ من المنظّمات الفدائية التي كانت قد بدأت تفرض وجودها بالعراق في عهد عبد الرحمن عارف، وكيف كان نفوذها يتزايد يومًا بعد يوم، خاصّة وأنها كانت في بداية عهدها في المقاومة ولم تنغمس بعد في أوحال السياسة والتشرذم والذيلية للنظم العربية. وقد كانت الخطوة الأولى لحزب البعث منع أي نشاط للمنظمات الفدائية الفلسطينية في العراق. وقد أُتبع ذلك بتأسيس «جبهة التحرير

العربية» من شراذم البعثيين الفلسطينيين المؤتمرين بأوامره والذين لا يعرفون من فلسطين إلاّ الاسم ولم يحمل أحد منهم السلاح بهدف تحرير أرضه بل للجري وراء مخططات حزب البعث الإجرامية سواء أكان في اغتيال الأبرياء أو التخريب أو التآمر في الدول العربية المختلفة.

كما لن ينسى أحد كيف دأب النظام العراقي على تصفية من لا يتماشى مع مخططاته من القادة الفلسطينيين منذ استلامه السلطة. ويجب أن لا ينسى الفلسطينيون أيضًا موقف حزب البعث العراقي عام ١٩٧٠ في أيلول الأسود عندما كان جيش الملك حسين يقوم بذبح الفلسطينيين، في الوقت الذي أعلنت حكومة العراق عن انسحاب قواتها من الأردن.

ولم نسمع قط أن العراق ساهم ماديًا في مساعدة الفدائيين الفلسطينيين أو غيرهم من المشرّدين أو النازحين أو أطفال الحجارة أو غيرهم من الرازحين تحت الاحتلال الإسرائيلي .وإن كان قد فعل ذلك فلن يقارن مع ما قامت به الكويت فضلاً عن أن (مساعدات) العراق لا تقدم إلاّ لأتباع النظام من الحزبيّن ومؤيديهم وبشروط معروفة.

أما الكويت فلم تبخل طوال الأربعين سنة الماضية بتقديم كل ما استطاعت من معونة، سواء أكان للمنظمات الفدائية عن طريق منظمة التحرير أم لبناء المشاريع الخيرية في الضفة الغربية وغزة، أم لمساعدة أطفال الحجارة واللاجئين الفلسطينيين في المخيمات، أم في إيواء مئات الآلاف منهم في الكويت، وتمتعهم بكل ما كان يتمتع به المواطن الكويتي من ميزات، شملت التعليم والعلاج وجميع الخدمات المجّانيّة الأخرى.

بقية الدول المؤيدة لصدام :

أما بقية الدول المؤيدة لصدام فأفضال الكويت عليها لا تحصى. فقد استلمت الأردن من المساعدات ما فاق كثيرا من الدول الأخرى بأضعاف. ولم يكد أي مشروع

كبير في الأردن أن يكون بدون تمويل كويتي أو خليجي. إذ دأب الملك حسين على الهرولة للكويت ودول الخليج في كل مناسبة لطلب المساعدة لاقتصاده المنهار. وليس ذنب الكويت إن كان كل مسئول أردني يريد أن يقتطع (نصيبه) من هذه المساعدات ليتبقى منها النزر اليسير ليصبّ في المشروع المراد تنفيذه.

وفي اليمن هل توجد هناك قرية أو مدينة تخلو من مدرسة أو مستوصف أو مركز ثقافي أو اجتماعي بنته الكويت؟ وهل المشاريع الإنمائية الكثيرة التي شيّدتها الكويت في جميع أرجاء اليمن إلاّ شاهدًا على ما قدّمه هذا البلد المعطاء لشعب اليمن؟

وهل نسي السودانيون ما قامت به الكويت من مشاريع اقتصادية واجتماعية وإنسانية في بلادهم؟ ألا يعرفون أن الطرق والموانىء وكثير من المصانع والمشاريع الزراعية والمستوصفات الحديثة التي شيّدتها الكويت هي جزء يسير من المساعدات التي يصعب إحصاؤها؟ ألم تكن قرية حنان التي بنتها الكويت في السودان لإيواء الأيتام والمشردين من الأطفال رمزًا للمودّة والأخوّة المتبادلة التي كان يجب أن تظهر وقت الضيق والأزمات؟

ماذا دها الجزائريين الذين قامت ثورتهم على مساندة ودعم من ركنين أساسيين طوال فترة حرب التحرير، هما مصر والكويت؟ كيف تقف جماهير الجزائر هذا الموقف من البلد الذي تفانى في حب الجزائر وتسابق مواطنوه في مساندة شعبها أثناء مأساته. لقد دفعت الكويت مالم يدفعه غيرها من معونات ودعم للثورة الجزائرية أثناء حرب التحرير وبعد الاستقلال. ولم تمنّ أو ترائي عندما قامت بهذا العمل. ولكن إذا كان جزاء هذا كلّه من مثل تلك المواقف فإن من حق الكويت أن تُذّكر وتشير إلى مواقفها الجديرة بالعرفان والوفاء. لقد كان كل طفل كويتي في الخمسينات والستينات يدفع ضريبة تحرير الجزائر عند شراء تذكرة السينما وفي الفصول المدرسية والأسواق. وكان ينتظر بشغف اليوم الذي يرى فيه علم الجزائر يرتفع شامخًا رغم أنف الفرنسيين. وقد استقلّت الجزائر فعلاً بفضل دماء أبنائها وتضحية شهدائها. ولكن لولا مساعدة إخوان لها بالمال والسلاح والتأييد المعنوي ـ وفي مقدّمة هؤلاء مصر والكويت ـ لكان الوضع أصعب والتضحية أعظم والمعاناة أطول.

الوفاء . . . فضيلة مفقودة

لقد ثبت أثناء الغدر العراقي للكويت بأن الوفاء ميزة نادرة خاصة عند كثير من الإخوة أو من يفترض فيهم أن يكونوا كذلك. وقد كانت فجيعة الكويتيين كبيرة عندما تيقنوا أن قطاعًا كبيرًا ــ بل وربما الأغلبية العظمى من الجماهير العربية ـ كانت تقف مؤيدة لصدام في ممارساته الإجرامية ضدّ الكويت أثناء فترة العدوان. فقد كان المرابطون في بداية أيام العدوان ـ وعندما كان تلفزيون بغداد يعرض المظاهرات المؤيدّة له في كثير من العواصم والمدن العربية ـ يعتقدون بأن أجهزة الإعلام العراقية تقوم (بدبلجة) وتزوير المظاهرات المؤيدة له لتوهم شعبها بذلك. إذ لم يكن يخطر على بال أحد من الكويتيين بأن هذه الشعوب ـ وقد عرفت مواقف الكويت النبيلة وخبرت ممارسات صدام الإجرامية من خلال تاريخه السلطوي الطويل ـ ستقف هذ الموقف الغوغائي ضد الكويت، والتي تنمّ عن اندفاع رهيب نحو الباطل، مغلّف بغطاء كثيف من الحقد والحسد طفا على السطح ـ بصورة عفوية لا تكاد تصدّق ـ عند أول صيحة كاذبة أطلقها صدام، مطالبًا بتوزيع الثروة العربية على الجماهير العربية، وكأنّ العراق هو من أفقر دول العالم ويكاد يخلو من أي مورد اقتصادي ذي قيمة. وكان هذا الشعار ـ وهو كلمة حق يراد بها باطل ـ هو الذي كشف كثيرًا من الأمور التي كان الكثير من الناس يجهلها أو يتجاهلها. فقد ثبت أن معظم الجماهير العربية وكذلك الإسلامية غارقة في غياهب الجهل لاتريد بل ولن تستطيع أن تنهض من سُباتها، إن كانت بهذه الدرجة من الغفلة والانجراف نحو أي سراب قد يتمثّل لها بأنه ماء. أما الماء فهو لا يكاد يبعد عنها إلا أشبار قليلة دون أن تراه ـ بل ربما تكون هي المانعة له من أن يصلها بممارساتها الخاطئة المتمثلة بالجري والتطبيل خلف جلاديها. إن وقوف هذه الجماهير مع الظالم جعلها بعيدة عن دينها ومبادئه السامية. فالمسلم أصبح مسلمًا بالإسم فقط. فهو يرى أخاه يقتل وينهب وينتهك ماله وعرضه وهو يتفرجّ دون تحريك ساكن، بل وربما كان التشفّي والشّماته هما الشعوران السائدان، لا لشيء إلاّ لأن أخاه هذا أغنى منه بما أعطاه الله من مال وثروة. أمّا غير المسلمين فقد كان الشعور الإنساني بينهم واضحا وجليا أمام الجميع. فقد رأينا كثيرا من المواطنين من دول الغرب تدمع أعينهم لمجرد سماع الجرائم التي كان يرتكبها النظام العراقي ضدّ الكويت. وكانت تحرّك ضمائرهم

وتهزّ مشاعرهم أي ظُلامة أو أي اعتداء على مواطنينا الأبرياء. وقد كانت المقابلات التلفزيونية أكبر دليل على ذلك. أما الكثير من الجماهير العربية والإسلامية فقد نسيت ممارسات صدام الدموية وتجاوزاته على أبسط حقوق الإنسان ضدّ شعبه قبل الشعوب المجاورة له. ونسيت الحرب الدموية التي شنّها ضدّ جارته المسلمة إيران والتي دامت ثمان سنوات أكلت الأخضر واليابس في البلدين، ولم تكد دماء العراقيين والإيرانيين تجف بعد من هذه الحرب حتى بدأ هجومًا آخر ضدّ جاره الآخر.

إن هذه الجماهير مع الأسف كانت تعرف كل ذلك وكانت تعرف أيضًا أن الكويت دولة مستقلة، وأن العراق بلد قوي تسيطر عليه حكومة علمانية بعيدة عن الإسلام قولاً وفعلاً، وهي لا تمانع في استخدام أي وسيلة مهما بلغت من العنف والإجرام في سبيل تنفيذ مآربها في الداخل (والأمثلة كثيرة كقتل الأكراد بالأسلحة الكيماوية والإعدامات اليومية للمعارضين وتشريد قطاع كبير من الشعب العراقي خارج وطنه بسبب عدم تأييده لممارسات هذه الحكومة وعشرات الأمثلة الأخرى). أما في الخارج فإن ممارسات هذا النظام لاتغيب على أحد. فمسلسل الاغتيالات والمؤامرات والتدخّل في شئون كل بلد عربي ابتداء من لبنان ـ وذلك بتأييد العملاء أمثال ميشيل عون وأشباهه أو في موريتانيا أو السودان أو اليمن الجنوبي أو غيره ـ كلّها تدل على أن هذا النظام يطمح في السيطرة على العالم العربي بأي وسيلة بما فيها الإرهاب المسلّح لتحقيق أحلامه.

لذلك كانت فجيعة الكويتيين وصدمتهم من مواقف الكثير من (إخوانهم) كبيرة ولن تنسى في وقت قصير. أمّا عزاء الكويتيين الحقيقي فكان بالموقف المشرّف لدول الخليج العربي شعوبًا وحكومات، وفي مقدّمتهم المملكة العربية السعودية. فقد أثبتت حكومات وشعوب هذه الدول بأنها خير أخ وأفضل صديق في الملمّات، وأنّها قمّة في النبل والوفاء والنخوة. فقد فتحت ذراعيها لكل مواطن كويتي شرّده المحتلون وقست عليه الأيام، فجعلوه يشعر بأنه بين أهله وإخوته مما رسّخ لدى الكويتيين الشعور الحقيقي بوحدة الدم والمصير المشترك مع أبناء دول الخليج. فقد فتحت دول الخليج للكويتيين قلوبها قبل أن تفتح حدودها. وكانت المأوى الذي لم يشعر فيه الكويتيون

بالغربة أثناء تواجدهم هناك. أمّا المرابطون فيدينون أكثر لمواقف دول الخليج المشرّفة. فلولا تسخيرهم لكل إمكانياتهم لاجتثاث جيش الغدر والعدوان لما تمّ تحرير الكويت وانتشال المرابطين من فك المعتدي الأثيم.

أمـا موقف الشعب المصري والحكـومة المصرية وموقف سوريا فقد كان موقفا مشرّفا لن ينساه الكويتيون. فقد أعطى دفعة قوية للحق الكويتي وجعله يتبوأ الصدارة والاستمرارية بين أوساط ودوائر العالم المختلفة، وأمدّ المرابطين بالداخل بقوة وثبات قلّ نظيرهما. وكان ذلك واضحًا وضوح الشمس بين المرابطين الذين كانوا ينتظرون على أحرّ من الجمر خطابات الرئيس حسني مبارك، ومؤتمراته الصحفية التي عرّت كثيرًا من المـواقف، وأكّـدت بدون لبس مواقف الشعب المصري الأصيل الذي ظهر وانجلى كالشمس السـاطعـة في أصعب الظروف وأحلك الملمّات. وكان لزامًا على الشعب الكـويتي أن يتذكّر ذلك طوال الأيام والدهور. فموقف الكرام لا ينسى وإن طال الزمن. . .أما موقف اللئام فنقول بشأنه ربّ ضارة نافعة. ورحم الله أحد شعراء العرب حين قال:

جزا الـــله الـــشـــدائـــد كل خير
عرفـــت بها صديقـــي من عدوي

ولقد علمتنا الأزمة من هو الأخ والصديق الحقيقي ومن هو غير ذلك إذ أن ما في النفوس لا تكشفه إلاّ الأزمات والشدائد.

الفصل الثالث
اكتوبر.. القلق

(١) القلق وانعكاساته على المرابطين

(٢) التطوّرات السياسية العالمية

- تتابع الأحداث وتضارب التصريحات
- حرب المدن
- تحركات العراق ومؤيديه

(٣) استمرار سياسة الاحتواء والتسلّط وفرض القوانين على البلاد

- انتشار عدوى التخلّف
- النهب المنظّم
- الجداريات والإجراءات التعسّفية الأخرى
- محاولة العدو طمس كل ما له صلة بالتراث الكويتي
- الإعلان عن فتح المدارس ومقاطعة المواطنين لها
- سيل القوانين والقرارات الجديدة
- معاناة المواطنين
- تفتيش المناطق السكنية
- القبض على بعض رموز العمل الوطني
- ازدياد عدد المغادرين للبلاد وانعكاس ذلك على الوضع

(٤) الصمود وتطوّر أساليب المقاومة والرفض

- تكاتف المواطنين وبروز أهمية الوحدة الوطنية

- المقاومة المسلّحة
- أساليب أخرى للمقاومة
- الخدمات الطبية ودور الأطبّاء والجهاز الطبي
- المطافىء والدور الذي قامت به لخدمة المواطنين
- الدورة المالية والاقتصادية ودور التجار في صمود المواطنين
- الاتصالات بالخارج
- النشاطات الاجتماعية ودور المرأة في دعم الصمود

الفصل الثالث
أكتوبر.. القلق

(١) القلق وانعكاساته على المرابطين

رغم قسوة كل شهور الاحتلال التي مرت علينا إلاّ أن شهر أكتوبر تميّز بأجواء ملؤها القلق والإحباط، خاصّة بعد أن اتضح أن المشكلة ستطول ولن يكون الحل قريبا. وكان المواطنون يقاسون يوميًّا مما يشاهدونه في طول البلاد وعرضها من انتشار لجنود الغزو وتمكّنهم من تثبيت أقدامهم وبسط سيطرتهم بصورة محكمة على جميع نواحي الحياة.

وبحلول هذا الشهر ـ وهو الشهر الثالث للغزو ـ كان الناس في الداخل قد سئموا العيش مع هؤلاء الوحوش الذين لا ينبض لهم حس من ضمير ولا يعرفون شيئا اسمه الرحمة. وقد اضطّر الناس لمسايرتهم بكثير من الأمور اتقاءً لشرهم وتجنبًّا لبطشهم الذي كان يحل بالناس لأتفه الأمور.

وكانت البلد في تلك الفترة قد خلت من كثير من الجاليات الأجنبية وبدأ المواطن يحسّ بأنه وحيد في الساحة بين أناس يتربّصون به الدوائر ويتصيّدون الأعذار والذرائع ـ مهما كانت واهية ـ ليتمكّنوا من صب حقدهم عليه وعلى بقية المواطنين بالإضافة إلى محاولات سلب كل ما يجدونه لديهم من مقتنيات شخصية يستفيدون منها كالساعة أو السيارة مثلا، أو لنهب منازلهم بعد اختلاق أي سبب يعطيهم (الحجّة) للقيام بهذا العمل.

وقد زاد الوضع كآبة عندما بدأت كثير من العائلات الكويتية التي صمدت إلى هذا الشهر بالتفكير جديًّا بالسفر بعد أن دبّ اليأس فيها وتيقّنت أن المسألة ستطول أكثر مما كانت تتوقع. وكان ذلك يؤدي إلى الإحباط للمرابطين الذين كلما تلفتوا يمينًا

أو شمالاً وجدوا جاراً قد رحل أو قريباً يشدّ الرحال للسفر الذي لا أحد كان يعلم كم سيطول.

وقد كثّف العدو من إعلامه في تلك الفترة وأخذ يبثّ سمومه وعنجهّيته بصورة صاخبة ومؤثرة من خلال أبواقه التي وصل عددها إلى ما يقارب من ست إذاعات ومحطتي تلفزيون. إلاّ أنه وبالرغم من كل ذلك كان المواطنون متيقنين من انجلاء الموقف وزوال ذلك الكابوس يومًا ما مهما طال الزمن وقلّت الحيلة.

(٢) التطوّرات السياسية العالمية

ـ تتابع الأحداث وتضارب التصريحات

شهد شهر أكتوبر تطورات سياسية كثيرة وتميّز بتلاحق الأحداث وتضاربها مما انعكس على المرابطين بالقلق والترقّب. وكان كثير من الناس لازال يعتقد باحتمال وقوع الحرب في أكتوبر وقرب حدوث تدخّل عسكري ضدّ المحتل، ويفسرّ بعض الأحداث في هذا الاتجاه، إلاّ أن بعض المؤشرات كانت تدل على عكس ذلك. وبهذا أصبح الناس في تلك الفترة تحت مهبّ الريح يكاد يؤثّر عليهم أي خبر ـ مهما كان صغيرا ـ وينقلهم من اتجاه إلى آخر ومن حالة إلى حالة. فتارة كانت ترتفع المعنويات عند سماع أخبار توحي بقرب وقوع تدخّل عسكري، وتارة أخرى يسود الإحباط عند سماع النداءات التي كانت تنادي بضبط النفس وإعطاء الحصار الاقتصادي فرصة ليؤتي ثماره.

وكان من الأحداث المهمة التي وقعت في أكتوبر وأدّت إلى رفع معنويات المواطنين انعقاد المؤتمر الشعبي في جدّة في الفترة من ١٣ إلى ١٥ أكتوبر وإبرازه لوجه الكويت الحضاري المشرق والمؤمن بالحوار والتشاور بين مختلف الأطراف، مهما تباينت آراؤها واختلفت أطروحاتها السياسية مما يعكس تأصّل الأسلوب الديمقراطي بينهم.

وكانت كلمة سمو الأمير مبعث فخر واعتزاز وشعلة أمل أعطت الصامدين دفعة قوية جعلتهم يزدادون تصميما وعـزيمـة وإصرارا على مقاومة المعتدين. فقد أكّد في تلك الكلمة أن «صمودنا ووقوفنا جميعا صفاً واحداً ضدّ المحتل الغاشم كان مثار إعجاب واحترام العالم الذيَ يتابع عن كثب تحركنا الواثق نحو التحرير. . . وأنّ ما يغيظ النظام العراقي الآثم أنه لم يتمكن من النيل من إرادتنا بعد أن احتل أرضنا». كما أكّد أن الكويتيين عاشوا «منذ القدم في أجواء الحرية، والتزموا بالشورى، ومارسوا الديمقراطية في اطار دستورنا الذي ارتضيناه جميعا». وأشار إلى أن العدو «أخطأ في فهم طبيعة الجبهة الداخلية الكويتية وظن واهماً أن ما طرحه بعض المواطنين المجتهدين من آراء لترتيب أوضـاع البيت الكـويتي مبعثه خلافات وتناقضات بين أبناء الوطن الكويتي الواحد». وقد وجّه في الخطاب نفسه «رسالة تحية وتقدير واحترام لأهلنا في الكويت الـذين يسـطرون منذ بدء الاحتلال أروع آيات الصمود والتحدّي للعدو الغاشم، ويحافظون على أرض الوطن بقلوبهم وعيونهم ويثبتون كل يوم أن الكويت سبتقى حرة عزيزة رغم أنف المعتدي الآثم». وأكّد على أن «كويت المستقبل ستكون بإذن الله أكثر عزة وشموخاً واستقراراً وأمناً لأن ما قدّمه ويقدّمه الشعب الكويتي من تضحيات في هذه المحنة سيكون ركائز قوية وصلبة لانطلاقة كويتية ثابتة في جميع المجالات نحو مستقبل أفضل تضم فيه الكويت جميع المخلصين والأوفياء والشرفاء الذين صانوها وحافظوا عليها ودافعوا عنها».

وكان لقرارات المؤتمر الشعبي أكبر الأثر في نفوس المرابطين الذين كانوا يتابعونه بشغف طوال اليومين الذين استغرقهما. وقد أعطاهم ذلك الحدث كثيراً من الاطمئنان والثبات. وكان من القرارات التي أثلجت الصدور التأكيد على تكاتف الجميع في سبيل عودة الشرعية والتمسّك بدستور عام ١٩٦٢ والعمل على إعادة بناء الكويت، «كويت المستقبل . . .كويت الأسرة الـواحـدة. . . أرض المحبـة والـوفـاق والسـلام والأمن والأمـان. . . على أسس راسخـة من وحدتنا الوطنية ونظامنا الشرعي الذي اخترناه وارتضينـاه لحكمنا معزّزين الشورى والديمقراطية والمشاركة الشعبية في ظل دستورنا الصـادر عام ١٩٦٢ ملتـزمـين بمبـاديء الحق والعـدل والحرية والتكافل والتراحم والتعاضد وسائر المباديء التي نشأ عليها مجتمعنا».

كما كان لمواقف دول التحالف في هذا الشهر أثر طيب على معنويات المواطنين مما شدّ أزرهم وزاد عزيمتهم. وكان لزيارة الرئيس حسني مبارك لدول الخليج وتفقده خلالها الوحدات المصرية المشاركة في القوة الدولية وتأكيده على دعمه للكويت واستعداد مصر للدفاع عن دول الخليج ضدّ أي عدوان أثر إيجابي على المعنويات. وكان الرئيس حسني مبارك قد ألقى خطاباً يوم ٤ أكتوبر أكّد فيه موقف مصر الثابت تجاه الأزمة وكشف فيه جانباً من اتصالات العراق مع إسرائيل وأكّد أن العراق قام بعدة اتصالات مع إسرائيل خلال السنوات القليلة الماضية ليؤكّد لها حسن نواياه تجاهها ويخبرها بأنه لا يعتبر أن القضية الفلسطينية لها أولوية في جدول أعماله. كما طلب منها عدم التعرّض لخط الأنابيب الذي يمتدّ حتى العقبة. وكشف الرئيس مبارك عن أن أحد المصانع في إسرائيل كان يقوم بالإنتاج بكامل طاقته لتزويد «بعض المهمات» للجيش العراقي.

وفي باريس ولندن أكّدت فرنسا وبريطانيا أثناء زيارة سمو الأمير لها في النصف الثاني من أكتوبر استمرار تأييدهما للكويت ودعم الجهود المبذولة لإجبار العراق على تنفيذ قرارات مجلس الأمن. وكان لتصريحات الرئيس جورج بوش من أنّ صبره بدأ ينفذ بسبب مواقف صدام، وتحذيره للعراق بضرورة الانسحاب من الكويت وتشبيهه لصدام بهتلر وتأكيده على رفض الحلول الوسط وقع طيب تعزّز بتصريحات السيدة مارجريت تاتشر التي أكّدت أنها لن تقبل بتقديم أي تنازلات للرئيس العراقي ولن تساعده على حفظ ماء وجهه.

وفي نيويورك أصدر مجلس الأمن الدولي يوم ٢٩ أكتوبر القرار رقم (٦٧٤) الذي حمّل العراق المسؤولية الكاملة عن الخسائر الاقتصادية والمالية التي لحقت بالكويت والدول الأخرى سواء على المستوى الفردي أم على مستوى الدولة، وأكّد على ضرورة قيام العراق بالتعويض المالي عن هذه الخسائر. في هذه الأثناء أكّدت الولايات المتحدة الأمريكية أنها باتت مستعدة لأي عمل عسكري وأن قواتها أصبحت في وضع (الاستعداد التام).

أما في الجانب الآخر، ومقابل ما كان في الساحة من تطورات ومواقف إيجابية، كان هناك من التطورّات ما أقلق المواطنين وجعلهم يتوقّعون الأسوأ، وينتظرون المجهول. فقد زاد النظام العراقي في تلك الفترة من عنجهيته بينما وقعت تطوّرات وأحداث عالمية لم تكن تدعو للاطمئنان. فمثلاً كان لاقتراح زعماء الكونغرس الأمريكي في أوائل أكتوبر منح مهلة كافية للعقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق لتعطي أثرها قبل اتخاذ قرار نهائي بشأن طريقة معالجة الأزمة تأثير سلبي على الناس. كما كان للتصريحات اللاحقة التي تلت اجتماع وزير خارجية فرنسا والاتحاد السوفيتي في فيينا في منتصف الشهر بوجوب إعطاء المزيد من الوقت للعقوبات الصادرة ضدّ العراق لتعطي مفعولها نفس الأثر. بينما كان لتصريحات بعض المسؤولين الليبيين بأن بلادهم على استعداد (لقتال الجيوش الأمريكية والغربية في حالة الاعتداء على العراق) أثر سيء على المواطنين خاصة بعد أن دعا الرئيس الليبي الشعوب الإسلامية إلى مقاطعة مناسك الحج والعمرة مادامت القوات الأمريكية متواجدة هناك. وكان تصريح مماثل قد صدر من وزير الشؤون الدينية الأردني قبل ذلك بيوم واحد. كما أن رئيس اليمن بدأ (ينشط) بتحرّكاته أثناء تلك الفترة حيث أجرى بعض المقابلات مع بعض وسائل الإعلام العالمية أثنى فيها على صدام ووصفه بأنه زعيم وطني مخلص وقومي عربي ممتاز. وبالرغم من تيقّن المواطنين بأن هؤلاء ليسوا في الأمر من شيء إلاّ أن مواقفهم التي كانت تعبّر عن الحقد ونكران الجميل كانت تحزّ بالنفس وتُدمي القلب.

وفي خضّم تلك التطورات قام السيد إيفغيني بريماكوف مستشار الرئيس السوفيتي بزيارتين لبغداد خلال هذا الشهر صرّح خلالها بأن الاتحاد السوفيتي يفضل ويعمل من أجل إيجاد حل سلمي للأزمة. وكان ذلك مؤشراً قوياً بأن الأزمة ستطول وأن الحل العسكري بعيد المنال، وهذا بحد ذاته كان من الأمور التي تجلب مزيداً من الهموم والأحزان في فترة كان اليوم يمرّ فيها كالسنة.

ـ حرب المدن

كان من ضمن الأمور التي أقلقت المرابطين ما كان يدور في أواخر شهر أكتوبر

من أن الحرب ستدور داخل الكويت وربما داخل المناطق السكنية مما سيؤدي الى سقوط عدد كبير من الضحايا. وقد زاد القلق عندما أذيع عن اجتماع صدام مع القيادة العامة لقواته المسلحة حيث جرت في ذلك الاجتماع مناقشة «جانب من الاستحضارات المطلوبة للقتال داخل المدن في ساحة عمليات محافظة الكويت». وقد حضر الاجتماع الفريق عبدالجبار شنشل «والمسؤولون عن شؤون الأمن في محافظة الكويت». وكان علي حسن مجيد قد أشاد بنفس اليوم (٣١/١٠/١٩٩٠) «بالاستعداد الكبير والحماس العالي لأبناء شعبنا الأبي في محافظة الكويت للدفاع عن العراق العظيم». وكانت هذه التطوّرات والتصريحات، بالإضافة إلى تصريحات صدام المتكررة بأنه «سيجعل الكويت مقبرة للغزاة»، توحي بأن هناك أمراً ما يدبره هذا النظام الدموي ضدّ شعب الكويت.

وقد عزّز الاعتقاد بأن حرب شوارع ستقع لا محالة اعلان الولايات المتحدة عن قيام القوات الأمريكية من الفرقة (١٠١) المحمولة جواً بإجراء تدريبات عسكرية على حروب المدن والشوارع في إحدى القرى المهجورة بالسعودية استعداداً لتحرير الكويت إذا ما صدرت لها أوامر بذلك. كما أُعلن عن إجراء وحدات المدفعية بالفرقة نفسها تدريبات أخرى لمساندة القوات السعودية وقوات مجلس التعاون الخليجي التي تقف في الخطوط الأمامية إذا ما استدعيت لذلك. وكان لإعلان أحد المسؤولين في الإدارة الأمريكية، في نهاية أكتوبر، بأن لدى تلك الإدارة أدلة تثبت أن العراق قام بتلغيم المنشآت البترولية بالكويت ضمن خطة عراقية لتدمير القاعدة الاقتصادية الكويتية في حالة اندلاع الحرب في الخليج، أثر سلبي على المواطنين خاصة بعد أن ربطوا تلك التصرفات بتصريحات الملك حسين الذي زعم بأن الأدخنة المنبعثة من الآبار والمنشآت المحترقة التي قام العراق بتلغيمها ستؤدي إلى تغطية المنطقة بالأدخنة والغازات السامة لسنين طويلة.

وكان قلق المواطنين ـ بالإضافة إلى تخوفهم من آثار حرق المنشآت والآبار وتسمم الأجواء ـ ينصبّ أساساً على احتمال قيام القوات العراقية ـ في حالة نشوب حرب شوارع ـ بالاحتمـــاء بالمناطق السكنية واقتحام المنازل وحجز الأهالي واستخدامهم كرهائن،

والقيام بأعمال مروعّة ضد النساء والأطفال، حيث لم يكن ذلك مستبعدا من قبل تلك النـوعيات المتـوحشة من البشر التي خبرها المواطنون أثناء الفترة التي قضوها بينهم. وبـالرغم من معرفة المرابطين بإمكانيات المعتدين المحدودة وروحهم المعنوية المتدنية وجبنهم المعهود والمجرّب، إلاّ أن الناس كانوا لا يأمنون جانبهم ولا يستبعدون منهم القيام بأي عمل جبان من الأعمال الإجرامية التي جُبلوا عليها ضدّ الأهالي العزّل حتى في حالة هروبهم من الميدان. لذلك فإن هذه الأخبار أقلقت قطاعاً كبيراً من المرابطين وجعلتهم يفكرون بالوسائل الكفيلة بحماية أنفسهم.

ـ تحركات العراق ومؤيديه

استمـرّ العـراق من جانبه في تلك الفترة بالضغط على السفارات التي بدأت بإغلاق أبوابها ومغادرة موظفيها الواحدة بعد الأخرى، بسبب الظروف المعيشية القاسية التي بدأت تواجههـا من قطع للماء والكهـربـاء والغـذاء والاتصالات التلفونية. أما المسؤولون العراقيون فقد استمروا في تماديهم حيث صرّح وزير الإعلام العراقي يوم ١٧ أكتوبر بأن موقف العراق من موضوع الكويت ثابت ولن يتغير، وزعم أن الوحدة بين العـراق والكـويت أصبحت أبدية، وأن كل ما يتردد بخلاف ذلك هو مجرد روايات وأقـاويل. في حين كان طه ياسـين رمضان قد أعلن أن العراق يفضل الحرب على الانسحاب من الكويت والانصياع لقرارات مجلس الأمن الدولي. وقد أصدر العراق في تلك الفترة خريطة (للعراق الجديد) تبين الكويت على أنها المحافظة التاسعة عشرة، في حين ألحق الجزء الشمالي من الكويت، بما فيه وربة وبوبيان، بمحافظة البصرة بعد تسمية ذلك الجزء (بصدامية المطلاع).

وقـد تكثّفت زيارات أركـان النظام المعتدي في تلك الفترة للدول المؤيدة له والدول التي لم تُبد أي تعاطف مع قضية الشعب الكويتي. فقد زار طه ياسين رمضان وسعـدون حمادي وطـارق عزيز كلاً من الأردن والجـزائر وتونس وليبيا ودولا أخرى، لتنسيق المـواقف معهـا وكسب مزيد من التأييد. وكانت تصريحات أولئك المسؤولين

تتوالى بعد كل زيارة بأن العراق متمسك بحقوقه من زاخو إلى البحر. أما تلك الدول فكانت تؤكد وحدة موقفها الرسمي والشعبي إلى جانب العراق.

وفي هذه الأثنـاء زاد المعتـدون من تكثيف جهودهم الإعلامية حيث ازدادت زيارات الوفود الأجنبية للعراق من مختلف المنظّمات والساسة من جميع أنحاء العالم. كما بدأت الوفود الصحفية وبعثات التلفزيون ومراكز الإعلام العالمية بالتدفّق على بغداد من كل صوب. وكان الطاغية كثير التصريحات مكابراً في تعامله مع الجميع زاعماً أن العراق سيهزم جيوش الغزاة الذين سيتم إعادة أعداد كبيرة منهم بأكفانهم إلى بلدانهم. وكان من الزوار كثيري التردّد على العراق ياسر عرفات الذي كان ما إن يغادر بغداد حتى يعود إليها ثانية بعد أيام. وقد قضى معظم وقته وهو يمجّد ويمتدح الطاغية ويثني على أعماله وتصرفاته. كما لحقه كثير من مسؤولي الحركات والمنظمات الفلسطينية الأخرى التي أخذت تتسابق للذهاب إلى بغداد ومقابلة صدام والتمجيد به. وكان من بين هؤلاء جورج حبش ونايف حواتمة ومحمد عباس (أبوالعباس) وغيرهم من الناعقين وراء سيدهم الجديد. كما انضمّ إليهم كثير ممن كانوا يختبئون خلف الشعارات القومية والإسلامية، كحسن الترابي من السودان، وعباس مدني من الجزائر، وراشد الغنوشي من تونس، وأسعد بيوض التميمي (أمير حركة الجهاد الإسلامي)، وبعض قيادات الأحـزاب والمنظمات المختلفة في الأردن واليمن وشمال أفريقيا ومن لفّ لفهّم. وكان للتصريحات التي أطلقها هؤلاء في تأييد صدام وأعماله أسوأ الأثر على نفوس المواطنين الـذين تيقنوا ببعد هؤلاء عن الإسلام وعن المبادىء النبيلة التي يدّعونها. وكان من ضمن التصريحات التي كشفت حقيقة هؤلاء، وبعدهم عن كل ما يأمر به الإسلام من قيم ومبـاديء ما قالـه أسعد التميمي ـ بعد زيارة قام بها للعراق خلال هذا الشهر واستمرت اسبوعا ـ بأنه «تشرف بمقابلة الرئيس صدام المجاهد الكبير الذي يقود صف الإيمان ومعـه كل المسلمين (الخيرين)». كما كان عبدالحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ضمن الجوقة التي عزفت للعدوان العراقي وادّعت أن مبادرة صدام بتاريخ ١٢ أغسطس والتي ربط فيها بين أزمة الخليج ومشكلة فلسطين هي الطريق الصحيح للحل.

رئيس جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر للنداء:

النصر حليف العراق

■ صدام حسين قائد مؤمن وجهادي

■ سيفشل القرار الهمجي بتجويع العراقيين

كتب احمد صبري:

وصف رئيس جبهة الانقاذ الاسلامية في الجزائر السيد عباس مدني قيادة السيد الرئيس المناضل صدام حسين، بانها قيادة مؤمنة وجهادية لا تخاف الاعداء الذين يريدون اذلال العروبة والاسلام.

وقال في حديث خص به «النداء» لقد وجدت السيد الرئيس صدام حسين خلال لقائي بسيادته مؤمنا واثقا بحتمية انتصار ارادة الحق على الباطل.

وايمان سيادته مستند بما لا يقبل الشك الى عدالة المعركة التي يديرها ضد معسكر الكفر الذي يريد فرض الهيمنة والوصاية على العراق والامة العربية والمسلمين عموما.

وشدد رئيس جبهة الانقاذ الاسلامية الجزائرية على ان الحصار الظالم الذي فرضته قوى الشر والعدوان على العراق باطل وسيفشل لان ارادة العراق شعبا وقيادة اقوى من هذا الفعل الهمجي اللاانساني الذي يريد تجويع شعبنا العربي المسلم في العراق وتركيعه وفرض الوصاية على نهجه المستقل.

ودعا السيد عباس مدني كل احرار العرب والمسلمين الى اعلان التضامن مع شعب العراق والوقوف الى جانب قيادته المؤمنة لافشال مخططات القوى الاجنبية وتفويت الفرصة عليها للنيل من حريتنا واستقلالنا وارادتنا الحرة.

واكد رئيس جبهة الانقاذ الاسلامية الجزائرية على ضرورة انهاء التواجد الاجنبي على الارض العربية، لانه يدنس الارض العربية الطاهرة ويزيد من تعقيد الوضع، لذلك يتوجب على كل عربي ومسلم يريد الخير لامته ان يرفع صوته عاليا ومدويا لطرد القوى الاجنبية من ارضنا العربية الطاهرة.

وعبر السيد عباس مدني عن تاييده المطلق لمبادرة السيد الرئيس القائد

(البقية على الصفحة ٢)

● عباس مدني

انطلاقاً من مبدأ حسن النية العراق رحّب بمبادرة لجنة الصليب الأحمر

■ بعض طلبات اللجنة تمس السيادة وحالت دون توقيع اي اتفاق

بغداد ـ واع ـ صرح ناطق رسمي لوزارة الخارجية تعقيبا على التصريحات التي اطلقها السيد كورنيليو سوماروغا رئيس اللجنة الدولية للصليب الاحمر في جنيف بتاريخ ١٩٩٠/٩/٧.

لقد رحب العراق بمبادرة اللجنة الدولية للصليب الاحمر في معالجة الجوانب الانسانية للوضع في المنطقة وبالاشارات الاولية التي ابدتها اللجنة الدولية للمساعدة في استمرار تزويد الشعب العراقي بالمواد الغذائية الاساسية والمعدات واللوازم الطبية والادوية.

وقد اجرى وزير الخارجية محادثات مطولة مع رئيس اللجنة الدولية كما جرت مفاوضات مستفيضة ومفصلة بين مساعدي رئيس اللجنة الدولية وخبراء وزارة الخارجية وقد التزم العراق في هذه المحادثات بكل اخلاص بمبدأ حسن النية وروح

(البقية على الصفحة ٢)

منوعات

منوعات النداء صفحتان بالالوان

(ص ٤ و٥)

العراق يشارك في مؤتمر علمي بتونس

تونس ـ واع ـ بدأت في تونس امس اعمال المؤتمر العلمي الثاني لعلوم الارض بمشاركة عدة بلدان عربية واوروبية من بينها العراق.

ويبحث المؤتمر الذي تشرف على تنظيمه الجمعية التونسية لعلوم الارض عدة مواضيع تتصل بالجيولوجيا المنجمية للبترول والموارد المائية في اعماق الارض والمحيط وتهيئته وصيانة ومقاومة التلوث.

وستنظم في اطار المؤتمر الذي يستمر اسبوعا رحلات علمية الى عدد من مواقع ومشاريع متخصصة باعمال المناجم والصيانة والمواقع الجيولوجية في تونس.

استقبل سمير غوشة

(تتمة المنشور على الصفحة الاولى)

الكعبة المشرفة وقبر الرسول الاكرم ﷺ من دنس اعداء العروبة والاسلام هو واجب على كل عربي ومسلم لان المدافعين عن حقوقهم قادرون على الانتصار على كل قوى البغي والعدوان مهما بلغ حجمها.

ودعا السيد راشد الغنوشي جميع احرار العرب والعالم الى الوقوف مع العراق في تصديه بثبات للحلف الامبريالي الغربي الصليبي الذي يستهدف الهيمنة المطلقة على المنطقة العربية والعالم.

وكان السيد الغنوشي قد حذر في بيان نشرته مجلة «المغرب العربي» في عددها الاخير، من المخطط الامريكي الغربي الكبير الذي يستهدف تعويق الامة العربية وشل طاقاتها وتعميق تمزيقها وترسيخ تبعيتها وضمها بوسائل كثيرة تضاف الى زرع الكيان الصهيوني في قلبها النابض.

وشدد على ان الامة العربية لم تكتب من قبل مثلما تكبت به هذه الايام من اقتحام الجيش الامريكي الصليبي لارض الحرمين الشريفين بدعم دولي غير مسبوق.

ووصف استقدام خائن الحرمين الشريفين للامريكيين والغربيين الصهاينة وتدنيس ارض العرب والاسلام بالجيوش الصليبية بانه جريمة عظمى واجراء باطل لكل شرعية دستورية او دينية.

واكد انه ليس امام العربي والمسلم الا ان يضع نفسه الى جانب شعب العراق بقيادة السيد الرئيس صدام حسين الذي يتكالب العالم ضده ويفرض عليه الحصار وتزحف عليه الجيوش والاساطيل بهدف تدميره.

وقال ان الرئيس صدام حسين نذر نفسه دفاعا عن كرامة الامة المهددة ولردع الكيان الصهيوني وحلفائه.. مؤكدا وقوف جماهير الامة العربية مع سيادته ضد القوى الطامعة.

ودعا في ختام بيانه علماء الجزيرة العربية الى ان يقولوا حكم الشرع فيما اقدم عليه فهد من استباحته ارض الاسلام لاعدائه الكفرة.. كما دعا امريكا وحلفاءها للانسحاب الفوري من ارض العرب والمسلمين.

امس ان تجار البترول شيكونون اول الخاسرين في الحرب التي تنوي امريكا اشعالها في الخليج حيث سيكونون اول وقود نيرانها.

وتساءلت الصحيفة قائلة: واما كان من الاجدى لخونة العرب توفير تلك المليارات التي يصرفونها على تواجد القوات النازية في الجزيرة لابناء الشعب العربي والاسلامي وحل الامبريالية والصهيونية الى صدور شعوبهم دون ادنى تردد متناشين ان لمحكمة التاريخ لا تغفر للعملاء والخونة واذناب الاجنبي.

وفي صنعاء اكدت صحيفة «الثورة» اليمنية ان ما يهدد الوطن العربي اليوم هو اخطر مشروع استعماري جديد عرفه التاريخ الامر الذي يتطلب صحوة عربية شاملة.

المنطقة العربية من جديد وخلق كيانات هزيلة موالية لها.

واضافت ان نوايا القوى الكبرى للتدخل او التواجد العسكري في منطقة الخليج والجزيرة العربية واحتلالها كانت مبيتة قبل الثاني من شهر اب الماضي وهو ما تؤكده سرعة دفع الحشود العسكرية الى المنطقة.

لمناسبة مرور الف يوم على الانتفاضة

مهرجان الاخوان المسلمين في الكرك يدعو الى نصرة العراق

عمان ـ واع ـ نظمت جماعة الاخوان المسلمين في محافظة الكرك جنوب العاصمة الاردنية عمان مهرجانا خطابيا لمناسبة مرور الف يوم على الانتفاضة الفلسطينية الباسلة ولنصرة العراق في وقفته البطولية بوجه الهجمة الاجنبية التي يتعرض لها الوطن العربي.

والقى النائبان احمد كناوين ويوسف العظم كلمتين في المهرجان اكدا فيهما على ان ما يواجه الامة العربية والاسلامية من مشاكل وصعاب لا يمكن حلها إلا من خلال التلاحم العربي ـ الاسلامي.

ودعيا الى الوقوف الى جانب العراق لصد الهجمة الامبريالية الزاحفة الى تدمير العراق والحد من قدراته العسكرية التي اصبحت الطليعة في العالم العربي.

ونددا بدور الولايات المتحدة والدول الغربية الطامعة في الشرق الاوسط والتي جاءت لاستغلال النفط العربي والثروة العربية.

كما القى الدكتور احمد ذوقل الاستاذ بالجامعة الاردنية كلمة بين فيها ان اسباب الحملة الغربية ضد العراق تتمثل في حراسة الحدود التي تبتها الاستعمار واحتلال منابع النفط وكسر قوة العراق التصنيعية وتجميد الصحوة العربية ـ الاسلامية وحماية الاطماع الصهيونية التوسعية في الوطن العربي.

فلسطين تدعو الامم المتحدة الى احترام قراراتها

الامم المتحدة ـ دعت فلسطين امس الامم المتحدة الى اتخاذ الاجراء الفوري لضمان احترام جميع قرارات مجلس الامن والجمعية العامة الخاصة بالاراضي الفلسطينية المحتلة.

واكدت ان مجلس الامن بصفة خاصة مطالب باستخدام سلطاته حسب ميثاق الامم المتحدة لتطلب من «اسرائيل» احترام قرارات المجلس وتنفيذها.

جاء ذلك في رسالة بعث بها السيد زهدي الطرزي المراقب الدائم للفلسطين في الامم المتحدة الى الامين العام للامم المتحدة ونشر هنا اليوم نصها الرسمي كوثيقة من وثائق مجلس الامن والجمعية العامة.

واضافت الرسالة الفلسطينية ان «اسرائيل» تواصل احتلال الارض الفلسطينية تحديا للقانون الدولي ولمبادىء ميثاق الامم المتحدة وتواصل اصرارها على تصعيد العدوان وانتهاكات حقوق الانسان الفلسطيني.

وقالت ان سلطات الاحتلال الصهيوني تواصل حصار قطاع غزة وتقوم بعمليات وحشية ضد الفلسطينيين المدنيين وارتكاب المزيد من الاعمال الوحشية من نسف المنازل واعتقال الاطفال والشباب وطرد المواطنين.

واضافت ان سلطات الاحتلال تمنع الصليب الاحمر الدولي ووكالة الغوث واجهزة الاعلام من دخول المنطقة.

ابو العباس: امريكا هي العدو وسنقاتل الى جانب العراق

لندن ـ واع ـ قال السيد محمد ابو العباس زعيم جبهة التحرير الفلسطينية في مقابلة مع صحيفة التايمز البريطانية نشرت هنا امس انه في اللحظة التي تهاجم فيها القوات الامريكية والبريطانية والفرنسية العراق سيهاجم الفلسطينيون دفاعا عن النفس وفق امكاناتهم.

واضاف في المقابلة التي اجراها مراسل الصحيفة في بغداد نيكولاس بيستون امس ان الحرب مفتوحة على جميع الجبهات مشيرا الى ان الفلسطينيين سيردون بشدة اذا تعرض العراق الى هجوم من امريكا وحلفائها موضحا اننا لم نخطط للقيام بهجمات ضد الشعوب الاوروبية والامريكية.

واكد انه عندما ارسلت امريكا قواتها الى منطقة الخليج اصبح من واجب الفلسطينيين القتال والوقوف الى جانب العراق لان امريكا هي العدو وسنستخدم كل الطرق للدفاع عن انفسنا ونامل الا يحدث ذلك.. وقال عندما ترسل امريكا طائراتها لقصف بغداد فان هذا هو الارهاب.

قرب مباني الامم المتحدة اكتشاف اسلحة مخصصة لاغتيال تاتشر

لندن ـ واع ـ ذكرت صحيفة «ديلي ميرور» البريطانية امس انه تم اكتشاف اسلحة في شقة في نيويورك تقع قرب مباني الامم المتحدة مخصصة لمحاولة اغتيال تستهدف رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر.

ونقلت الصحيفة عن مصادر شرطة نيويورك قولها ان عبوات ناسفة واسلحة آلية واجهزة اتصال اكتشفت في شقة في مانهاتن.

واضافت ان الشرطة الاتحادية تبحث عن شابة ايرلندية وانها تشتبه في ان الجيش الجمهوري الايرلندي وراء المؤامرة.

وقال متحدث باسم رئاسة الوزراء البريطانية دون الاشارة الى اكتشاف الاسلحة ان تاتشر ستتوجه مثلما هو مقرر في نهاية الاسبوع الحالي الى نيويورك حيث ستشارك في اجتماع للامم المتحدة حول الطفولة.

في وثيقة كتبت بالدم

(تتمة المنشور على الصفحة الاولى)

صباح امس الاول سيرا على الاقدام باتجاه القصر الجمهوري حيث كان باستقبالهم لدى وصولهم رئيس الدائرة التربوية في ديوان الرئاسة وهم يحملون صورة السيد الرئيس القائد صدام حسين وعلم الثورة العربية وعلم العراق تعبيرا عن تضامنهم المطلق والشجاع مع الشعب العراقي العظيم في دفاعه العادل والمشروع عن الامة العربية وكرامتها وسيادتها.

ينظر للثروة نظرة مؤمن على الاطلاق فالبترول خرب الايمان مع تخريبه الاخلاق .. وبعد ان تناول سيادته هذا الموضوع بالامثلة

ونقل السيد نايف حواتمة الى السيد الرئيس القائد صدا تحيات شعب فلسطين الصامد في الارض المحتلة وشعب الاد

استقبل سمير غوشه ورئيس "النهضة الإسلامية" التونسي

طه ياسين رمضان: الأمة امتلكت إرادتها المستقلة

■ الغنوشي: استقدام الغزاة لتدنيس الديار المقدسة جريمة عظمى

■ علماء الجزيرة مطالبون بقبول حكم الشرع في استباحة فهد للمقدسات

بغداد - واع - استقبل السيد طه ياسين رمضان عضو مجلس قيادة الثورة النائب الاول لرئيس الوزراء امس السيد سمير غوشه الامين العام لجبهة النضال الشعب الفلسطيني والوفد المرافق له.

وأشار السيد النائب الاول لرئيس الوزراء الى ان زمن الاستسلام والتخاذل العربي قد انتهى والى الابد وان لا تراجع عن سياسة التصدي الثوري الذي بدأ يتصاعد في كل الاقطار العربية.

وأكد السيد طه ياسين رمضان ان قرار عودة الكويت الى العراق قرار ابدي ولا تراجع عنه.. وان ابناء الامة العربية موحدون للدفاع عن هذا الحق الطبيعي والمشروع.

وقال ان الامة العربية قادرة على ان تثبت قوتها وارادتها بين الامم وان الخونة والعملاء من الحكام العرب هم الان في مازق كبير من خلال استعداد كل الجماهير العربية لمنازلة المعتدين واسقاط العروش المهترئة المحتمية بالكيان الصهيوني وحلفائه الذين يحصلون على اسباب القوة والتوسع على حساب شعب فلسطين ولبنان وسوريا.

وأكد السيد سمير غوشه ان قيادة السيد الرئيس صدام حسين الحكيمة وموافقة القومية ودفاعه عن فلسطين وتحديه للصهاينة واسيادهم وعملائهم زادت من جذوة النضال والاستعداد للقتال في نفس المواطن العربي.

كما استقبل السيد طه ياسين رمضان امس السيد راشد الغنوشي رئيس حركة «النهضة الاسلامية» التونسي.

واكد السيد طه ياسين رمضان ان وحدة الموقف العربي بكل فصائله وتياراته واحزابه ومنظماته .. وفي كل الاقطار العربية ضد احتلال الغزاة الامريكان وحلفائهم للاراضي العربية ومقدسات العرب والمسلمين حالة جديدة في تاريخ الامة العربية تجسد امتلاك الامة لارادتها المستقلة واستعدادها لمنازلة المعتدين الذين يريدون الهيمنة على سيادتها وثرواتها. واشار الى فزع حكام نجد والحجاز ومصر واسيادهم من تصاعد وحدة الفصائل الثورية العربية واستعدادها لمقاتلة المحتلين الامريكيين وحلفائهم وتطهير الاراضي العربية المقدسة من دنسهم.

واكد السيد راشد الغنوشي ان طرد المحتلين الامريكان وحلفائهم وانقاذ

(البقية على الصفحة ٢)

● طه ياسين رمضان

● سمير غوشة

● الغنوشي

اليمن يستنكر الإجراءات التعسفية لنظام فهد ضد باقي مواطنيه

صنعاء - واع - استنكرت وزارة الخارجية اليمنية الاجراءات التعسفية التي اتخذتها السلطات السعودية ضد الدبلوماسيين والاداريين العاملين في السفارة اليمنية في السعودية.

وعبر مصدر مسؤول في الوزارة في بيان اذاعه تلفزيون صنعاء مساء امس الاول عن استنكاره الشديد لما اشارات اليه مصادر رسمية سعودية بان الاجراءات التعسفية ضد الدبلوماسيين والاداريين العاملين في السفارة اليمنية بالرياض قد تمت حماية لامن وسلامة المملكة.

وقال المصدر ان الحكومة اليمنية حريصة على ان يكون الاشقاء والاصدقاء في جميع انحاء العالم على يقين تام بان تلك الادعاءات لا اساس لها من الصحة وان حكومة السعودية اتخذتها لتبرير العديد من الاجراءات التي لا هدف لها سوى خدمة الاعداء.

واشار المصدر الى انخفاض عدد العاملين في القنصلية اليمنية بجدة والذين يزيد عددهم عن ٥٠ دبلوماسيا واداريا.

وفي عمان نفى السكرتير الصحفي لرئيس وزراء الاردن ان يكون السيد مضر بدران قد تسلم من سلطات نظام فهد مذكرة باتهام اي من الدبلوماسيين الاردنيين في الرياض بالتجسس.

وتساءل في تصريح صحفي عن مصلحة الاردن في ذلك معربا عن اعتقاده بعدم دقة او جدية ادعاءات نظام فهد التي تناقلتها بعض وكالات الانباء.

الشيخ اسعد التميمي في بغداد

بغداد - واع - وصل الى بغداد امس الشيخ اسعد بيوض التميمي امير حركة الجهاد الاسلامي «بيت المقدس» على رأس وفد في زيارة للعراق تستغرق عدة أيام.

وأكد الشيخ اسعد بيوض التميمي في تصريح لمندوب وكالة الانباء العراقية ان الوجود الامريكي والاجنبي في ارض نجد والحجاز لا يهدف الى حماية مصالحه في المنطقة فحسب بل ليمنع توحيد الامة العربية والصحوة المتفجرة في العالم الاسلامي التي ستكون بها نهاية الصهيونية.

ودعا جميع المسلمين في العالم الى التوحد والوقوف صفا واحدا لضرب ودحر الغزاة الذين دنسوا ارض المقدسات وقبر الرسول الكريم (ﷺ).

المقيمون في الكويت يبرقون استنكارا للحصار وللغزو الاميركي

تلقت «النداء» صورة عن البرقية المطولة التي ارسلها عدد كبير من العرب المقيمين في محافظة الكويت، ومنطقة الخليج العربي، الى الرئيس الاميركي «جورج بوش»، تلبية لنداء التلفزيون. وقد تضمنت البرقية المكتوبة باللغتين العربية والانكليزية استنكار الغزو الاميركي للديار المقدسة، والدعوة الى فك الحصار الاقتصادي الذي استهدف الاطفال والنساء من المقيمين على اراضي العراق، وحرمهم من الغذاء والدواء.

كما طلبوا توجيه نسخ من البرقية الى كل من:

الامين العام للامم المتحدة، قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، مارغريت تاتشر، فرانسوا ميتيران، الملكة اليزابيث، بينينوكراكسي، نيل كونيك، اعضاء الكونغرس الاميركي، اعضاء مجلس العموم البريطاني، اعضاء البرلمان الفرنسي، واعضاء مجلس السوفيت الاعلى.

□ جريدة (النداء) ٢٥/٩/١٩٩٠ - صفحة (١)□

لاسلامية في افريقيا و٥ مليارات لاعادة بناء لبنان و٣ مليارات لخدمة القضية الاسلامية في الامريكتين.

وشدد المجلس الاسلامي على ان صرف هذه الاموال لصالح الماكنة الحربية الامريكية انما يسهم بالنتيجة في خدمة اسرائيل التي ستوظف تلك الاموال لصالحها.

وزارة التعليم الفرنسية تطلب الغاء الاجراءات المجحفة بحق العراقيين

باريس ـ واع ـ طالبت النقابة الوطنية للتعليم العالي في فرنسا بالغاء كافة التعليمات والاجراءات المجحفة التي اصدرتها وزارة التربية الفرنسية بحق الطلبة العراقيين الدارسين في فرنسا.

واشارت في رسالة مفتوحة بعثت بها امس الى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتيران الى ان هذه الاجراءات العقابية الجماعية بحق الطلبة العراقيين تعتبر انتهاكا خطيرا للحريات العامة وحقوق الانسان.

وطلبت من الرئيس الفرنسي استقبالها بصورة عاجلة بهدف بحث هذه المسالة.

ودعت النقابة الوطنية للتعليم العالي في فرنسا في هذه الرسالة السلطات العليا في فرنسا باتخاذ قرار سريع لالغاء هذه الاجراءات وذلك للحفاظ على صورة ومستقبل فرنسا.

وكانت وزارة التربية الفرنسية قد اصدرت مؤخرا تعليمات الى مدراء وعمداء المعاهد والجامعات الفرنسية تطلب منهم فيها ابعاد الطلبة المتدربين والباحثين العراقيين من الجامعات وعدم اعادة تسجيلهم للعام الدراسي الجديد وكذلك التوقف عن صرف المنح الشهرية لاصحاب الزمالات الفرنسية منهم.

اختفاء ضابط أمريكي في سيناء

القاهرة ـ واع ـ قالت صحيفة الوفد القاهرية ان ضابطا امريكيا من القوات متعددة الجنسيات بجنوب سيناء اختفى في ظروف غامضة.

واضافت الصحيفة ان الضابط خرج وبحوزته ادوات الغطس ولم يعد للمعسكر.

واشارت الى ان مدير الادارة العامة لشرطة السياحة والاثار امر باجراء مسح شامل للمنطقة بحثا عن الضابط الامريكي.

باخرة مجهولة لوثت مياه البحر الاحمر

صنعاء ـ واع ـ كشف مصدر مسؤول بوزارة الثروة السمكية اليمنية عن قيام باخرة مجهولة الهوية مطلع الاسبوع الماضي بتلويث مياه البحر الاحمر عند باب المندب.

وقال المصدر في تصريح نشرته صحيفة الوحدة امس ان اثار ذلك التلوث بدأت تبرز بموت بعض الاسماك التي ظهرت على شواطىء البحر بمدينة الحديدة.

أمير حركة الجهاد الاسلامي:

صدام حسين رجل تاريخ وصانع أمة

■ رأيت الرئيس واثقا من النصر.. ونصر المسلمين بتأييد من الله

عمان ـ و اع ـ وصف الشيخ اسعد بيوض التميمي امير «حركة الجهاد الاسلامي» ـ بيت المقدس ـ السيد الرئيس صدام حسين بانه رجل تاريخ وصانع امة وهو يمثل روح التحدي في هذه الامة.

وقال في تصريح صحفي عقد لمناسبة اختتام زيارته لبغداد... لقد رأيت الرئيس صدام حسين واثقا من النصر...

واضاف الشيخ التميمي ان نصر المسلمين عبر التاريخ لم يكن بكثرة العدد او العدة وانما بتاييد الله وبروح الجهاد والاستشهاد.

واوضح ان الولايات المتحدة والدول الاوروبية ارادت من وراء حشد اساطيلها وجيوشها اعلان حرب جديدة مشيرا الى ان هذه المرة يجتمع العالم الكافر في صف واحد ضد المسلمين والاسلام.

واكد امير الجهاد الاسلامي (بيت المقدس) ان العراق لم يرتكب جريمة عندما ضم الكويت اليه لانها جزء من اراضيه فصلها الانكليز عنه.

واشار الى ان الحشد العسكري في الخليج احيا روح الجهاد والاستشهاد لدى المسلمين الذين سيحاربون حربا شاملة في الدنيا كلها وسينقلون المعركة الى ديار الاعداء.

وقال ان هذه الحشود لم تات الى المنطقة كما يقول البعض من اجل البترول الذي كانوا يسيطرون عليه استخراجا وارصدة بل جاءوا ليمنعوا الوحدة ويقاوموا الصحوة الاسلامية ويحموا (اسرائيل) التي لم تشعر بالخطر في حياتها الا هذه الايام.

العراق يدعو الحكام لتحديد مدى تمسكهم بمبادئ عدم الانحياز

الامم المتحدة ـ واع ـ دعا العراق الحكام المختبئين تحت شعارات عدم الانحياز الى تحديد مدى تمسكهم بمبادىء الحركة في الوقت الذي يدعون فيه قوات حلف شمال الاطلسي ضد دولة مؤسسة لحركة عدم الانحياز.

جاء ذلك في كلمة العراق امام اجتماع الدول الاعضاء في حركة عدم الانحياز عقد في مقر الامم المتحدة فجر امس على هامش اجتماعات الجمعية العامة.

وقال السيد صباح طلعت نائب ممثل العراق في الامم المتحدة وممثل العراق في الاجتماع ان مبادرة السيد الرئيس صدام حسين في الثاني عشر من اب هي الاطار المناسب لحل مشاكل المنطقة العربية وان الاطار العربي هو الاساس الممكن والواقعي لحل الازمة في الخليج.

واضاف ان العراق يرى ان حركة عدم الانحياز هي الركيزة التي تستند اليها الدول النامية والفقيرة وان مبادرات العراق معروفة لدول الحركة وخاصة المبادرات الاقتصادية مشيرا الى طرح العراق في مؤتمر هافانا عام ١٩٧٩ مشروعا اقتصاديا متكاملا للتخفيف من معاناة الدول النامية من ارتفاع اسعار الطاقة.

واكد ان العراق وفي اصعب الظروف يقدم ما يستطيع واخر ذلك ما اعلنه عن استعداده تزويد الدول النامية بالنفط مجانا لكي تتمكن الدول من مواجهة الاعباء الاقتصادية التي اسفر عنها الحصار الذي فرضته

(البقية على ص٢)

ياسر عبد ربه يطالب بانسحاب القوات الاجنبية

تونس ـ واع ـ دعا الشيد ياسر عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الدول العربية الى رفض الدعوات الامريكية الهادفة الى فرض قيود ضد العراق لخفض تسليحه وحجم قواته العسكرية.

وقال السيد ياسر عبدربه في تصريح صحفي نشر هنا امس ان اي احد من التسلح في المنطقة له جانبان عسكري وسياسي ويجب فرض حد التسلح اولا على اسرائيل التي تحتل ترسانتها المرتبة الاولى كقاعدة للعدوانية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط.

وسياسيا فان الحد من التسلح لا يمكن الا ان يكون متوازنا وشاملا ومرتبطا بايجاد حل للقضية الشعب الفلسطيني يؤمن انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ويضمن حقه في الاستقلال.

وطالب بانسحاب القوات الاجنبية من منطقة الخليج العربي لتمكين الشعب العربي من حل قضاياه الثنائية بنفسه مؤكدا ان الحل السياسي وفق قاعدة الشرعية الدولية لجميع الازمات يتطلب وقف الحصار المضروب على العراق.

وذكر ان الوجود العسكري الاجنبي في المنطقة ينبغي النظر اليه باعتباره تهديدا استراتيجيا ضد بلدان المنطقة والامن القومي العربي وضد حق الشعب العربي في السيطرة على ثرواته الوطنية.

الأمريكيون من أصل عربي:

الرئيس القائد أثبت للعالم أن العرب لم يموتوا

تونس ـ واع ـ اكد صحفي عربي بارز يعيش في المهجر ان الامريكيين من اصل عربي يرون في شخصية السيد الرئيس صدام حسين الامل الذي اثبت للعالم ان العرب لم يموتوا ولا بد من الاستجابة لارادتهم.

وقال السيد اسامة السيلاني رئيس تحرير صحيفة صدى الوطن العربي في امريكا في حديث لصحيفة الصباح التونسية امس ان العرب في امريكا راوا لاول مرة في تاريخ الامة العربية دولة تستطيع ان تكون محورا هاما في عملية سياسية كبرى في المنطقة.

واضاف ان العرب في امريكا يباركون قوة العراق التي ستضع حدا للذل والاهانات التي يتعرض لها الانسان العربي ويعتزون بها الى حد تقديم التضحيات دفاعا عنها.

وذكر رئيس تحرير صدى الوطن ان العرب يقولون الان باعلى صوتهم في امريكا «نحن عرب».. وباقتدار.. واصبحوا يحملون املا في المستقبل.

منوعات النداء
صفحتان بالالوان
(ص ٤ و٥)

□ جريدة (النداء) ٦/١٠/١٩٩٠ ـ صفحة (١)□

رئيس الجبهة القومية الاسلامية السودانية:

بوش غراب هجرة الفلاشا لفلسطين المحتلة

عمان ـ قال رئيس الجبهة القومية الاسلامية في السودان الدكتور حسن الترابي في حديث مع صحيفة الرأي الاردنية أن الرئيس الامريكي بوش هو غراب هجرة يهود الفلاشا الى فلسطين المحتلة.

واضاف ان بوش الذي كان في عام ١٩٨٥ نائبا للرئيس الامريكي اشرف في حينه على المرحلة الثالثة من هجرة اليهود الاثيوبيين الى فلسطين المحتلة «وقد تمت هذه المرحلة بشكل سافر وبالطائرات العسكرية الامريكية التي قامت بنقل آلاف اللاجئين من يهود الفلاشا الى الكيان الصهيوني».

وقال ان الفتاوى التي اصدرها بعض العلماء المسلمين وأجازوا فيها اقدام فهد على جلب قوات امريكية وبريطانية وفرنسية وغيرها الى نجد والحجاز والخليج العربي انما صدرت بعد ضغوط السلطات السعودية.

واضاف الدكتور الترابي «وفي ضوء ما تقدم فان الفتاوى التي جوزت لبعض الحكام استدعاء جيوش كافرة في ارض طاهرة مقدسة بحجة الضرورة.

قد كانت حسب علمي خطأ».

وتعليقا على تصريحات حسني بان مصر ستضرب اي صواريخ عراقية في السودان قال الدكتور الترابي «ان تصريحه هذا جاء في سياق الحملة الدولية على العراق وما يتصل بها وهو استرضاء للذين يحملون على العراق».

انتقدت عباراته البذيئة

صحيفة مغربية: حسني يمشي بحذاء أكبر من رجليه

الرباط ـ واع ـ انتقدت صحيفة مغربية لهجة حديث حسني والعبارات البذيئة وغير الدبلوماسية التي صبغت حديثه لصحيفة الفيغارو الفرنسية منتصف الاسبوع.

وسخرت صحيفة «الاسبوع الصحفي السياسي» في تعليق امس من انخداع حسني بشخصه وتوهمه بمكانته بين العرب واغتراره بعمالته للصهاينة والغرب وقالت انه بدأ يمشي بحذاء اكبر من رجليه فانطلقت بعض الصحف المصرية بعملية ابتزاز للكويتيين والسعوديين.

ويذكر ان حاكم مصر تجاوز في حديثه للفيغارو كل اخلاق الزعماء وكياسة الدبلوماسيين واساء للعرب كثيرا وقلل من شان ومكانة الاشقاء في دول المغرب العربي واعتبر وجهة نظرهم ومواقفهم غير ذات قيمة.

صحيفة مغربية تكشف ممارسات تجار

وصفتها بالمخرج الوحيد من المأزق

الصحف العربية تواصل الاشادة بمبادرة ١٢ آب

عواصم ـ واع ـ واصلت الصحف العربية الاشادة بمبادرة السيد الرئيس صدام حسين في ١٢ اب.

وقالت صحيفة «الرأي» الاردنية انها لا تزال المخرج الوحيد من المازق الذي تورط فيه الذين سارعوا الى استصدار القرارات الدولية ضد العراق.

واكدت في مقالها الافتتاحي امس ان الشرعية الدولية لا تتجزأ ولا يمكن ان تكون انتقائية بحال من الاحوال وقالت ان المشروع العراقي لا يرفض الشرعية الدولية وانما يتمسك بها ويحرص على تنفيذها بجميع القرارات التي تمثلها وبالتالي فان الرفض العراقي في جوهره هو رفض للانتقائية ولتجزئة الشرعية الدولية.

واوضحت الصحيفة الاردنية انه في ضوء هذا المفهوم الواضح والالتزام الصحيح يغدو من الصعب الاقتناع بموقف الذين يصرون على الفصل بين ازمة الخليج والقضية الفلسطينية ووصفت ذلك الموقف بانه يهدف الى كف يد الاسرة الدولية عن تنفيذ القرارات التي تتعلق بمصير شعب فلسطين وحقوق الامة العربية.

واشارت الى ان الذين يرفضون المشروع العراقي ويتذرعون بعدم وجود علاقة بين الازمة والقضية انما يتنكرون لمبدأي وحدة السلام بالمنطقة ووحدة الشرعية الدولية التي تعالج قضاياها.

وفي صنعاء اكدت صحيفة ٢٦ سبتمبر اليمنية ان مبادرة السيد الرئيس صدام حسين في ١٢ اب الماضي مثلت انجح الحلول لاعصى الازمات العالمية وفضحت في ذات الوقت مدى همجية وعنصرية امريكا وبريطانيا وحليفاتها وحقدهم التاريخي على العرب والمسلمين.

وطالبت الصحيفة الاسبوعية حال لسان القوات المسلحة اليمنية في مقال نشرته امس الجمعية العامة للامم المتحدة بدراسة مشاكل منطقة الشرق الاوسط كحالة لا يمكن تجزئتها وقالت انها عند ذلك ستجد ان مبادرة الرئيس صدام حسين في ١٢ اب الماضي هي المخرج المشرف لكل الاطراف وبدون ذلك فلن تقتصر اعاصير الطوفان على المنطقة العربية وحدها بل ستعم العالم وستعود به الى الزمن الذي ارادته له امريكا وحليفاتها قرنا الى الوراء في اسوأ التقديرات.

ومضت الصحيفة تقول ان امريكا والغرب جاءوا لاحتلال منابع النفط من اجل تامين تدفقه الى الغرب حيث يمثل النفط شريان حضارته لكنهم اكتشفوا انهم بمجيئهم المرفوض هذا قد يفقدون النفط نهائيا وذلك منتهى احتضار حضارتهم وعنصريتهم.

واضافت الصحيفة لذلك نجد الدول الغربية وامريكا لم تكتف بسلسلة القرارات الدولية المتلاحقة ضد العراق بل ذهبت لتتوجها بسابقة خطيرة لم تحدث في التاريخ وهي اضفاء الشرعية على الارهاب والترصنة الجوية بعد فرض الحصار البري والبحري وفي اعتقادهم ان حرب التجويع هذه ضد العراق ستجبهم ويلات الحرب التي ما جاءوا الا من اجلها.

وتساءلت الصحيفة في ختام مقالها هل يدرك الغرب ان خيارات الدولارات التي ينفقونها على القوات الاجنبية هي ما جاءت من اجله القوات وان هذه المبالغ كانت كفيلة بتنمية كامل الوطن العربي وستعود على هؤلاء بالتقدير والمحبة من قبل الامة بدلا من انفاقها بالطريقة الحالية والتي فجرت ضدهم نقمة الجياع في ارجاء الوطن العربي والاسلامي.

وفي تونس حملت صحيفة تونسية الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها مسؤولية تفجير الاوضاع وترتيب ممارسات تهدد امن واستقرار الشرق الاوسط والعالم.

واكدت صحيفة الصحافة في مقال افتتاحي امس ان حشد القوات وتكديس الاسلحة واستخدام لهجة التهديد فضلا عن التفنن في اساليب التجويع المتنافية مع روح العصر ليست في واقع الامر سوى غطاء لضرب تنامي القوة العربية واجهاضها وهي في طور النشوء لان استكمالها يعني بداية تفكير العرب في لم شتاتهم وتوحيد جهودهم وصرفها لخدمة قضاياهم المصيرية في التحرر والمناعة.

وذكرت الصحيفة ان كل الدلالات تشير الى ان الحشود العسكرية الغربية انما جاءت لاعادة تقسيم خارطة الشرق الاوسط بصورة تبقى لاسرائيل اليد الطولى في المنطقة وتضمن للغرب مصالحه فيها.

ومضت الصحيفة التونسية الى القول لو لم تكن المنطقة حاوية لاكبر مخزون عالمي من النفط وادرك الاستعمار كيفية تحويله الى مصدر دائم لرخائه الاقتصادي لما زج الغرب بكل ثقله. ويهذه الضورة في منطقة الخليج العربي مؤكدة ان البلدان الغربية لم تات الى المنطقة حبا باحد فهذا منطق لا يمكن القبول به في نهاية هذا القرن.

وتساءلت الصحيفة في نهاية المقال .. هل ياتي وقت يقتنع فيه العرب بجدوى التخلص من الاحقاد والخلافات وبضرورة امتلاك القوة الفعلية التي تحقق لهم حضورهم على الساحة الدولية وتضمن لهم المناعة وتخلصهم من التبعية فيفرضون بذلك وجودهم وكلمتهم.

وفي الرباط قالت صحيفة مغربية ان السيد الرئيس صدام حسين عبر بمواجهاته الصريحة عن مواقف الجماهير العربية والاسلامية التي التفت حوله.

وطالبت صحيفة الاسبوع الصحفي والسياسي المغربية الامة العربية بان تتعامل مع الغرب بعقلية اساسها ضمان مصالح العرب وسيادتهم على ارضهم وقالت ان ازمة الخليج كشفت للغرب وغيرهم ان العقلية الاوروبية والفكر الغربي يتعامل مع الغير وفق مصالح الغرب بالدرجة الاولى.

واعربت الصحيفة عن قناعتها بان التواجد الامريكي في اراض نجد والحجاز ومنطقة الخليج سيستمر طويلا وقالت ان امريكا تريد ان تهيمن على المنطقة وتنهب ثرواتها.

و١٧٠٠ قطعة مدفعية..
وذكر الناطق الامريكي ان هذه

خائن الحريصين في واشنطن هو الذي سهل للمخابرات الامريكية توريط عمه

ان العراق لا يعادي يا سعادة السفير الا من يعاديه ويعادي الاسلام.

بن بيلا: لا حل لأزمة الخليج والسيف الأمريكي يلوح فوق الأرض العربية

الجزائر ـ واع ـ اعلن الرئيس الجزائري الاسبق احمد بن بيلا ان اللجنة الشعبية التي يرأسها تستعد وتتخذ الاجراءات اللازمة لوضع خطة تحرك شاملة لتثوير الشارع العربي والانتقال الى مرحلة نضالية اكثر فعالية لمواجهة المؤامرة الامبريالية الصهيونية التي يتعرض لها العراق والامة العربية.

وقال في تصريح لمراسل وكالة الانباء العراقية بالجزائر: ان اللجنة التي تضم عددا من الاحزاب السياسية والمنظمات الشعبية وشخصيات سياسية وفكرية واعلامية ترى في تثوير الشارع العربي وفق برنامج مخطط له مسبقا يشكل وسيلة ناجحة لمعالجة الخلل في بنية النضال العربي وللضغط على الحكومات العربية التي تخاذلت في مواقفها وتواطأت مع الغزو الامبريالي الصهيوني وكذلك للضغط على

● بن بيلا

الحكومات الغربية لمنعها من مواصلة تنفيذ مخططها الاجرامي ضد الشعب العراقي».

وعبر عن اسفه الشديد لضعف مواقف الامم المتحدة وانحرافها عن المبادىء التي وجدت من اجلها وهي الحفاظ على امن واستقرار الشعوب لتصبح اداة طيعة بيد امريكا تسيرها وفق مشيئة جورج بوش.

واكد ان ضعف الامم المتحدة يستدعي من العرب جميعا الاعتماد على النفس لتحقيق المصلحة العربية والنضال المشترك للوصول الى الاهداف التي ننشدها لامتنا العربية.

واشار الى ان الجزائر نالت استقلالها بعد ان ضحت باكثر من مليون ونصف المليون شهيد وهو الطريق الذي اختارته الجزائر لفرض ارادتها وطرد الغزاة من اراضيها فتحقق لها ما ارادت اما من يطمع ان تضع الامم المتحدة طريق حياته في ظل هذه الظروف وهي بهذه الوضعية من الضعف واهتزاز المواقف فانه لن يجني غير الخيبة والخسران.

واكد ان حل ازمة الخليج العربي لن يخرج عن الاطار العربي مهما حاول الغرب بزعامة امريكا زعزعة اركان هذا الحل مشيرا الى ان الازمة كانت ستزول لولا تدخل القوات الاجنبية التي اصبحت اداة تصعيد خطير وتعقيد لكل مجرياتها وبالتالي لا يمكن ان يكون هناك حلا لهذه الازمة والسيف الامريكي يلوح فوق الارض العربية.

واوضح ان اندلاع الحرب في منطقة الخليج العربي يؤدي الى دمار شامل لن يسلم من اثاره احد ولذلك لا بد من تجنيب المنطقة هذا الدمار بحل سلمي يرضي الجميع.

وحيا الرئيس الجزائري الاسبق احمد بن بيلا في ختام تصريحه القيادة الفذة للسيد الرئيس صدام حسين وصمود الشعب العراقي بوجه كل التحديات الاستعمارية وآلته الحربية.

وقال من ارض الجزائر ارض المليون ونصف المليون شهيد احيي اخي الرئيس صدام حسين بسلام حار مليء بالمحبة والاعتزاز وابارك للشعب العراقي الشجاع وقفته البطولية.

اسماء المعاهد والمدارس والرياض التي تقرر افتتاحها هذا العام (ص ٣)

مركزيا في محافظة الكويت، كما ان مسؤولياتها متابعة واستلام حسابات الدوائر الشهرية وتوحيدها وارسالها الى دائرة المحاسبة لوزارة المالية في بغداد افرض توحيدها مع حسابات الجمهورية العراقية.

واضاف الدكتور حسن انه تم ابلاغ البنك المركزي بعدم التحويل لاي مبلغ الا بعد الاتصال بوزارة المالية وقد سنرى هذا الامر اعتبارا من ١٩٩٠/١٠/١ والهدف من هذا الاجراء هو السيطرة على الناحية المالية والمحاسبة للدوائر المتواجدة في محافظة الكويت.

وقال: انه تم فتح دورات تدريبية للعاملين في خزينة محافظة الكويت ١٩٩٠/٩/٣١ ليتسنى للخزينة القيام بايداع المبالغ اللازمة في حساباتهم المختصة في البنك المركزي والمصارف التجارية وبهذا الصدد لرجو مديرية خزينة محافظة الكويت كافة الاخوة المعنيين بهذا المجال الاسراع في الاتصال بالخزينة المذكورة لغرض السيطرة وبشكل دقيق وسريع على القضايا المالية.

واضاف انه سيتم فتح فروع لدوائر عقارات الدولة والهيئة العامة للضرائب ودائرة التقاعد علما بان هناك قسما كبيرا منها قد باشر اعماله فعليا ومديرية خزينة محافظة الكويت هي عبارة عن دوائر تابعة لوزارة المالية.

حركة «الاخوان المسلمون» تطالب برفع قرارات مجلس الأمن

عمان ـ واع ـ ندد عدد من الخطباء بالدول العربية التي استقدمت القوات الاطلسية الى الاراضي المقدسة في نجد والحجاز مؤكدين ان التاريخ لا يرحم بعد دعوتهم لقوى الطغيان الى ارض الاسلام والمسلمين.

وطالب الخطباء في المهرجان الخطابي الكبير الذي نظمه مكتب الحركة الاسلامية «الاخوان المسلمون» في مدينة اربد شمال العاصمة الاردنية عمان برفع جميع قرارات مجلس الامن التي صدرت ضد العراق والتي اخرها فرض الحصار الجوي مؤكدين ان مجلس الامن هو مجلس امريكي.

وتساءل الخطباء كيف يدعي من طلب من هذه القوات لتدنس ارض المسلمين انها جاءت لتحميهم وهل كان امنهم مستقرا و«اسرائيل» العنصرية تحتل ارض فلسطين ولو بقيت «اسرائيل» ١٠٠ سنة تقتل وتذبح في المسلمين والعرب لما احتجت هذه الدول التي رضيت الذل والمهانة من قوات الغزو الامريكي.

والقى النائب يوسف العظم كلمة قال فيها ان الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها تهدف الى اضعاف موقف الامة الاسلامية لانها ترى فيها خطرا وترى في تماسكها تهديدا لمصالحها.

وحيا النائب عبدالمنعم ابوزنط الوقفة الاردنية الفلسطينية ضد الغزو الامبريالي الامريكي الصهيوني مستعرضا الاوضاع التي تمر بها المنطقة العربية والمحاولات التي تقوم بها الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها من اجل بسط سيطرتها على الارض العربية والاسلامية.

ووصف ابوزنط المعركة التي تخوضها الامة العربية والاسلامية ضد الغزو الامريكي بانها معركة بين الحق والباطل.

□ جريدة (النداء) ١٩٩٠/٩/٣٠ ـ صفحة (١)□

أما وزير الأوقاف الأردني علي الفقير فقد (أفتى) بأن استعانة المسلم بالمشرك ضدّ أخيه المسلم حرام حرمة أبدية، وأضاف أن الخلاف الحالي في الخليج هو خلاف بين الكفر والإسلام متعامياً عما كان يقوم به النظام العراقي من انتهاكات لأبسط حقوق الإنسان وجميع المبادىء الإسلامية من قتل للأبرياء وهتك للأعراض ونهب للممتلكات، والتي كانت واضحة وضوح الشمس لكل ذي بصر وبصيرة. كما أكّدت صحيفة الدستور الأردنية أن إفشال الحصار الاقتصادي ضدّ العراق هو واجب ديني.

أما المهرجانات والخطابات والتصريحات فكانت على أشدّها، وكانت تأتي من كل جهة مؤكّدة أن العراق سينتصر، وأنه لن يقبل الحوار مع أي جهة تحت التهديد ولا يوافق على الوساطات خاصة إن كانت من جانب عربي، إذ أن «الوسيطة ضدّ الإيمان» وأن العراق لن يقبل أي وساطة قبل رحيل الغزاة من أرض المقدّسات.

وفي تصريح لاحدى الصحف الفرنسية قال طارق عزيز «إن لدى العراق إمكانات لإلحاق أفدح الخسائر بالولايات المتحدة، وأن الحرب إذا ما اندلعت فإنها ستكون دموية وطويلة ومدمّرة». كما زادت صيحات المتاجرين بالقضية الفلسطينية الذين تساءلوا عن سبب عدم تطبيق قرارات مجلس الأمن المتعلّقة بالانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة، وكرّروا ما كان يروّج له نظام صدام من أن الأمم المتحدة والدول الغربية تعالج المشاكل العالمية بمعيارين مختلفين حسب ما تراه مطابقا لمصالحها. كما استمرت التهديدات الزائفة لبعض المنظمات التي ادعت بأن الشعب العربي سوف لن يقف مكتوف الأيدي إزاء العدوان في حالة حدوثه ضدّ العراق وهدّدوا بأن زلازل كثيرة ستقع في الدول العربية لردع العدوان.

هذا وقد بدأ النظام العراقي ـ من ضمن الألاعيب التي كان يقوم بها بين الحين والآخر ـ بإطلاق سراح بعض الرهائن وذلك بعد أن اشتد الضغط العالمي عليه وبدأت الدول المختلفة تستنكر أعماله الإجرامية المتمثّلة في منع الأجانب من السفر خارج العراق وإجبارهم على البقاء في المواقع الاستراتيجية لاستخدامهم كدروع بشرية. فقد

مؤتمر القوى الشعبية العربية بعمان في يومه الثاني:

أمريكا تهدف للسيطرة على النفط للتحكم بالعالم

شبلي العيسمي: المؤامرة الامبريالية تهدف للسيطرة والتحكم بالانتاج والاسعار والتصدير

د. جورج حبش: نقول لاهلنا في العراق وفلسطين وللجماهير العربية إن الفجر آت لا بد منه

نايف حواتمة: اذا أقدمت أمريكا على ضرب العراق فان الجماهير العربية ستنزل زلزالها على المعتدين

● شبلي العيسمي ● جورج حبش ● نايف حواتمة

■ عباس زكي: على أمريكا أن تعرف أن الخطوة التي تنقلها من دولة كبرى إلى دولة مسخ ستكون بعد الاعتداء على العراق

■ د. أحمد الاصبحي: أناشد الجماهير العربية في الخليج والجزيرة مقاومة الظلم والانتخاء للكرامة وتحرير المقدسات الاسلامية

وقال السيد شبلي العيسمي الامين العام المساعد لحزب «البعث العربي الاشتراكي» ان القوى المؤمنة المناضلة ما اجتمعت على هدف نبيل وصمت عليه الا تحقق لها مهما طال الزمن وغلا الثمن.

واضاف يقول في كلمة القاها امام مؤتمر القوى الشعبية العربية المنعقد في العاصمة الاردنية عمان: منذ اكثر من ثلث قرن لم تجتمع قوى النضال العربي بتياراتها المختلفة متلما اجتمعت عليه في هذه الايام.

وعن السيد العيسمي قائلا: ان ذلك ان دل على شيء، فانما يدل على نضج سياسي ووعي قومي يفتديان المصالح القومية والاستراتيجية على القضايا الفئوية والثانوية كما يدل ذلك على وعي للابعاد الحقيقية والنتائج المصيرية للمعركة المقدسة التي تخوضها قوى النضال العربي من اجل الحرية والكرامة والنهوض والتقدم ضد قوى الشر والطغيان ممثلة بالامبريالية والصهيونية واتباعهما في المنطقة العربية.

واوضح ان هذه المعركة حققت الفرز الطبيعي بين الوطنيين الصادقين المؤمنين بحريتهم واسلامهم وحق على الولايات المتحدة ان تكف بان الخطوة التي ستنقلها من دولة كبرى الى دولة مسخ ستكون بعد اصبع واحد باتجاه العراق والاعتداء عليه.

وقال في كلمة افتتح بها الجلسة الصباحية لليوم الثاني لمؤتمر القوى الشعبية العربية ان التأمر على الامة العربية بدأ منذ زمن بعيد وبمسعى مشترك من كافة التنظيمات الوطنية في هذه المنطقة الاستراتيجية التي يستهدفها المخطط الامبريالي الصهيوني.

واضاف السيد زكي ان مثل هذه المؤشرات، والتأييد الكبير، والوقفة القومية مع العراق ما هي الا تعبير عن الحياة الجديدة والحركة في الامة التقدمية بين صفوف الشرفاء من ابناء الامة العربية.

ودعا عضو اللجنة التنفيذية لحركة «فتح» القوى الوطنية والقومية العربية الى رص صفوفها لان المؤامرة تستهدف الجميع، معبرا عن ثقته التامة بشجاعة الجماهير العربية الذي لا يرضى بالتركيع والاستسلام للاجنبي.

كما القى الدكتور جورج حبش الامين العام «للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» من عودة الارض الى وحدة

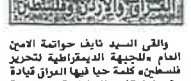

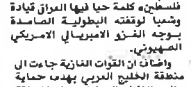

ووصف مبادرة السيد الرئيس صدام العام «للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» كلمة حيا فيها العراق قيادة وشعبا لوقفته البطولية الصامدة بوجه الغزو الامبريالي الامريكي الصهيوني.

واضاف ان القوات الغازية جاءت الى منطقة الخليج العربي بهدف حماية منابع النفط والاستيلاء على المنطقة العربية كلها.

والقى السيد نايف حواتمة الامين العام «للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» كلمة حيا فيها العراق قيادة وشعبا لوقفته البطولية الصامدة بوجه الغزو الامبريالي الامريكي الصهيوني.

واضاف ان القوات الغازية جاءت الى منطقة الخليج العربي بهدف حماية منابع النفط والاستيلاء على المنطقة العربية كلها.

واكد ان صمود العراق والاردن واليمن في هذا الظرف سيشكل تعزيزا قويا لصمود شعبنا العربي الفلسطيني وتوسيع دائرة ثورة الحجارة البطلة كي تتمكن هذه الثورة من تحقيق اهدافها في التحرير والعودة واقامة الدولة الفلسطينية على كامل التراب الفلسطيني وعاصمتها القدس.

وناشد الدكتور الاصبحي الجماهير العربية في الخليج والجزيرة العربية العمل على مقاومة الظلم الواقع عليها والانتخاء للكرامة العربية والاسلامية والوقوف بحزم وصلابة ضد الوجود الاجنبي واجلائه من المنطقة وتحرير المقدسات الاسلامية.

وكان الفريق الركن المتقاعد مشهور حديثة لد الليل كلمة في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر اكد فيها ان الهدف من الحشود الاجنبية على الاراضي العربية هو تدمير العراق العربي واستباحة دم الجندي العربي العراقي.

وقال: ان هذا راس يرفض ويقاوم ويتصدى له كل عربي حر .. موضحا

ان في العراق ص

لقد تصرف اعداء الامة العربية لهذه المرة ا
عهد الحروب الصليبية بحجة نداء عملائ
الامبريالية قارون نجد والحجاز خائن الحرمي
وحسني التابع.

ان فرض السيادة الاستيلائية من هياكل الا
مرفوضة من الرأي العام العالمي والمجتمع الدو
أية طائفة تطلق من هذه الجيوش والاساطيل
والحجاز والخليج العربي ستهب العرب ج
العراقيون ليتخذوا كل الاجراءات المشروعة له
العراق من زاخو الى البحر وسيادة التربة الطا
وتطهيرها من رجس الاعداء الذين حرم الله ع
عليها لقدسيتها وشرفها الباري بوجود قبر

وستتحمل امريكا «بوش» وانكلترا «تاتشر»
نشوب الحرب وسيتحقق بها قوله تعالى «وقد
عمل فجعلناه هباء منثورا» ولا يجوز لاحد ان
وحدتها ولا يجوز لاحد أن يعطل رجوع الفرع
عصرنا الدعوة لتجزئة العرب عن طريق است
لماذا كل هذا على العراق وانتم تعرفون ان ال
للعالم جليلة اذا ما حددنا بوضوح وحزم معالم
الحرية والتكاتف والتعاون السلمي بين الشعو
دليلنا بالبرهان:

ان العالم الغربي يصنفكم بالعالم الثالث ا
الاقتصادي أو التقدم العلمي وانما ينظر
الانسانية كمرتبة ثالثة كتصنيف هتلر للشعو
الاقتصادي في اذلالكم وفرض شروطه التر
الخاصة.

وقائدنا المنصور بالله صدام حسين حفظه
على استعداد وبدون مقابل ثمن أن ادفع هذا ال
النفط مجانا وبدون شروط بذية تحريركم من
القرار من الزاوية التي ترونها مطابقة لمصال
أن العراق منعطف تاريخي نحو اقامة عا
بناء وانسانية.

ان العراق والعراقيين جماء ومنذ اثنين وار
من اجل العرب ولا مستقبل للعرب الا مع
الشرفاء.

ان في العراق صداما ونظاما اجتماعيا جديد
بين الأمم.

ان العراق سيعمل على تطوير جميع منا
منسجما وشاملا.

أو ما يذكرون ان العراق اليوم محرك عجل
وهل نسوا ان العرب والاسلام اليوم مع الد
فعالا في ايجاد غد افضل لهم.

ليعلم الجميع بان العراق يعيش في عصر ي
وعلى كل بلد ان ينكر لا على الصعيد القطري
صعيد العالم اجمع وهكذا بالنسبة للعراق ان ع
العربي ايضا وجد وفي ظل القوة فيه دون ان ينظ
من حيث ما انتهى الآخرون فباستطاعه الا
عالم اليوم بمراجعة تجاربهم السياسية.

وما دام العراق اليوم على اتم الاستعداد للد
سيظل عقبة كاداء في وجه العدوان العسكري و
القوة ولا يمكن ان يتحقق التقدم والعدالة الا
ان الاستهانة بالنضال العربي ضد الامبر
الاجنبي هي انتهازية في الجوهر.

وبهذا فان بوش وتاتشر يمرضان العالم مرة ا
واسعة النطاق.

امتهم بالانهيارات والتقدم، وبين المناقصين المتخاذلين الذين باعوا كرامتهم واوطانهم ومستقبل ابنائهم بابخس الاثمان .

وقال السيد الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي انه ليحز في النفس ويثير التقزز ان تصل الجرأة ببعض الحكام العرب حدا يدفعهم للاصطفاف في خندق واحد مع اعداء الامة واشرسهم في الكيد لها والتآمر عليها مع امريكا الحليف الاستراتيجي الدائم للكيان الصهيوني، والتي امدته ولا تزال تمده باسباب القوة والبقاء وتعمل بلا مواربة انها تريده ان يكون متفوقا على كل العرب مجتمعين .

واضاف ان حكام «السعودية» ودويلات الخليج المصطنعة، يستقر في عقولهم ومشاعرهم انهم مدينون بوجودهم لبريطانيا، وباستمرارهم لامريكا، ويدركون ان حكمهم المشاركي المتخلف قائم على احتكار اسر محدودة لثروة العرب النفطية تمت بها وتبددها على الفساد والافساد وشراء الضمائر وبما يخدم مصالح امريكا وحلفائها ويؤدي القضايا العربية ويجهلهم بالتالي وصمة في جبين العروبة والاسلام .

واشار الى ان العملاء الصغار فضحوا انفسهم وفضحوا اسيادهم عندما لم يتقنوا عملية الاخراج في التستر على المؤامرة الامبريالية على العراق والامة العربية وقال السيد العيسى: ان من المفارقات العجيبة ان تستخدم امريكا وحلفاؤها ذريعة الدفاع عن الشرعية الدولية وعن الديمقراطية وحقوق الانسان من اجل سحق العراق بتجاوز هذه المبادىء وامتهانها والتصرف بما يناقضها، ولا سيما في ما يخص الامة العربية، حتى لكان «الدبتوه» الامريكي لم يوجد الا لخدمة «اسرائيل» وتمهيل قرارات هيئة الامم المتحدة التي تدين عدوانها واحتلالها للاراضي العربية، في فلسطين والجولان وجنوب لبنان .

واكد ان المؤامرة الامبريالية تهدف الى تدمير قوة العراق العسكرية، بعد ان اصبحت قوة رادعة «لاسرائيل» وتحطيم قدراته وبعد ان احبت الامال بامكانية العرب في الاعتماد على النفس والانطلاق نحو النهوض والتقدم.

كما تهدف الى التصدي لقوة الثورة والتمرد لدى الجماهير العربية والعمل على خنقها بعد ان اخذت تتصاعد وتشتد ضد التبعية والاستسلام تمهيدا وحلفائها واداتها من الحكام العرب، والابقاء على حالة التمزق والضعف في الوطن العربي، خدمة لاسرائيل» وتمكينا لها من التوسع، وتحقيق حلمها في بناء دولتها الكبرى من الفرات الى النيل .

واوضح السيد الامين العام المساعد للحزب ان من اهداف المؤامرة الامبريالية ايضا اعادة السيطرة الثنائية والمحكمة على ثروة العرب النفطية والتحكم بها انتاجا وتصديرا وتصديرا ومن ثم التحكم بدول العالم الاخرى من خلال هذه السيطرة .

واكد السيد عباس زكي عضو اللجنة التنفيذية لحركة «فتح» ان التامة مع العراق خطوة عربية مشروعة .

وقال في كلمته خلال الجلسة المسائية الاولى لمؤتمر القوى الشعبية العربية انه اذا كانت الادارة الامريكية تصر على الحرب فنحن مستعدون لها ولكن ليست لنا يد منه .

واكد السيد حواتمة ان هدف القوات الغازية الامريكية هو ضرب القوة العسكرية والاقتصادية العراقية حتى لا ينهض العراق والامة العربية .

وقال الامين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين كلمته في المؤتمر القومي الشعبي العربي في دمشق ان العراق لا يحتل لاهلنا في العراق وشعب العراق ولاهلنا في فلسطين وقول العراق انه لن يخرج منها وامتنا العربية ان تصر على الحرب فنحن مستعدون لها .

في أحاديث للشخصيات العربية المشاركة في المؤتمر:

صدام حسين عبر عن الزهو والكرامة العربية

■ التواجد الامريكي المدعوم أوروبيا وصهيونيا حلقة من حلقات الصراع بين ارادة التحرر والطامعين بثروات العرب

■ العراق فجر في الامة العظيمة كل طاقات الخير والجهاد .. والعدوان لن يحمي المصالح الامريكية

عمان - واع - اكد عدد من الشخصيات العربية المشاركة في اجتماعات مؤتمر القوى الشعبية العربية الذي افتتح هنا امس ان المعركة التي تخن على ابوابها هذه الايام ليست معركة العراق وحده وانما هي معركة الامة العربية كلها.

وابلغت هذه الشخصيات بمثة وكالة الانباء العراقية الى المؤتمر التواجد العسكري الامريكي المدعوم اوروبيا وصهيونيا هو حلقة من حلقات الصراع بين ارادة التحرر العربية واعدائها الذين يحاولون الهيمنة على مقدرات العرب وثرواتهم الوطنية.

وقال الدكتور ممدوح المبادي رئيس اللجنة التحضيرية المنظمة للمؤتمر ان صمود العراق بقيادة الرئيس صدام حسين قد جاء مليا ومعبرا عن طموحات وآمال ابناء الامة العربية وقواها السياسية والشعبية.

واضاف: ان شعب الاردن يكن فضائله السياسية والاجتماعية يقف باعتزاز مع صدام حسين في موقفه الذي يعبر عن الزهو والكرامة العربية لان موقف الرئيس صدام حسين هذا ينظر اليه هنا في الاردن باعتباره مفصلا اساسيا في الصراع بين الامة العربية والصهيونية والامبرياليين.

وقال السيد عبدالرحيم عمر رئيس رابطة الكتاب والادباء الاردنيين ان العراق يقف اليوم في مواجهة اكبر امبريالية عدوانية في هذا العصر التي يمثل عليه عصر «الامبريالية» بعد انهيار حلف وارشو ويعد ان اختار الاتحاد السوفيتي لنفسه هذا الموقع الدولي.

واضاف ان موقف العراق هذا يمنح المرء في النفس العربية التي يدك ترى جيشا وشعبا وقائدا عربيا يقف متحديا قوى العدوان بصمود مؤازرا ان الواجب يقتضي من العرب ان يذودوا عن العراق بكل ما يملكون وان يكونوا السور الذي يلتف حول العراق ويدفع عنه الاذى.

واشار السيد عمر ان الى ان العراق يواجه اليوم العدوان الامريكي الغاشم بثقة عليها شعب عربي ومسلم ومن خلال هذا العدوان الاثم وسوف لن يستطيعوا ان يفلتوا كذلك انتم تعلمون ان وحدة الوطن العربي العالم ويتجه باستمرار وبشكل عارم نحو والديمقراطية.

يجب ايقاف التفكير بالعدوان ويعكسه مقبرة لغير العرب والمسلمين ولن لا يدعو الر

صاد

أعربت عن دهشتها لرد الفعل السريع له

الجزائر تؤكد ضرورة موا لتسوية أزمة الخليج بـ

الجزائر - واع - عبرت الجزائر عن دهشتها واستغرابها من رد الفعل السريع الذي اتخذه مجلس الامن الدولي في مواجهة ازمة الخليج العربي واعتماده القرارين ضد العراق بشكل جماعي ووحد.

وقال السيد احمد غزالي وزير الشؤون الخارجية الجزائرية في رسالة جوابية بعث بها الى الامين العام للامم المتحدة ان مجلس الامن استرد في هذه المرة الوحدة والثبات اللتين افتقر اليهما في الماضي وبصفة خاصة عند احتلال (اسرائيل) للاراضي العربية عام ١٩٦٧ ثم حين ضمت الجولان وغزت لبنان عام ١٩٨٢ وكان من المؤمل ان تستجيب الامم المتحدة رد فعلها هذا بنفس القوة ونفس الفعالية ازاء جميع حالات انتهاك ميثاق الامم المتحدة وقواعد القانون الدولي .

واضاف السيد غزالي في رسالته ان الجزائر تفسر الفقرة (٣) من القرار (٦٦١) بانها تستبعد توريد المواد المخصصة للاستعمال الطبي والمواد الغذائية وذلك على اساس ادراكها بان المجلس لا يستهدف تجويع الشعب العراقي .

واكدت الجزائر ان التورط المباشر للقوات الاجنبية في المنطقة العربية واتساع نطاقها الذي لم يسبق له مثيل يشكلان بالفعل احد العوامل المخيفة في تداعي المواجهة مما ينبغي العمل على ترجيح العقل على منطقة الحرب .

واشار وزير الخارجية الجزائرية في رسالته الى ان الامم المتحدة قد تأسست للمحافظة على البشرية من ويلات الحروب وليس للمشاركة بطريقة او باخرى في اثارة أتم اخرى فان النجوه الى الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة لا يجب ان يكون مثارا لاي شك بل يجب ان يؤدي الى قراءة أمينة ودقيقة لروح ونص جميع احكام الميثاق .

واوضحت الرسالة الجزائرية ان الجزائر تتوقع من المجتمع الدولي وبصورة خاصة من مجلس الامن سرعة وثباتا متساويين يكفلان تطبيق القرارات الما الامن وبما تتعلق بالار من الاراضي واكدت ال الجهود للتو على التفاوض عربي ممر لاي حل ع الاثار سواء المجتمع الد

عالم مو جواز ا لحماية

مورينانس ال البحوث الم استدعاء ج الحرمين الش محتمل.

وقال ال الحسن الش الحموي في الادارة المذك ما ان هذا ا وانها صابر والحجاز الم جيوش المق وانما تجعل

واكدان ه دليل شرعـ الفتوى الم يمنعون الا فاذا بهم يـ بوش وتاتش من الشريعة يستخرجون تتعارض مـ والعقل.

ان المؤتمر صعالج هذا الوضع الذي لم تواجهه أمة العرب في عصرها الحديث حيث استبيحت الاوطان وتدنست المقدسات وتكالبت الامم على نهب ثرواتنا بينما يموت بعضنا جوعا ويعيش الاخرون بلا امل في عام لا مكان فيه الا للاقوياء القادرين المتمكنين .

واضاف: ان امريكا وحلفاءها الاطلسيين يقيمون جبهة قتال على ارض عربية وفوق مياه عربية ويحشدون لها عشرات الالاف من الجنود والاسلحة المتطورة المدمرة، من كل صنف، وكل ذلك على بعد كيلو مترات من مرقد سيدنا محمد* ومن الكعبة المشرفة، وعلى ارض احد وبدر والخندق، وبالقرب من ذي قار والمثنى والقادسية .

واشار الفريق حديثة، وهو قائد سابق للجيش الاردني، الى الحلف الاستراتيجي الامريكي - الصهيوني وقال: هؤلاء اعدازنا هم اعداء الامة العربية اعداء العراق وفلسطين والانتفاضة .

واكد السيد بهجت ابو غربية في كلمة «التجمع العربي القومي الديمقراطي الاردني» وقوى الشعب الاردني الى جانب العراق من اجل وقف التحدي الكبير الذي تشنه الولايات المتحدة الامريكية .

وقال نحن مع العراق ولن تزهبنا جحافل امريكا واساطيلها وسينتصر العراق والاردن وسحدق شعبنا الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية اهدافه في تقرير المصير واقامة دولته الفلسطينية المستقلة .

ودعا السيد ابو غربية الشعب العربي خاصة في الدول العربية التي ابدت حكوماتها العدوان الامريكي الى ان يصرخ في وجه امريكا بصوت واحد .. اخرجوا من بلادنا واخرجوا من ارضنا وبحارنا وارفعوا ايديكم عن العراق وعن بترولنا.

وقال: ان في الاردن اجماع وطني لم يسبق له مثيل في وقفته القومية الى جانب العراق الشقيق والذي اثار حفيظة الاعداء ودعاهم الى التآمر على العراق.

ووصف التجمع العربي القومي الديمقراطي الاردني انتفاضة العراق بقيادة السيد الرئيس صدام حسين في اعادة الكويت الى امها العراق بانها حركة استراتيجية الاتجاه الصحيح نحو تحقيق الوحدة العربية .

واشاد بالانجازات التي حققها العراق على طريق القوة والمنعة العربية .. وقال: ان امتلاك العراق ناصية العلم الحديث والاسلحة الاستراتيجية الرادعة كلها عوامل الاتجاه الصحيح تستحق منا كل تاييد وتقدير ..

وقال المهندس محمد بلحاج عمر «رئيس ولد الاحرار» والمنظمات التونسية ان التصدي للغزو الامريكي اصبح واجبا مقدسا على العرب والمسلمين.

واكد في كلمته امام المؤتمر ان جماهير الامة العربية على امتداد الوطن الكبير تقف اليوم مع العراق المدافع عن امن وكرامة العرب.

وتعلمهم الا ينسوا ان الدفاع الشعبي الما

واكد السيد حواتمة ان هدف القوات الغازية الامريكية هو ضرب القوة العسكرية والاقتصادية العراقية حتى لا ينهض العراق والامة العربية .

وقال الامين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين نحن

العربية ومياه الخليج وتدويل الازمة للحيلولة دون امكانية قيام حل عربي وللتدقيق تحت مظلة قرارات مجلس الامن القوات الاجنبية بمالحتها التدميرية ويسمح لها في استخدام القوة لفرض الحصار الاقتصادي على العراق الشقيق.

والقوات سوف تمتلىء بجثث الخونة والعملاء.

واشار النائب الاردني الى ان حالة من الذهول العربي قد بدأت حاليا يفضل مواقف السيد الرئيس صدام حسين الشجاعة والمخلصة وقال ان هذا الذهول اخذ مداه السياسي والشعبي المهد لقيام جبهة قومية سياسية قادرة على فرض حالة سياسية جديدة على العالم تساعد على تعميق التناقض بين معسكر الاعداء الامر الذي سيساهم بدوره في خلق حالة عربية جديدة قادرة على ايجاد التوازن المطلوب بين العرب وباقي الشعوب والامم.

وقال السيد حيدر ابراهيم الامين العام لاتحاد عمال فلسطين ان عمال فلسطين باعتبارهم جزءا من الحركة العمالية العربية ملزمين انطلاقا من واجبهم القومي والاممي الوقوف مع العراق في مواجهة التحديات التي يمثلها الوجود العسكري الامريكي الكثف فوق ارض نجد والحجاز والخليج العربي ذلك التواجد الذي لا يشكل تهديدا لامن واستقلال الاقطار العربية فحسب وانما للامن والسلم الدوليين.

واكد ان عمال فلسطين وكل العمال العرب قد اعدوا قرارات مؤتمر القاهرة الخيانية باعتبارها قرارات امريكية لا تخدم الامن القومي العربي ولا تخدم المصالح العربية العليا او التضامن العربي.

واكد السيد ابراهيم: ان العمال العرب وعلى امتداد الوطن الكبير قرروا مقاطعة كل البضائع والسلع والمنتجات الامريكية في حالة اقدام الولايات المتحدة على القيام باي عدوان على العراق.

واوضح السيد سمير المزغني ممثل اللجنة الوطنية -التونسية لمساندة العراق في المؤامرة الامريكية - الصهيونية بدأت منذ فترة طويلة وهي تتخذ اليوم ابعادا خطيرة.

وقال ان قوى الشر والعدوان

تتراكض من مختلف اصقاع الدنيا لمواجهة قطر عربي يحمل طموحات الامة وامالها في استئناف ثرواتها في التوحد وفي انهاء الاستعمار وفي اقامة الكيان الفلسطيني الموحد والمستقل على كل ارض فلسطين.

واشار السيد المزغني الى ان الوجود العسكري الامريكي في الخليج صيغة واضحة تستهدف منها الولايات المتحدة الامريكية الى جانب اخضاع الوطن العربي لهيمنتها.. السيطرة على اوروبا.

واكد ان الشعب العربي ابن هذه الارض هو الجدير القادر على ابطال عنها وقال: اما هؤلاء الذين جاءوا من اقصى الارض لن يتحملوا صحراءنا ولن يتحملوا نضال جماهيرنا التي لن تتاخر عن العطاء والبذل.

ووصف السيد عصام الشابي عضو المكتب السياسي للتجمع الاشتراكي التقدمي التونسي الوضع العربي بانه يمر بمنعطف تاريخي حاسم وان دور القوى الوطنية والقومية العربية سيكون بالغ التاثير على مجريات الاحداث في المنطقة العربية.

وقال ان الصراع الذي تدور رحاه على ساحة الوطن العربي لا يضع العراق في مواجهة الحلف الاطلسي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية فحسب بل يضع العراق وكل الامة العربية في خندق واحد في الدفاع عن وحدة الامة ومصيرها المشترك ومستقبلها وفي التحكم بثرواتها.

واوضح السيد الشابي ان دور المنظمات الشعبية والقوى العربية التقدمية يتحصر في مواصلة التعبئة العامة وتاطير الحس القومي الذي برز جليا من تفاعل الشارع العربي من المحيط الى الخليج.

واكد ان امريكا ارادت بتدخلها في الخليج العربي ان تحسم صراعها مع اوروبا الموحدة من خلال السيطرة على الموارد النفطية واهم مخزونات الطاقة في العالم.

سمح في البداية ـ وتحديداً يوم ٣ أكتوبر ـ بمغادرة ٩ فرنسيين من (ضيوف العراق) كان يستضيفهم في منشآته الاقتصادية والحيوية «وذلك بمناسبة زيارة وفد الصداقة الفرنسية العراقية». كما سمح في يوم ١١ أكتوبر بسفر النساء والأطفال من (ضيوف العراق) ثم تتالت بعد ذلك القرارات بالسماح بسفر الأجانب. ففي يوم ٢٣ أكتوبر (أقر) المجلس الوطني العراقي (اقتراح) صدام بسفر (الضيوف الفرنسيين) من العراق وتلا ذلك عدة قرارات مشابهة أدّت إلى إطلاق سراح عدد كبير من الأجانب.

وكان لهذا النوع من الأخبار وقع غير مطمئن على المرابطين، إذ كانوا يتخوفون من نجاح صدام بتمرير هذه الألاعيب على العالم، مما سيؤدي إلى احتمال خروجه من الأزمة دون عقاب وتكون الكويت هي الضحية التي دفعت الثمن غالياً وتحملت المآسي من جراء الجريمة التي ارتكبها هذا النظام.

(٣) استمرار سياسة الاحتواء والتسلّط وفرض القوانين على البلاد

ـ انتشار عدوى التخلّف

شهد هذا الشهر تمركز العدو وأزلامه في كل مكان ومحاولاته المستمرة تحويل البلد إلى ما يشبه أي قرية من قرى العراق المتخلّفة. فقد زاد انتشار البسطات والأسواق الشعبية في الساحة والميادين، وكثر قدوم كل من هبّ ودبّ من العراق من شماله الى جنوبه، يحمل معه كل أنواع البضائع التي لم يكن يحلم ببيعها بالسعر الذي كان يبيعها به في الكويت. وكانت هذه البضائع بنوعيتها الرديئة وتغليفها البدائي تذكّر الناس بالأسواق القديمة بالأربعينيات والخمسينيات وما قبلها من سنوات. فقد كانت من الرداءة بمكان بحيث كان يدلّ على ذلك منظرها قبل تذوقها. فقد كان التغليف مثلاً بدائياً يصعب وصفه من شدّة التخلف والسوء. فكان التفاح والبرتقال على سبيل المثال يباع في أكياس الجوت (الخياش) التي عفا عليها الزمن منذ عشرات السنين. كما كان الليمون والعنب يباع في أقفاص صنعت من أعواد سعف النخيل الذي لم يره الكويتيون بل وكل الدول المتحضّرة منذ الخمسينيات. أما أدوات الطبخ والعجن

والـرق البـدائية وأثـاث المنزل الذي كان يستعمل في (العصور الغابرة) فقد ملأت الأسواق التي بدأت تزخر ببائعات (الباجلا) والرز والمرق اللاتي انتشرن في كل مكان، ابتداء من شبرة الخضراوات إلى الساحات المختلفة، وقد جلست كل واحدة منهن أمام قدورها المغطاة بعدة طبقات من الذباب الذي كان يتطاير بالآلاف عند فتح القدر وإغلاقه. أما بائعو الكباب فلم يكن يخلو منهم مكان سواء قرب أماكن بيع المواشي وذبحها أم بجانب أماكن تراكم القمامة. وكان زبائنهم الذين تجدهم ملتفين حولهم على نفس شاكلتهم، حيث قدم الجميع لنفس الهدف وهو السلب والنهب ضمن نفس المجاميع من الرعاع. وغني عن القول أن الغبار والأوساخ التي كانت تتطاير في الجو من كل مكان وتغطي كل ما هو معروض في هذه الأسواق قد أكملت الحلقة لتضفي على الوضع لمسات من (الحضارة العراقية العريقة) التي امتدت ستة آلاف سنة. وقد أعطى ذلك الناس شعوراً عميقاً بأننا نتخلّف كل يوم عشرات السنين. ومن الأمور التي يجب أن لا تنسى أيضا زرائب الماشية التي زرعت في كل دوّار وساحة طالتها أيدي المعتدين. فقد ملئت هذه الأماكن بالأغنام والدجاج المعروضة للبيع والتي كانت تأتي على الأخضر واليابس، وتقضي على كل ما تمّ زرعه من نبات وزهور خلال عشرات السنين لتجميل البلد وتحويله من صحراء إلى جنات وبساتين تفوق كل ما هو موجود بالعراق بالنسبة للتنظيم والجمال والتنسيق. ولم يكن أحد من هؤلاء المتخلّفين يستمع إلى أي نوع من التأنيب أو الحث على عدم تخريب هذه الحدائق، إذ كان همهم الوحيد هو جمع ما استطاعوا من الدنانير التي لم يشاهدوا من مثل أعدادها ربما منذ عشرات السنين، ومنذ أن ابتلوا بهذه الثـورات والانقـلابـات التي قذفتهم إلى الـوراء عقـوداً طويلة والتي سيحتاجون إلى أجيال عديدة لانتشال أنفسهم منها.

وقد حاول الناس في بداية فترة الاحتلال مقاطعة البضائع العراقية وعدم التعامل مع المعتدين. ولكن الوضع كان لا يساعد على ذلك. فقد انتهى المخزون المحلي من اللحوم والمواشي وتمّ تخريب مزارع الدواجن ولم يعد أحد يصيد السمك مما أدى إلى انقـطاع الأسـماك من السـوق. كما أن سيارات الفواكه والخضراوات والمواد الغذائية القادمة من لبنان وتركيا وسوريا قد توقّفت تقريبا. لذلك لم يكن هناك بدّ من شراء ما يحتاجه الناس من غذاء من هذا المصدر الوحيد الذي تبقّى أمامهم.

وقـد راجت في تلك الفـترة مبيعـات المـواد المسروقة من الكويت والتي نقلها اللصوص في البداية إلى العراق. ولكن لعدم إمكانية الحصول على أسعار مرتفعة هناك اضطر هؤلاء إلى إرجاعها للكويت لبيعها في البسطات. وكان عدد كبير من الناس يتجنّب شراء تلك المواد لمعرفته بأنها مسروقة.

وقد شاع في هذا الوقت أن البضائع الكويتية المسروقة قد أغرقت أسواق تركيا وإيران والأردن حيث كان يتمّ مبادلة البضائع المرغوبة في هذه البلدان بالمواد الغذائية والبضائع الأخرى التيْ كانت تجلب إلى الكويت لبيعها. وقد امتلأت أسواق الكويت فعلا في تلك الفترة بالبضائع التركية والإيرانية. كما أذاعت إحدى وكالات الأنباء آنذاك أن ما يقارب من ثلاثة ملايين شريط فيديو جديد تباع في أسواق تركيا وهي من البضائع التي سرقت من الكويت.

كما راجت أنباء في تلك الفترة بأن المقاطعة الاقتصادية لن تعطي أي نتيجة نظراً لسهـولة تهريب جميع أنواع البضائع عن طريق الحدود الأردنية والإيرانية والتركية مع العراق. وكان ذلك واضحا أمام المرابطين الذين كانوا يشاهدون بأعينهم انتشار جميع أنـواع السلع من هذه الـدول. وهذا ما جعلهم يتوقون إلى اليوم الذي تنطلق فيه (مدافع الرحمة) لتنقذهم مما كانوا فيه من مآس وويلات إذ أنّهم كانوا متيقنين من عدم جدوى الأساليب الدبلوماسية والسلمية مع ذلك النظام.

ـ النهب المنظم

ومن الأمور التي راجت في هذه الفترة أيضا تسلّط أزلام وموظفي (وزارة التصنيع الحربي) على البلاد. فقد انتشر هؤلاء في كل صوب يبحثون عن المعارض والمخازن والمصانع التي لم تطلها أيدي النهب والتخريب بعد للإجهاز عليها وسرقة ما فيها من بضـائـع ومنتجات وآلات. وقد أخذ موظفو هذه المؤسسة يجوبون المناطق التجارية والصناعية والأسواق، ويقتحمون الأماكن المفتوحة، ويكسرون أبواب المتاجر والمخازن المغلقة لحصر أو (جرد) البضائع الموجودة فيها تمهيدًا لنقلها إلى العراق. وقد قام هؤلاء

بالتأشير على بوابات هذه المتاجر وترقيمها لتيسير عملية النهب. ولم يصغ هؤلاء إلى أي اعتراض أو مناقشة من قبل أصحاب هذه المحلات. بل كانوا يأمرونهم بمراجعة وزارة التجارة، وإبلاغها بقرار وزارة التصنيع الحربي بنقل هذه البضائع للعراق. وعندما كان التاجر يذهب لهذه الوزارة في محاولة منه للحفاظ على أمواله لا يجد من يعيره اهتمامًا أو يعطيه أي نتيجة. وكان أقصى ما يمكن الحصول عليه بعد جهد جهيد هو موافقة الموظف أو مندوب وزارة التصنيع الحربي في بعض الأحيان على تقديم نسخة من القائمة التي لديه والمبيّن فيها أنواع وكميات البضائع التي (ستشتريها) الوزارة بالإجبار من التاجر الذي يمكنه مراجعة وزارة التصنيع الحربي ببغداد بعد ستة أشهر أو سنة «للبدء باستلام قيمة بضاعته». وقد نجح عدد قليل من التجار بأخذ هذا الإيصال الذي لن يعني شيئا بالطبع، اللهم إلاّ الإدانة والإثبات القاطع للأعمال التي قام بها أزلام النظام العراقي.

ومن الأحداث التي سجلت في تلك الفترة قدوم عدي صدام حسين وإشرافه بنفسه على نهب عدد من معارض بيع العطور التي تمّ نقل جميع ما فيها إلى بغداد حيث قيل أن والدته تملك أكبر معارض بيع العطور في بغداد. وتعتبر هذه الشحنة الثمينة من العطور نصيب (كبيرة الماجدات العراقيات) من غنائم المحافظة التاسعة عشرة. أما من كانت لديه بعض الفطنة والحيطة فقد بدأ منذ الأسبوع الأول للعدوان بنقل بضائعه وإخفائها في سراديب بيته أو بيوت أقربائه أو أصدقائه مما ساعد على حفظها من أيدي اللصوص والمعتدين. كما قام بعض التجار الآخرين ببيع جزء كبير من بضائعهم بأسعار متدنية وعلى الحساب لمن كان يرغب في ذلك تجنباً لسقوطها بأيدي المحتلين. أما البعض الآخر من التجار فقد كان يتبرع بكميات كبيرة من البضائع والسلع للمواطنين لمساعدتهم وسدّ حاجتهم وتشجيعهم على الصمود.

ومن الأمور التي أكملت عملية السلب والنهب ما أعلنته (مديرية عقارات الكويت) المزعومة من أنها ستقوم ببيع السيارات السكراب المتواجدة في محافظة الكويت صباح كل يوم اعتبارا من ١٩٩٠/١٠/٢٢ ودعوة الراغبين في الشراء بالحضور لمقر المزايدة بالشويخ. وقد دل ذلك دلالة واضحة على الأسلوب الرخيص الذي اتبعته

سلطات الغزو في نهب البقية الباقية من أموال المواطنين. فبعد أن قام الجنود ومن تعاون معهم بسرقة إطارات السيارات وكل ما كان يمكن فكّه منها، بدأت (الدولة) بنقل هذه السيارات من أماكن تواجدها إلى المزاد، لبيعها بأبخس الأثمان على من كان يتعاون معهم، للاستفادة من ثمن البيع وليتمّ نقلها بصورة (شرعية) إلى العراق بهدف تنفيع بقية الرفاق. وقد تكرّر ظهور الإعلانات عن ذلك المزاد في تلفزيون بغداد لفترة حيث كان يعلن باستمرار عن بيع المعدّات والأدوات الأخرى (المسروقة من الكويت).

ـ الجداريات والإجراءات التعسفية الأخرى

كان شهر أكتوبر شهر الجداريات (والجدارية عبارة عن قاعدة كبيرة من الكونكريت تُنصب عليها صورة أو عدة صور لصدام وهو يرتدي أزياء مختلفة). كما تم عمل صور له بالموزاييك، كانت تلصق على جدران العديد من الوزارات والمؤسسات وأمام مداخلها وفي الساحات. وكانت السلطات العراقية (تخترع) الجهة المقدمة لكل جدارية (كهدية) لإحدى الوزارات أو لأحد (الأقضية في محافظة الكويت). كما كانت تقوم بزخم إعلامي كبير عند (افتتاح) الجدارية، عاكسة بذلك سياسة النظام في تمجيد الطاغية والتركيز على شخصه. وقد انهمك علي حسن مجيد ـ ابن عم صدام الذي عيّنه محافظاً للكويت ـ بإزالة الستائر عن أعداد كبيرة من الجداريات في كل مكان. فبعد أن قصّ شريط جداريتين في ساحة الصفاة وساحة الأبراج يوم ١٩٩٠/٩/٣٠ (وهما مهداتان من جماهير محافظة المثنى؟) بدأ يقصّ الأشرطة يوماً بعد يوم في أنحاء متفرقة من الكويت لجداريات أخرى «لتزيين هذه الشوارع والساحات». ففي يوم ١٩٩٠/١٠/٤ تمت إزاحة الستار عن جدارية تقاطع شارع الرياض مع الدائري الأول «وسط هتافات وأهازيج الجماهير الحاشدة من أبناء محافظة الكويت وبابل، التي أهدت هذه الجدارية بمناسبة عودة الفرع إلى الأصل». وفي ١٠/٥ افتتحت جدارية تقاطع شارع الهلالي مع شارع خالد بن الوليد هدية من محافظة الأنبار وتحمل ٣ صور للرئيس «بالزي العسكري والشعبي والمدني». كما أزيح الستار يوم ١٠/٢٨ عن ٣ جداريات أخرى، الأولى أمام مدخل (بناية المحافظة) في شارع الخليج العربي «هدية من الاتحاد الوطني لطلبة العراق»، والثانية أمام مجمّع البنوك «هدية من محافظة البصرة» والثالثة لواجهة «مجمّع عقارات الدولة» هدية من

محافظة التأميم. أما في يوم ١٠/٣٠ فقد أزيح الستار عن جدارية (قضاء الجهراء) لتـزيين مدخل المدينة. وغني عن القول أنه لا علاقة ولا علم لأي من جماهير تلك المحافظات العراقية البائسة بما كان يجري باسمها في الكويت.

أما عن القرارات التعسّفية الأخرى فتمثّلت بالحملة المسعورة لتغيير أسماء بعض المناطق والشوارع والمؤسسات وغيرها من الأماكن. ومن ضمن المناطق التي تمّ تبديل أسمائها مثلا السالمية حيث أطلق عليها اسم (مدينة النصر)، والجابرية التي سمّيت (الأحرار)، وضاحية صباح السالم التي سميّت (الثورة) وضاحية عبدالله السالم التي سميّت (حي البصرة) وميناء الشويخ الذي سموّه (ميناء الرشيد). أما مسجد الدولة فقد أطلق عليه (مسجد صدام). وفي يوم ٢ أكتوبر أعلن عن تبديل اسم مستشفى الفروانية باسم مستشفى القادسية، ومستشفى العدان باسم مستشفى النصر، كما كان قد تمّ من قبل تغيير اسم مستشفى الصباح إلى مستشفى صدام. أما المصافي فقد سميت مصفـاة الأحمدي (بمصفاة النداء) ومصفاة ميناء عبدالله (بمصفاة صدام) ومحطة تعبئة شرق الأحمدي (بشرق النداء) ومحطة تعبئة شارع الملك فيصل (بمحطة شارع بابـل)، ومحـطة تعبئـة ضاحية صبـاح السـالم (بالنصر) ومحطة تعبئة الجابرية (بالشموخ). كما تمّ تغيير أسماء بعض الشوارع في بعض المناطق. ففي مشرف تمّ تبـديل اسم شارع الملك خالـد بن عبدالعزيز باسم (شارع الشهيد عدنان)، بينما استمـرت تلك الحملة المسعورة بلا انقطاع. ومن التعليقات الطريفة التي شوهدت مكتـوبـة عل اللوحة التي كانت تحمل اسم عدنان خير الله عبارة «. . .الذي قتله صدام!!». كما كتبت كلمة معبرة أخرى تحت (مدينة النداء) على لوحة المرور المنصوبة في طريق المغرب والتي تبيّن الطريق إلى الأحمدي. وكان المقصود من هذه الكلمة تحقير اسم (مدينة النداء) ومن ابتدعه.

ـ محاولة العدو طمس كل ما له صلة بالتراث الكويتي

كان العدو وأزلامه يعانون من عقد كثيرة تجاه الشعب الكويتي اتضحت في كثير من تصرفاتهم وأعمالهم. فقد دأبوا طوال فترة احتلالهم للبلاد على إزالة وتخريب المعالم المميزة للكويت وكل ما كان يتعلق بتراثها المحلي في محاولة يائسة لتشبيهها ـ ولو في

مخيلتهم ـ ببقية مدن وقرى العراق. ومن الأعمال التي قاموا بها في سبيل ذلك، حرق عشرات القوارب الخشبية الراسية في الأحواض (أو النقع حسب التسمية المحلية) والممتدة على طول شواطيء الكويت سواء داخل العاصمة أم خارجها. كذلك قامت سلطات الاحتلال بتخريب الموقع الذي خصصته الدولة على الشاطيء بمناسبة يوم البحّار، وأقامت عليه كل ما يرمز إلى الكويت القديمة ومعالمها من أشياء، كالأسواق والمقاهي القديمة، والألعاب والصناعات والحرف الكويتية المميّزة، وما يخصّ الغوص على اللؤلؤ والبحر من أدوات وتجهيزات، بالإضافة إلى أدوات المنزل الكويتي القديم وما شابهها.ولم تسلم من أيديهم المقاهي الشعبية ونوادي الحرفيين التي قامت الدولة بإنشائها لإيواء الرعيل الأول من أصحاب الحرف والبحارة وغيرهم لقضاء أوقات فراغهم فيها. كما قاموا بهدم أحد المعالم البارزة في تاريخ الكويت وهي بوابة السور القديم الواقعة قرب المسلخ القديم، بالإضافة إلى هدم الجزء الأكبر من متحف الكويت القديم الواقع قرب قصر دسمان، الذي أزالوا سوره القديم هو الآخر. كما قام المعتدون بنهب كامل موجودات متحف الكويت الذي كان يحتوي على أكثر الآثار العربية والإسلامية ندرة من المخطوطات والتحف والمسكوكات، وأحرقوا البوم الضخم المسمى (المهلّب) والذي كان جاثماً أمام مدخل المتحف. وقد سلّطوا أزلامهم في الواقع على كل ما كان يوحي بأنه حضاري، أو يدل على أنه كويتي المنشأ حتى وإن كان حديثا. فقد قاموا مثلاً بتدمير ونهب معظم المكتبات العامة والنوادي الرياضية، ومراكز البحوث ومختلف المعاهد ودور المعرفة، بالإضافة إلى حدائق الأطفال المنتشرة في معظم المناطق النموذجية بعد سرقة ألعابها المختلفة، ودمّروا المدينة الترفيهية وكل ما كانت تحتويه من منشآت وألعاب بالإضافة إلى المناطق السياحية كشاليهات الخيران التابعة لشركة المشروعات السياحية والشاليهات الخاصّة التي أقامها المواطنون على امتداد الشريط الساحلي في الكويت. ومن الأعمال البربرية التي يجب أن لا تنسى ـ والدالّة على نفس التوجّه لمحو المعالم الحضارية للكويت ـ قيامهم في أول يوم للعدوان بضرب أبراج الكويت، وحرق المطعم السياحي الواقع وسط الكرة الضخمة التي تطل على مدينة الكويت. وغني عن الذكر أن كل ما قام به العدو من تصرفات ـ ابتداء من هذه الأعمال البربرية، الى حملته المركزة لتغيير أسماء المناطق والشوارع والمؤسسات والمعالم المختلفة الأخرى ـ يصب في نفس الاتجاه وهو تجريد الكويت من كل ما تتميز به من حضارة وتقدّم وتصويرها على

أنها جزء من الكيان العراقي لا تختلف عن بقية أنحائه بشيء.

ـ الإعلان عن فتح المدارس ومقاطعة المواطنين لها

تمّ في أكتوبر إصدار قرارات كثيرة بالإضافة إلى قيام سلطات الاحتلال بممارسات استفزازية لا حصر لها. فقد أعلن عن بدء الدراسة بالمدارس الحكومية زاعمين أن عشرات الألوف من الطلبة في جميع المراحل قد توجّهوا إلى مدارسهم «حيث تليت في جميع المدارس والمعاهد كلمة السيد شهاب أحمد الجاسم مدير عام المديرية العامة لتربية محافظة الكويت الذي هنأ المدرسين والطلبة بعودة الفرع إلى الأصل بقيادة الزعيم العظيم» وأكّد أن الوزارة وفّرت جميع (العناصر الكفؤة) للتدريس وتمّ توزيع اللوازم المدرسية لجميع الطلبة في شتى المراحل الدراسية مجانا. «هذا وقد جمع الأساتذة والطلبة الشعور المشترك بالسعادة والتفاؤل. وتعتبر المناهج والمقررات الجديدة أكثر جدية ومسايرة للتقدّم العلمي والتقنية الحديثة».

ومن الواضح أن الذين التحقوا بالمدارس سواء أكانوا مدرسين أم طلبة هم من غير الكويتيين، حيث كان قرار المرابطين واحدًا وموحدًا لا رجعة فيه، وهو عدم أخذ أولادهم للمدارس وعدم التحاق المدرسين والموظفين الآخرين بالوزارة. وقد كان لذهاب أبناء بعض المقيمين إلى المدارس وقع سيء على المواطنين الذين تيقنوا أن كثيرا ممن تربوا على خيرات الكويت أثبتوا أنهم لا يستحقون تلك النعمة والخير والرعاية التي أحاطهم بها هذا البلد لسنين طويلة. إذ ما كادوا يتعرضون لأول اختبار حتى نكثوا العهد وانقلبوا على أعقابهم خاسرين. ومما حزّ في النفس حقًا ظهور أولئك الطلبة على شاشة تلفزيون بغداد وهم يصيحون بأعلى أصواتهم بالأهازيج التي تمجد الطاغية وتثني على خطوته الوحدوية (بضمّ الفرع إلى الأصل). وبالرغم من زعم الكثيرين منهم وادعائهم بأنهم كانوا (مجبرين) على ذلك فإن واجب الوفاء لهذا البلد كان يحتمّ على أولياء أمورهم تجنب ذلك بأية وسيلة كانت، وقد كانت الوسائل والطرق كثيرة وسهلة وقد استخدمها كثير من المقيمين الأوفياء الذين عزّ عليهم مساعدة المعتدي ضدّ البلد الذي آواهم في كنفه سنوات طويلة.

بدء العام الدراسي في محافظة الكويت

عشرات الالوف من الطلبة على مقاعد الدراسة

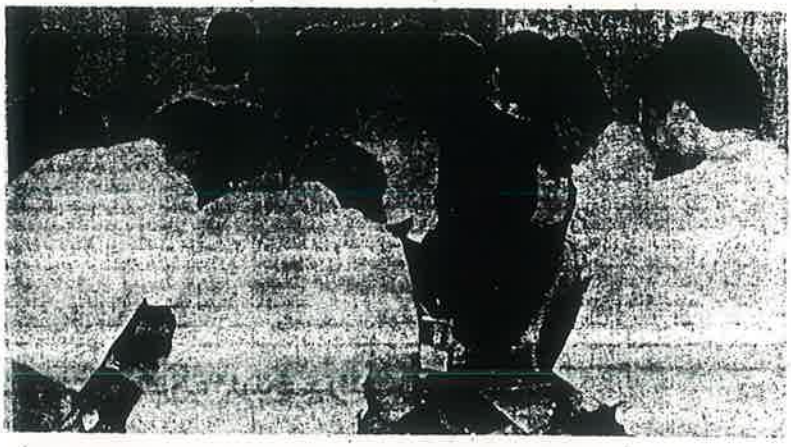

توجه عشرات الالوف من طلبة المدارس الابتدائية والثانوية العامة والمعاهد الى مقاعد الدراسة امس لبدء عامهم الدراسي الجديد ٩٠ - ١٩٩١ .

وتليت في بداية الدوام الرسمي في جميع المدارس والمعاهد كلمة السيد شهاب احمد الجاسم مدير عام المديرية العامة لتربية محافظة الكويت الموجهة الى الهيئتين الادارية والتدريسية وطلبة المدارس والمعاهد هنأهم في مستهلها بعودة الكويت الى العراق العظيم وبزوغ فجر الوحدة العربية بقيادة باني مجد العراق العظيم السيد الرئيس القائد صدام حسين .

واكد ان وزارة التربية وفرت جميع العناصر الكفؤة والمؤهلة في الادارة والمقررات الدراسية وتوزيع اللوازم المدرسية لجميع الطلبة في شتى المراحل الدراسية مجانا مشيرا الى ان الخدمات التربوية والتعليمية تقدم ايضا في رياض الاطفال من سن الاربع سنوات وان جميع المواطنين والمقيمين شملوا بهذه الرعاية بالاضافة الى الغاء التعليم الخاص والحاقه بالقطاع الحكومي انسجاما مع السياسة التربوية المستمدة من

□ جريدة (النداء) ٣/١٠/١٩٩٠ - صفحة (٦)□

جولة «النداء» في مدارس البنين والبنات بمحافظة الكويت

المسيرة التعليمية بدأت منذ اليوم الدراسي الاول على اكمل وجه

■ الاساتذة والطلبة جمعهم الشعور المشترك بالسعادة والتفاؤل

■ المناهج والمقررات الجديدة اكثر جدية ومسايرة للتقدم العلمي والتقنية الحديثة ■ التعليم لم يعد وظيفة روتينية بل رسالة وموقفا لصالح الامة العربية ■ الحداد في المدارس على ارواح شهداء المجزرة الصهيونية في الحرم القدسي الشريف

كتبت نداء سلمان:

بدأ العام الدراسي في محافظة الكويت مسيرته العلمية، منذ الصباح الباكر لليوم الثاني من تشرين الاول، طبقا لتوجيهات الرئيس القائد صدام حسين.

وكانت الكلمة التوجيهية التي القاها السيد شهاب احمد الجاسم مدير عام مديرية التربية بمحافظة الكويت فاتحة طيبة لعام دراسي مثمر، ومعطاء بالاعمال المشرقة.

ولم تكن المدارس، ادارة واساتذة وطلابا، بعيدة عن اجواء المعركة التي يخوضها العراق العروبة، ضد العدو الصهيوني الذي هم الامبريالية والصهيونية في عصر العلم والتقنية والانفجار المعرفي. ولذا فقد كان شعار الجميع: ان التسلح بالعلم هو الرصاصة التي تفقأ عيون الغدر والعدوان.

اما الخونة الذين زينت لهم وساوس الشيطان حلم تخلفنا عن ركب العلم، فقد خاب فالهم، لان اقبال فتيات الكويت على مقاعد الدراسة يعادله الا تصميم الاباء والامهات على خوض معركة العلم ضد الجهل.

وقد كان «للنداء» جولة في عدد من مدارس البنين والبنات، في شتى مراحل التعليمية، وفي عدة اقضية تابعة لمحافظة الكويت، حيث اطمأنت على سلامة بدء المسيرة التعليمية، منذ اليوم الدراسي الاول.

وكانت مدرسة «المنتصر» الابتدائية للبنين اول محطة في جولة «النداء» حيث التقينا بالسؤول الاداري للمدرسة الذي استقبلنا بحفاوة.

التعليم في الجمهورية العراقية لا يكتفي بالخدمات التعليمية فحسب، بل انه يغطي كل جوانب العملية التربوية، فقد تعلمنا من المعلم الاول، الرئيس القائد، ان التربية كل لا يتجزأ.

ومن هذا المنطلق فقد استقبل العام الدراسي الجديد بجدية كاملة، وعملنا على توفير الكتب والمقررات الدراسية ورسمها بين ايدي التلاميذ، منذ اليوم الاول.

وكنا سعداء بما لمسناه من تجاوب واحساس بالسعادة والرغبة على وجوه ابنائنا، ومن جدية وشغف في تلقي الدروس وأداء الواجبات المنزلية.

وردا على سؤالنا للمدير حول رأيه بالمناهج والمقررات الجديدة قال:

انا لمسنا الطابع الجدي، ومسايرة ركب التقدم العلمي وتطور التقنية الحديثة، ولا سيما في المقررات العلمية، منذ بدايات السلم الدراسي.

كما ان طرق التدريس العراقية تتطلب الكفاءة العالية والجدية في التحضير، مما ينعكس اثره على التلاميذ.

جولة في مدارس البنين

وفي احد فصول مدرسة «المنتصر» التقينا بالمشرف التربوي لمجموعة الاداب، الذي قال:

ان سعيد بعملي التربوي، في هذا العام الدراسي بالذات، فانوه بحس انه يؤدي رسالة، وبهم في المعركة، ويؤدي خدمة عامة تنعكس اثارها على المجتمع ككل بصورة او باخرى فضلا عن كونه مؤقتا تعليميا.

وانا اغبط هؤلاء التلاميذ الذين حالفهم الحظ في التسجيل، والجميع هنا يحس بالمتعة والسعادة والفائدة والامان، كما يشعر بالامتنان لجميع المسؤولين الذين بذلوا جهودا مشكورة وحثيثة لبدء العام الدراسي في موعده، اسوة ببقية محافظات القطر، وهو انجاز كبير يستحق التقدير.

وشاركت «النداء» في حضور احدى الحصص الدراسية، وكانت مخصصة لمادة الاجتماعيات.

ومع الاستاذ احمد، مشرف الاجتماعيات بالمدرسة، كان لقاء سريع اعقب الدرس، قال فيه:

ان ذلك هو الدرس الاول في مادة الاجتماعيات، وقد سبقته حصة تمهيدية تضمنت شرحا سريعا للمقرر في هذا العام.

وقد لمسنا مدى اقبال الطلبة على دروسهم، وحسن متابعتهم للشرح، وحوارهم المثمر والمفيد حول بعض القضايا التي اثارها المدرس.

.. وجولة في مدارس البنات

ومن مدارس البنين انتقلنا الى مدارس البنات، وكانت اعدادية «عائشة» اول اهدافنا.

ومع طوابير الصباح، وقفت الطالبات دقائق حدادا على ارواح شهداء المجزرة الصهيونية في الحرم القدسي الشريف.

ثم القت معاونة مسؤول المدرسة كلمة حماسية في هذه المناسبة، قالت فيها: ان وقوفنا حدادا على ارواح الشهداء الابرار الذين سقطوا برصاص الغدر والعدوان دفاعا عن حرمة المسجد الاقصى الشريف، اولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، هو اجزء مشاركة رمزية، تعبيرا عن المشاركة في معركة تحرير القدس، التي بدأت بيارقها تلوح في افق بغداد عاصمة الرشيد والمعتصم وصدام حسين.

وفي هذا الظرف العصيب الذي تمر به امتنا العربية يحفزنا الشعور بالمسؤولية لاعداد انفسنا لخوض المعركة بكل ما يكتنفها من صعوبات، وبكل ما تتطلبه من جهد واجتهاد.

وخاطبت الطالبات قائلة: انتن امهات المستقبل، وعليكن مسؤولية تنشئة الاجيال المقبلة، فلا بد من تسلحكن بالعلم للوصول الى مستقبل افضل.

ثم اشتدت الطالبة ختام يحيى المنية حماسية الكلمات والنحن والاداء، في رثاء الشهداء..

! وكان «طابور الصباح» ومدى التجاوب الكبير بين الطالبات والادارة، وهذه المشاركة الوجدانية الرفيعة، اكثر تعبيرا عن سلامة المسيرة التربوية في مدرسة عائشة للبنات، وفي غيرها من المدارس التي تفقدتها الجولة، مما بعث في النفس مزيجا رقيقا من الشعور بالثقة والطمأنينة والتفاؤل بالغد المشرق للوطن العربي الكبير، من الخليج الى المحيط.

● طالبات اعدادية عائشة للبنات يتابعن الشرح بشغف واضح

● الدراسة اخذت وضعها الطبيعي في جميع مدارس البنات والبنين

● مدرس اللغة العربية يصوب اجابة تلميذه في احدى المدارس الابتدائية

● الطالبة ختام اليحيى تلقي قصائد حدادا على مذبحة القدس الشريف

● جانب من الطلبة في مدرسة «المنتصر» يتجهون الى الصفوف

□ جريدة (النداء) ١٢/١٠/١٩٩٠ - صفحة (٢)□

ومن الأمور التي يجدر ذكرها هنا أن وزارة التربية العراقية قامت بطبع وتوزيع بعض الكتب المدرسية، في دروس (التاريخ) و (المجتمع) و (التربية الوطنية) و (الجغرافيا)، والتي تمّ حشوها بالأكاذيب والافتراءات التي تزعم بتبعية الكويت للعراق وكونه جزءًا منه على مدى التاريخ القديم، وما إلى ذلك من مزاعم. كما لم تنس تلك السلطات أن تضيف إلى تلك الكتب «المطالبات الملحّة لأهل الكويت في الانضمام إلى العراق، فضلاً عن استمرار الحكومات العراقية المتعاقبة بطلب ضمّ الكويت إلى العراق» مضيفة : «إلاّ أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل إلى أن نجح عدد من الشباب الكويتي المؤمن بوحدة وطنه وأمته في اعلان الثورة في الثاني من آب ١٩٩٠ وإزاحة الحكومة الرجعية وعزلها عن الحكم، وإعلان الحكومة الحرّة المؤقتة التي ناشدت قيادة الثورة في بغداد نجدة شعب الكويت والوقوف معه ضدّ محاولات القوى الصهيونية والإمبريالية إفشال هذه الثورة الوطنية والقومية، فسارع قائد العراق السيد الرئيس صدام حسين (حفظه الله) إلى وضع إمكانات العراق كلها في خدمة ثورة أحرار الكويت، وتوّج ذلك كله بإعلان الوحدة الاندماجية في ١٩٩٠/٨/٨ وعودة الفرع إلى الأصل في ظل قيادة بطل الوحدة. . .».

وقد قامت تلك الجهات بتعديل الخرائط الملحقة بتلك الكتب وذلك بمسح خطّ الحدود الفاصل بين الكويت والعراق في الخرائط المذكورة.

ـ سيل القوانين والقرارات الجديدة

تبديل الهوية « وقانون الإقامة الجديد »

خرج النظام على الناس بقانون جديد طلب من الجميع الالتزام به تحت طائلة المساءلة والعقاب. فقد أعلن عن ضرورة تبديل هوية مواطني (المحافظة التاسعة عشرة) إلى هوية عراقية، وإلاّ فلن يتمّ إنجاز أي معاملة لهم في دوائر ومؤسسات الدولة. أما الأجانب فيجب عليهم استبدال إقاماتهم السابقة بإقامة عراقية جديدة.

□ كتاب « التاريخ » الذي تم تزييف كل ما فيه ليتلاءم مع توجهات النظام العراقي □

الجمهورية العراقية

وزارة التربية

التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي

تأليف

الدكتور محمد مظفر الادهمي ، الدكتور ابراهيم خليل احمد

جاسم محمد هادي

الطبعة الاولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م

مديرية مطبعة وزارة التربية رقم /٢ أربيل

□ خريطة العراق وقد ضمت إليها الكويت لتدرس في كتب التاريخ للطلبة الذين اصبحوا عرضة لتسميم أفكارهم بالأكاذيب والافتراءات التي يلفقها النظام الحاكم ، مزوراً بذلك التاريخ حسب أهوائه □

الاحتلالُ البريطانيُّ للعراقِ

اتجَهَتْ بريطانيا معَ قيامِ الحربِ العالميةِ الاولى الى احتلالِ العراقِ الذي كانَ تحتَ السيطرةِ العُثمانيةِ بسببِ موقعِهِ السَوقي بالنسبةِ لمنطقةِ الخليجِ العربيِ والهندِ وكذلكَ لاهميتِهِ التجاريةِ والاقتصاديةِ مضافاً الى انضمامِ الدولةِ العثمانيةِ الى جانبِ المانيا في الحربِ فأنزلَتْ بريطانيا قُواتها العسكريةَ في ميناءِ الفاوِ في (٧) تشرين الثاني عام ١٩١٤ م وزَحَفَتْ نحوَ بغدادَ بخطينِ احدُهُما باتجاهِ الفراتِ والاخرُ باتجاهِ دجلةَ ولَقدْ اخفقَ الاتراكُ في صَدِّ القواتِ البريطانيةِ ، غَيرَ أنَّهُمْ استعادُوا زمامَ تعزيزِ قواتِهم في مدينةِ الكوت .

المصالحُ البريطانيةُ في الخليجِ العَربي

لقَدْ أولَتْ الحُكومَةُ البريطانيةُ اهتماماً بالغاً لمنطقةِ الخليجِ العَربيّ وذلكَ للاهَميةِ التي كانَتْ ومازالتْ تَتَمَعُ بها هذهِ المنطقةُ ، ولكَي تُرَسّخَ بريطانيا نُفوذَها في المنطقةِ فانها خاضَت صِراعاً طَويلاً معَ مختلفِ القوى الاستعماريةِ التي حَاولَتْ الدخولَ الى المنطقةِ مُنذ القَرنِ السابعَ عشرَ ، ففي بدايةِ القَرنِ المَذكورِ أسَستْ (شركةُ الهندِ الشرقيةِ البريطانيةِ) كما رأيَنا في البابِ الاولِ ، وفي نهايةِ القَرنِ الثامنَ عشَر تَعرضَتْ السيادةُ البَريطانيةُ على شبهِ القارةِالهنديةِ للخطرِ نتيجةً لحروبِ الثَّورةِ الفرنسيةِ ونَابليونَ ، فَقد غَزَا هَذا مِصْرَ وهَددَ الطرقَ البريطانيةَللشرقِ ، وأدركَتْ بريطانيا لاولَ مرةٍ اهميةَ الخليجِ العَربيِّ واعتبَرَتْهُ منُذُ ذلكَ الوقتِ طريقاً مهماً لسلامةِ امبراطوريَّتها في الهندِ ، فأخَذَتْ تُحاولُ بَسطَ نُفوذِها السياسيّ عَليهِ .

وفي بدايةِ القرنِ التاسعَ عَشر نجَحَتْ في ابعادِ النُفوذِ الفَرنسّي عن المنطقَةِ ، وفي مُنتَصفِ القرنِ المذكورِ تصَدَّتْ لمحاولاتِ رُوسيا الراميةِ الى الوصولِ لمياهِ الخليجِ العربيّ ، وفي بدايةِ القرنِ العشرينَ وَقَفَتْ ضد التَوسعِ الالمانيِ في العراقِ والخليجِ العَربيِّ وقاوَمَتْ مشروعَ سككِ حديدِ بغدادَ – برلين .

إنَّ اشتدادَ المنافسةِ الاوربيةِ لبريطانيا دَفعها الى عَقدِ سلسلةٍ من الاتفاقاتِ مَعَ حُكامِ مسقطَ والبحرين وَقطَر ، وكانَ الهدفُ منها ابقاءُ الاوضاعِ الراهنةِ في المشيخاتِ والحدُّ من استقلالِ حُكامِها وَتقييدِ سياسَتِهم الخارجيةِ وهكذا كَانَتْ بَريطانيا تَتَمتَعُ بنفوذٍ كبيرٍ وسيادةٍ ليس لها منازعٌ في الخليجِ عندَ اعلانِ الحربِ العالميةِ الاولى وَقد استطاعَتْ بَريطانيا الاحتفاظَ بنفوذِها في الخليجِ خلالَ فترةِ مابينَ الحربينِ العالميتينِ وَحتىّ دخولِ الولاياتِ المتحدةِ الامريكيةِ كمنافسٍ جديدٍ لبريطانيا .

المعاهداتُ السريةُ بينَ الحلفاءِ – اتفاقياتُ التجزئةِ :

لَمْ يلتَزمِ الحُلفاءُ بوعودِهم التي قَطَعوهَا للعربِ في مراسلاتِ (حسين مكماهون) ، ولَمَ يَعترفُوا بالجهودِ والتضحياتِ التي بَذلَها العَربُ في ثورَتِهم عامَ ١٩١٦ ضدَّ العثمانيينَ والتي كانَ هَدَفُها قِيامُ دولةٍ عربيةٍ موحدةٍ مستقلةٍ في الجزيرةِ العربيةِ والعراقِ وبلادِ الشامِ وبدلاً من ذلكَ فَقَد قامَ البريطانيونَ بعدَ

لقد عاشَ العراقُ ومازالَ يعَيشُ مُكتَسباتِ الثَّورَةِ في التَحولاتِ الاقتصاديَّة والأجتماعيَّة والثَّقافيَّةِ التي نَقلتْ الشَّعبَ العراقيَّ نَقلَةً نوعيةً متميزةً جَعلتْهُ يسَلكُ الطريقَ الخَاصَّ المتميزَ الذي رَسَمَهُ وَرَعاهُ الرَّئيسُ القَائدُ صدام حسين (حفظه الله) ، وَهُوَ مايَزالُ على طريقِ النهوضِ والبناءِ بَعْدَ إن حَقَق لَهُ القَائدُ الرَّمزُ النصرَ والسلامَ في معركَةِ قادسيَّةِ صَدامِ المجيدةِ .

ثورةُ الكويت الوَحدوية

٢ اب ١٩٩٠

ظلّتِ الكويت ، مُنذُ القِدَم ، جزءاً من العراق . إذْ كانتْ قَضاءاً تابعا لولايةِ البصرةِ حتى نهايةِ الاحتلالِ العثماني ، واحتلال العراقِ من قِبَل بريطانيا التى تمكّنتْ باساليبَ خبيثةٍ من سلخِ الكويتِ ، هذا الجزءُ الجنوبي عَنِ الوطنِ الأمِ . لتحرمهُ من اطلالةٍ حقيقيةٍ على الخليجِ العربيّ وتمنعهُ من استخدامِ امكاناتهِ ومواردهِ على النحو الذي يجعل منهُ قوةً كبيرةً تُسهِمُ في خدمةِ الامةِ العربيةِ وضمانِ مصالحِها . وبالتالي يضمنُ الاستعمارُ البريطاني مصالحَهُ على حسابِ وحدةِ الوطنِ العربي الواحدِ ولتنفيذ هذا المخطط الشرير وجدتْ بريطانيا ضالّتَها المنشودةَ في بعض الزعاماتِ المحلية التى اعتمدتْ عليها ، مثل أسرة «ال صباح » في الكويت . اذعقدتْ مع هذه الأسرةِ اتفاقاتٍ سريةً لاشرعية كانت تقضي بأنْ يكفلَ « ال صباح »المصالحَ البريطانيةَ في الكويت مقابلَ حمايةِ بريطانيا لهم من غضبةِ الشعبِ العراقي في الكويتِ ومن تصاعدِ حركةِ الثورةِ العربيةِ في المنطقة .

وقد استغلتْ بريطانيا احتلالَها للعراق في محاولةِ ترسيخِ فصلِ الكويتِ عن العراقِ اذ وجّهَ المندوبُ السامي البريطاني رسالةً سنة ١٩٢٣ الى حاكمِ الكويتِ يبلغهُ فيها فَصْلَ الكويتِ عن بقيةِ أقسامِ ولايةِ البصره .

جانب آخر من الكتاب الذي يزعم بقيام ثورة في الكويت.

ومع انّ بريطانيا استطاعتْ سلخَ هذا الجزءَ العزيزَ من العراق، الاّ انّها لم تستطعْ ان تخمدَ جذوةَ المقاومةِ وروحَ التطلّعِ نحوَ اعادةِ اللحمة مع العراق فقداستمرتْ مطالبةُ الكويتيين بعودتهم والكويت الى الوطنِ الأم وبلغتْ هذهِ المطالبةُ ذروتَها في انتفاضةِ ١٠ أذار ١٩٣٩ ضد (أسرة الصباح) ونجحَ الثوارُ في الاستيلاءِ على مستودعِ الاسلحةِ في الكويتِ واعلنوا انّ هدفَهم هو الوحدةُ مع العراقِ وأنهاءُ الحمايةِ البريطانيةِ . الاّ أنّ تدخّلَ بريطانيا حالَ دونَ نجاحِ هذه الثورة ، ولكنّ كلّ ذلك لم يمنعْ أهلَ الكويتِ من المطالبة الملحةِ في الانضمامِ الى العراقِ فضلاً عن أنّ الحكومات العراقية المتعاقبةَ كانت مستمرة في مطالبتها بضم الكويت الى العراق الآن كل هذه المحاولات باءتْ بالفشل الى أن نجحَ عددٌ من الشبابِ الكويتي المؤمن بوحدة وطنهِ وأمتهِ في اعلان الثورة في الثاني من آب ١٩٩٠ وازاحةِ الحكومةِ الرجعيةِ وعزلِها عن الحكمِ وتمّ اعلانُ الحكومةِ الحرّةِ الموقتةِ التي ناشدتْ قيادة الثورة في بغدادَ الى نجدةِ شعبِ الكويتِ والوقوفِ معه ضدّ محاولاتِ القوى الصهيونيةِ والامبرياليةِ افشالَ هذهِ الثورةِ الوطنيةِ والقوميةِ ، فسارعَ قائدُ العراقِ السيد الرئيس صدام حسين « حفظه الله » الى وضْعِ امكاناتِ العراقِ كلّها في خدمةِ ثورةِ أحرار الكويت وتوّجَ ذلك كلّه باعلان الوحدة الاندماجية في ١٩٩٠/٨/٨ وعودةِ الفرع الى الاصل ليعود العراقُ من جديدٍ موحدا في أرضهِ وشعبهِ في ظل قيادةِ بطلِ الوحدةِ الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) .

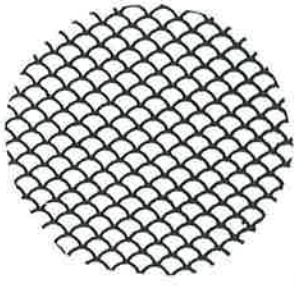

ولم يتجاوب الكويتيون بالطبع مع هذا القرار وأصرّوا على تجاهله كما تجاهلوا من قبله بقية القوانين والقرارات التي أصدرها النظام المعتدي. وعند عدم تمكّن هذا النظام من فرض ذلك عليهم ركّز على فرض قانون الإقامة الجديد على الأجانب تحت طائلة التسفير. فقد أعلنت (مديرية الإقامة) عن «وجوب مراجعة كافّة المقيمين من العرب والأجانب في الكويت هذه المديرية في نادي كاظمة الرياضي ابتداء من ٢٠/١٠/١٩٩٠ لغاية ٥/١١/١٩٩٠ وإلاّ سيتعرضون لإلغاء إقاماتهم في العراق نهائيا». وقد أدّى هذا إلى اضطرار آلاف المقيمين إلى الاصطفاف يوميا في الطوابير الطويلة لاستخراج (إقامات) جديدة لهم لتجنّب المساءلة والعقاب.

تقنين البنزين

أعلنت سلطات الاحتلال في بداية النصف الثاني من أكتوبر عن تقنين البنزين وتوزيعه عن طريق البطاقات ابتداء من يوم السبت الموافق ٢٧/١٠/١٩٩٠. كما أعلن عن عدم صرف هذه البطاقات إلاّ لمن قام بتبديل لوحة السيارة إلى اللوحة الجديدة والتي تحمل اسم «العراق ـ كويت»، وأن هذه البطاقات ستوزّع في مراكز التوزيع في محطات تعبئة الدوحة والجهراء وصبحان. وفي تصريح لوكالة الأنباء العراقية يوم ٢٢ أكتوبر أكّد وزير النفط العراقي أن السيارات التي تحمل أرقامًا كويتية لن يسمح لها بتعبئة الوقود ما لم يغيّر أصحابها لوحاتها إلى عراقية. وأضاف أن الأجانب الموجودين في العراق عليهم أن يقدّموا ما يثبت سلامة موقفهم من الإقامة حتى يتمكّنوا من أخذ بطاقات التزوّد بالوقود. وقد شهدت الشوارع في تلك الفترة ظاهرة ملفتة للأنظار عكست تصميم المواطنين على عدم التجاوب مع رغبات العدو والاستمرار في العصيان المدني المتمثّل في عدم تنفيذ قراراته. فقد أصبحت الشوارع شبه مهجورة وخالية من السيارات. إذ كان المواطنون يفضلّون البقاء في منازلهم وعدم زيارة أقاربهم وأصدقائهم وتجنّب سياقة السيارات إلاّ في حالة الضرورة القصوى للتوفير في استهلاك البنزين حتى لا يضطروا إلى الرضوخ لقرار العدو بتبديل أرقام سياراتهم. أما من اضطر للذهاب لمحطات توزيع البطاقات وخاصّة غير الكويتيين، فقد كانوا يتوجّهون إلى

وزارة النفط
١

أ
1
قسيمة تجهيز
بنزين

وزارة النفط
٢

أ
2
قسيمة تجهيز
بنزين

وزارة النفط
٣

أ
3
قسيمة تجهيز
بنزين

وزارة النفط
٤

أ
4
قسيمة تجهيز
بنزين

هناك في ساعة مبكرة من الليل، آخذين معهم الماء والطعام ليصطفّوا بالطوابير الطويلة ساعـات طويلة حتى يأتيهم الـدور في نهاية اليوم التـالي. وكانت عملية مرهقة ولم تستحق الجهد المبذول.

وقد أثمر صمود الكويتيين بعد عدة أيام من صدور ذلك القرار. إذ كانت نتيجة قرار التقنين على العراق أسوأ منها على الكويت. فقد أثّر هذا القرار على الحركة المعيشية والتجارية والاقتصادية في العراق نفسه وانعكست سلبياته على جميع مدن العراق التي بدأت بالتذمّر علنا. وقد أدّى هذا إلى قرار صدام المعروف والذي أنحى فيه باللائمة على وزير نفـطه الذي أصبح كبش الفداء حيث تمّ طرده من منصبه وأعيد توزيع البنزين من المحطات كالسابق.

أما في الكويت فقد ازداد الضغط على أصحاب السيارات التي لم يبدّل أصحابها اللوحات. إذ أعلن أنه لن يتم بيع البنزين في المحطات لمن لم يستبدل اللوحة وتمّ تحديد تاريخ لذلـك. كما أشيع عن قرب مصـادرة كل سيارة توجـد عليهـا اللوحة القديمة، مما جعل المواطنين يفكرون في طريقة ما لتحاشي آثار هذه القرارات، وبنفس الـوقت تسيير مصالحهم. فكان أن قرر بعضهم تبديل رقم إحدى سياراتهم لإنجاز أعمالهم وتجنّب مصادرة السيارة. كما أن أهل الحي الواحد أو الشارع الواحد اتفقوا في بعض الأحيان على تبديل أرقام سيارة واحدة لخدمة الجميع. وكان توجّه الكويتيين لتغيير اللوحات في البداية فاترًا ودون رغباتهم، لكن كثرة المضايقات والتشدّد والقسوة في المعاملة ضدّ من لم يغير لوحاته أدّى إلى قيام بعضهم بتبديل لوحة إحدى السيارات لاستعمالها وقت الحاجة وتجنّب المشاكل.

وقف التعامل بالدينار الكويتي

منذ أن فرض النظام العراقي على المواطنين تداول الدينار العراقي واعتباره مساو للدينـار الكـويتي والمواطنون لا يأبهون بذلك القرار. بل إن معظمهم لم يكن يقبل

التـداول بتلك العملة المتهاوية في القيمة والمنبوذة في التعامل لكونها تمثّل أحد رموز الاحتلال البغيض. وكان كثير ممن لم يتعاطف مع شعور الشعب الكويتي من منتهزي الفرص يهدّدون المواطنين بالإبلاغ عنهم في حالة عدم قبولهم لها، مما اضّطر البعض لرفع الأسعار عشر مرات لتعويض قيمة البضاعة. وعندما لم يجد العدو بدًا من عمل شيء ما لفرض عملته بالقوة أصدر قراراً حدّد فيه يوم ٦/١٠/١٩٩٠ كآخر تاريخ للتعامل بالدينار الكويتي مؤكدًا معاقبة من يخالف ذلك. وقد اشتدّ الضغط على الناس وتمّ بالفعـل تفتيش كل من يمـرّ على نقـاط التفتيش وسؤاله إن كان بحوزته دنانير كويتية. وكان جنود السيطرات يمزقون هذه الدنانير وخاصّة الفئات الصغيرة منها كفئة الربع والنصف دينار. أما الفئات الكبيرة فكانوا يخفونها في جيوبهم ليتمّ صرفها والانتفاع بها فيما بعد. وقد استمر هذا الوضع حوالي أسبوعين إلى أن بدأ الناس بإخفاء الدنانير الكـويتية في أمـاكن أمينة من السيارة أو عدم حملها إطلاقًا. ومن المهازل التي ظلّ الكويتيون يتندرون بها، زعم السلطات العراقية بأن البنك المركزي العراقي أعطى للبنـوك الكـويتية مبلغًا يتجـاوز المائة مليون دينار، بغرض تلبية حاجات المواطنين المعيشية ودفع عجلة الاقتصاد في محافظة الكويت، بعد أن تمّ نهب ودائع المواطنين من البنوك الكويتية من قبل (السلطات السابقة) والمتنفذين الذين هرّبوها للخارج ولم يبق منها رصيد كاف في البنوك لصرفها للمواطنين.

ـ معاناة المواطنين

اضطر كثير من المواطنين ـ كما ذكرنا من قبل ـ لتبديل أرقام إحدى السيارات في كل حي لاستخدامها وقت الضرورة. كما قام كثيرون منهم بعمل (إجراءات الاقامة الجديدة) للخدم، بعد أن تمّ إنذارهم بالتسفير إن لم يقوموا بتجديد إقاماتهم. وقد أدى ذلـك إلى جعـل النـاس يتنقلون من مكان إلى آخر لإنجاز تلك (المعاملات) التي أصبحت الشغل الشاغل لكثير من المواطنين الذين اضطروا لقضاء معظم ساعات نهارهم ـ ولأسابيع طويلة ـ في ملاحقة تلك المعاملات التي اضطروا للقيام بها بسبب القوانين التي سنّها العدو. وكانوا في كثير من الأحيان يضطرون إلى البدء بإجراءات

المعاملة من جديد ـ بعد أن يكونوا قد قطعوا شوطًا كبيرًا في طريق إنجازها ـ وذلك بعد أن يقـوم العدو بتغيير ذلك الإجراء، أو بتبديل الاستمارة أو طلب وثائق ومستندات إضافية أو ما شابه ذلك. وكان تعامل موظفي النظام سيئًا للغاية، إذ أنهم بالإضافة إلى عدم اقتناعهم بما كانوا يقومون به، كان ضغط العمل عليهم كبيرًا حيث كان الواحد منهم يعمل ساعات طويلة من النهار دون راحة أو غذاء مما يجعله يكفر بكل شيء.

معاملات الإقامة

كانت معـاملة الإقامة للخدم من أكثر الأمور مشقّة وتطويلا. وكانت تعطى نوعان من الاستمارات لملئها. الأولى من ٤ نسخ والثانية من نسختين. وتشمل الاستمارة طلب معلومات تفصيلية عقيمة ليس لها معنى أو قيمة.

وكان معظم ما هو مطلوب ملؤه بالاستمارة غير مفهوم بالإضافة إلى عدم معرفة المقصود من كل معلومة. وكان من الصعب بل من المستحيل في بعض الأحيان قراءة ما هو مطلوب في الاستمارة نظرًا لرداءة الطباعة وعدم وضوحها.

وكان على كل من يرغب بعمل إقامات للخدم أن يذهب أولا لمجمع الوزارات، لأخذ الاستمارات وملئها ومراجعتها مع الموظف، ثم الذهاب لمجمع الأوقاف للتأكّد من الفحص الطبي للخادم، ليعود بعدها ثانية لمجمّع الوزارات لاكمال المعاملة. ويشمل ذلك أيضا الاصطفاف بالطوابير لشراء طوابع الرسوم. وغني عن الذكر أن الاصطفاف بالطوابير ساعات طويلة أصبح من المتطلبات التي لا يمكن إنجاز أي شيء بدونها. وقد أصبح هذا الوضع جزءًا من العمل اليومي. وفي كثير من الأحيان يتطلب إنجاز أي جزء من أي معاملة قضاء عدة أيام في الطوابير.

ومن الطرائف التي لم تخل منها تلك الأيام العصيبة أن أحد كبار السن كان قد طلب من أحد أصدقائه ملء الاستمارات لخدمه البالغ عددهم ثلاثة. وهذا يعني ملء

١٨ ورقة بالتفاصيل المملّة المطلوبة. وبعد ملء الاستمارات في ليلة طويلة استعد الرجل لرحلة إنجاز معاملات الإقامة في صباح اليوم التالي مع مرافقيه في العملية من المواطنين الذين كانوا يبغون إنجاز نفس المعاملة لخدمهم. وبعد الذهاب لمجمع الوزارات والانتظار ساعات طويلة في الطابور جاء دوره لمراجعة ما كتبه مع الموظف المسؤول. وقبل الانتهاء من مراجعة الاستمارة توقف الموظف عن القراءة برهة ثم رفع رأسه وأخذ ينظر إلى صاحب المعاملة باستغراب ليسأله: ما هي جنسيتك؟ فارتبك صاحب المعاملة قليلا ثم قال. . .عراقي!!! فجذب هذا الحوار انتباه المراجعين المحيطين بالموظف وأخذوا ينصتون باهتمام. فسأل الموظف صاحب المعاملة مرة أخرى هل أنت عراقي؟ فأجابه صاحب المعاملة لا. . . ولكن يقولون أننا كلنا أصبحنا عراقيين الآن فكتبت عراقيا!!! ألا تقولون أن الفرع قد عاد إلى الأصل؟ لقد احترت ماذا أكتب لانجاز المعاملة فكتبت عراقيا!!! فضجّت القاعة بالضحك حيث أن الجميع كان يعرف أن العملية كلها مهزلة في مهزلة. هذا وقد تم بعد ذلك (الحوار) شطب كلمة عراقي واستبدلت بكلمة كويتي لإنجاز المعاملة حيث أنه لم يكن يسمح للعراقي بجلب الخدم.

إنجاز معاملة تبديل لوحة السيارة

أما معاملة تبديل أرقام السيارات فكانت أسوأ. وقد طلب في البداية من الجميع تبديل أرقام سياراتهم. إلاّ أنه وعند عدم تجاوب الكويتيين مع ذلك القرار تمّ تخصيص شهر كامل لإنجاز معاملات الكويتيين فقط وعدم استلام أي معاملة من غير الكويتيين، وذلك بهدف الضغط عليهم وسدّ الطريق أمام أي حجة يتذرعون بها لعدم تبديل أرقامهم. وكان على صاحب السيارة الراغب في تبديل اللوحة أن يذهب بسيارته في الصباح الباكر ويبقى طول اليوم في طابور الفحص الفني مضطرًا لدفع سيارته بيده كل خمس دقائق حتى لا يبقيها تشتغل طول المدة. وعادة ما كان يعود بعد الساعة التاسعة ليلاً بعد أن يكون قد انتظر أكثر من ١٨ ساعة في الطابور، علمًا بأن موظفي الفحص الفني كانوا يعملون حسب أمزجتهم. فتارة كان الموظف يذهب لشرب الشاي

ويترك الطوابير تنتظر تحت حرارة الشمس، وتارة يأخذ معاملات (الرفاق) الذين لا يعترفون بالطابور لينجزها لهم في لحظات. وتارة أخرى يتحدّث مع زملائه دون إعطاء أى اعتبار للمراجعين الذين قضوا ساعات طويلة في انتظار مجيء دورهم. أما فترة الغداء فقد كانت تمتدّ إلى ساعتين أو أكثر، يترك فيها الموظف المراجعين ينتظرون رجوعه ليتكرمّ عليهم بإنجاز المعاملة. وقد زادت هذه التصرفات من حقد الناس على المحتل وجلاوزته. هذا مع العلم أن القصة لا تنتهي عند هذا الحد. إذ أنه وبعد إكمال عملية الفحص الفني، يقف صاحب المعاملة في طابور أطول ليسلّم دفتر سيارته ويستلم وصلاً ويطلب منه تقديمه بعد عشرين يوما أو بعد شهر لتسليمه الأرقام الجديدة. وعادة ما يمتد الشهر إلى شهرين يضطر خلالهما المراجع أن يأتي يوميا لاحتمال سماع قراءة اسمه من ضمن قائمة أصحاب المعاملات التي تمّ إنجازها. وعند عدم سماع اسمه يكر راجعًا ليعاود القدوم في اليوم التالي لتكرار نفس القصة.

هذا وقد (تطور) الوضع فيما بعد. إذ بدأوا بكتابة أسماء أصحاب المعاملات المنجزة ـ بخطّ اليد ـ على أوراق يتمّ تعليقها إما على الحائط أو على الشبك المحيط بالمخفر الذي يقطنون فيه، أو على جذع أحد الأشجار خارج المخفر. وقد حدثت في أحد الأيام قصة يمكن وصفها الآن بأنها طريفة ـ بعد أن زالت الغمّة ـ حيث أن أحدًا لم يكن في ذلك الوقت يفكر بطرافتها أو يخطر بباله أي طرفة أثناء المأساة. وتتلخّص الحادثة أنه فيما كان عدد كبير من المراجعين يزدحم ويتدافع حول إحدى الأشجار، مادين أعناقهم نحو ورقة ممزقة مكتوب عليها قائمة أسماء، بخط لا يكاد يقرأ بسبب رداءته، وإذا بالريح تهبّ لتقذف بتلك الورقة بعيدا عن المراجعين، وتستمر في دفعها أبعد وأبعد. وقد كان منظر المراجعين وهم يتراكضون وراء الورقة منظراً مؤلماً ومضحكًا في نفس الوقت.

التحايل على أزلام النظام

كان الكثير من المواطنين يقومون بالتحايل على قوانين النظام المحتل وأزلامه

محاولـين بذلك الحصول على بعض الميزات والحقوق ـ التّي حرمها العدو على من لم يستجب لقوانينه ـ دون اتباع أو تنفيذ تلك القوانين. فمثلاً كان البعض ـ وبعد أن يكون قد قطع شوطا في معاملة تبديل لوحات السيارة واستلم الوصل، بعد أن سلّمهم الأرقـام (القديمة) ـ يستغل انشغال الشرطة أثناء فترة تسليم الوصولات، وفي ظل الفـوضى التي كانت سائدة في تلك الأجواء، (ليسرق) اللوحة القديمة لسيارته بين أكوام اللوحات المرمية في ساحة المخفر. وكان البعض الآخر يستعمل الوصل الذي كان يعطى له للحصول على الوقود من المحطات دون أن يبدّل لوحته، وهكذا... إلاّ أن هذه الحيل انكشفت فيما بعـد وأخـذ منـدوبـو الأمن في مداخل محطات التعبئة لا يسمحون لمن يحمل الوصل بالدخول للمحطة إن لم يكن قد بدّل لوحة سيارته بالفعل. وكان من الأمور التي لاحظها كثير من الناس أنه إذا صادف وكان مسؤول الأمن من الأكراد فإنه يتساهل ويسمح للكويتي بالدخول للمحطة وشراء البنزين. وإذا صادف وجود بعض ضباط الاستخبارات داخل المحطة فإنه كان يعتذر لعدم إمكانيته المساعدة طالبا من صاحب السيارة الرجوع بعد ربع ساعة وذلك بعد أن يغادر المحطة «هؤلاء الكلاب» كما كان يصفهم. وعموما فإن تعامل الأكراد مع المواطنين كان أفضل وأكثر تعاطفـا مـن معـاملة العـراقيين الآخرين. ومن الطرق التي اتّبعها أصحاب السيارات الذين لم يبدّلوا لوحاتهم أنهّم كانوا يضعون أمامهم في السيارة بعض الأشياء البسيطة التي تلفت انتباه مسؤولي الأمن المتواجدين أمام مدخل المحطة، والذين كانوا عمـوما من أصحاب النفوس الدنيئة الممكن شراؤهم بأبخس الأثمان. وكانت علبة السجائر أو علبة البسكويت أو الشاي أو حتى التفاحة تجعلهم يسمحون لصاحب السيارة بالـدخـول للمحطة لشراء الوقود. كما أن البعض الآخر كان يتعامل معهم بالـدنـانـير، إذ كان من الممكن وضع فئة الخمسة دنانير العراقية في مقدّمة السيارة ليلاحظها مسؤول الأمن ويأخذها ثمنا لسماحه لصاحب السيارة بالدخول. أما اذا صادف أن كان مسؤول الأمن من البعثيين أو المؤيدين للنظام المعتدي فإنه كان يعامل من لم يبدّل اللوحة معاملة سيئة لا تعرف الأدب. فقد كان الواحد منهم ينهر صاحب السيارة قائلاً له إذهب إلى بيتكم ولا تأتي مرة أخرى إلاّ بعد أن تبدّل اللوحة. كما أن بعضهم كان يهدّد بمصادرة السيارة.

ـ تفتيش المناطق السكنية وتمركز قوات العدو فيها*

من الأساليب التي اتّبعها العدو بعد تثبيت أقدامه في البلاد، قيامه بمداهمة المناطق السكنية الواحدة تلو الأخرى، واحتلاله للمدارس والمراكز الحكومية فيها ونشر أزلامه ـ من جنود واستخبارات ـ في كل شارع. وقد اتّبع تلك الأساليب بعد أن استفحلت أعمال المقاومة المسلّحة وتيقّن العدو من عدم وجود كويتي واحد على استعداد للتعاون معه، مما جعله يشك في كل مواطن وفي كل بيت. ونتيجة لذلك قام باعداد حملات تفتيش مركّزة كانت تقوم بها قواته حيث كانت تلك القوات تتوجّه إلى المنطقة المعنية ليتمّ تطويقها من كل جانب وتبدأ المجموعات المكلّفة بالعملية بدخول المنازل وتفتيشها منزلاً منزلاً. وقد خضعت معظم المناطق السكنية بالكويت لهذا النوع من التفتيش.

وكانت منطقة مشرف من المناطق التي تأخرت عملية التفتيش فيها. وكان كثير من سكّانها يغبطون أنفسهم لعدم دخول الغزاة الى المنطقة، واكتفائهم بالتمركز في بعض النقاط المحيطة بها لفترة تقارب الشهرين والنصف من بداية الاحتلال. وقد لاحظوا في منتصف شهر أكتوبر بأن العراقيين بدأوا يكثّفون من تواجدهم في تلك النقاط بينما ازدادت أعدادهم في الشوارع الخارجية المحيطة بالمنطقة. فأخذ الناس يحذّر بعضهم البعض من مغبة الاحتفاظ بالأسلحة والأعلام وصور سمو الأمير حتى لا تصيبهم نقمة سلطات الاحتلال. وقد سارع الناس إلى إخفاء ما يمكن إخفاؤه من أسلحة خارج البيوت، وفي الحدائق والتخلّص من الأعلام والصور أو إخفائها في أماكن آمنة استعدادا للتفتيش. كما أخفيت أشرطة الفيديو والكاسيت التي كان المواطنون قد سجّلوا عليها بعض الأحداث والأخبار من محطات تلفزيون دول الخليج.

وفي صبيحة يوم ٢١/١٠/١٩٩٠ كانت حاملات الجنود واللوريات والباصات تنقل مئات، بل ربما آلاف الجنود لتقتحم منطقة مشرف من كل جانب، وتبدأ باقتحام

---

* تعرضت معظم مناطق الكويت السكنية لمداهمات قوات الاحتلال وتفتيش المنازل فيها. ونظرا لسكن الكاتب في منطقة مشرف، ومعايشته لما حدث فيها يوم دخول القوات العراقية إليها للتفتيش، فإن هذا الجزء سيركّز على عملية التفتيش في تلك المنطقة. ولاشك أن الأسلوب الذي اتبعه المحتلون في تلك المنطقة لا يختلف كثيرا عما حدث في بقية المناطق.

البيوت ابتـداء من السـاعة الخامسة والنصف صباحا. وكانت العملية أشبه بهجوم عسكري على منطقة حصينة يتوقّع منها أن تبدي مقاومة عنيفة. فقد توزّع الجنود في مجموعات ضمّت كل مجموعة من ٨ ـ ١٠ أفراد يقودهم ضابط عسكري ويرافقه آخر مدني من الاستخبارات. وكانت تدخل كل شارع مجموعتان أو ثلاث للتأكّد من تفتيش كل منزل، بينما كان الجميع مدجّجًا بالسلاح. وعند دخولهم المنزل كانوا يطلبون عزل النساء والأطفال في غرفة، ومرافقة رب الأسرة لهم عند دخول الغرف الأخرى للتفتيش. وكان التفتيش دقيقًا ومركزًا في معظم الحالات، إذ كانوا يدخلون كل غرفة بأسلحتهم ويفتّشون الخزّانات ويرفعون الفرش ويفتحون الأدراج. وقد استمرّ التفتيش بالمنطقة الى حوالي الساعة الثالثة مساء حيث مشّطوها بأكملها. ولم يسمحوا بخروج أحد منها خلال فترة التفتيش. وكان بالمنطقة عدد غير قليل من الأجانب الذين اختبأوا في بعض المنازل لتجنّب اعتقالهم كرهائن. وقد تمّ إلقاء القبض على عدد منهم ونقلوا في باصات إلى خارج المنطقة.

وبعد الانتهاء من عملية التفتيش لاحظ كثير من سكان المنطقة فقدان بعض المقتنيات الثمينة كالساعات وقطع الذهب والراديوات وغيرها. كما أفاد عدد كبير من الخدم بأن الجنود سلبوا ساعاتهم ومسجّلاتهم وبعض الحاجيات الأخرى تحت تهديد السلاح. وقد تمّ اعتقال بعض المواطنين عند مشاهدة آلات طابعة أو أجهزة كمبيوتر في منـازلهم. كذلـك تمّ اعتقـال من شوهـد لديه ملابس عسكرية أو صور في زي عسكري. وكان ذلك اليوم من الأيام السوداء التي مرّت على المنطقة. كما كان بداية لتمـركز المحتلّين بالمنطقة وانتشارهم فيها واحتلالهم للمدارس والمراكز الأخرى حيث عاثوا فيها فساداً إلى أن تمّ طردهم يوم التحرير.

وفي صبـاح اليوم التالي تمّ وضع نقاط للتفتيش (سيطرات) في جميع مداخل المنطقة لتفتيش السيارات الداخلة والخارجة منها، وبذلك بدأ فقدان الأمن والاطمئنان في المنطقة، حيث ثبت أن الجنود والضباط الذين كانوا متواجدين بالسيطرات هم بؤرة الفساد وأعتى اللصوص، إذ بدأت عمليات سرقة المنازل الخالية في المنطقة تنشط منذ تلك الفترة. كما تسلّط الغزاة بعد أيام على نادي اليرموك وقاموا بنقل محتوياته، بعد أن

أغلقوا الطرق المؤدية إليه، حيث قامت إثنتا عشرة شاحنة كبيرة بنقل كل ما كان فيه من أثاث وأدوات وملابس وتجهيزات رياضية وغيرها. ووضع الغزاة نقطة تفتيش أمام مدخل النادي في الشارع الرئيسي المقابل لمنطقة بيان حيث اتخذوا النادي مركزاً لهم. كما قام بعض العراقيين بالاستيلاء على مطعم النادي وأعادوا فتحه (للجمهور) ظانّين أن هناك من سيقوم بالشراء منهم. وكان جنود (السيطرة) يقومون بالدعاية للمطعم ويوزّعون (الكرت) الذي تمّ طبعه باسم المطعم الجديد للترويج له. لكن أحدًا من المواطنين لم يتجاوب. وظل المطعم مفتوحا لمدة تزيد عن أسبوعين دون أن يحصل على زبون كويتي واحد، مما اصطر (المستثمرين) لإغلاقه بعد أن أصبح زبائنه من الجنود الأشاوس المفلسين.

ـ القبض على بعض رموز العمل الوطني

حقّق العدو المحتل في هذا الشهر إنجازاً كبيرًا لم يكن يخطر على باله، نتيجة لانعدام الحذر والحيطة من قبل بعض رموز الحركة الوطنية في تلك الفترة. وكان مما زاد الحسرة في النفوس أن ما حقّقه العدو قد حدث بمحض الصدفة ودون عناء من جانبه. فقد كان عدد من قيادات العمل الوطني يتّخذون أحد المنازل مقرًا لهم، فقرروا تغييره بعد شعورهم بتواجد رجال الاستخبارات بصورة مكثّفة في المنطقة المحيطة. فانتقلوا إلى أحد البيوت في منطقة النزهة والذي كان خاليا من السكان نظرًا لسفر المستأجر، الذي كان من إحدى الجنسيات العربية. وفي ليلة انتقالهم لذلك المنزل جاء إليهم أحد الأشخاص من نفس جنسية المستأجر، والذي يبدو أنه كان وكيله وقدِم ليطمئن على محتويات المنزل. وعند محاولته فتح الباب فوجيء بوجود (سكان) فيه، فسألهم عن سبب وجودهم فأخبروه بأنهم من سكان جزيرة فيلكا وقدموا للسكن فيه مؤقتًا. ويبدو أنه لم يقتنع بإجاباتهم فتوجّه إلى المخفر وأبلغهم بوجود (لصوص) داخل المنزل. وكان الخطأ الذي وقعوا فيه هو عدم مغادرتهم للمنزل حال انصراف ذلك الشخص. وما هي إلاّ لحظات وإذا بقوة من سلطات العدو تقوم بتطويق المنزل واقتحامه ليتمّ القبض على كل من كان فيه من أفراد. وكان مما كشف الأمر للعدو بصورة جلية وجود كثير من

(الدلائل) التي أكدت له (أهمية) تلك المجموعة. وكان من بينها جهاز اتصال متقدم وكميات كبيرة من الأموال، بالإضافة إلى بعض الهويات (المزوّرة). وكانت تلك الحادثة بمثابة ضربة كبيرة للعمل السرّي ضدّ العدو، في وقت كان الوضع يتطلب عمل وجهد كل مواطن نذر نفسه للدفاع عن وطنه. وقد أدى انتشار خبر تلك الحادثة إلى زيادة قلق المواطنين وتخوّفهم مما قد يقوم به العدو من تصرفات ضدّ أولئك الشباب الذين قدّموا كثيرًا من الخدمات للوطن والصامدين فيه أثناء تلك الفترة.

ـ ازدياد عدد المغادرين للبلاد وانعكاس ذلك على الوضع

من الأمور التي أثّرت سلبا على الوضع النفسي للناس استمرار مغادرة كثير من العائلات الكويتية للبلاد. وممّا شجّع على ذلك استمرار العدو في البطش والتنكيل بالشباب، وخاصّة من كان يشك بانتمائهم للمقاومة. فقد زادت أخبار حملات التفتيش للبيوت في هذا الشهر، كما انتشرت أخبار الخطف والتعذيب والإعدام لكثير من الشباب مما أدى إلى ازدياد النزوح. وقد نقلت أخبار تلك الفترة أن ما بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ سيارة كانت تغادر يومياً إلى السعودية. وقد زاد الطين بلة موافقة السلطات العراقية على سفر الإيرانيين إلى بلادهم عن طريق البصرة. إذ شهدت تلك الفترة نزوح معظم الإيرانيين، خاصة بعد أن سمحت لهم حكومتهم بنقل كل ممتلكاتهم بما فيها جميع أنواع الأثاث والتجهيزات والسيارات بدون ضريبة. وكانت الشاحنات تتسابق بنقل النازحين حيث ازدحم طريق الجهراء بمئات السيارات المتوجّهة إلى إيران. وقامت السفارة الإيرانية عن طريق بعض الوسطاء بإصدار كثير من الهويّات المزوّرة لبعض ضباط الجيش الكويتي، وعدد من كبار المسؤولين الكويتيين على أنهم مواطنون إيرانيون فقدوا جوازات سفرهم، وذلك لتسهيل خروجهم من الكويت عن طريق إيران. وقد اتسعت هذه العملية فيما بعد لتشمل أي مواطن أو عائلة كويتية ترغب بالنزوح عن طريق إيران. وما كان على أي فرد يرغب بالمغادرة إلا أن يدفع مبلغ ١٥٠ ديناراً كويتياً للوسيط بدل استخراج الهوية وبقية الأوراق. وكان الوسيط يتقاسم هذا المبلغ مع الضباط العراقيين المتواجدين على الحدود العراقية الإيرانية. وقد تدافع كثير من

المواطنين للسفر عبر هذا الطريق، وذلك لسهولة إجراءات الخروج، وإمكانية أخذ كل ما لديهم من أموال، بالإضافة إلى عدم اضطرارهم لتسليم الجوازات والبطاقات المدنية والجنسيات والوثائق الأخرى للسلطات العراقية، كما كان الحال على الحدود السعودية، وذلك لخروجهم من البلاد على أساس أنّهم إيرانيين.

أما السفر عن طريق السعودية فكان مختلفًا تمامًا عن السفر عن طريق إيران. فقد كان النازح مضطرًا لتسليم جميع الوثائق الرسمية المتعلّقة به لسلطات الاحتلال على الحدود. وفي حالة نقصان أي منها يُمنع من الخروج. كما أنه كان يتعرض لتفتيش دقيق جدًا يتم فيه نهب كل ما يملك من أموال ومصوغات وأثاث وحتى ملابس في بعض الأحيان. كما كان يتمّ فك أبواب السيارة للتفتيش وكذلك الاطارات وأي أجزاء أو مخابيء في السيارة يشكّ المحتل بأنها قد تحوي أموالاً أو وثائق أو شيئاً من هذا القبيل. كما أن سلطات الاحتلال منعت سفر كثير من الشباب تحت سن الأربعين عن طريق السعودية مما حدا بأهاليهم إلى الرجوع والتخلّي عن فكرة السفر.

ومع استمرار السماح بالسفر عن طريق إيران ازداد روّاد ذلك الطريق إلى أن أصبحت السيارات المسافرة يوميًا تعدّ بالمئات. وقد وقعت حادثة بسيطة ذات يوم على الحدود أدّت إلى وقف السفر عبر هذا الطريق، وكان ذلك بتاريخ ١٢/١٠/١٩٩٠. فقد طلب أحد ضباط الحدود العراقيين من أحد الكويتيين المتقمصّين بالجنسية الإيرانية إبراز اجازة القيادة. فما كان منه إلاّ أن أخرج بالخطأ الإجازة الحقيقية وليست المزوّرة. وقد لاحظ الضابط العراقي اختلاف الإسم المبيّن فيها عن الإسم المزعوم في الوثيقة المزورة والصادرة عن الوسيط والتي تحمل إسمًا إيرانيًا. وعندما استفسر من صاحبها انكشف الأمر وحدث بعض اللّغط. فما كان من المواطن الكويتي إلاّ أن صاح بأعلى صوته (محتجًا) بأن جميع المسافرين هم من الجنسية الكويتية وأنّهم يحملون وثائق مزوّرة. وعندها أمر المسؤولون بوقف عملية السفر، وأخذوا يدقّقون في الوثائق بصورة جديّة بعد أن انكشف الأمر، مما أدّى إلى عدم السماح لأحد بالسفر إلى إيران إلاّ الايرانيين الذين كانوا يحملون جواز سفر إيرانيًا وليس وثيقة تبين أن حاملها يحمل الجنسية الإيرانية وأن جوازه قد فُقد. وقد أدّى هذا إلى بقاء مئات العائلات الكويتية

على الحدود لمدة يومين، لم يسمح لها خلالهما بالرجوع إلى الكويت أو السفر لإيران. وكـان الجو شديد الحرارة، ولم تكن لدى هذه العائلات أي مواد غذائية كافية لهذه الفترة، كما أن الكمية القليلة من الماء التي كانت معهم قد نفذت، مما أدى إلى بقاء الأطفال والنساء بدون ماء أو غذاء وتحت حرارة الشمس الشديدة دون أن يقوم جنود الاحتلال بتقديم أي مساعدة لهم. بل إن هؤلاء الجنود منعوا حتى الإيرانيين من إيصال الماء والغذاء للأطفال والنساء مما أدى إلى وفاة طفلين على الأقل ومرض عدد كبير من الناس. ولم يسمح العراقيون بعودة الكويتيين إلاّ بعد يومين عانى خلالهما هؤلاء الناس الكثير من الألم والمرارة والإهانة والإرهاق. وكان الجنود العراقيون يخبرون العائلات العائدة بأنهم كانوا ينوون معاقبتهم للتزوير لولا كثرة عددهم وعدم استطاعة السجون العراقية استيعابهم.

(٤) الصمود وتطوّر أساليب المقاومة والرفض

تطورت أسـاليب المقاومة وتعدّدت وأصبح كل مواطن تقريبًا طرفا فيها، من خلال قيامه بتأدية ما عليه من دور من موقعه، مهما صغر أو كبر ذلك الدور. وقد تفاوت دور كل مواطن عن الآخر حسب مقدرته وإمكانياته. فقد كان بعض المواطنين مثلاً لا يكاد يرى أهله أكثر من مرة في الأسبوع لانشغاله بالأعمال والمسؤوليات التي نذر نفسه للقيام بها في سبيل مقاومة العدو. كما كان البعض الآخر يقوم ببعض الأعمال والخدمات من منـزلـه الذي أصبح كخلية النحل وذلك لساعات طويلة يوميًا في سبيل تقديم مختلف الخدمات للمواطنين، فيما كان آخرون يُشمِّرون عن سواعدهم منذ ساعات الصبـاح الأولى ويتـوجّهون مع بقية زملائهم المتطوعين للقيام بالواجب الذي أملاه عليهم ضميرهم نحو وطنهم ومواطنيهم. وكان في مقدمة هؤلاء جميعًا الشباب المجاهد الذين وضعوا أرواحهم بين أكفهم وراحوا يلاحقون العدو أينما كان ليذيقوه مرّ العذاب.

ـ تكاتف المواطنين وبروز أهمية الوحدة الوطنية

كان من إفـرازات الأزمة أن خلقت نوعًا من الشعور بالتكافل بين المواطنين،

جعل كل واحد منهم يحسّ بأن مسؤوليته لا تنحصر فقط في الحفاظ على نفسه وأسرته، بل تتعدّى ذلك إلى ما هو أبعد بكثير، لتشمل مجاميع كثيرة من الناس بينهم الأهل والأقارب، والجيران والمعارف، وأبناء الوطن، وضيوفه من الوافدين. وقد ترجم كل مواطن هذا الإحساس إلى عمل بنّاء شمل جميع ساحات الحياة. وكان كل فرد يشعر بأن جميع من كان على هذه الأرض معرض لنفس الأهوال والمآسي، وبالتالي فإن الجميع كانوا يعتبرون أنفسهم في قارب واحد عليهم جميعا أن يتكاتفوا ويتكافلوا، ليصلوا به إلى برّ الأمان حتى لا يستفرد بهم العدو ويخترق صفوفهم ويسهل عليه بالتالي تحقيق مآربه. لذلك انصهر الجميع في بوتقة واحدة ذابت فيها كافّة الفوارق الاجتماعية والسياسية والطائفية والقبلية وأصبحوا وحدة واحدة لا تفرّقهم أي محاولة مشبوهة ولا تهزّهم أي أزمة. ولولا ذلك لما اندحر العدو، الذي لم ينس أن يعزف على وتر التفرقة وشقّ الصفوف، لكن الجميع كانوا له بالمرصاد.

وكانت معظم الجهود التي قام بها المواطنون ذاتية وعفوية وقمةّ في التنظيم، ومنبثقة من نفس الشعور بالمسؤولية الذي غمر الجميع. فقد ساعد الجار جاره والصديق صديقه والقريب قريبه، وساعدت العائلات بعضها البعض وبدأ الجميع بتوحيد الجهود وتكثيف العمل ليصبّ في مصب واحد وهو المصلحة المشتركة، سواء أكانت مصلحة (الفريج) أو المنطقة السكنية أو بالنهاية مصلحة الكويت ككل وهو الهدف الأساسي لكل ذلك العمل. وقد أثمرت تلك الجهود وكان من ثمارها تشكيل اللجان المختلفة في عدد من الأحياء السكنية في المراحل الأولى من الاحتلال، ومن ثمّ في المناطق السكنية ككل وبصورة أشمل. وكانت تلك اللجان عموما هي الجهة المسؤولة عن تسيير الأمور المعيشية والاجتماعية للمواطنين والإشراف على بعض النشاطات، وذلك بحكم علاقاتها بإدارات الجمعيات التعاونية أو باتصالاتها مع بعض أطراف الجهات الحكومية المخوّلة بالعمل. وقد ضمّت تلك اللجان المتطوعين من مختلف الاتجاهات والمجاميع، وكانت كل لجنة تقوم بعملها انطلاقًا من اجتهاداتها وحاجات المنطقة التي تتواجد فيها، وتتأقلم حسب ظروف تلك المنطقة. وكان هناك نوع من التنسيق بين بعض اللجان في المناطق المختلفة. وكانت لقاءات تلك اللجان

تحاط بسرية تامة وتجتمع وقت الحاجة لبحث أمور المواطنين وسبل مساعدتهم. وقد قامت تلك اللجـان في بعض المناطق بدور كبير في توزيع مساعدات الحكومة التي كانت تأتي على شكل مبالغ من المال توزّع على المواطنين. ففي منطقة مشرف مثلاً كانت اللجنة المسؤولة تستلم الأموال من قبل الجهات المختصة وتقوم بتوزيعها على المـواطنين عن طريق أعضاء اللجنة أنفسهم الذين استلم كل واحد منهم مسؤولية توزيعهـا على قطعة سكنية معينة. وكان يتصل بعدة أفراد يعرفهم من سكان تلك القـطعة، ليقوم كل فرد منهم باستلام المبالغ المخصّصة للشارع الذي يسكن فيه، ويقوم بدوره بتوزيعها على كل عائلة. وكان ذلك يتمّ بسرية تامة وعادة ما كان يتم توزيع الأموال أثناء الليل ويقوم الأطفال في بعض الأحيان بتوصيلها بهدف التمويه.

وكانت هناك هيئة مركزية تشرف على أعمال تلك اللجان وتعقد اجتماعاتها في كيفـان، ومن مهامها متابعة وإدارة وتوزيع الأموال المحصّلة من التجّار والجمعيات التعاونية من أطراف أخرى. كما كانت على إطلاع بالأمور المهمة الأخرى المتعلقة بالمال والغذاء وما إلى ذلك. ومن المهمّ التأكيد على أن ذلك العمل الضخم الذي قامت به تلك اللجان التي أدارت البلد بصورة عالية التنظيم والفعالية لم تكن حكرًا على جهة معينة، سواء أكانت سياسية أم دينية، بل إن المجتمع الكويتي بأسره كان وراء ذلك الكمّ الهائل من الجهد والعطاء الذي شمل جميع مرافق الحياة. وكان في الواقع من المستحيل أن تقوم أي جهة معينة، في تلك الظروف بإدارة عمل في هذا المستوى من التنظيم والسرية، إن لم يكن المجتمع بجميع فئاته مشتركا فيه بصورة أساسية وفعّالة. وهـذا لا يعني أن بعض الأفـراد والمجمـوعات المنتمين لبعض الاتجاهات الدينية أو السياسية لم يقوموا في بعض المناطق، التي يكثر فيها تواجد مؤيديهم، بتنظيم عملية المساعدات الغذائية والمالية والاجتماعية للمواطنين في تلك المناطق، خاصّة بعد أن قامت الحكومة بتوزيع المساعدات المالية ليقوم هؤلاء وغيرهم بتوصيلها إلى المواطنين. لذلك فإن من المهم الإشادة بالدور الذي قامت به هذه الجهات وغيرها من عمل نبيل في سبيل الوطن، إذ أن ذلك العمل ساعد ـ وبدون شك ـ الكثير من المواطنين على الصمود والثبات بعد أن لقوا من يشدّ أزرهم ويمدّ لهم يد المساعدة في محنتهم.

ـ المقاومة المسلحة

كانت ضربات المقاومة هذا الشهر عنيفة ومؤثّرة وذات صدى قوي. فقد ازدادت وتوسعت عمليات السيارات المفخّخة حتى طالت معظم أماكن تجمّع ضباط العدو. وشهدت منطقة جليب الشيوخ العديد من الانفجارات وقع عدد منها قرب مركز الصواريخ التابع للقوات العراقية هناك. كما وقع انفجار كبير مقابل فندق كويت انترناشونال (هيلتون سابقا) أدّى إلى إصابة العديد من الضبّاط ووكلاء الوزارات العراقية الذين كانوا يعقدون اجتماعا لهم هناك في ذلك اليوم. كما شهد دوار مستشفى العظام هذا الشهر أيضا العديد من الانفجارات التي أصيب فيها العديد من الجنود والضبّاط، حتى أن العراقيين أطلقوا عليه دوار الموت نتيجة لذلك. كما شهد هذا الشهر عمليات من نوع آخر حيث نفّذ رجال المقاومة عمليات الكيك المسموم والكيك المتفجر، الذي قاموا بإرساله لحفلات ضبّاط النظام العراقي في فندق هيلتون وشيراتون وهوليداي إن ومقرّات أجهزة الاستخبارات العراقية في كيفان والسرّة. كما تمّ ضرب ثانوية طليطلة مرتين، الأولى بقنبلة يدوية والثانية بسيارة مفخّخة. وكانت طالبات تلك المدرسة قد قمن باحتفال كبير كنّ يتسابقن فيه بالصياح تأييدًا للاحتلال ورئيسه، حيث بحّت أصواتهن وهنّ يهتفن للطاغية على شاشات التلفزيون مؤيدات «عودة الفرع للأصل».

وقد توّجت المقاومة الكويتية عملياتها هذا الشهر بضرب طائرة عراقية من طراز (٧٤٧) كانت متوجّهة من مطار الكويت إلى بغداد حيث استعمل صاروخ (استريلا) في ضربها. وقد أطلق عليها صاروخان مضادّان للطائرات من هذا النوع من منطقة جليب الشيوخ حيث أخطأها الأول وأصاب الثاني أحد محركاتها. لكنها استطاعت الاستمرار في الطيران وتوجّهت إلى بغداد. وقد تمّ إغلاق مطار الكويت منذ ذلك التاريخ إذ لم يأمن المحتلّون من استعماله بعد أن لاحقتهم المقاومة الكويتية إلى هناك، وبدأوا بتسيير خطّ جوي من مطار قاعدة علي السالم إلى بغداد. وكان على من يرغب بالسفر إلى بغداد عن طريق الجوّ ـ بعد تلك العملية ـ أن يذهب إلى المطار القديم

ويشتري التذكرة ثم يتوجّه بالباص من هناك إلى مطار علي السالم ليتوجّه بالطائرة من هناك إلى بغداد. ومن المهمّ الإشارة هنا إلى أن السلطات العراقية استخدمت الطائرات الكويتية التي سرقتها من مطار الكويت للقيام بالرحلات الجوية من الكويت إلى بغداد ومن بغداد إلى عمّان وبالعكس. وقد لاحظ كثير من المسافرين على تلك الخطوط بأنه بالرغم من طلاء تلك الطائرات بألوان الخطوط الجوية العراقية من الخارج، إلاّ أن الألوان والديكورات الداخلية لتلك الطائرات كانت تدلّ على أنها تابعة للخطوط الجوية الكويتية. كما كانت الوجبات الغذائية تقدّم للركاب بالأواني التابعة للخطوط الجوية الكويتية. ومن المهمّ أيضاً التنويه إلى أن طيارين أردنيين ـ استأجرتهم السلطات العراقية ـ كانوا يقودون معظم تلك الطائرات المسروقة التي كانت من نوع (الإيرباص)، نظرًا لعدم وجود طيارين عراقيين مدربين على قيادة ذلك النوع من الطائرات.

هذا وجدير بالذكر أن المقاومة الكويتية كانت قد أسقطت طائرة أخرى ـ وكانت عسكرية ـ في نهاية شهر سبتمبر. وكانت تلك الطائرة متوجّهة من مطار علي السالم إلى مطار الكويت وتحمل بعض العسكريين العراقيين. وقد تمّ ضربها بمدفع «٨٤» من منطقة الصليبيخات وسقطت في منطقة عشيرج.

وقد (طورّت) المقاومة بعض عملياتها من خلال ابتكار طرق جديدة لضرب أهداف العدو. فكان أن ابتدع بعض الشباب ما أطلقوا عليه (قنبلة المنجنيق)، وهي عبارة عن قنبلة يدوية تطلق بنفس طريقة (النبّاطة). وتتلخّص الفكرة بوضع القنبلة اليدوية في سير مطّاط طويل كان يثبّت في العمودين الحديديين المثبتين في مؤخرة سيارة (الوانيت)، ويتمّ تصويب القنبلة ناحية الهدف المطلوب حيث يتمّ شدّ السير المطاط ـ الذي هو عبارة عن (تيوب) دراجة ـ لتنطلق القنبلة صوب الهدف بسرعة كبيرة وتنفجر عند إصابته. وقد نجحت تلك الطريقة في إصابة العديد من الأهداف، كانت بعضها على بعد يزيد عن ٢٥٠ مترًا من مكان الإطلاق. وكان من بين الأهداف التي ضربت بتلك الطريقة، مقرات استخبارات العدو في قصر نايف، وفي قصر الشيخ سالم العلي

بالإضافة الى العديد من (السيطرات)، حيث كانت تضرب بتلك الطريقة وينطلق الوانيت بسرعة بعد تنفيذ العملية دون معرفة مصدر الطلقة.

كما كان من ضمن الإبداعات التي قام بها شباب المقاومة تطوير استخدام الرشاشات وتشغيل بعضها (بالرموت كونترول). وقد استطاعوا تشغيل رشاش (الاستقلال) ليطلق النار ويدور في جميع الاتجاهات بنفس الطريقة. وسيّروا إحدى السيارات بدون سائق بتلك الطريقة أيضا حيث تمكّنوا من التحكّم بها وتوجيهها من على بعد حوالي كيلومتر ونصف. وقد تمّ بالفعل تنفيذ إحدى العمليات في خيطان ضدّ أحد معسكرات العدو هناك، عن طريق تلك السيارة التي كانت ملغومة حيث تمّ توجيهها الى مدخل المعسكر وتفجيرها هناك. وقد تمّ ذلك كله وكثير غيره على يد شباب لم تكن لديهم أي دراية عسكرية أو خبرة بالأسلحة قبل العدوان.

وكان الشباب يقومون بعمليات تمويه كثيرة لتضليل العدو. فقد كانوا يخفون بعض الأسلحة داخل أعمدة الكهرباء بالشوارع الرئيسية بهدف توفيرها هناك لتكون جاهزة لوقت الحاجة في تلك المواقع لتنفيذ أي عملية. وما كان على من يريد تنفيذ أي عملية فدائية من الشباب في ذلك الموقع، إلاّ أن يتوجّه ناحية العمود ـ الذي كان يتمّ ترقيمه ـ لتناول الأسلحة دون الخوف من احتمال تفتيشه أثناء توجهه للموقع، من قبل السيطرات المنتشرة بالطرق المؤدية إلى ذلك المكان. كما استخدموا صناديق البريد وصناديق القمامة الحديدية الكبيرة لإخفاء الأسلحة. وكانت فتحات المجاري (المنهولات) من أهمّ الأماكن التي كانوا يخفون أسلحتهم فيها. إذ كانوا يتوجّهون إلى تلك المواقع بسيارة (سوبر فان) يكون قد تمّ عمل فتحة بأسفلها، ويوقفونها مقابل فتحة المجاري لتبدأ عملية إنزال الأسلحة فيها.

وكانت المجموعة الفدائية المكلّفة بتنفيذ عملية ما في أحد الأماكن، تتوجّه ليلاً بسياراتها إلى منطقة قريبة من المنطقة المراد تنفيذ العملية فيها، ليوقفوا سياراتهم هناك ثم يتوجّهون مشياً على الأقدام، وهم يرتدون ملابس قاتمة، إلى مكان تنفيذ العملية ـ وعادة ما يكون أحد الطرق السريعة أو الشوارع الرئيسية ـ ليتناولوا الأسلحة من المخابيء التي كانت منتشرة في كثير من تلك الشوارع. وعند مرور الأرتال يوجّهون نيران

أسلحتهم المختلفة وينسحبون بعد إكمال العملية، ثم يستبدلون ملابسهم بالدشاديش ويتوجهون إلى أحد المنازل الخالية في تلك المنطقة ليبقوا بها حتى الصباح، ومن ثم يتوجهون إلى سياراتهم بصورة طبيعية. وكان العدو بعد كل عملية من هذا النوع يحاول البحث عن أي هدف في اتجاه مصدر اطلاق النار ـ كالسيارة مثلا ـ دون نتيجة.

وكان من أساليب التمويه الأخرى التي استخدمت إقامة (مجالس عزاء) لبعض أفراد المقاومة المطلوبين من قبل سلطات العدو، لإيهامه بأنهم استشهدوا. وكان يحضر ذلك المجلس ذوو (الفقيد) وأعداد غفيرة من (المعزّين) الذين صدّقوا الخبر. وكان من أهم عمليات التمويه وأكثرها ذكاء وفطنة ما قام به أحد شباب المقاومة الذي كان يلقبه أفراد مجموعته ببطل السالمية. وكان ذلك الشاب مطلوباً من قبل سلطات الاحتلال بأي ثمن، بسبب ما قام به من عمليات أرعبت وحيّرت تلك السلطات. فقد كان يقوم بعمليات شبه يومية في السالمية تودي بحياة بعض أفراد العدو. وقد بذلوا كل ما كان باستطاعتهم من جهد دون الاهتداء إلى طريقة لإلقاء القبض عليه، بالرغم من تعرّفهم على سيارته. إذ كان ذلك الشاب مليئاً بالحيوية والجرأة التي تصل إلى حدّ المغامرة عند شروعه بتنفيذ هجماته على مواقع العدو. وعندما اشتدّت حملات العدو للبحث عنه اهتدى إلى طريقة أدّت إلى تضليلهم. فقد قام بنصب كمين وألقى القبض على أحد جنود العدو ووضعه داخل سيارته التي كان قد لغّمها ثم فجّر السيارة. وقد احترقت السيارة وتفحم ذلك الجندي بداخلها. وبقيت تلك السيارة ثلاثة أيام وبها الجثة المتفحّمة بالشارع، مما جعل العدو يعتقد بأن السيارة انفجرت بصاحبها الذي كان بداخلها. كما ظن زملاء الشاب بالمقاومة أيضا بأنه استشهد، لكنهم فوجئوا بعد يومين بدخوله عليهم بالمقر وهو حي يرزق حيث قص عليهم القصة.

ـ أساليب أخرى للمقاومة

من العمليات التي أثارت غضب سلطات العدو ما كان يقوم به بعض الشباب من أعمال ذات أثر معنوي كبير ومعبّر. ومن بين تلك الأعمال (ملاحقتهم) لصور صدام

في كل مكان وقيامهم بتشويه أو تحطيم تلك الصور التي ملأت الشوارع. فعلى سبيل المثال، كان المحتلون قد نصبوا صورة كبيرة لصدام أمام مدخل منطقة النزهة، في الطريق الدائري الثاني، الذي كان يعجّ على الدوام بالدوريات العسكرية، ويتواجد فيه الجنود في السيطرات التي انتشرت في عدّة نقاط منه. وقد انتهز الشباب في أحد الأيام غفلة جنود السيطرة ليقوموا بتحطيم الصورة بالرغم من كثافة تواجد جنود العدو في تلك المنطقة. وقد جنّ جنون المحتلّين نتيجة لذلك، وقاموا بإزالة الصورة المحطّمة ونصب صورة جديدة مكان الصورة الأولى وحشدوا أعدادا كبيرة من الجنود، كانوا يشاهدون وهم مصطفّون على طول ذلك الشارع في الثلاثة أيام التي تلت تلك الحادثة، وهم يقومون (بحماية) الصورة الجديدة.

كما وقعت حادثة مماثلة في منطقة القرين حيث تمّ وضع صورة للطاغية عند مدخل المنطقة أمام أحد المنازل التي اتخّذها الغزاة مقراً لهم. وفي إحدى الأمسيات مرّت سيارة قرب الصورة وبها شابان كويتيان، فتوقفا أمامها وألقيا عليها كيسا من البلاستيك كان مملوءًا بطلاء أسود، أدّى إلى تشويه الصورة وانتشار الطلاء على جميع أجزائها، ثم انطلقت السيارة بسرعة كبيرة بعد العملية. فقام الجنود بإطلاق النار بكثافة في اتجاه السيارة دون أن يصيبوها. وفي اليوم التالي كانت الصورة قد أزيلت من مكانها.

وكان بعض شباب المقاومة الكويتية من الجرأة والجسارة قلّ مثيلها. فعلى سبيل المثال كان بعضهم يتابع تصرفات استخبارات العدو ويرصد تحركاته ويلاحقه ويدخل بين صفوفه لينقل أخباره إلى قيادات المقاومة. حتى أنّه وصلت جرأتهم في إحدى المرات أن جلب أحد هؤلاء الشباب بعض الأوراق والمستندات الممزّقة التي أخذوها من صناديق القمامة التي كان ضباط وجنود العدو يلقون مخلّفاتهم فيها. كما حدث أن احتاجت إحدى قيادات المقاومة إلى صورة لأحد الضباط الرئيسيين في إحدى الفرق للتعرف على ملامحه. فما كان من أحد الشباب إلاّ أن أحضر صورة فوتوغرافية لذلك الضابط بعد عدة أيام. وكان بعض الشباب يلقي بنفسه وسط المعمعة عند سماع أي حادث أو انفجار ليقوم بنقل تفاصيل الخبر بعد دقائق لمقر مجموعته.

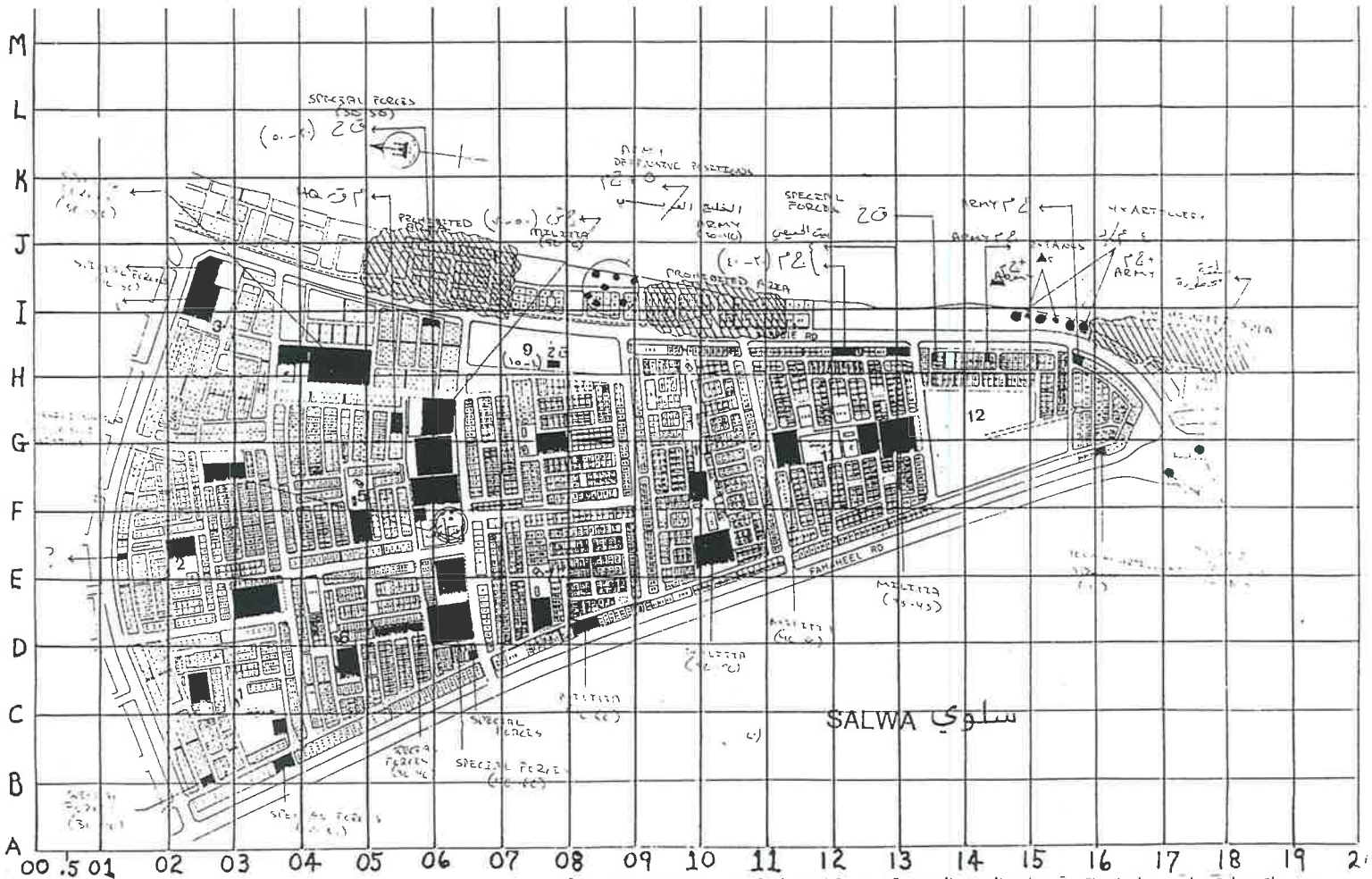

□ خريطة منطقة سلوى وعليها مواقع تجمعات العدو والرموز: ق. خ (قوات خاصة) ج. ش (جيش شعبي) آ. س

(استخبارات) □

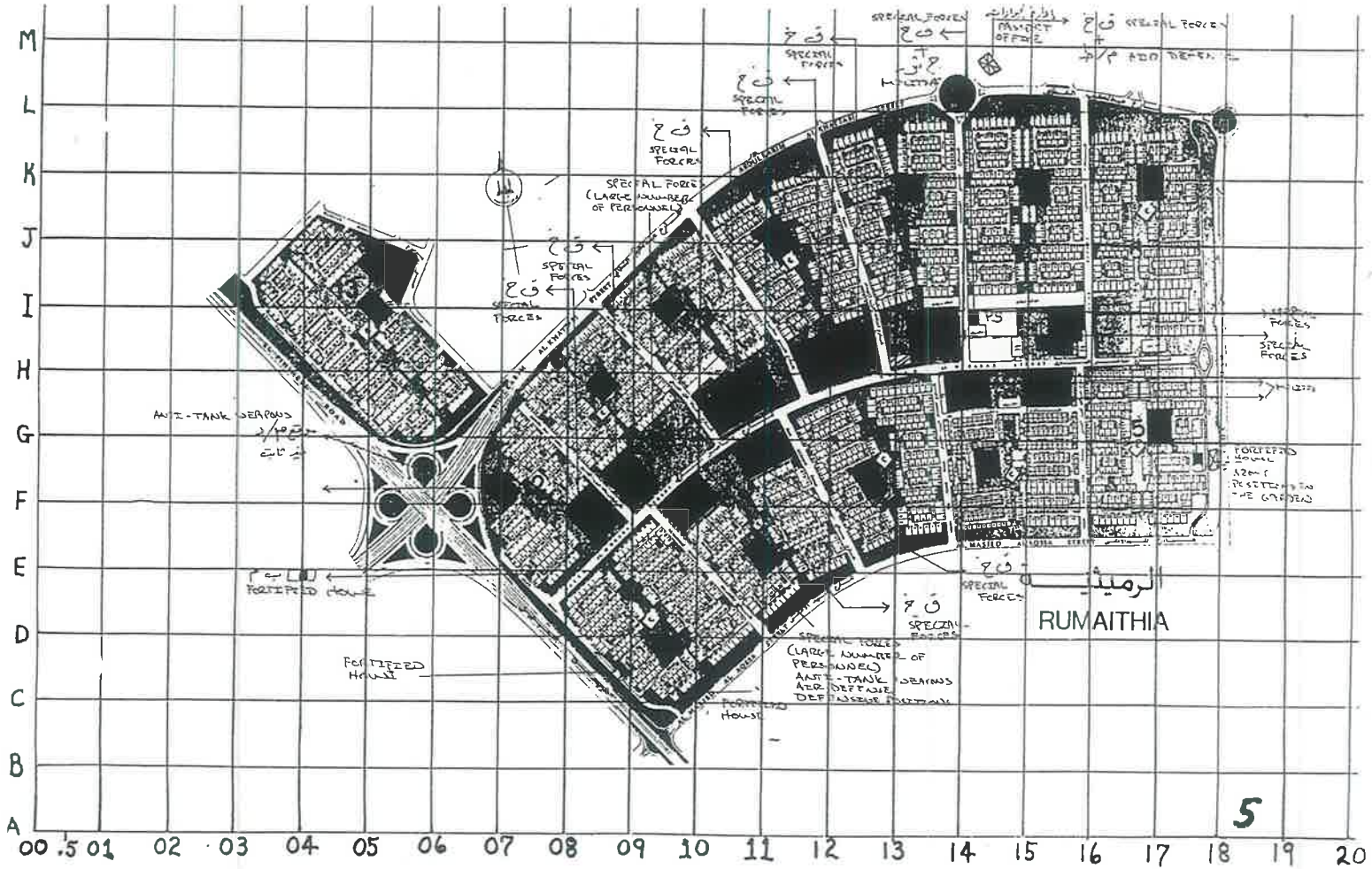

□ خريطة الرميثية وقد تم تحديد مواقع جيش العدو عليها □

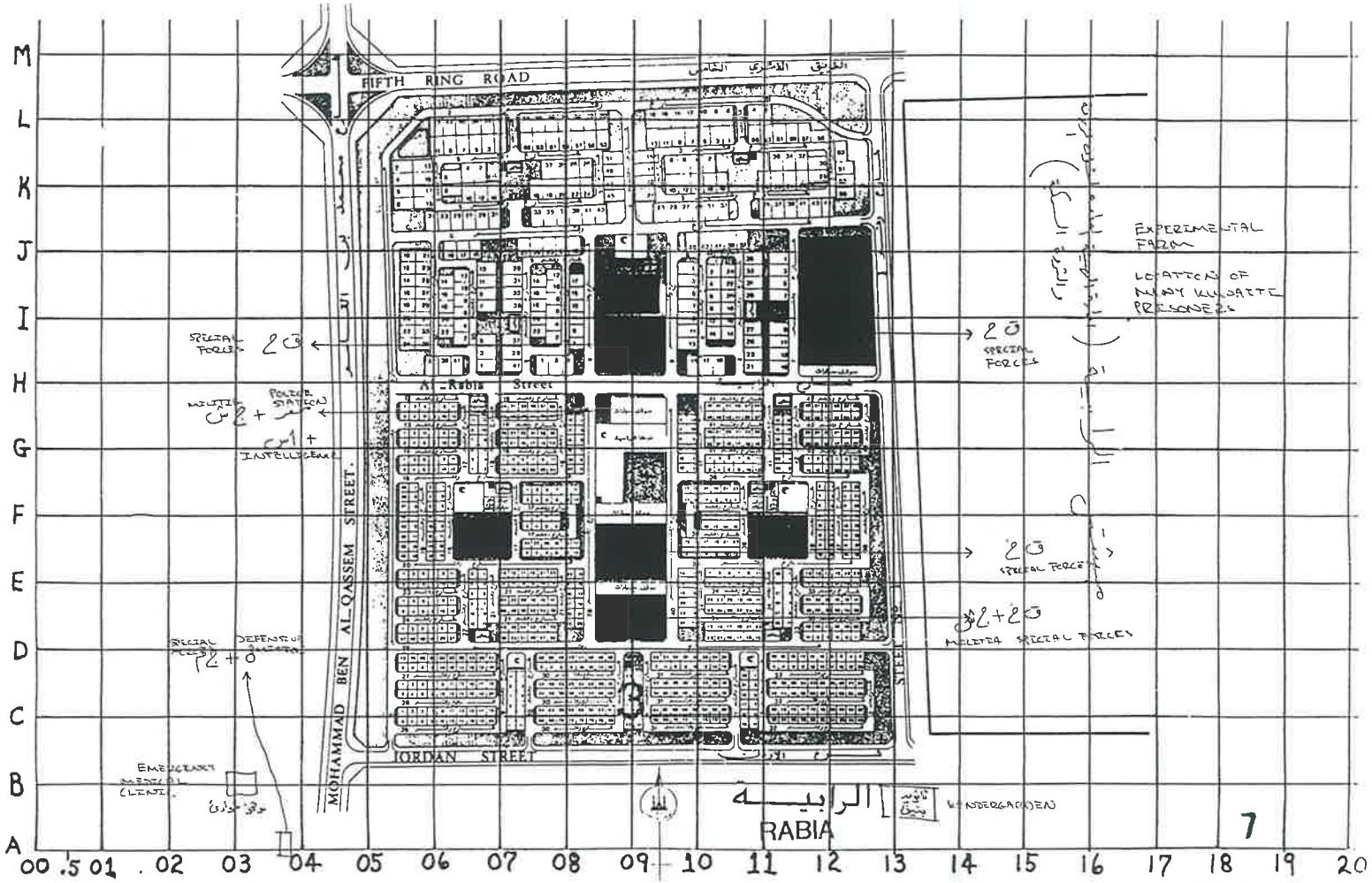

□ خريطة منطقة الرابية □

وكان رجال المقاومة يعطون العمل الاستخباري ضدّ العدو أهمية خاصّة. فقد برز دورهم بصورة مؤثّرة أثناء تلك الفترة في رصد أماكن تواجده في معظم مناطق الكويت. وكانوا يحدّدون مواقعه في تلك المناطق ويتعرفون على نوعية القوات المتمركزة في كل نقطة، ويتمّ رسم ذلك على خريطة كل منطقة ـ سواء أكانت سكنية أم غير ذلك ـ ثم يتمّ إرسالها بالفاكس للجهات الحكومية بالطائف أو لقيادة القوات المشتركة. وكان يكتب على كل موقع نوعية القوّات المتمركزة فيه، كالقوّات الخاصّة مثلاً أو الجيش الشعبي أو الاستخبارات أو الجيش النظامي. وقد لعبت تلك المعلومات دوراً كبيراً في مساعدة القوات المشتركة لقصف تلك المواقع بدقّة دون إصابة ما عداها من أماكن، ممّا أدّى إلى حصر الخسائر المادية والبشرية إلى أدنى حدّ ممكن داخل الكويت.

ومن بين الأعمال التي كان شباب المقاومة يقومون بها محاولة خلق اشتباكات مسلّحة بين المجموعات العراقية العسكرية المتناحرة. فقد حدث في إحدى الليالي أن تمركزت مجموعة من الجيش الشعبي تحتّ الجسر الواقع على الطريق الدائري الخامس القريب من منطقة الرميثية. وكانت هناك مجموعة أخرى على بعد كيلومترين تقريبا، وهي من الجيش النظامي. فقام شباب المقاومة بعد التنسيق والتخطيط للعملية بإطلاق قذيفتين، كل منهما على مجموعة بحيث أوحت لكل منهما أن المجموعة المقابلة هي التي قامت بضربها، فأدّى ذلك إلى وقوع اشتباك عنيف بالرشّاشات بين المجموعتين. وقد علمت المقاومة في اليوم التالي أن سبعة أفراد من المجموعتين قد قتلوا نتيجة لذلك الاشتباك.

وكان من ضمن الأساليب المبتكرة التي ابتدعها بعض المواطنين تقمّص شخصيّات غير شخصيّاتهم في سبيل التمويه على العدو وإنجاز بعض المهمّات دون لفت انتباهه. فقد قام أحد المواطنين بشراء حمار من أحد الباعة القادمين من العراق بهدف إظهار نفسه على أنه بائع للخضراوات، وفي نفس الوقت كان يقوم ببعض الأعمال لمساعدة المواطنين على الصمود ومقاومة العدو. وقد تمّ استغلال الحمار في نقل المواد الغذائية لكثير من عائلات العسكريين الذين لم يكن باستطاعتهم الذهاب بأنفسهم إلى

الجمعيات التعاونية أو الجهات المختلفة الأخرى، حتى لا ينكشف أمرهم سواء عند السيطرات التي كان لديها على الدوام قائمة أسماء مطلوبة أو أثناء حملات التفتيش المباغتة التي كان يقوم بها العدو. وقد اشتهر ذلك المواطن بين جنود السيطرات الذين سموه (أبوالزمّال). وكان إذا مرّ عليهم يحييهم فيجيبونه (الله يساعدك أبوالزّمال) أي مرحبًا صاحب الحمار. كما كان يبيعهم الخضراوات والمواد الغذائية الأخرى التي كان يحملها بأسعار زهيدة جدًا لبناء علاقة جيدة معهم، وفي نفس الوقت لإيهامهم بأنه (خضّار). كما كان يغدق عليهم بالسجائر. وقد نجحت فكرته حتى أنهم كانوا يغضّون عنه الطرف عندما كان يعود من جولاته متأخراً إلى منزله، الواقع خلف مخفر بيان، ماراً ناحية السيطرة أثناء فترة منع التجوّل. وقد استغل تلك (الثقة) من جانبهم ليقوم بنقل السلاح من منطقة إلى أخرى ومن مجموعة إلى مجموعة أخرى من المقاومة، حيث أنه لم يكن يخضع للتفتيش عند مروره بالسيطرة.

وفي إحدى المرات طلب منه توصيل ستة عشر مسدّسا من المنطقة التي كان يسكن بها في بيان إلى قطعة أخرى قرب قصر المؤتمرات الواقع في نفس المنطقة، وكان الوقت متأخراً ولم يبق على منع التجوّل إلاّ ساعة. وقد أعطي رمزا معينا ليكون كلمة السرّ بينه وبين الشخص الذي سيقوم باستلام الأسلحة. فقام بتثبيت المسدّسات تحت (الخِرْج) المثبت فوق ظهر الحمار وربط كل واحد منهم بخيط سميك من الجهة الداخلية للخِرْج من ناحية جسم الحمار، حتى لا ينكشف الأمر إن تمّ تفريغ الخِرْج. وقد تمّ ملء الخرج ببعض المواد الغذائية والعلف والبرسيم للتمويه. وكان قد ترك خروفا وعددًا من الدجاج في منزل أحد أقربائه الكائن في الناحية الثانية من المنطقة، ليستخدمهم كذريعة ويدّعي أنه كان ينقل لهم البرسيم والعلف، في حالة القبض عليه واستجوابه. وقد توجّه إلى المهمة في حوالي الساعة الخامسة والنصف مساء، أي قبل موعد منع التجوّل بنصف ساعة. وعند مروره على السيطرة طلبوا منه العودة قبل موعد منع التجوّل، كما أنّه لم يخضع للتفتيش كالعادة. وقد نصحه الجنود بالمرور من خلال الشوارع الفرعية أثناء العودة حتى لا يلقي عليه القبض رجال الاستخبارات.

وبعد إنهاء المهمّة توجه إلى منزل قريبه حيث ترك البرسيم والعلف هناك وكرّ

راجعًا إلى منزله. وقد وقع في تلك الليلة ما كان قد حذّر منه. إذ صادف مرور إحدى سيارات الاستخبارات أثناء عبوره أحد الشوارع بعد أن اجتاز نقطة السيطرة. فاستوقفوه وسألوه عن سبب عدم التزامه بمنع التجوّل فأجابهم بأنه كان ينقل علفاً وقد مرّ على السيطرة وهم يعلمون بذلك. فلم يكترث رجال الاستخبارات بالجواب كالعادة، وقاموا بربط الحمار في أحد أعمدة الإنارة القريبة وألقوا القبض على المواطن وأخذوه إلى مقرّ الاستخبارات في مخفر بيان، الذي كان يقع قرب منزله، وطلبوا منه الانتظار في المدخل. وأثناء وجوده هناك تعرف عليه أحد الضبّاط الذي استفسر منه عن حماره وسأله عن سبب وجوده بالمخفر. وعندما أخبره بأنه كان خارج منزله أثناء فترة منع التجوّل توسّط له ذلك الضابط وتمّ إطلاق سراحه بعد (تعهده) بعدم التجوّل مرة أخرى مع الحمار بعد الساعة السادسة مساء.

ـ الخدمات الطبية ودور الأطباء والجهاز الطبي

كان لكثير من الأطباء الكويتيين ومساعديهم من الممرضين والمتطوّعين دور عظيم ومشرّف لا يمكن تجاهله، بل ومن الصعب إعطاؤه حقّه مهما قيل عنهم وعن ذلك الدور الحيوي الذي قاموا به*. فقد هجر الكثير منهم أهلهم وأبناءهم وبيوتهم وحتى راحتهم في سبيل تقديم ما يستطيعون لأبناء وطنهم أثناء المحنة. وكان عدد منهم لا يكاد يرى أهله أكثر من ساعات قليلة في الأسبوع، يقضيها معهم وقلبه وعقله في مكان آخر ـ وهو مكان عمله ـ حيث كان يرى أنّ مكانه الطبيعي يجب أن يكون هناك

---

* من المهم هنا ـ وإحقاقاً للحق ـ التأكيد على أن عدداً لا بأس به من الأطباء من جنسيات مختلفة ـ عربية وغير عربية ـ قد وقفوا وقفة شرف ووفاء لهذا البلد وأهله، من خلال بقائهم في الكويت وتقديم جميع أنواع العلاج للمواطنين. كما وقف عدد منهم بجانب إخوانه الأطباء الكويتيين وساهم معهم في كثير من الأعمال النبيلة، شملت علاج جرحى المقاومة وتقديم كافّة أنواع العون والمساعدة لمن احتاجها من المواطنين، بالإضافة إلى دورهم في حماية وإخفاء ممتلكات هذا البلد ـ من أجهزة حديثة وأدوية وما شابه ـ عن أعين أزلام النظام العراقي. وكان بين هؤلاء المصريون والسوريون والفلسطينيون والأردنيون وأيضًا العراقيون. ومن الوفاء والعرفان بالجميل أن لا يغيب ذلك عن بالنا، خاصة وأن عملهم هذا كان من الممكن أن يؤدي بهم إلى دفع الثمن غاليا، لو أن العدو اكتشف دورهم. وقد دفع عدد من أبناء تلك البلدان الثمن غاليا بالفعل عندما ألقى أزلام النظام العراقي القبض عليهم ونفّذ حكم الإعدام في بعضهم بعد أن عرف دورهم في مساندة الحق الكويتي.

حتى وإن تطلّب ذلك بقاءه فيه أربعًا وعشرين ساعة في اليوم، لئلا يفوته شرف الدفاع عن أرضه ووطنه، من خلال تقديم خدماته لأبناء الوطن من الجرحى والمرضى، الذين هم في أمسّ الحاجة لكل دقيقة من الوقت.

وقد قام أولئك الأطباء بتقديم مختلف أنواع العلاج بما فيه القيام ببعض العمليات الجراحية. كما قام البعض منهم وبالتعاون مع بقية العاملين الكويتيين باتباع طرق عديدة في سبيل إدخال جرحى المقاومة إلى المستشفيات. فقد تم إدخال عدد منهم على أنهّم من المرضى وكبار السن أو الموتى، حيث كان يتمّ تغطيتهم وتقوم بمرافقتهم بعض النساء عند دخولهم إلى المستشفى للتمويه على أزلام الاستخبارات، الذين كانوا يتواجدون على الدوام في مداخل المستشفيات ويسألون عن كل صغيرة وكبيرة. ومن الطرق التي استخدمت لإدخال وعلاج أحد جرحى المقاومة أنه ألبس لباس امرأة محجّبة وتمّ لف بطنه بالقماش بعد أن وضعت بعض الملابس عليه (لتكبيره)، وأدخل قسم الولادة بأحد المستشفيات على أنه امرأة حامل. وقد بقي حوالي خمسة أيام في أحد أجنحة قسم الولادة تمّ خلالها معالجة جراحه دون معرفة سلطات العدو وخرج بعدها وهو معافى بعد أن تلقىّ العلاج اللازم. كما قام بعض الأطباء بالتعاون مع بعض الشباب الذين تطوعوا بالمستشفيات بتبديل هويّات وأسماء بعض رجال المقاومة والعسكريين الكويتيين الجرحى بعد إتمام علاجهم. وقام أطباء آخرون بإصدار شهادات وفاة سرّية تبيّن السبب الحقيقي لوفاة كل شهيد يتمّ إحضاره لهم، وذلك بالإضافة إلى شهادة الوفاة التي أمرتهم سلطات الاحتلال بإصدارها لكل شهيد لتبيّن أن سبب الوفاة كان طبيعيا حتى لا ينكشف الأمر على حقيقته. وكانت تلك السلطات تأمرهم في بعض الأحيان بإصدار شهادات تبيّن أسباباً مختلفة للوفاة كالمرض أو حادث سيارة أو (جريمة ضدّ مجهول) أو غيرها من الأسباب. وقد تمّ إحضار استمارات من العراق وأعطيت للأطباء لملئها من قبلهم لهذا الغرض حيث اضطروا لعمل ذلك تحت الضغط والتهديد، وبسبب التواجد المستمرّ لرجال الاستخبارات بينهم. وكان الهدف الآخر من تلك الاستمارات السرعة في الدفن. لكن الأطباء الكويتيين كانوا يقومون باستخراج شهادات وفاة (حقيقية) لكل شهيد يتمّ إحضاره

إليهم ويكتب فيها السبب الحقيقي للوفاة بعد فحص الجثّة. وتذكر في تلك الشهادة جميع التفاصيل بالإضافة إلى الوصف الدقيق لكل حالة. كما كان يتمّ تصوير الشهيد وإبراز آثار التعذيب على جسمه وإخفاء الشهادة والصورة. وقد تم تسليم تلك الشهادات لوزارة الصحة بعد التحرير بينما سلّمت صور منها لبعض ذوي الشهداء الذين طلبوا ذلك.

وقام عدد من الأطباء الكويتيين بإخفاء كثير من الأجهزة الطبية الحديثة بالإضافة إلى الأدوية ـ وخاصّة منها غالية الثمن والتي لم تكن تتوفّر بكميات كافية ـ عن أعين المحتلّين، حيث تمّ نقلها من مستودعات وزارة الصحة في صبحان بسيارات الأطباء وإخفاؤها في بعض الأجنحة والغرف المنزوية بالمستشفيات والأماكن الأمينة الأخرى. كما أخفيت كميات ضخمة من حليب الأطفال والحفّاضات ووزّعت على العائلات الكويتية المحتاجة إليها. واستخدمت طرق كثيرة للتمويه على سلطات العدو حتى لا تتمكّن من اكتشاف أماكن إخفاء تلك الأجهزة والأدوية والموادّ الأخرى. فبالإضافة إلى إخفائها تحت الأسرّة وفي أدراج المكاتب كان يتمّ ملء بعض الغرف بالأدوية والأجهزة وتقفل وتوضع عليها (يافطات) مموّهة لا تلفت الانتباه. فمثلا استخدم بعض الأطباء في أحد المستشفيات يافطة (دورة مياه السيدات) وتمّ وضعها على غرفة الأشعة التي كانت تضمّ الكثير من الأجهزة الحديثة والمعقّدة التي أخفيت فيها.

لكنه وبالرغم من تلك الاحتياطات استطاع العراقيون ـ من أطباء وجنود وأزلام استخبارات ومدنيين ـ سرقة كميات هائلة من الأدوية والأجهزة الطبية الثمينة. فقد سرقوا معظم الحقن الطبية والمضادّات الحيوية والأدوية المهمّة من صيدليات معظم المستشفيات. وكانوا يتفنّنون في اختلاق الطرق الملتوية لزيادة النهب. إذ تمّ تقديم طلبات من قبلهم لمستودعات وزارة الصحة لصرف حاجات جميع المستشفيات من الأدوية لفترة ستة أشهر ليتمكّنوا من سرقة تلك الكميات بالجملة. ولم يكن الجنود والضبّاط أقلّ حرصًا من حكومتهم على السرقة. فقد كانوا يطلبون من الأطباء إصدار وصفات طبية لهم ـ تحت الضغط ـ تتضمّن أدوية معينّة لا تتوفّر بالعراق، أو أنّها ذات

سعر مرتفع. وكان في مقدّمة تلك الأدوية المهدئات وحبوب منع الحمل وأدوية قرحة المعدة والاثنى عشر، التي يبدو أنهّم كانوا يبيعونها في العراق بأسعار مرتفعة نظرًا لعدم توفّرها أو منع تداولها هناك. ومن التصرّفات المشينة التي يجب أن لا تنسى قيام أحد الأطباء العراقيين والذي كان يعمل بالكويت لسنوات طويلة بالإشراف بنفسه على سرقة الأجهـزة الـطبيّة التـابعة لكلية الطب بجامعة الكويت بالإضافة إلى الكتب القيمة التـابعة لمكتبة تلك الكلية ونقلها إلى العراق وتوزيعها على جامعات بغداد والموصل وغيرهما. إذ أنّ ذلك يعتبر قمّة في الخيانة ونكران الجميل، ناهيك عن التنكّر لشرف المهنة والانحطاط إلى مستوى اللصوص.

ولم تسلم سيّارات الإسعاف من أيدي المحتلّين التي امتدت إليها منذ الأسبوع الأول للعدوان. فقد تمّت سرقة حوالي ثلاثين سيارة من أحدث سيارات الإسعاف في العالم وأكثرها تجهيزًا في الأيام الأولى للعدوان، تلاها السطو على سيارات المستشفى الميدانيّ الذي تمت سرقته بالكامل وتدمير ما تبقّى منه من تجهيزات كالخيام وغيرها من أدوات. كما أجهزوا فيما بعد على سيارات البعثة الطبيّة للحجّ وسرقوا أجهزة اللاسكي الخاصّة بإدارة الإسعاف وقاموا بعد ذلك بضرب المقرّ بالأسلحة بعد اتهام المسؤولين فيه بالاتصال بالسعودية، علمًا بأن تلك الأجهزة لا تكاد توصل إلاّ لعدة كيلومترات. ويبدو أن سلطات الاحتلال كانت تقوم بتنفيذ برنامج معدّ سلفًا لنقل كامل جهاز الاسعاف بصورة تدريجيّة ومنظمة إلى العراق. فقد اتّضح ذلك من الطريقة التي اتّبعوها في النهب حيث لم تبق سيارة إسعاف واحدة في الكويت ـ عند التحرير ـ من الأسطول الذي بلغ عدده مائة وسبعين سيارة قبل العدوان. وكانوا قد استبدلوا ذلك الأسطول الضخم بعدد قليل من السيارات القديمة التي جلبوها من العراق، والتي كان معظمها غير صالح للاستعمال، لتقوم بنقل المرضى بعد أن زوّدوها بسواق عراقيين كان معظمهم من الاستخبـارات. وقـد رفض الشباب الكويتي المسؤول عن قسم الإسعاف نقل المرضى والجرحى بتلك السيارات وتركوها لاستعمال سلطات الاحتلال التي استخدمتها لنقـل الجـرحى من الجنـود. وقد استمرّ مسؤولو الإسعاف الكويتيون بنقل المرضى والجرحى من رجال المقاومة بالعدد القليل من سيارات الاسعاف المتبقية لديهم قبل أن تقوم سلطات الاحتلال بسرقتها هي الأخرى ليلة الهروب.

هذا وكانت سلطات العدو قد عيّنت أحد الأطباء العراقيين والذي كان يعمل بالكويت (مديراً عامًا للصحة في الكويت). كما تم تعيين مدراء عراقيين للمستشفيات بالإضافة إلى جلب عدد من الأطباء والجراحين وأعداد من الممرضات والممرضين ومساعدي الممرضين والفراشين الذين تمّ توزيعهم في بعض المستشفيات. وقد غادر بعضهم بعد فترة نظرًا لعدم تعاون الكويتيين معهم، وجهلهم بالأجهزة والمعدّات المتوفرة بالمستشفيات حيث قضوا معظم أوقاتهم دون عمل. ففي المستشفى الأميري مثلاً تم إحضار خمسين شخصًا بين طبيب وممرض وفراش، وقد أمضى الأطباء ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر قضوها بالتسكع بالمستشفى والجلوس بالكفتريا. أما الممرضون ومساعدوهم فمكثوا حوالي شهر ثم عادوا إلى العراق، وكان معظمهم عديمي الخبرة ولا تتجاوز أعمار معظمهم خمسة وعشرين سنة. كما تم تعيين بعض الجراحين من الحزبيين في ذلك المستشفى لكنهم لم يكونوا مهتمين بمزاولة تلك المهنة. أما (المدير) الذي تم تعيينه فكان ضابط استخبارات برتبة عميد وهو حزبي نشط ومن الأكراد، ومتخصص بالأمراض الجلدية. وكان منطويا على نفسه ويقضي معظم وقته بشرب الخمر والبحث عن السيارات الفخمة لسرقتها، بالاضافة الى الأجهزة الطبية الحديثة التي كان يخطّط للسطو عليها ونقلها إلى بغداد لعيادته الخاصة والى المستشفيات العراقية. لكن بعض الأطباء الكويتيين لعبوا دوراً كبيرًا في إفشال خطته من خلال إخفاء الأجهزة الثمينة وتعطيل البعض الآخر عن العمل حتى لا يفكر بسرقتها. وكان من بين الأجهزة التي أراد نقلها إلى العراق جهاز العصب التابع لعيادة الأسنان الذي كانت قيمته تقارب المليون دينار، لكنه لم ينجح في ذلك بعد أن تم إخفاء ذلك الجهاز في إحدى الغرف. لكن ذلك الطبيب قام بسرقة الكثير من الأجهزة من مركز المنصورية للأمراض الجلدية.

أما (المدير العام للصحة في الكويت) فكان من أول قراراته عدم علاج الجنود العراقيين الجرحى في المستشفيات الكويتية والاكتفاء بتقديم الإسعافات الأولية لهم فيها. وكان يتم نقلهم إلى مستشفيات البصرة في البداية بعد تلقي العلاج الأولي في الكويت، لكنهم نقلوا فيما بعد الى المستشفى العسكري الذي سيطرت عليه سلطات

الاحتلال، وقامت بتجهيزه بطاقم طبي عراقي كامل. وكانت سلطات الاحتلال عمومًا لا تثق بالاطباء الكويتيين، إذ كان رجال الاستخبارات يتواجدون معهم في غرفة العمليات أثناء إحضار الجرحى العراقيين لمعالجتهم وإجراء العمليات الجراحية لهم. كما كانوا يهددونهم بالإعدام إن مات الجريح العراقي في العملية. وقد سلطت استخبارات النظام العراقي بعض من تعاون معها من الأطباء والممرضات للتجسس على الأطباء الكويتيين وملاحظة تصرفاتهم ونقل أخبارهم، وكان معظم هؤلاء من بعض الجنسيات العربية الذين أتموا دراستهم في الجامعات العراقية. وقد أكثروا الحديث في تلك الفترة عن «توزيع الثروة» واستحالة تدخّل القوات الأميركية عسكريا، مما يعكس ما كان بنفوسهم المريضة من حقد. وقد لاحظ عدد من الأطباء الكويتيين بعض الممرضات من تلك الشاكلة وهن يتحادثن مع رجال الاستخبارات. وكانت سلطات الاحتلال تخَصّص بعض الأشخاص من الاستخبارات لاقتفاء أثر الأطباء الكويتيين بعد خروجهم من المستشفيات، لمعرفة الأماكن التي كانوا يتوجهون إليها. وكان بعض أولئك الأطباء يلاحظ ملاحقته من قبل إحدى السيارات أو الدراجات النارية، بينما كان البعض الآخر يشعر بأن هواتفهم كانت مراقبة على الدوام.

وكان عدد من الأطباء الكويتيين المتواجدين بالمستشفيات المختلفة يقومون بالتنسيق فيما بينهم، ويتبادلون المعلومات في سبيل الحفاظ على الأوضاع العلاجية في حالة جيدة خدمة للمواطنين. كما كان كثير منهم ـ بالإضافة إلى عمله ـ يقوم بأعمال التنظيف وإزالة القمامة وتعقيم الأجهزة وما إلى ذلك من أعمال. وقد واجه الأطباء مشاكل كثيرة، كان أهمها عدم وجود مضادات حيوية، وعدم توفّر الدم وصعوبة الحصول عليه، خاصة وأن العراقيين كانوا قد منعوا تزويد المرضى الكويتيين بالدم في بعض المراحل. كما كان من ضمن المشاكل الكبيرة التي واجهتهم تواجد رجال الاستخبارات وبشكل دائم في المستشفيات مما كان يعرقل الكثير من العمل. وقد استغل عدد منهم بعض غرف المستشفيات للسكن فيها. كما قام آخرون بالاعتداء على بعض الممرضات ممّا تسبب في خلق جو من الرعب بين العاملات بالمستشفيات. وقد حدث ذلك في مستشفى الجهراء. وكان من ضمن من واجه مشاكل كثيرة من أفراد الجهاز الطبي رجال الإسعاف، الذين ذاقوا الأمرّين من المضايقات الكثيرة لسلطات

الاحتلال العراقية، سواء داخل المستشفيات أم أثناء مرورهم على نقاط التفتيش. فقد كان جنود السيطرات لا يولون أي اهتمام لذلك العمل الإنساني ولا يحترمون القائمين عليه. وكانوا يفتشون سيارات الإسعاف تفتيشا دقيقا ويطلبون إنزال المرضى منها مرارًا للتأكد من أنهم ليسوا من شباب المقاومة. كما تمّ إيقاف بعض تلك السيارات مرات عديدة أثناء الليل ولم يسمحوا لها بالتوجّه لمراكز عملها إلاّ في الصباح. وقد وقعت إحدى تلك الحوادث أثناء نقل امرأة حامل إلى أحد المستشفيات مما تسبب في حدوث مشادات عنيفة. كما عانى جهاز الإسعاف كثيرًا أثناء فترة منع الوقود عن السيارات التي لم يتمّ تبديل لوحاتها. فكانوا ـ وبسبب عدم تبديل اللوحات ـ يضطرون لشراء البنزين من الجيش الشعبي الذي قام أفراده بالاتّجار بالوقود والغاز أثناء تلك الفترة. كما كان رجال الاسعاف في بعض الأحيان (يسرقون) الأرقام العراقية من بعض السيارات العراقية المعطّلة ويضعونها على سيارات الإسعاف بهدف الحصول على البنزين من المحطّات.

أما الهلال الأحمر الكويتي فقد قام بدور كبير في الأسابيع الأولى للاحتلال. فكان يقدّم الخدمات الإنسانية للمحتاجين بما فيها تزويدهم بالمواد الغذائية ويقوم بإسعاف الجرحى ونقلهم للمستشفيات وعلاجهم ونقل الأدوية للمستشفيات. كما كان له دور مهم في تجميع القتلى ـ الذين كانت أعداد كبيرة منهم ملقاة بالشوارع ـ ونقلهم للمستشفيات أو المقابر ودفنهم. وقد انضم عدد من المتطوعين للهلال الأحمر الكويتي في تلك الفترة وساعدوا في تقديم تلك الخدمات. وكان من ضمن الأعمال التي قام بها تدريب أولئك المتطوعين على أعمال الإسعافات الأولية والعناية بالمرضى وغيرها من الأعمال الإنسانية، مستخدمًا لذلك كلية الطب وبعض المستوصفات والمنازل. وقد صبّ المحتلون جام غضبهم على الجمعية وقاموا بمضايقة أعضائها وعرقلة أعمالهم خلال تلك الفترة ثم اعتقلوا ستة منهم لمدة خمسة وعشرين يومًا ممّا أدّى إلى شل دورها البناء. وقامت سلطات الاحتلال فيما بعد (بحل) الجمعية وزعمت أنها ألحقتها بالهلال الأحمر العراقي، الذي لم يسمع أحد له بأي دور. وقد اضطرت تلك الممارسات بعض أعضاء الجمعية لمغادرة الكويت، حيث قاموا بتنظيم صفوفهم بالخارج، وأسسّوا مقرًا

مؤقتا لهم في دولة البحرين، ليقوموا من خلاله بالاستمرار بتقديم ما يستطيعونه من خدمات. وكان من بين الأعمال التي قامت بها الجمعية هناك تدريب المتطوعين ومتابعة الأوضاع الداخلية في الكويت وتفقّد أحوال المفقودين والمختطفين من قبل سلطات الاحتلال. كما استمرت باتصالاتها المكثفة مع جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الدولية، وقدّمت لهم معلومات تفصيلية عن الأعمال الوحشية التي قام بها النظام العراقي في الكويت من قتل وتعذيب وسلب ونهب وانتهاك للأعراض.

وكان ممّا ساعد على سير الخدمات الطبية ـ بجميع أشكالها ـ بصورة فعالة التواجد الدائم لعدد كبير من الشباب الكويتي، الذين تطوعوا للعمل بالمستشفيات والمراكز الطبية الأخرى. وكان منهم الرجال والنساء الذين قاموا بخدمات جليلة وكانوا اليد اليمنى للأطباء، إذ قاموا بمساعدتهم في كل المجالات بالإضافة إلى العناية الفائقة التي كانوا يقدمونها للمرضى والجرحى من رجال المقاومة. وقام بعضهم بإدارة المستشفيات من الناحية الفنية والإدارية، حيث أخذ الكثير منهم على عاتقه الاشراف على الشؤون الهندسية بالمستشفيات، وصيانة وإصلاح كافة الأجهزة، ابتداء من التكييف المركزي إلى الأدوات الكهربائية وتوفير المياه والديزل والغاز. كما قاموا بتوفير غاز الأوكسجين الذي لولاه لما استطاع الأطباء القيام بأي عملية جراحية. كذلك أنجز أولئك الشباب أعمالاً غاية في الدقة والصعوبة بالرغم من عدم توفّر الخبرة الكافية لديهم في تلك المجالات من قبل. فقد نجحوا بإصلاح بعض الأجهزة المعقّدة مما أدهش كل من تابع منجزاتهم. وكان من بين تلك الأجهزة جهاز التنفس الصناعي والأوكسجين الخاص بالعمليات في المستشفى الأميري.

ومن المهم التنويه هنا بأن السلطات العراقية لم تكن بعيدة تمامًا عمّا كان يدور من أعمال كبيرة قام بها الأطباء الكويتيون ومن وقف معهم من الشباب. لكنها كانت تنتظر اللحظة المناسبة لعمل شيء ما وتوجيه ضربة قاضية لكل ذلك العمل الضخم ومن كان وراءه. وكانت إحدى خطواتها في سبيل ذلك، قرار النقل الذي أصدرته لتحويل مدراء الدوائر ورؤساء الأقسام من الأطباء الكويتيين للعمل في المستشفيات

العراقية. وكان الهدف من ذلك معروفًا وهو إخلاء الجو لرجالها لإكمال عملية الاستيلاء على ما تبقّى من أجهـزة بعـد مضايقة الأطباء الكويتيين واجبارهم على التخلي عن الـواجب الـذي نذروا أنفسهم له. لكن إصرارهم على عدم الـرضوخ لذلك القرار ووقفتهم الواحدة ضده أفشلت خططهم وجعلتهم لا يستطيعون عمل شيء، خاصة بعـد أن بدأت الأمـور تتضح شيئا فشيئا وتزداد الضغوط عليهم وتقترب المهلة التي حدّدها مجلس الأمن لانسحابهم، ممّا سبب بعض الارتباك في خططهم وجعل تركيزهم ينصب على النواحي العسكرية.

ـ المطافىء والدور الذي قامت به لخدمة المواطنين

كان لرجال المطافيء الكويتيين دور بارز طوال فترة الاحتلال. فقد بدأوا بعملهم الـوطني المميّز منـذ اليوم الأول للعـدوان عنـدما بدأت سياراتهم تطوف جميع أرجاء الكويت من الشمال إلى الجنوب عند سماع أي خبر عن حريق في أي مكان. وكانوا يقومون بعملهم بكل حماس وتحدٍ واضعين نصب أعينهم حفظ الكويت من أي محاولة للتدمير. وقد اعتبرتهم سلطات الاحتلال من أكبر خصومها، وذلك لتواجدهم الدائم في مقدمة الصفوف لوقف خطط الدمار وهي في مهدها. وكان ذلك واضحًا منذ البداية عنـدمـا قام الغـزاة في صبـاح الثـاني من أغسطس بضرب إحدى سيارات المطافيء بالـرشـاشات وقتل سائقها، عندما أصرّ على التوجّه داخل قصر دسمان لأداء واجبه بإطفاء الحرائق هناك. كما قاموا في فترة لاحقة بضرب مركز إطفاء السالمية بالدبابات بعد أن تمّ إلقاء القبض على جميع العاملين فيه بحجّة تعاونهم وانضمامهم لرجال المقاومة.

وكانت خطة المعتدين واضحة في عرقلة أعمال هذا الجهاز الحيوي وشل دوره في الحفاظ على مؤسسات البلاد المختلفة، ليتمكنوا من تنفيذ خطتهم في تدمير كل ما يمكن تدميره وعدم إيقاف تلك العملية. وقد انعكس ذلك في جميع تصرفاتهم. إذ كانت أولى خطواتهم في سبيل ذلك سرقة أعداد كبيرة من سيارات الإطفاء وتجهيزاتها وذلك للحد من إمكانيات ذلك الجهاز الهام وعرقلة سير العمل فيه. وقد أدى ذلك

بالفعـل الى إغلاق العديد من المراكز بعد أن أصبحت لا تستطيع القيام بواجباتها بصـورة جيدة. وكـانت هنـاك (حملتـان) رئيسيتـان قام بها المحتلون للاستيلاء على التجهيزات الخاصة بإدارة المطافيء. الأولى ـ وكانت في الأسابيع التي تلت الغزو مباشرة ـ وقـد شملت سيارات الإطفـاء الحـديثـة والمتطورة وسيارات الخدمات التابعة لها، بالإضافة إلى السلالم الكبيرة والرّافعات والمضخّات ذات الفعالية العالية التي يُعتمد عليها في الحالات الصعبة. وكان يتوفر في كل مركز من المراكز الاثنين والثلاثين المنتشرة في البلاد ما يقارب من عشر سيارات في المتوسط، بالإضافة إلى التجهيزات المتقدمة الأخرى. وقد قام العراقيون بسرقة معظمها ولم يتركوا إلاّ سيارة أو اثنتين في كل مركز، مع بعض الأجهزة البسيطة التي لا تلبي الحاجة لمواجهة الحرائق بصورة كافية. وقد أدى ذلك إلى تقلّص عدد مراكز الإطفاء إلى سبعة فقط، بعد أن أصبح من الصعب قيامها بأي عمل ذي قيمة. كما تقلص عدد العاملين في تلك المراكز من حوالي ثلاثة آلاف شخص إلى أربعمائة شخص فقط بما في ذلك المتطوعين، وذلك بعد مغادرة كثير من العاملين الأجانب. أما (حملة النهب الثانية) فكانت قبل القصف الجوي بأيام، حيث قاموا بنهب أعداد كبيرة أخرى مما تبقّى من السيارات والأجهزة، مما أدى إلى تخفيض عدد المراكز العاملة إلى أربعة. وكانوا في ليلة الهروب (مساء يوم ٢٥ فبراير) قد سرقوا البقية الباقية من السيارات وأكملوا على ذلك الجهاز المتطور الذي يعتبر من أحدث ما كان متواجدًا في المنطقة، إذ لم يبق من ذلك الأسطول إلاّ أربع سيارات تقريبا من أصل أربعمائة سيارة قبل العدوان.

وكان رجال الإطفاء، بالإضافة إلى الشباب الكويتي الذي تطوّع للعمل معهم، يعملون صباح مساء في إطفاء الحرائق التي انتشرت في كل مكان. وكان بعضهم يقضي كامل وقته في المركز، طوال الليل تحسبًا لأي طارىء، ويفترش الأرض لينام ساعة أو ساعتين أثناء الليل هناك. ولم ير بعضهم ذويهم طوال فترة الاحتلال إلاّ مرات قليلة حيث كان الاتصـال الهـاتفي هو السبيل الـوحيد الذي استخدموه للاطمئنان على أبنائهم. وكان عملهم يزداد صعوبة نظراً لعدم توفر الإمكانيات التي أصبحت محدودة جداً وغير فعالة لمواجهة الحرائق التي أخذت في الازدياد يوما بعد يوم. لذلك كانت

معظم جهودهم في كثير من الحالات تنصب على محاصرة الحريق ومنعه من الانتشار إلى الأماكن والمباني المجاورة له. وقد واجهوا مشاكل كثيرة أخرى كانت تحول دون قيامهم بعملهم بصورة فعالة. فقد كانت الحرائق تشتعل في كل مكان حتى وصلت إلى ما يقارب من خمسة وعشرين حريقًا في اليوم الواحد في بعض الأحيان، بينما لم تكن لديهم السيارات الكافية لمواجهة ذلك. كما مرّت عليهم بعض الفترات رفضت فيها سلطات الاحتلال تزويدهم بالوقود بالمجّان، مما حدا ببعض التجار لمساعدتهم والتبرع بالأموال اللّازمة لشراء الوقود. وكانت المياه قد شحّت في الأشهر الأخيرة في بعض المناطق، وانقطعت تماما في مناطق أخرى، مما اضطرّهم للذهاب لمناطق بعيدة لملء الصهاريج بالمياه، خاصة في تلك الفترة التي ازداد فيها معدّل الحرائق، وهي أشهر ديسمبر ويناير وفبراير. إذ كانت قد استفحلت السرقات في تلك الأشهر للمخازن التجارية وقامت مجموعات اللصوص بحرق تلك المخازن والمتاجر بعد سرقة ما كان فيها من بضائع لإخفاء دليل الجريمة، مما أضاف أعباء جديدة على أولئك الشباب الذين كانوا يكافحون في كل مجال. وقد تبّين أن معظم من قام بذلك العمل هم من الموظفين من بعض الجاليات، الذين كانوا يعملون بتلك المحلات لسنوات طويلة. وقد شاهدهم رجال الإطفاء مرات عديدة وهم يقومون بأعمال السرقة لكنه لم يكن باستطاعتهم عمل شيء. وكانوا يرون تلك الأماكن وقد اشتعلت بها النيران بعد ساعات من إتمام عمليات السرقة.

كما واجه رجال الإطفاء كثيرا من العراقيل من قبل سلطات الاحتلال كان من ضمنها منعهم من إطفاء بعض الحرائق التي أُضرمت في بعض المنازل والمحلات، إلى أن تأتي النار على كل ما كان فيها من موجودات. وقد حدث ذلك عدة مرات كان من بينها الحريق الكبير الذي أشعله الغزاة في الروضة في سبعة عشر منزلاً في شهر أكتوبر، لعثورهم على جثث بعض الجنود ملقاة في المنطقة المقابلة لتلك المنازل. إذ تمّ منع سيارات الإطفاء من التوجّه لإطفاء الحرائق في تلك البيوت وهدّدوهم بالقتل إن أقدموا على ذلك، وأغلقوا جميع الشوارع المؤدية لتلك البيوت لمنع سيارات الإطفاء من الوصول إليها. لكن تصميم رجال الإطفاء واستعمالهم لكل وسيلة لديهم أدّى إلى إقناع رئيس

الزمرة التي كانت متواجدة هناك للسماح لهم بأداء واجبهم. وكان ذلك متأخراً، لكنه أدى جزءًا من الغرض.

وقد حدث الشيء نفسه لمنزل أحد الشهداء والذي تم إعدامه أمام ذويه وحرق منزله بالجابرية. إذ هدّد أزلام الاستخبارات رجال المطافيء بالقتل إن اقتربوا من المنزل، ولم يسمحوا لأحد بالاقتراب منه إلى أن أتت النار على كل ما كان فيه.

ولم يكتف رجال المطافيء بالقيام بعملهم هذا، وهم يرون إخوانهم الشباب يقومون بأعمال المقاومة المسلّحة. فقد انخرط عدد منهم في صفوف رجال المقاومة وقدّموا لهم الكثير من الدّعم. إذ كان عدد منهم يقضي النهار بإطفاء الحرائق بينما يتوجّه أثناء الليل لملاحقة أهداف النظام العراقي وضرب مواقعه.

كما قاموا بنقل كميات من الأسلحة من منطقة لأخرى بسيارات الإطفاء وذلك باخفائها داخل الصهاريج. وكانت بعض مراكز الإطفاء ـ وخاصة منها مركز الشويخ ـ تعتبر مخزنًا مهمًا للأسلحة التي تمّ إخفاؤها فوق الأسطح العلوية وداخل (أسقف الديكور) والمخابىء الأخرى لوقت الحاجة. ولعب شباب الإطفاء أدواراً مهمّة في حرق سيارات العدو والمساعدة على إكمال عمليات رجال المقاومة التي كانوا يقومون بها في كل مكان. فقد استخدم أولئك الشباب أسلوب المماطلة مع المحتلين في كثير من الأحيان، عندما كان يتم الاتصال بهم من قبل سلطات العدو لإطفاء بعض الحرائق التي كانت تشتعل نتيجة لضربات المقاومة في أماكن تواجدهم، أو في سيارات الصهاريج التي كانوا ينقلون فيها الوقود من مخازن الأحمدي والشعيبة إلى العراق. وقد حدث بالفعل أن تأخّروا ـ عن عمد عدداً من المرّات ـ بالتوجه إلى سيارات الصهاريج التي كانت تشتعل بالطرق بعد أن تعرضت لضربات الشباب، وكانوا يصلون إليها بعد أن تكون النار قد حولتها إلى هشيم.

كما قام رجال الإطفاء بنقل الجرحى والموتى بسيارات الإسعاف التابعة لهم بالإضافة إلى المساعدة في حفر القبور وتزويد المقابر بالمياه لغسل الموتى بعد أن انقطعت

المياه عنها. ومن الأعمال الأخرى التي قاموا بها توزيع المواد الغذائية والمياه بانتظام على كثير من العائلات الكويتية وخاصة من كان منهم في ضيقة من العيش. وكان من بين الذين خصّوهم بالمساعدة والغذاء بصورة منتظمة مراكز العجزة والمعوقين بالإضافة إلى بعض الأيتام والأرامل. وقد أصبح مركز المطافىء في الشويخ من أهم (المؤسسات) التي كانت تقوم بكل عمل ممكن، تراه مهمًا في سبيل مساعدة المواطنين على الصمود. وكان عدد من تجار المواد الغذائية قد تبرّع بكميات كبيرة من المواد الغذائية والاستهلاكية الأخرى لمركز مطافىء الشويخ - بالإضافة إلى المراكز الأخرى - بعد أن علموا بدوره الكبير في مساعدة جميع المواطنين. كما قام بعضهم بتقديم مبالغ من المال لتلك المراكز لاستخدامها في التغلّب على الظروف التي واجهتهم.

ولم يكن العراقيون مرتاحين للدّور الذي كان يقوم به رجال الإطفاء. وكانوا يقومون بحملات مداهمة مستمرة لتلك المراكز بدعوى وصول إخباريات تفيد بوجود أسلحة لديهم. كما تمّ منعهم في فترات متأخرة من توزيع المياه بالصهاريج على الأهالي، وتمّ توقيف العاملين بمركز الشويخ عدة مرات في ساحة المركز، وصفّهم أمام الجنود المدجّجين بالسلاح (تمهيدًا لإعدامهم) إن لم يخبروا بمخابىء الأسلحة لديهم. لكنهم كانوا في كل مرة يخرجون من تلك المشكلة بسلام. وقد حاولت سلطات الاحتلال في بعض الفترات جلب بعض العراقيين للعمل في مراكز الإطفاء وجاء أمر بنقل خمسة وتسعين عراقيًا من (رجال الإطفاء) إلى مراكز الإطفاء المختلفة في الكويت «للعمل مع الكويتيين». فحدث رد فعل مضاد من رجال الإطفاء الكويتيين الذين قاوموا الفكرة وحاول بعضهم إقناع المسؤولين العراقيين بعدم تطبيقها لاحتمال عدم تعاون الكويتيين معهم، وإمكانية حدوث بعض الإشكالات وسوء الفهم والمشاكل «التي هم في غنى عنها». وبعد جهد جهيد لم يخل من وسائل الإقناع (المعروفة) تم إقناع رئيسهم (بتعديل) الفكرة، ووافق على توزيع العراقيين إلى المراكز المغلقة التي هجرها العاملون فيها. وكان من بينها مراكز مطافىء شارع الهلالي والصليبخات والدوحة والمدينة الترفيهية. لكنه وبعد فترة أعاد مسؤولو النظام الكرّة وأصرّوا على توزيع ما يقارب من خمسة عشر عاملاً عراقيًا في كل مركز بالإضافة إلى ضابطين، بعد أن

أحسّوا أن في الأمر شيئا لا يدعو للاطمئنان.

وكان من أكبر المشاكل التي واجهت رجال الإطفاء الكويتيين قرار السلطات العراقية نقلهم للعمل في مراكز الإطفاء في العراق واستبدالهم بموظفين عراقيين. وكان ذلك القرار، فيما لو طبق، بمثابة الضربة القاصمة التي كانت ستجهض كل الجهود التي بذلت في سبيل سلامة البلد والحفاظ على مكتسباته من أي عبث أو تدمير. لكن الله سلّم ومرّ الأمر بسلام بعد أن بُذلت جهود مضنية ومحاولات شاقة أثمرت في (تأجيل) تنفيذ ذلك القرار. فقد قام مسؤول المطافيء الكويتي بالبحث والتقصّي عن الجهة التي بإمكانها عمل شيء ما لتعطيل تنفيذ ذلك القرار أو ما يؤدي إلى تلك النتيجة. وبعد محاولات عديدة استطاع الوصول إلى رئيس جهاز المطافيء، وكان برتبة عقيد، ويقضي ساعات عمله في مكتب مدير كلية الشرطة بالشويخ، الذي تمّ تخصيصه له من قبل سلطات الاحتلال. وكان ذلك المكتب محاطًا بالحرس ولا يستطيع أحد الدخول إليه إلّا بشق الأنفس. وبعد مقابلته والتحادث معه تبّين أنه هو الشخص الذي بيده القرار. فتمّ إقناعه بأن ذلك القرار سيتسبّب في مشاكل كثيرة أبسطها عدم معرفة رجال الإطفاء العراقيين بالأماكن والشوارع بالكويت وعدم توفّر الخبرة الكافية لديهم لتشغيل الأجهزة، مما سيؤدي إلى التأخير في إطفاء الحرائق وبالتالي وقوع المسؤولية على الإدارة العليا للإطفاء. كما تم إغراؤه (بالاستجابة لجميع طلباته). وكان ذلك التلميح بمثابة «مربط الفرس»، إذ أنه ثبت أن معظم المسؤولين العراقيين، إن لم يكونوا جميعهم، على استعداد لعمل أي شيء في سبيل الحصول على المال الذي هو من أهم نقاط الضعف لديهم، وكان ذلك معروفًا بصورة واضحة وجلية. وقد انتهى الأمر على الاتفاق بأن يتم إيقاف مفعول ذلك القرار مقابل مبلغ وقدره ٣٥٫٠٠٠ دينار عراقي (أي ٣٫٥٠٠ دينار كويتي). وقد وعد بعمل اللازم خلال يومين بعد أن يتوجه إلى بغداد ليعود ومعه القرار. لكنه اشترط الحصول على طلب آخر بالإضافة إلى المبلغ. وبعد الاستفسار عن ذلك الشيء أفاد أنه يريد (ست البيت). ولم يفهم مسؤول المطافيء الكويتي ما المقصود من ذلك، لكنه عرف بالنهاية أنه يرغب في الحصول على (خلّاطة فواكه كهربائية)، إذ تبيّن أن العراقيين يسمونها (ست البيت).

وقد عاد بعد يومين من بغداد وبيده أمر بتأجيل تنفيذ قرار نقل رجال المطافيء الكويتيين الى العراق، حيث شكّل ذلك انفراجًا كبيرًا في الوضع الذي كان سيتحوّل إلى ما يشبه الكارثة لو أن سلطات الاحتلال قامت بتنفيذ قرار النقل.

ـ الدورة المالية والاقتصادية ودور التجّار في صمود المواطنين

كان رد الفعل الأولي لكثير من الناس بعد صدمة اليوم الأول للاحتلال يتركز حول توفير المواد الغذائية لمواجهة أي طاريء يفرض نفسه. وقد بدأ الناس بالتجمهر حول مخازن المواد الغذائية لبعض التجار ابتداءً من يوم ٤ أغسطس، أي بعد يومين من دخول قوات العدوان إلى الكويت. وقد تجاوب عدد من التجار مع الناس وقاموا بفتح مخازنهم وبدأوا بتوزيع المواد الغذائية عليهم بناء على البطاقة المدنية. وكان تفكير الجميع ينصب على أن المشكلة لن تطول أكثر من عدة أسابيع. كما بدأ هؤلاء التجار بتزويد الجمعيات التعاونية ومراكز البيع الأخرى والمستشفيات بالمواد الغذائية على الحساب، على أن يتم السداد بعد عودة الشرعية. وقامت كثير من الجمعيات التعاونية في البداية بتزويد سكان المناطق بالمواد بناء على البطاقة المدنية لكل فرد. وقد فرض هذا الواقع نفسه لأسباب كثيرة منها عدم استلام كثير من المواطنين رواتبهم لشهر أغسطس وعدم ذهابهم لأعمالهم وبالتالي عدم توفّر أي سيولة لديهم. كما كان لغياب الإدارة الكويتية الشرعية عن البنوك ـ والتي كان من خلالها يتم توزيع الأموال على الناس ـ أكبر الأثر في تقلّص السيولة في السوق. وقد أدّى امتناع الجمعيات التعاونية والتجار عن إيداع الأموال في البنوك إلى توقف الدورة المالية بالبلاد. وكان بعض مدراء البنوك أو من ينوب عنهم قد عقدوا اجتماعين سريّين أثناء الأسبوع الثاني للاحتلال فيما بينهم أكدوا فيهما على عدم تعاون البنوك مع سلطات الاحتلال، واتفقوا على تبديل أماكن سكنهم وعدم إعطاء أرقام هواتفهم لأحد. كما قرّروا الاتصال بالجمعيات التعاونية والطلب منها السماح للمواطنين والمقيمين باستعمال بطاقات الائتمان، الصادرة من البنوك إليهم، في شراء حاجياتهم من الجمعيات في حدود معينة. كما تقرر أن يحجم ممثلو الادارات الشرعية للبنوك عن التعامل أو التعاون مع الادارة العراقية للبنوك على أي وجه.

وكـان هناك حافز للتجار لتخفيف مخزونهم من المواد الغذائية وغيرها والقيام ببيعها على الحساب على الجمعيات التعاونية ومراكز التوزيع الأخرى والأهالي قبل أن تقوم السلطات العراقية بنهبها، خاصة بعد مساواة الدينار الكويتي بالدينار العراقي. كما كان لدى الناس شعور بضرورة تخزين أكبر كمية من المواد الغذائية خاصة بعد أن اتضـح أن المشكلة قد تأخذ أبعادًا جديدة. وقد أدّى هذا إلى قيام المواطنين بشراء كميات كبيرة من المواد الغذائية على الحساب من التجار والجمعيات التعاونية وتخزينها في بيوتهم. وكانت تلك الكميات تكفي لعدة أسابيع بل ربما لأشهر.

وقـد بدأت الأمـور تنتظم وتعود إلى ما كانت عليه في السابق بين الجمعيات التعاونية والتجار في أواخر أغسطس، حيث بدأت الجمعيات بالبيع النقدي للمواطنين وبالتالي تسديد حساباتها للتجار نقدًا. وقد اتّسعت الحركة النقدية بصورة كبيرة بعد فرض التعامل بالدينار العراقي في منتصف شهر أكتوبر. وبدأت منذ ذلك الحين دورة مالية واقتصادية كبيرة ومنظمة نتيجة لبدء مرحلة جديدة من التعامل مع الواقع ما بين التجار والجمعيات التعاونية والجهات المعنيّة التي كان مناطا بها القيام بإدارة الناحية المالية للبلاد من قبل الحكومة بالطائف.

وكانت نتيجة البيع النقدي للجمعيات التعاونية ـ بعد فرض التعامل بالدينار العراقي ـ توفّر كميات كبيرة من السيولة وقيام تلك الجمعيات بتسديد مشترواتها من تجار المـواد الغذائية والاستهلاكية نقدًا. وكان التجار بدورهم يسلّمون هذه الأموال للجهة التي كانت على اتصال بالحكومة والمكلّفة باستلامها منهم. وكانت هذه الجهة عبارة عن لجنة مشكلة من عدد من المواطنين يمثلون جميع الاتجاهات المختلفة بما فيها المدنيّة والعسكرية، وكان بينهم اثنان من الأسرة الحاكمة. وكان دور هذه اللجنة توزيع الأموال على المناطق السكنية المختلفة من خلال الأفراد المخّولين باستلام تلك الأموال في كل منـطقة. وكانت اللجنة تصدر صكًا موثقًا من قبل الجهات الحكومية مقابل الأمـوال التي تستلمهـا من التجـار، ويتم إرسال نسخة من الصك (بالفاكس) إلى الجهات الحكومية في لندن، حيث يتم إيداع تلك الأموال بحسابات التجار هناك إن وجدت، أو يتم اعتبارها أمانة إلى أن يقوم التاجر باستلامها متى أراد. وكان جهاز

الفـاكس هذا متصلاً بجهاز تلفون متنقل متصل بدوره بالأقمار الصناعية، ولم يكن باستطاعة أي جهة التقاطه. وكانت هناك ـ في أحد الأوقات ـ حوالي ثمانية أجهزة من هذا النوع كان يستعملها بعض الأفراد المخّولين لإرسال المعلومات المختلفة إلى الحكومة بالطائف. وقد استمر هذا الوضع إلى أن تمّ توقّف عملية الإرسال لأسباب مختلفة بينها عطل أحد الأجهزة ومصادرة آخر من قبل سلطات الاحتلال ومشاكل أخرى مشابهة.

وقد جعل ذلك الوضع الغزاة في حيرة من أمرهم وكانوا يستغربون من صمود الشعب الكويتي الذي لم يكن أحد منه يذهب للعمل وبالتالي لم يأته مدخول منتظم بينما كان كل شيء متوفراً لديه على الدوام ولم يضطر إلى التعاون مع سلطات الاحتلال. وبعـد معـرفـة السلطات العراقية بالدور الذي لعبه التجار والجمعيات التعاونية في مسـاعدة الناس بدأت بتضييق الخناق عليهم وقامت بمصادرة عدد كبير من مخازن التجار بالإضافة إلى مخازن بعض الجمعيات التعاونية. كما طلبت من الجمعيات إيداع قيمة مبيعاتها في البنوك. إلاّ أن الجمعيات نجحت في إقناع تلك السلطات بأنها كانت تبيع المـواد للمـواطنين بخسارة، وأن التجار لن يزودوها بالمواد إن لم تدفع لهم قيمة المشتروات نقدًا. أما التجار فكانت الضغوط عليهم أكبر، إذ أصرّت تلك السلطات على أن يقوم كل تاجر بإيداع قيمة مبيعاته بالبنوك، كما طلبت منهم سداد ما عليهم من قروض للبنوك. ولكنهم كانوا يماطلون مع تلك السلطات ويودعون بعض الأموال (بالقطّارة) في حساباتهم بالبنوك لإسكات تلك الجهات التي يبدو أنها كانت (تتعيّش) من وراء تلك الأموال، وبالتالي لم ترغب بتأزيم الموقف حتى لا يستفحل وتصل الأمور إلى (السلطات العليا) فتكون تلك المبالغ من نصيبها.

هذا وبالرجوع إلى تلك الطريقة في تدوير الأموال بين الأطراف المختلفة، يمكن اعتبار تلك الطريقة فريدة من نوعها وغاية في الذكاء والحنكة. فقد أدت الى خلق دورة مالية واقتصـادية منتـظمـة، ساعدت الناس على الاستمرار في حياتهم العادية دون الاضطرار للذهاب إلى العمل، ممّا أعطى العصيان المدني قوة كبيرة وساعد المواطنين على الصمود. وكان نجاح ذلك التنظيم يعود للثقة المتوفرة بين جميع الأطراف بالإضافة

إلى استعـداد التجار للتضحية ورغبة الحكومة في مساعدة المرابطين في الداخل على الصمود، إذ كان ذلك هو الهدف الرئيسي.

ومن المهم هنا التنويه بالدور المشرف الذي قام به بعض أعضاء مجالس إدارات الجمعيات التعاونية ومن تطوع معهم من المواطنين، للقيام بعبء الإشراف على توزيع المواد الغذائية على المواطنين وتنظيم تلـك العملية التي ساعدت المواطنين في التغلّب على كثير من المشاكل ووفّرت لهم حاجاتهم من الغذاء بصورة مستمرة وميسّرة أغنتهم عن كثير من المشاكل. وقد وضع هؤلاء أرواحهم وأرواح ذويهم على أكفّهم في سبيل خدمـة المـواطنين أمام عدو غادر لا يعرف الرحمة. كما يجب الإشادة بالدور الوطني الأصيل والتضحية المادية الكبيرة والمجازفة الخطرة التي قام بها بعض التجار الكويتيين وفي مقـدمتهم بعض تجار المواد الغذائية الذين فتحوا مخازنهم للمواطنين ليأخذوا ما يشاءون من مواد دون قيود وبالمجان في كثير من الأحيان، مما جعلهم في مقدمة الذين وقفوا سنداً لصمود هذا الشعب في ظروف صعبة، كان العدو خلالها يرصد كل صغيرة وكبـيرة. ولـولا الدور الذي قام به هؤلاء التجار والجمعيات التعاونية لكانت الأمور أصعب والمشقة أعظم على المواطنين الرازحين تحت نير الاحتلال البغيض. فقد كان ما قدّموه أكبر سند لصمود العدد الكبير من المواطنين ووقوفهم في وجه مخطّطات العدو لإخلاء البلد.

كما كان هنـاك عدد كبـير من الشباب الذي تطوع للعمل مع بعض التجار لتوزيع المواد الغذائية، وتوصيلها إلى المواطنين في مختلف المناطق، بالإضافة إلى أهالي العسكريين والمعتقلين والشهداء. كما قاموا في مرحلة لاحقة بنقل تلك المواد التي تبرّع بها التجار للأسرى في سجون العراق المختلفة. وكانوا كذلك ينقلون الأموال من منطقة لأخـرى لتوصيلها إلى الجهات المعنية التي كانت تقوم بدورها بتسليمها إلى الجهات المخولة لتوزيعها على المواطنين. وكان أولئك الشباب يحملون معهم ملايين الدنانير العـراقية وقد تمّ وضعها في أكياس كبيرة وكانوا يتنقلون بها بين السيطرات معرّضين أنفسهم للمساءلة. وقد ساعدهم على تلك المهمة إصدار هويات (مزوّرة) لهم تبيّن أنهم موظفون لدى شركات المواد الغذائية، مما يعني أن من أحد واجباتهم نقل تلك

الأموال التي تعود للشركات إلى جهات وشركات تجارية. كما أن تقديم الأموال الطائلة لمسؤولي النظام العراقي كان من الوسائل المهمة التي ساعدت في تمرير كثير من تلك العمليات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الخبراء الأميركيين المتخصصين بالمال قدموا إلى الكويت بعد التحرير لدراسة تلك الظاهرة الفريدة وتقديم تقرير مفصل للبنتاجون عن ذلك. إذ أن تلك الظاهرة لفتت انتباههم وجعلتهم يرغبون في معرفة تفاصيل العمليات المالية التي تمت، والتي كان من نتيجتها تسيير البلد بصورة محكمة التنظيم من الناحية المالية والاقتصادية مما يدعو إلى الإعجاب. وقد أبدوا دهشتهم عن كيفية استطاعة الاقتصاد الكويتي تسيير أموره بالطريقة التي تمّت أثناء فترة الاحتلال دون وجود سلطة مركزية منظمة وبغياب البنوك. وكان من بين أهدافهم دراسة كيفية التصرف المالي وطريقة تعامل التجار مع كل حالة واجهتهم والقرارات التي كانت تتخذ. كما كان من ضمن أهداف الدراسة ربط تلك الحالة وتأثيرها على طريقة اتخاذ القرارات الصادرة من قبل القيادة العراقية في ظل ذلك الوضع غير الطبيعي، والوصول إلى نتيجة حول نوعية القرارات العراقية التي كانت تتخذها تلك السلطات أثناء الأزمة فيما يخص الناحية المالية والاقتصادية، وفيما إذا كانت تلك القرارات ارتجالية أم مدروسة. وقد قامت تلك اللجنة بمقابلة عدد من التجار الكويتيين الذين لعبوا دوراً رئيسيًا في ذلك المجال أثناء فترة الاحتلال.

ـ الاتصالات بالخارج

كانت الاتصالات بالخارج طوال فترة الاحتلال مستمرة بالعمل، سواء عن طريق أجهزة الاتصال الرئيسية أو (الرسمية)، التي كانت على اتصال دائم مع الشرعية بالطائف، وكان عددها اثنين، أم عن طريق الأجهزة الأخرى، البالغ عددها خمسة تقريبًا. وكان عدد من أصحاب الأجهزة الأخيرة يقوم من جانبه بنقل ما تصله من معلومات أو ما يسمعه من تطورات وأحداث على الساحة الكويتية للطائف، حسب ما تسنح له الفرصة وبصورة شبه مستمرة تقريبًا. كما كانت هناك بعض الأجهزة التابعة

للهواة التي بقي منها عدد محدود استمر بالعمل إلى يوم التحرير. وقد قام بعض هؤلاء بجهود كبيرة لتوصيل أخبار معاناة الشعب الكويتي إلى الخارج، سواء عن طريق زملائهم الهواة في الدول المختلفة أم لجهات دولية معينة.

وكانت المعلومات التي ترسل للحكومة بالطائف بواسطة الجهازين اللذين كانا لدى اثنين من المواطنين المخولين رسمياً من الدولة، تتعلق بما كان يدور بالبلاد من أنشطة مختلفة، سواء في الأجهزة الرسمية للدولة، أم في المؤسسات والجهات المهمة الأخرى. وكانت هاتان الجهتان تشرفان بصورة مستمرة على كل ما كان يدور من أعمال في الداخل وترسلان للحكومة تقارير مفصلة عنها. فعلى سبيل المثال كانت التقارير ترسل باستمرار فيما يخص الكهرباء والماء والنفط والنواحي العسكرية والاستخبارية وفيما يخص العمليات الفدائية وتوزيع مساعدات الحكومة على المواطنين وما شابه ذلك. وكانت الجهات الحكومية بالطائف، نتيجة لتلك الاتصالات، على علم تام بكل ما كان يدور بالداخل. كما كانت ترسل تعليماتها وتوجيهاتها عن طريق تلك الأطراف لتقوم بنقلها من جانبها للجهات المعنية بالداخل.

وكان أحد هذين الجهازين تابعًا لوزارة المواصلات بينما تم إرسال الآخر عن طريق السيارات القادمة من السعودية والتي كانت تدخل البلاد بصورة سرية بواسطة الطرق الصحراوية التي لم تكن قوات الاحتلال قد سيطرت عليها بعد، وذلك قبل انتشار قواتها بصورة كبيرة في جميع أنحاء الحدود ـ علما بأن وصول بعض الأجهزة والوثائق وما شابهها من أشياء من الحكومة لم ينقطع، فقد استمر دخولها إلى البلاد طوال فترة الاحتلال، عن طريق الأردن من خلال سيارات بعض القادمين إلى الكويت من هناك، حيث كان يتم إخفاؤها بين البضائع. وكانت أجهزة الاتصالات تلك عبارة عن جهاز تلفون مرتبط بأحد الأقمار الصناعية عن طريق (دِش) يوضع فوق سطح المنزل، وقد تم تركيب جهاز (فاكس) عليه ليرسل ويستقبل الرسائل للخارج. ولم يكن باستطاعة سلطات الاحتلال اكتشافه، نظراً لاتجاه موجاته عموديا إلى القمر الصناعي. وكانت الأجهزة الخمسة الأخرى شبيهة بهذا الجهاز، أما أجهزة الهواة فكانت ذات موجات أفقية يمكن التقاطها عن طريق أجهزة الرصد.

هذا وقد قام عدد من هواة اللاسلكي الكويتيين بدور كبير أثناء فترة الاحتلال من خلال استغلال ذلك الجهاز لنقل أخبار وتطورات الوضع الداخلي الى الخارج، سواء إلى الجهات الحكومية أم لأقاربهم وزملائهم الهواة، الذين كانوا بدورهم ينقلون تلك الأخبار إلى وسائل الإعلام العالمية، أو الجهات الأخرى المهتمة بالقضية. كما قام البعض الآخر من الهواة بإيصال الرسائل المتبادلة بين المرابطين بالداخل وذويهم في مختلف الدول. وكان عدد من الهواة الكويتيين قد قاموا في بداية فترة الاحتلال بعمل شبكة اتصال مع زملائهم الهواة في بعض الدول العربية كالأردن ومصر ولبنان وبعض دول الخليج والمغرب لفترة، ثم توقفوا بعد أن بدأ العراقيون برصد موجات الاتصال ومصادرة الأجهزة أو تكسيرها. وقد استمر عدد آخر في نقل الرسائل إلى الخارج إلى أن زادت المخاطرة وتمّ القبض على بعضهم ونقلهم إلى بغداد. وقد انتهى الموضوع الى بقاء عدد قليل جدًا من الأجهزة التي استمرّ بعضها بالعمل وبصورة محدودة. أمّا الأجهزة المتطورة والمتصلة بالأقمار الصناعية فقد استمرت في الاتصال بالجهات الحكومية بالطائف إلى أن بدأت تنقص شيئًا فشيئًا نظرًا للمشاكل المختلفة التي واجهتها. وقد بقي منها جهاز أو جهازان فقط عند التحرير. وكانت هذه الأجهزة تستعمل من قبل بعض أفراد الأسرة الحاكمة وضباط الجيش والشرطة المخولين، والموجودين في الداخل.

وقد نشط أحد المواطنين الهواة في استخدام اللاسلكي التابع له طوال فترة الاحتلال في توصيل واستلام الرسائل المتبادلة بين المواطنين في الخارج وذويهم في الداخل. كما قام بإيصال كثير من الأخبار المهمة إلى الجهات الحكومية بالطائف وبعض الجهات الرسمية في الولايات المتحدة التي استفادت من تلك المعلومات.

وقد بدأ هذا المواطن عملية الإتصال منذ اليوم الأول للعدوان، حيث قام بنقل ما كان يجري في الداخل إلى زملائه الهواة في مختلف دول العالم، الذين اتصلوا به حال سماعهم للخبر. واستمر بالاتصال بهم طوال الأزمة، حيث أصبحوا في تلك الفترة حلقة الوصل بينه وبين مئات العائلات الكويتية بالخارج الذين كانوا دائمي الاستفسار عن أحوال ذويهم في الكويت عن طريق هؤلاء الهواة، عندما علموا بأنهم على اتصال بأحد الهواة الكويتيين في الداخل. وكان أولئك الهواة من مصر ولبنان

وباكستان وبريطانيا وسويسرا والسويد والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية واستراليا، وكانت تربطهم علاقات قديمة مع المواطن الكويتي. وكانت العملية تبدأ باتصال المواطنين في الخارج بإحدى تلك (المحطات) حيث يتم إعطاؤها اسم مرسل الرسالة والمرسل إليه ورقم الهاتف بالكويت والرسالة المطلوب إيصالها. فيقوم الهاوي الأجنبي ـ سواء أكان من باكستان أو من مصر أو من الدول الأخرى ـ بطبع الأسماء المطلوبة بالكويت وأرقام الهواتف لكل منهم، والرسالة المراد إبلاغها لهم ويرسلها (لمحطة) الكويت. وكان المواطن الكويتي يقوم بدوره ـ بعد استلام تلك الرسائل ـ بالاتصال تلفونيًا بكل شخص تأتيه رسالة من أهله بالخارج ويقرأها عليه ثم يستلم جوابه عليها ليقوم بطبعه على جهاز الكمبيوتر التابع لجهاز اللاسلكي تمهيدًا لإرساله مع بقية الأجوبة إلى الجهة المرسلة، في باكستان أو مصر مثلا، لتقوم بدورها بتبليغ الجواب إلى المرسل. وقد انتشر خبر الاتصالات بالكويت وازداد عدد الرسائل بصورة كبيرة حتى وصل متوسط عدد الرسائل إلى أكثر من مائة وخمسين رسالة باليوم، حتى أصبح ذلك المواطن يعمل طوال وقته في استلام الرسائل وإبلاغها لأصحابها، وأخذ أجوبتهم عليها ثم إرسالها إلى الجهة المعنية في الخارج. وكان ذلك المواطن يعمل يوميًا من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة العاشرة ليلا دون كلل.

وقد حدث في أواخر أيام شهر أغسطس أن اتصل به أحد الهواة من ألمانيا وأخبره بوجود عدد من المواطنين الألمان المختبئين في أحد المنازل بالكويت، وأعطاه رقم الهاتف ليتصل بهم ويستفسر منهم عن أوضاعهم. وكانت تلك الفترة تشهد حملات القبض على الأجانب التي قامت بها سلطات الاحتلال. وعند اتصاله بهم تبين أن أحدهم من هواة اللاسلكي فقام بإحضاره إلى منزله من خلال بعض الطرق الفرعية التي لا تتواجد فيها السيطرات، وقاما معًا بعمل شبكة اتصال مع ألمانيا وبدأ منذ ذلك اليوم باستقبال وإرسال الرسائل من وإلى ألمانيا يوميًا لنقل أخبار المواطنين الألمان. هذا وقد أحسّ المواطنون الألمان ـ وكان عددهم اثنى عشر شخصًا ـ في أحد الأيام أن احتمال القبض عليهم أصبح وشيكا. فطلبوا من المواطن الكويتي زيارتهم في المخبأ وسلموه مفاتيح سياراتهم وكان عددها خمس، كما عرضوا عليه أخذ كل ما يحتاجه من أجهزة وأثاث

وأغـراض، لكنـه اكتفى بأخـذ مولـد كهـربائي صغير لاحتمال استخدامه لتشغيل اللاسلكي عند انقطاع التيار الكهربائي. كما جهّزوا رسالة منهم إلى ذويهم في ألمانيا تخبرهم (بنبأ اعتقالهم)، وطلبوا منه إرسال تلك الرسالة عند انقطاع اتصالهم به مما يعني القبض عليهم. وقـد تم بالفعل القبض عليهم بعد ذلك بيومين فقام بإرسال الرسالة حالاً إلى ألمانيا. ويبدو أن تلك الرسالة أوصلت خبر اعتقالهم إلى (بون) قبل أن يصل ذلك الخبر إلى بغداد. إذ عندما أرسلت حكومة ألمانيا احتجاجًا إلى السفارة العراقية في بون، كانت حكومة بغداد تنفي خبر الاعتقال بشدة. ولا بد ان يكون الإرباك والإحراج قد سيطر على السلطات العراقية بعد أن تبيّن لهم، بعد أربع وعشرين ساعة من استلام الاحتجاج، أن الخبر كان صحيحًا، مما جعلهم يستغربون من (مدى تقدم وعبقرية التكنولوجيا الألمانية المتطورة) التي تكتشف الخبر قبل وقوعه!!!

وقد استمر ذلك المواطن باستلام ونقل الرسائل من وإلى المواطنين. كما بدأ يركز أكثر في الأسابيع اللاحقة على نقل أخبار الأوضاع داخل الكويت إلى الجهات المختلفة بالخارج وخاصة إلى الولايات المتحدة، حيث كان السيد فرانك مور (FRANKE MOORE) رئيس شبكة تلفزيون (وين) .WAYNE T.V) التابعة لمحطة(.C.B.S) الأمريكية يبث الخبر إلى المستمع الأمريكي، مما كان له الأثر البالغ بالتأثير على نفوس الأمريكيين. ومن الأخبار الهامة التي قام بنقلها خبر المجزرة التي قام بها الغزاة عندما اشتدّ القصف الجوي على مراكزهم في أواخر يناير فتركوا المدارس والمخافر خوفًا من القصف ولجأوا إلى البيوت الخالية والبنايات السكنية، وقاموا بالتخلّص من المواطنين الذين كانوا معتقلين لديهم وذلك بإعدامهم ورميهم بالساحات والشوارع. وقد قام المواطن بنقل خبر إعدام المواطنين الذين بلغ عددهم العشرات إلى الجهات الحكومية بالطائف عن طريق أحد أقربائه والذي كان لديه جهاز لاسلكي وكان مقيماً بالسويد أثناء فترة الاحتلال. كما كان من الأخبار التي نقلها القبض على المواطنين بالشوارع والمساجد والمنازل يومي الخميس والجمعة اللذين سبقا فرار جيش الغزاة. وقد وصل الخبر بصورة مستعجلة وفي نفس اليوم لمندوب الكويت الدائم لدى الأمم المتحدة،

```
CMDS:A,H,LB,LD,LC,R,RM,SP,SC,SD,SB,T,B.
YOU HAVE 2 QTC ROLAND

GA+?
RM
SUBJECT: GOOD NEWS
DATE/TIME: 15/09/0629Z
TO: DK3GI
FROM: OD5NG

HI ROLAND, TODAY SPOKE TO SCOTT N5DST HE HAS NOT HEARD 'A' FOR 2 DAY'S
BUT I GOT 'A' TODAY AND SENT ALL MAIL, HE HAS BEEN KEEPING A LOW PROFILE
HERE IS A NOTE FOR YOU TO READ....

14/09/1600Z
OK TOM  ALL COPIED WELL THANKS
AND PLS QUICK ANSWER FOR JOHN
EC CS AND ALL ARE ALL OK NOT TO WORRY AND  NOT TO LISTEN TO RUMERS
EC CS  AND ALL ARE OK THANKS FOR ASKIOING
GOODLUCK TOM AND BEST 73 C U LATER

ALSO ROLAND CAN YOU TELL ME WHAT 'CSO' IS SHORT FOR PLEASE?

GOD BLESS DE TOM.

DELETE (Y/N)?
GA+?
Y
DONE
SUBJECT: HI ROLAND HI TOM
DATE/TIME: 15/09/1643Z
TO: DK3GI
FROM: DK3GI
HOOPE YOU GET THE FOLLOWING
HELLO
MSSGE FOR YOU
FROM THE CSO HOUSE
GUYS ARE SUPPOSED TO BE CAPTURED AND DEPORTED BY THE INVASIONFORCES.END)
---------
THAT WAS THE MSSGE WAS GIVEN IN CASE THEY ARE CAPTURED.
16:20GMT SATURDAY
I WAS TOLD BY THEIR NEIGHBOURS BY TEL .
HE HAD MY TEL. AS I SAW THEM ALL IN THE MORNING AND TOLD ME
WHAT TO DO INCASE THEY WILL LEAVE TOMORROW BY THEIR OWN TO
THE NORTH CAPITAL IN A CONVOY.
THE NEIGHBOUR TOLD ME THAT THEY ARE CAPTURED NOW (12 CSO GUYS).
NOW THEY ARE TAKING ALL THE BELONGINGS OF THEIR FLATS
ALL THEIR CARS INSIDE THE YARD OF THE BUILDING BEEN TAKEN AWAY
AND ARE NOW TAKING EVERY SINGLE THING FROM THE FLATS.
HOPE YOU CAN CONTACT RESPONSIBLE PEOPLE TO CHASE THEIR NEWS
FROM NOW ON.
SORRY ABOUT THAT.
----------
73 GL

DELETE (Y/N)?
GA+?
Y
DONE
```

□ البرقية التي ارسلت لالمانيا يوم ٩٠/٩/١٥ تخبر باعتقال ١٢ مواطن الماني من قبل جيش الاحتلال □

الذي عمّم الخبر على أجهزة الإعلام العالمية وأروقة الأمم المتحدة التي بدأت تضغط على النظام العراقي حيث أدّت إلى قبوله إطلاق سراحَ المعتقلين، الذين تمّ القبض عليهم في تلك الفترة كشرط لوقف إطلاق النار بعد ذلك بأيام * .

وكانت نوعية الاتصالات التي قام بها بعد الهجوم الجوي قد تحولت إلى الجانب السياسي والعسكري أكثر مما كانت عليه من قبل وذلك للمساعدةُ في كشف أوضاع العدو. فقد بدأ منذ ذلك الحين بنقل الأخبار المختلفة والتحركات العسكرية للغزاة إلى مركز الاتصالات بالبارجة الحربية الأمريكية «جون كنيدي» التي كانت من ضمن الجهات التي كانت على اتصال مستمر معه. وكان يقوم يومياً بجولات تشمل الشريط الساحلي ابتداء من فندق المسيلة جنوباً إلى فندق الماريوت، مرافقًا معه بعض أبنائه للتمويه، كما كان يقوم بالتجوال في مناطق مختلفة منْ الكويت للاطلاع على الأوضاع، ليقوم فيما بعد بنقل ما يراه إلى الجهات التي تقوم بدورها بنقل تلك المعلومات إلى السلطات الامريكية. أما الخبر الأهم والذي قام بنقله ذلك المواطن فكان خبر هروب جيش الغزاة، وكان ذلك في صباح يوم ٢٦ فبراير ـ يوم التحرير. فبالرغم من عدم اعلان العراق عن الإنسحاب إلاّ في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، إلاّ أن المرابطين داخل الكويت علموا بقرار الغزاة منذ وقت مبكر من مساء يوم ٢٥ فبراير في حوالي الساعة الثامنة مساء (أي قبل ٢٤ ساعة من الإعلان عن ذلك تقريبا)، وذلك من خلال مراقبتهم لتحركات القوات العراقية التي اتصفت بالعجلة والإرباك الشديدين

---

* علما بأن ما ساعد على إطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين أو (الأسرى) في المراحل الأولى التي تلت وقف إطلاق النار هو وجود هؤلاء الأسرى ـ ولحسن حظهم ـ مع بعض الأسرى من الطيارين وغيرهم من دول التحالف. فقد ادى ذلك إلى معرفة أسمائهم وبالتالي اضطرار العراق للإفراج عنهم. كما كان هناك بعض الأسرى الذين ساعدهم الثوار العراقيون، الذين نهضوا ضد النظام العراقي أثناء الأيام الأولى التي تلت هزيمته، وسيطروا على بعض المناطق الجنوبية من العراق. فقد قام هؤلاء باقتحام السجون وإخراج السجناء منها ومساعدتهم على الهرب. وكان بين أولئك المسجونين عدد من الأسرى الكويتيين الذين تم إرسالهم إلى الأماكن التي كان يتواجد بها الجيش الأمريكي الذي ساعدهم على التوجّه إلى الكويت. أما النظام العراقي فلم يحترم إتفاقية وقف إطلاق النار ولا يزال ينتهك كثيراً من بنودها. وكنتيجة لذلك، لا زال بعض الأسرى من أبناء الكويت يعانون من ظلمه في سجون العراق الرهيبة.

was sent to
hk2dq
gk2dq
hk2ka

hi scot
i linked with you 15mtr , ur signals were very strong
but link was cut and couldnt find you anymore
later saw u working wqwq and vohq for hours
until late in the evening
hi
73

10th january 1991
we have taken a tour throughout the city yesterday and today.
our route was along highways and main roads , and we have
witnessed that the enemy is constructing more reinforcements
and strong fortifications throughout the city , this includes
well protected trenches .
they are moving blocks , sand, and cement to different
locations all over the city and to the suburbs and they are
keeping their men very busy working as labourers and masons.
they have already completed small constructions on the decks
of all bridges throughout the city as well as on the outside
of the city. these constructions are now heavily guarded by
soldiers and in some cases we have seen more than ten men
guarding each bridge. of course all traffic are not allowed
to drive over bridges and the traffic is routed through
another way . we can say all bridges are blocked and only
vehicles allowed to drive over the bridge are the military ones.
this morning (10th) we had to change our route now and then
to avoid checkpoints and traffic jamms, as a result of
closure of the main highways and other routes.
we have also witnessed movement of long guns which are towed
by military trucks. and they are heading in different
directions . it seems they are re-distributing the arms .
also they are still firing their guns and we can hear the
sound of such firing all day long.
further to the above we have managed to discuss the
results of the meeting between baker/aziz in geneva last
night with some officers and soldiers from the iraqi army .
they have displayed complete dis-satisfaction with the result
of the meeting by saying we are dis-appointed because the
result are extremely dis-couraging and they were hoping for a
break through so they can return home to iraq safely . infact
all those whom we have met do not want to fight again after
what happen to them in the 8 year war with iran.
as we said before they are un-happy , badly fed, mistreated,
by their high ranking officers, they are tired for lack of
sleep and working all day digging and constructing things .
we can notice that they are demoralized and they know they
have no right whatsoever to be occupying a small peaceful
neighbour .
the palestenian population in the country has drastically
decreased possibly by half, since large number of them have
already left to jordan along with all belongings. it is a
normal scene to see large trucks carrying jordanian licence
plates are loaded with furniture and belongings of a
palestenian family . infact most of women and children
are already in jordan. those who have remained are now
supported by plo . they get iraqi dinar (200) per family if
the head of the family approves he is not getting any income.
smaller families are getting less than (200) . now we have
noticed that young palestenian men are being taken by the

□ نسخة من الرسالة التي ارسلت إلى البارجة الأمريكية (جون كنيدي) يوم ١٠ يناير ١٩٩١ وكذلك إلى سفارات الكويت بلندن وجنيف تشرح تحركات جيش الاحتلال والروح المعنوية المتدنية لافراده □

B:\>
copy to dq and later to odng

good evening
5th feb 1991

the situation in the city and subburbs is getting worse with time facing the shadow of shortage in basic supplies which are mainly bread, milk, fluor, oil, etc .
taking into consideration that now a couple bakeries have re-opened but the man on bread is very great, it would take a person four to eight hours to obtain five loaves of bread, which is naturaly not enough to feed a family of two people only in one day. this means a member of the family must stay in line daily to obtain five loaves only. on the other hand there is severe shortage of natural gas (in cylinders) supply and people have been going to disdtribution centers daily for the intire week but returning empty handed. those who are lucky would get a cylinder on first come and first get served basis. the population are suffering from non-distribution of vehicles fuel at gas-stations due to restrictions by the occupation authorities. they allow each vehicle 15 liters everytime, but each time the driver could wait upto 6 hours for this 15 liters. in some opened gas-staions the queue is more than 2 kilometers long, and many of those waiting would return home without getting any fuel since the fuel was run-out.
of course those vehicles allowed in the gas-stations must have iraqi license plate numbers, otherwise kuwaiti registered vehicles are subject to confescation. for this reason it is impossible to see any vehicle on a road which carries kuwaiti licence plate numbers. some people now manage to travel using bicycles or walking for short distances.
it is surprising to hear that the invasion soldiers are also interested in the kuwaiti citizens bicycles and have confescated the bicycles also. it is a common scene to see army regulars riding stolen bicycles.
the city of kuwait which used to be sparkling with light during the night, is now entirely dark and the used to be well-illuminated highways are now deserted and covered with darkness because the occupation authorities have cut off or damaged the entire cabling net work for all highways and roads.
we have notice also that the high voltage electrical wires running from shu-aiba power station to the city are damaged partially in the area opposite to the district of :gurain: .
still one can see lots of the high tention cables are cut off and some of them on the ground.
we donot know how many areas of the city are effected due to this cable damage.
the enemy is continiously inflicting heavier damage on the country, from all aspects.
there are still some resistance going on against the occupation authorities, but on limited scale. the last one we heard of was in sabaheyya (dont announce please), however no one was caught, but four young kuwaiti citizens were arrested and accused of firing on the enemy. these four tortured and beaten mercilessly and released yesterday with severe face and body enjuries, one of those had lost his teeth and the skin was pealed off his chest and back. another one his head is almost double in size following the severe beating on the head.

□ البرقية التي ارسلت يوم ٥ فبراير تشرح الاوضاع الداخلية واختفاء المواد الاساسية وقيام العدو بعمليات القمع الوحشية□

DE GK2MQ APLINK 4.19 STANDBY r
R:911004/1329z @:9K2DZ.KUW.AS KUWAIT #:2441

DE GK2MQ APLINK 4.19 STANDBY

DE GK2MQ APLINK 4.19 STANDBY
de a92et nkdz +?

sp gk2mq
CONFIRM...
SP GK2MQ
YES/NO +?
yes
MSG NR 662 TO GK2MQ
GA SUBJ +?
mabroooooooook at 0720g
GA MSG +?
'sabah alkheyr dear
and it is still cloudy
was raining early morning and we can see the ground is black
of the diesel and pollution, of the smokes coming down with
the rain. the smoke of oil-burnings was covering the
kuwait city from every where.
everywhere is smoke and everywhere you look you find something
is burning.
firing was very intensive coming from the sea
looked like missiles (rockets) been launched
towards west part of the country,
i was monitoring the missiles leaving somewhere inside the
sea , south-east, were flashing , and after few seconds
we hear the sound of the missile, and in the air was
hearing sound of something passing very very fast
and later we could hear the explosion of the target.
also sound of all kinds of weapons,
such as guns, tanks, ultlary etc etc
were heard until very early morning.
---
urgent urgent
eye witnesses see that salwa area and the beach of be'de
is clear now and the withdrawal has started last night.
there is nobody in the police station, and also the trunches
were found empty of soldiers (dis-occupied)
eyewitness saw only boxes of life ammunitions were there,
such as bullets etc etc.
op
everybody at 0725g is out in the streets carc, by car, walking)
and many people are coing to the elmakfar
and the almakhfar is empty and everybdy is going out happy happy
the y have now widthdrawn from the city (seeeems and looks like so)
for info at 0720g
nnnn
A92ET DE GK2MQ NR 662 FILED GA+?
==========

□ نسخة من الرسالة التي ارسلت إلى سفارة الكويت بلندن صباح يوم ٢٦ فبراير يوم التحرير □

ok dr max thanks and waiting for adnan to come
btu sm0cxm de 9k2dz btu
did you call by now

QSL DE MAX
 RGR DEAR IT WILL BE PASSED NOW I WILL CALL NOW BTU+?

==========
==========
ok
we want to tell
the kuwait radio
to make announcement for the boys of kuwait
to leave the arms and ammunitions
which iraqi people left
the boys are now shoooooting in the air
and many boys and people are taking the3 weapons
and ammunitions
the situation is very dangerouns
and ask the radio kuwait to make immediately announcement
that everybody must stay at home and not to take the
arms and ammunition.
salwa is emplty no soldiers, no iraqi soldiers are here
but where have they gone
we dont know
theyre might be a trick (as well) nobody know
==========

pls did you call
later call frank and pass him the mssger
ok did you pass the mssge to el-taef
have you done that
the taef must be direct line with you
and on the line live (now)
btu

+?
 OK DEAR
ADEL IS CALLING TAYEF NOW BTU+?
ok then later call frank to pass him the mssge
+?
]
RGR DEAR I WILL DO THAT AFTERE
ADIL CALLS WILL FAX THE MSG TO TAIEF MNI THANKS AND MOBROOKEEN
LAST NIGHT IRAQI RADIO ANNONCED THE INSEHHAB BTU+?
i have told you a milllion time
dear to watch your system before you go to sleeep'and now you
tell me that
you wer on another frequencye
---again i am telling---
you think that we are
we hear what iraqi announcement
that is another subject
but the main subject is what i am telling you now
buzein is beside me and says
dont take long -mond-

□ برقية تقترح الطلب من اذاعة «صوت الكويت» ان تحث الشباب على عدم دخول المخافر والعبث بالاسلحة والذخائر □

والفوضى والصراخ وتبادل الشتائم فيما بينهم، وهم يطلبون من بعضهم البعض ركوب الناقلات دون أخذ شيء معهم. وقد قام ذلك المواطن في الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٦ فبراير بإرسال خبر فرار جيش العدو إلى قريبه في السويد الذي نقله بدوره إلى الجهات الحكومية بالطائف، حيث وصلهم خبر الانسحاب في حوالي الساعة العاشرة صباحا بتوقيت المملكة العربية السعودية. كما نقلت تلك الرسالة خبر رفع المواطنين، داخل الكويت، للأعلام الكويتية على سطوح المنازل وفي الساحات والشوارع.

هذا وقد قامت إحدى شبكات التلفزيون الامريكية (WAYNE T.V.) بعد التحرير بعرض برنامج خاص عن ذلك المواطن الكويتي في يونيو ١٩٩١ مدته ثلاثون دقيقة أسمته (الصوت الأخير من الكويت): «THE LAST VOICE FROM KUWAIT» وكان من ضمن ما ذكر في ذلك البرنامج ان المعلومات التي كان يرسلها ذلك المواطن عن المواقع العراقية كانت تصل إلى الجنرال باول رئيس هيئة الأركان للقوات المشتركة أولاً بأول. وقد تم معاينتها بعد التحرير على الطبيعة فتبين أنها كانت طبق الأصل وحسب ما قام ذلك المواطن بوصفها.

ـ النشاطات الاجتماعية ودور المرأة في دعم الصمود

أثبتت المرأة الكويتية ـ من خلال دورها الفعّال أثناء فترة الاحتلال ـ بأنها لا تقل عزيمة ولا فعالية عن الرجل. فقد لعبت دوراً جوهرياً في مواجهة قوات العدوان وكانت تقف بكل شجاعة وإقدام إلى جنب اخيها الرجل لتكمل الدور الذي قام به اثناء تلك الفترة العصيبة. وكان دورها بارزاً في جميع المجالات ابتداء من انخراطها في صفوف المقاومة المسلحة، إلى تقديمها جميع أصناف المساعدات والخدمات الاجتماعية. فكانت منذ اليوم الأول للاحتلال تشد من عزم الرجل وتقدم له الدعم المادي والمعنوي في سبيل الصمود. فقد شهدت الساحة عشرات النساء ـ وخاصة منهن الشابات ـ اللاتي لعبن دوراً كبيراً في نقل الأسلحة من المناطق المختلفة، وبالأخص أثناء الأسابيع الأولى للاحتلال وقبل أن يلتفت العدو لذلك ويكثف حملات التفتيش في السيطرات لتشمل النساء. كما اشتركت المرأة بالكثير من العمليات العسكرية ضدّ العدو وانضمت أعداد منهن للمقاومة، بينما كان هناك العديد من الشهيدات اللاتي نفّذ

==========

urgent urgent
eye witnesses see that salwa area and the beach of be'de
is clear now and the withdrawal has started last night.
there is nobody in the police station, and also the trunches
were found empty of soldiers (dis-occupied)
eyewitness saw only boxes of life ammunitions were
left un-attended near the trunches (el-hofar)
such as boxes of bullets etc etc.
==========

to: bu-mohammad
shl is partley burnt about one third in different
parts (three floors in each part)
some is comming out.
a part of the tent is burnt.
i saw this myself now.
i couldnot get closer than pic club.
boom looks ok from faraway.
please inform kr to be prepared
iraqies are out of our area.
---end--de bu-yusra

==========

the kuwait boys and people
are now busy rising the flags of kuwait on the
everywhere.
the y have already put a brand new flag on the
police station of salwa
and are busy rising the flags on everywhere too
---
btu
+?
==========

OK DEAR FRANK IS WAITING FOR YOU AND WILL
CALL YOU NOW ON 14073.5MARK AND I CALLED ALL THE PLACES AND TOLD
THE THEM BTU DE ADEL +?
==========

the people are shoooting right now
with pleasure
but that is still dangerous for them
if the kuwait-radio to be mtold
to make announcement
i am worried if that may be a trick
and there might be maine(el-ghaaam)
etc

very dangerous
let the kuwait radio ask the people again to be more cautions
shoooooting outside lt me go to see what is going on
there
=====

□ رسائل اخرى ارسلت يوم التحرير تشير إلى انسحاب القوات العراقية من مخفر منطقة سلوى ورفع المواطنين للأعلام فوق السطوح وإطلاق النار في الشوارع تعبيراً عن الفرحة □

العدو فيهن أحكام الإعدام. وبرز دور المرأة بتطوعها للقيام بالعديد من الخدمات الاجتماعية والإنسانية من خلال انخراطها بين صفوف من تطوّع، لتقديم مختلف أنواع المساعدات للمرضى بالمستشفيات ودور العجزة والمعوّقين. وانضمت أعداد كبيرة من النساء لجمعية الهلال الأحمر الكويتي كمتطوعات، في الأسابيع الأولى للاحتلال، قبل قيام سلطات العدو باعتقال اعضاء الجمعية وحلّها فيما بعد. وقامت عدد من النساء بالتطوع بفتح (سراديب) منازلهن وتخصيصها لعلاج جرحى المقاومة حيث تم تجهيز تلك السراديب بالأسرة وأنواع الأدوية والتجهيزات استعدادا لمواجهة اي طارىء. كما لعبت بعضهن دوراً بارزاً في نقل الأدوية من مخازن وزارة الصحة بصبحان إلى مختلف المستشفيات والمنازل التي استخدمت لتخزين تلك الأدوية لوقت الحاجة.

وكانت النساء في مقدمة المتظاهرين في الأيام الأولى للاحتلال حيث رفعن اللافتات، وكانت هتافاتهن ضدّ العدو تدّوي في السماء لتملأ أسماعه وتهز أركانه، مما حداه إلى إطلاق النار على تجمعاتهن وأدّى إلى استشهاد بعضهن. ولم يكن دورهن يقل عن دور الرجل في ليالي التكبير العظيمة التي أرعبت العدو وأربكته. وكان من ضمن ما قامت به بعض النساء كتابة وطبع واستنساخ وتوزيع النشرات اليومية التي كانت تصدر في بداية أيام الاحتلال. ومن الأدوار البارزة التي قامت بها بعض النساء أثناء فترة السماح بزيارة الأسرى، إعداد الوجبات الغذائية بكميات كبيرة تكفي لمئات الأفراد، حيث كن يجتمعن ليومين متتاليين في بعض البيوت لتجهيز تلك الوجبات قبل موعد السفر لزيارة الأسرى في المعتقلات العراقية. وكان بعضهن يقمن بتنظيم حملات السفر من خلال تأجير الباصات لأخذ أمهات وزوجات وأخوات وبنات الأسرى إليهم، بينما كان البعض منهن يأخذن أسماء الأسرى الذين غادر أهلهم الكويت، ليقابلوهم ويقدموا لهم الهدايا والمساعدات ويخبروهم بأنهن بمقام أمهاتهم وذويهم. وكان بعض الأسرى عندما ينادى بأسمائهم لمقابلة (أهلهم) أثناء الزيارة، يفاجأون بمقابلة النساء المتطوعات اللاتي يقدمن لهم كل ما تقدم الأم لولدها، بعد فراق طويل، من حنان ودفء، بعد أن يكون قد اشتد الشوق إليه. كما لم يبخلن في تقديم الملابس والأموال لأولئك الأسرى، حتى لا يشعروا بأنهم في وضع يختلف عن وضع زملائهم، الذين يزورهم أهلهم على الدوام.

وكان من الأدوار البارزة التي قامت بها بعض النساء ـ اللواتي كان من الممكن ان يدفعن الثمن غاليا، لو أن سلطات الاحتلال علمت بما أقدمن عليه ـ قيام البعض منهن بفتح (مدارس) في منازلهن لإعطاء الأطفال فرصة لقضاء وقتهم في عمل مفيد. فقد تم فتح فصول دراسية في منازل البعض في عدد من المناطق، وكان بينها ضاحية صباح السالم والشامية. ففي الشامية تم فتح روضة للأطفال بينما فتحت بعض المواطنات عدة فصول دراسية في منازلهن بضاحية صباح السالم للتعليم الابتدائي والمتوسط بالإضافة إلى روضة للأطفال. وكان عدد التلاميذ حوالي خمسين، كانوا يدرسون على أيدي أربع مدرسات من اللاتي تطوّعن لذلك العمل. وكانت فترة التدريس تمتد ثلاث ساعات يوميًا، من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة مساء. وكان الطلبة يدرسون اللغة العربية والحساب والدين واللغة الانجليزية والعلوم. وقد استمرت الدراسة حوالي شهرين ونصف حيث بدأت في الأسبوع الأخير من أكتوبر وامتدت إلى يوم ١٦ يناير مع بدء الحرب الجوية.

الحمام الزاجل

من الصعب ـ بل من المستحيل ـ حصر الخدمات والنشاطات المختلفة التي قام بها المواطنون أثناء فترة الاحتلال في سبيل مساعدة بعضهم البعض على الصمود وتخفيف الآلام والمعاناة. وكان من ضمن تلك الخدمات ما لا يخطر على البال من حيث الابداع والابتكار وبروز الأفكار المتقدمة التي أعطت المواطنين دفعة قوية في طريق الصمود وتحمل الاعباء الثقيلة للاحتلال. وكان المثل القائل بأن الحاجة أم الاختراع يتجلّى بأروع معانيه على الوضع الذي كان سائدًا أثناء فترة الاحتلال، وطريقة مواجهته من قبل المواطنين. ومن الأمثلة على الخدمات التي قام بها بعض المواطنين ان احد هواة الحمام الزاجل سخّر تلك الطيور في سبيل مساعدة كثير من العائلات على الاطمئنان على ابنائهم عن طريق استلام (رسائل سريعة) منهم تخبرهم (بسلامة الوصول). وكانت القصة قد بدأت عندما كان كثير من المواطنين شديدي القلق على بعض أفراد عائلاتهم الذين اضطروا لمغادرة الكويت أثناء فترة الاحتلال، نظرًا لكونهم من العسكريين أو المطلوبين من قبل سلطات العدو. وكان هؤلاء حريصين على التأكّد من خبر وصول أقاربهم خارج الحدود بسلام. كما كان البعض يحرص على مراسلة ذويهم

بانتظام وحسب ما تسمح به الظروف. ونظراً لتوقف خدمات البريد الرسمي، كان بعض المواطنين ـ سواء في الداخل أم في الخارج ـ يبحثون عن بعض الأصدقاء أو المعارف غير الكويتيين، المغادرين أو المتوجهين الى الكويت عن طريق الاردن، ليسلموا لهم رسائل لتوصيلها لأقاربهم. وكان وصول تلك الرسائل يستغرق أسابيع عديدة أو اشهر في بعض الأحيان.

وقد قام أحد المواطنين الكويتيين بتقديم «الخدمة البريدية» بطريقة جديدة ومبتكرة على الكويت، لكنها قديمة في تاريخ البشرية. وكانت تلك الخدمة هي إيصال البريد عن طريق الحمام الزاجل. إذ كان ذلك المواطن من كبار هواة تربية الحمام الزاجل في الكويت ولديه أعداد كبيرة من الأنواع الأصلية التي كان يحرص على تربيتها والعناية بها عناية فائقة. وقد أدّت تلك الطيور خدمة كبيرة لبعض المواطنين. وبدأت القصة باتصال بعض المواطنين الذين كانوا ينوون مغادرة البلاد بذلك المواطن بعد أن علموا باقتنائه لذلك النوع من الطيور، وطلبوا منه مساعدتهم في تطمين ذويهم في الكويت بسلامة وصولهم إلى خارج الحدود، عن طريق إرسال (رسالة تطمين) لهم بواسطة تلك الطيور. وكان المواطن يرحب بتقديم تلك الخدمة ويجهّز أحد الطيور لكل من يطلب منه ذلك حيث يضع الطير في قفص قديم حتى لا يلفت انتباه سلطات العدو على الحدود، وينبه المواطنين بضرورة إجابة تلك السلطات ـ عند استفسارها عن الطير ـ بأنه تابع لأحد الأطفال وهو يرغب باصطحابه معه. كما يعطيهم التعليمات عن كيفية إرسال الرسالة التي هي عبارة عن ورقة صغيرة جدا تكتب عليها عبارة أو عبارتان تشعر بسلامة الوصول ويكتب عليها رقم تلفون الأقارب في الكويت. وعند تجاوز المواطن الحدود يتم إطلاق تلك الحمامة بعد ربط الرسالة بإحدى رجليها لتتوجه إلى منزل صاحبها الذي يقوم بدوره بفتح الرسالة وقراءتها بالتلفون لذوي المسافر. وقد تمّ نقل عدة رسائل بهذه الطريقة من داخل الأراضي السعودية والإيرانية من قبل العديد من المواطنين الذين غادروا البلاد إلى تلك الدول. وكانت بعض الحمامات تصل خلال يوم واحد بينما يأخذ بعضها يومين في الطريق. وقدعادت إحدى الحمامات بعد أسبوع كامل. وكان بعضها يصل وقد ربطت برجلها الرسالة لكن الكتابة فيها قد تشوّهت أو زال الحبر منها، نظرا لهبوطها على ما يبدو اثناء رحلة العودة في أماكن رطبة أو بها مستنقعات، مما أدى إلى عدم التمكن من قراءة الرسالة.

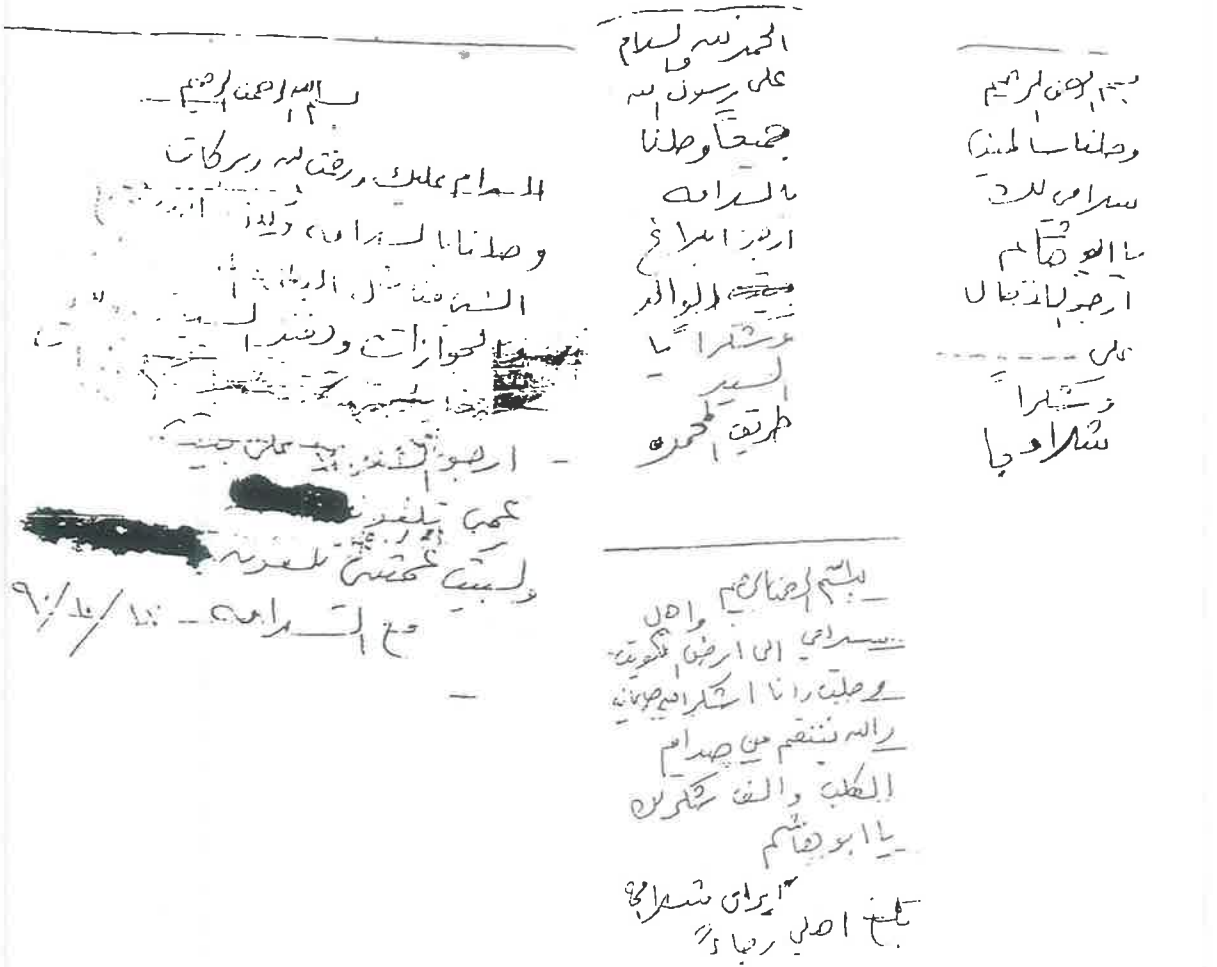

□ صور لبعض الرسائل التي ارسلها بعض الكويتيين إلى اهلهم بالكويت عن طريق الحمام الزاجل بعد مغادرتهم للحدود الكويتية □

PRIBEH AKO
Z ROZPRÁVOK
TISÍC
A JEDNEJ NOCI

Vlani 2. septembra bola nedeľa. MVDr. Jozef Zaťko vyšiel na dvor, aby nakŕmil holuby a psíkov. Pozná každého svojho holuba, hoci ich má vyše sedemdesiat. Odrazu zbystril zrak. Zbadal medzi nimi modrotepaného krásavca. Prizrel sa ešte raz. Veď je to ten, čo ho vo februári odniesol do Kuvajtu Abdul Husajn Mustafa... Je to možné?! Holuba chytil, nebránil sa. Bol vychudnutý. Pozorne snímal krúžok na nohe. Pozrie sa do svojich záznamov. To predsa nie je možné...

Veterinár doktor Zaťko sa už vyše tridsať rokov venuje chovu a šľachteniu holubov

Priletel z Kuvajtu

Nevedel som veru, že Arabi sú mimoriadnymi milovníkmi chovu holubov. Prekárajú sa navzájom, kto má krajšieho. Svoje bohaté záhrady majú ozdobené veľkými cifrovanými klietkami, v ktorých chovajú vzácnych takýchto vtákov z celého sveta. Za vzácnym holubom sú schopní cestovať tisícky kilometrov. Vraj už ich dávni predkovia boli takíto fanatici. Chovajú nielen úžitkové plemená, ale aj holubov obrovitých, hvoliakov, okrasných, bradavičnatých, letúňov, poštových...

HOSŤ Z PIEŠŤAN

Prvé správy o domácom chove holubov sú z obdobia 3500 rokov pred Kristom. Z oblasti starého Egypta, kde ich označovali za vtáky nebies a nebeské mláďatá. V Európe patrí prvenstvo starým Grékom. Veď aj Homér písal 700 rokov pred Kristom o striebomých holuboch. Chovali ich nielen na rýchle prenášanie správ, ale aj ako zdroj mäsa. Zvyšky kostí holubov medzi Tatrami a stredným Dunajom objavujú slovenskí archeológovia už zo 6. a najmä z 9. storočia, teda z čias Pribinu a Veľkej Moravy.

Doktor Jozef Zaťko pracuje na Okresnej veterinárnej správe v Nitre a chovu holubov sa venuje od roku 1949. Cez jeho ruky prešlo niekoľko desiatok generácií rôznych plemien. Rozprával nám o plemenách letúňov, pre ktorých je dôležitý výkon pri lietaní. Mal desiatky krátko-, stredo- i dlho-zobých letúňov; najmä s dlhozobými, ktoré chovaí pre výškové lety, dosiahol nejeden úspech. Celé dni a noci vydržal vyčkávať svojich operencov z pretekov, či už z domácich súťaží alebo zo zahraničia: z Juhoslávie, Belgicka, Rumunska, Nemecka, Poľska, Maďarska...

Venovať sa chovu a šľachteniu holubov nie je ľahký šport. Vypestovať holuba, naučiť ho vracať sa do rodného hniezda, starať sa o krmivo – to všetko si žiada nielen čas, ale aj nemalé finančné prostriedky a lásku k zvieratám.

Medzi holubami doktora Zaťku bol i jeden modrotepaný, bystrý a prítulný, ktorých

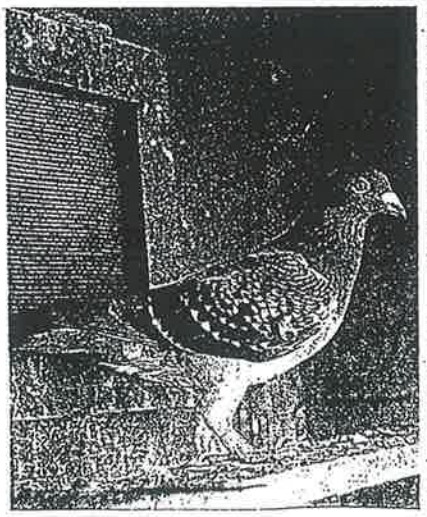

Kuvajťan znova v Nitre

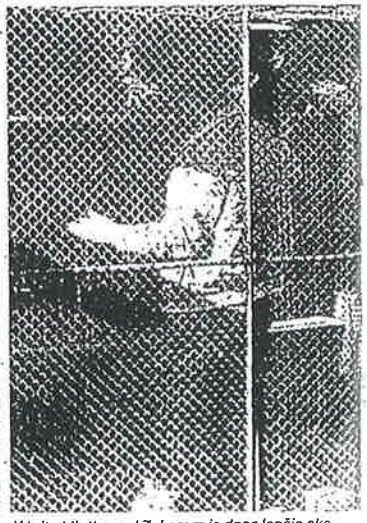

V tejto klietke pod Zoborom je dnes lepšie ako v krásnej záhrade v Kuvajte

□ صورة للجريدة التشيكية التي نشرت قصة الحمامة التي هربت من الكويت ومن جحيم صدام □

وكانت إحدى الحمامات قد فقدت في اليوم الثاني عشر من سبتمبر ولم تعد، ولم يعرف سبب اختفائها، علمًا بأنه كان قد تم شراؤها من تشيكوسلوفاكيا في شهر مايو عام ١٩٩٠، اي قبل العدوان بحوالي شهرين ونصف. وكان شقيق صاحبها قد سافر بعد التحرير ـ في مارس ١٩٩١ ـ إلى تشوكوسلوفاكيا للسياحة، وزار الشخص الذي باع أخاه تلك الحمامة، وأخبره بالقصة. وبعد أن تأكد البائع التشيكي من أن ذلك المواطن هو شقيق مشتري الحمامة، وبعد الاتصال بأخيه في الكويت وأخذ رقم الحمامة والتفاصيل الأخرى المطلوبة ـ والتي عادة ما يتم كتابتها في حلقة نحاس صغيرة تثّبت في إحدى ساقي الحمامة ـ أقرّ البائع برجوع الحمامة إليه وسلّمه إيّاها بعد أن أخبره بما دار من قصص حولها. ويروي البائع التشيكي أن الحمامة وصلت إلى منزله يوم ٢٣ سبتمبر (أي بعد أحد عشر يوما من مغادرتها الكويت). ويضيف أنه وبعد التعرّف عليها من خلال الحلقة النحاسية قام بإعلام اصدقائه عنها فانتشر الخبر وعلم بعض الصحفيين بذلك فأصبح منزله كالمزار من كثرة المهتمين بقصة الحمامة التي «هربت من الاحتلال العراقي».

كما نشرت بعض الصحف صورًا لتلك الحمامة مع قصة هروبها من الكويت فيما عرض كثير من الهواة على المواطن التشيكي شراءها منه. لكنه أكد لهم أنه لن يبيعها وسيعيدها يومًا ما إلى صاحبها بعد تحرير الكويت. هذا وقد أعاد المواطن الكويتي تسمية تلك الحمامة باسم (ب ـ ٥٢) B - 52 تيمنًا بتلك الطائرة التي دكّت حصون الطغاة، وذلك بعد أن رجعت الحمامة إلى الكويت لتعيش بحرية مع بقية الحمام الذي كان قد أعاد تسمية بعض منه أثناء فترة الاحتلال بأسماء محببة للمرابطين. وكان من بين تلك الأسماء بوش وتاتشر وشوارسكوف وباول وميتران. وقد اقترح بعض أصدقاء ذلك المواطن عليه تسمية أقبح حمامة لديه باسم صدام، لكنه رفض ذلك بشدة مؤكدًا أن هذا المخلوق ليس له شبيه في الكون ـ سواء من البشر أم من الحيوانات ـ بالخسة والإجرام.

الفصل الرابع
نوفمبر .. الترقب

(١) تفاعلات الموقف الدولي

- بداية التفهم الدولي لأبعاد الموقف وبروز احتمالات الحل العسكري
- تعزيز القدرات العسكرية
- محاولات فاشلة لاختراق دول التحالف
- التفاعلات العالمية الأخرى والاتجاه نحو الحسم

(٢) العراق . . في مواجهة العالم

- مواقف العراق والعزّة بالإثم
- تكثيف الإعلام المضلّل
- الإجراءات والقرارات الجديدة لهذا الشهر

(٣) الموقف بالداخل

- الأحوال المعيشية
- التصرفات غير الحضارية للغزاة
- نصب الخيام والإجراءات الاحترازية الأخرى
- طلب (الإذن) لنصب الخيمة والحوار مع (الرفيق)
- النشاطات الاجتماعية

الفصل الرابع
نوفمبر .. الترقب

يعتبر شهر نوفمبر نقطة تحوّل في اتجاه الأحداث نحو وضع يتم فيه حسم المشكلة حتى لا تطغى عليها صفة التقادم فتصبح كالمرض العضال الذي كلما طال أمده كلما صعب وتعقّد علاجه، وهذا ما كان يريده العراق والمناصرون له الذين عزّ عليهم أن يروا العالم برمته يهب لينقذ الكويت من المعضلة التي ابتليت بها والتي تشبه إلى حد ما مشكلتهم، بينما هم يرون السنين بعد السنين تمرّ على مشكلتهم، دون أن تلوح في الأفق بارقة أمل لحلها. وكأن الكويت هي التي خلقت هذه المشكلة أو أن الكويت هي المسؤولة عما جرى ويجري لهم من كوارث وآلام، وكأنها لم تكن طوال الأربعة عقود الماضية أكبر معين لهم ولغيرهم في أزماتهم. ويبدو أن هؤلاء كان يتصور لهم أن بقاء مشكلة العدوان العراقي على الكويت دون حل سينعكس إيجابيا على قضيتهم والقضايا والأزمات المستعصية الأخرى. وكان هذا هو عين الخطأ وقصر النظر، بل والعجز عن فهم أبجديات المباديء والأعراف الدولية التي يتعامل العالم بها ومن خلالها. فوجود أزمة ذات حجم كبير وأبعاد كثيرة دون حل، كأزمة الكويت سينعكس في الواقع سلبًا على الأزمات والمشاكل الأقل أهمية وإلحاحًا، مما يؤدي بالضرورة إلى تأخير البت في هذه المشاكل ووضعها على الرف بانتظار دورها. وهذا مالم يستوعبه من وقف خلف صدام من أصحاب المآرب الخبيثة، والذين عمت بصيرتهم وطغى الحقد على قلوبهم فأصبحوا لا يرون أبعد من أنوفهم. وقد أثبتت الأحداث اللاحقة خطأ تصورهم وضحالة تفكيرهم وسطحية نظريتهم التي قادتهم إلى تضخيم قدرات العراق، حتى وضعوه في مصاف الدول الكبرى من حيث العدّة والعدد والمقدرة على التحدي، بل والانتصار المحقق على دول التحالف مجتمعة. كما قادهم تفكيرهم الضحل إلى الاعتقاد بأن المجتمع الدولي سيتردد في اتخاذ أي خطوة عملية لردع العراق بسبب ما كانوا يثيرونه من صراخ وتهديدات جوفاء، بتدمير المصالح الأمريكية والغربية في العالم إذا تعرض العراق لأي اعتداء. وقد أثبتت الأيام زيف كل هذه الادعاءات كما كشفت التخلّف الفكري الذي كان يعيشه هؤلاء المتعامون عن الواقع.

(١) تفاعلات الموقف الدولي

- بداية التفهم الدولي لأبعاد الموقف وبروز احتمالات الحل العسكري

بدأ الموقف الدولي بعد مرور ثلاثة أشهر على الأزمة بالتيقن من أن الوقت ليس في صالح حل الأزمة، وأن النظام العراقي أخذ يراهن على ذلك ويعمل في هذا الاتجاه. فكل تصريحاته وتصرفاته تدل على أنه يعمل على كسب الوقت، على أمل أن يقع شيء ما في الوضع الدولي يؤدي إلى قلب الموازين أو ربما التأثير على القرارات والتوجهات العالمية تجاهه. وكان هذا بالطبع ضرباً من الخيال، إذ أن العالم كله، كان مصراً - بعد مرور تلك الفترة - على عمل شيء ما لحل الأزمة، ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة في حالة عدم رضوخ العراق للقرارات الدولية وانسحابه بدون شروط. وكان ذلك واضحاً بعد صدور ما يقارب من تسعة قرارات من مجلس الأمن الدولي، بالإضافة إلى عشرات القرارات الأخرى التي أصدرتها التجمّعات والمنظمات الدولية المختلفة، واللقاءات لكثير من رؤساء الدول بإدانة العدوان العراقي وتأييد حق الكويت في الحرية والاستقلال.

وقد حفل هذا الشهر بكثير من الدلالات على أن المقاطعة الاقتصادية وحدها لن تؤدي إلى نتيجة سريعة خاصة وأن العراق ومؤيديه لديهم الكثير من الطرق والأساليب الملتوية لكسر طوق الحصار وإيصال ما يحتاجه العراق من مواد عبر الأردن والدول المجاورة الأخرى. كما أن الكميات الضخمة من المواد الغذائية والاستهلاكية الأخرى التي نهبها العراق من الكويت كفيلة بسدّ حاجته لأشهر عديدة قادمة إن لم يكن لسنوات. لذلك بدأ الاتجاه العام لمعظم الدول المهتمة بالأزمة يتحوّل إلى قناعة شبه كاملة بأن استعمال القوة لإجبار العراق على الانسحاب سيكون الحل الوحيد المتبقي.

وكان تصريح الشيخ سعد العبد الله ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي يوم ٦ نوفمبر يصبّ في هذا الاتجاه، عندما قال أن الخيار العسكري أصبح هو الاحتمال

الأكبر لتحرير الكويت بعد تعنّت العراق وتحدّيه لإرادة المجتمع الدولي. كما ازدادت تصريحات مسؤولي دول العالم المختلفة التي تؤكد نفاذ صبرهم وعدم تفاؤلهم بالعثور على حل سلمي للأزمة. فقد كانت تصريحات السيد جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة أثناء زيارته للمنطقة في الأسبوع الأول من نوفمبر صريحة وواضحة عندما قال فور وصوله إلى البحرين يوم ٤ نوفمبر أن زيارته «ستضع حجر الأساس لعمل عسكري محتمل ضد العراق» وأنه سيبحث في جولته في الدول العربية والأوروبية الإجراءات السياسية والاقتصادية والعسكرية وممارسة جميع الخيارات الممكنة في حالة فشل الحل السلمي. كما صرح السيد بيكر في اليوم التالي بعد لقائه بصاحب السمو الأمير في الطائف «بأن أزمة الخليج قد دخلت مرحلة جديدة» وألمح إلى أن الخيار العسكري أصبح أكثر احتمالاً في المرحلة الجديدة مما كان في مرحلة الردع الأولية التي أعقبت الانتشار الأمريكي في الخليج مباشرة بعد غزو الكويت. كما أكدّ نفس تصريحاته لدى وصوله إلى أنقرة يوم ٧ نوفمبر. وقد عزّز هذا الموقف تصريح يفغيني بريما كوف المبعوث الخاص للرئيس السوفيتي عندما أكدّ أن الاتحاد السوفيتي سيؤيد استخدام القوة في الخليج كحل أخير لإرغام القوات العراقية على الانسحاب من الكويت. أما الرئيس الأمريكي فقد كانت تصريحاته تؤكدّ عزم الولايات المتحدة على استخدام الخيار العسكري إن لم ينفذ العراق قرارات مجلس الأمن الدولي. إذ «أن لدينا هدفًا نسعى إلى تحقيقه ونحن مصممون على رؤية هذا الهدف يتحقق».

كما صرّح الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف قبل لقائه بموسكو بالمستشار الألماني هلموت كول «بأنه ليس هناك خلاف مع واشنطن حول وسائل معالجة الأزمة». أما رئيسة وزراء بريطانيا السيدة مارجريت تاتشر فقد أكدت بعد اجتماعها مع وزير خارجية أمريكا يوم ٩ نوفمبر «أن القوات الدولية المرابطة في المنطقة ستُستخدم ضدّ العراق لإخراجه من الكويت وإعادة الحكومة الكويتية الشرعية إلى بلادها» كما أكدت أنه «لابد من الخيار العسكري لتحرير الكويت». وفي طهران صرح الرئيس الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني بأنه لا يرى مؤشرات على أن أزمة الخليج الناجمة عن الاحتلال العراقي للكويت ستحل سلميًا، ودعا العراق إلى سحب قواته بدون شروط

من الأراضي الكويتية المحتلة. كما أعرب عن قلقه من اندلاع الحرب في المنطقة. وقد كانت هناك تصريحات كثيرة أخرى في هذا الاتجاه من معظم المسؤولين في دول العالم، سواء على مستوى رؤساء الدول أم وزراء الخارجية، إذ أن الأمر كان واضحًا من أن العراق لا يريد تطبيق قرارات مجلس الأمن، وهو يراهن على أن مرور الوقت سيؤدي إلى شق صفوف دول التحالف وبروز خلافات في مواقفها تؤدي إلى استفادته وتعزيز موقفه.

- تعزيز القدرات العسكرية

استمرت الولايات المتحدة بتعزيز قدراتها العسكرية بصورة كبيرة وبشكل يومي تقريبا. فقد وصلت ثالث حاملة طائرات أمريكية وتدعى (ميدواي) للخليج يوم ٢ نوفمبر ترافقها مجموعتها القتالية المؤلفة من طرادين ومدمرتين وفرقاطة وسفينتي مساندة. كما قررت وزارة الدفاع الأمريكية يوم ٥ نوفمبر استدعاء وحدات احتياط مقاتلة كبيرة لتعزيز القوات الأمريكية المتمركزة في الخليج وهي جزء من المائة ألف جندي من الجنود الإضافيين الذين أعلنت الوزارة استدعاءهم. كما أعلنت الولايات المتحدة يوم ٨ نوفمبر إرسال فرقتين مدرعتين إضافيتين إلى السعودية يصل عددهما مع طواقم الدعم والمساندة إلى ٦٠,٠٠٠ جندي لإعطاء القوات السعودية قدرة هجومية. وتوقعت أن تصل الفرقتان مع ٧٠٠ دبابة متطورة إلى السعودية خلال ستة أسابيع. وبذلك يصبح عدد القوات الأمريكية المرابطة في الخليج مع حلول السنة الجديدة حوالي ٣٠٠,٠٠٠ جندي. وفي خضم هذا الاندفاع نحو الحل العسكري، قرر الرئيس جورج بوش يوم ٩ نوفمبر إرسال قوات برية وبحرية أمريكية إضافية تبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جندي إلى المنطقة «كي تكون القوات الأمريكية في وضع يسمح لها بتنفيذ الخيار العسكري ضد العراق إذا دعت الضرورة لذلك». وقد رأى المحللون الاستراتيجيون أن دفع هذه القوات إلى منطقة الخليج يعد نقطة تحول استراتيجية مهمة.

وفي تلك الأثناء استمرت الدول الأخرى أيضا في تعزيز قواتها المرابطة بالسعودية بما فيها مصر وسوريا، بينما اتفقت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية يوم ٦

نوفمبر على الترتيبات الخاصة بقيادة القوات المشتركة، في حالة القيام بعمل عسكري ضدّ العراق. وقد كان الاتفاق أنه في حالة تعرض القوات السعودية لهجوم عراقي فإن قيادة القوات ستكون أمريكية سعودية مشتركة. أما إذا وقعت العمليات خارج الأراضي السعودية فستكون القيادة أمريكية. وفي يوم ١٥ نوفمبر تمّ الإعلان عن بدء القوات الأمريكية والسعودية في الخليج بإجراء أكبر مناورات عسكرية من نوعها منذ احتلال الكويت، فيما شاركت في المناورات قوات بحرية وجوية وبرية من البلدين. وقد أطلق على تلك المناورات (مناورات الرعد الوشيك)، فيما أصبح الاتجاه نحو الحل العسكري، مع بداية الأسبوع الثاني لنوفمبر، واضحًا لالبس فيه وإن المسألة هي مسألة وقت فقط. ومن الأمور التي اتضحت في تلك الفترة أن شعوب الدول المتحالفة كانت متعاطفة بصورة كبيرة مع حق الشعب الكويتي وتقف خلف حكوماتها في قراراتها بالنسبة لاستعمال القوة. إذ بيّن استطلاع للرأي في أمريكا أجري يوم ٥ نوفمبر أن ٥١٪ من الأمريكيين يؤيدون الحرب، بينما كشف استطلاع آخر للرأي أجري يوم ١٠ نوفمبر في بريطانيا أن ٧٦٪ من البريطانيين يؤيدون استخدام القوة لإخراج القوات العراقية من الكويت.

وفيما كان العالم يصل إلى نقطة اليأس فيما يخصّ احتمال تبديل العراق لمواقفه، كانت تسمع بين الفينة والأخرى صيحات من هنا وهناك تنادي بالتأنّي وإعطاء فرصة للحصار الاقتصادي ليعطي ثماره، بينما أخذ البعض الآخر يحذّر من خطورة استعمال العراق للأسلحة الكيماوية والجرثومية وحرق آبار النفط في حالة نشوب الحرب، مما يسبب آثارًا بيئية وخيمة. ولكن كل هذه الصيحات ذهبت أدراج الرياح إذ كان معروفًا سلفًا من كان وراءها والهدف الحقيقي منها. وكان من ضمن المحاولات الأخيرة لإعطاء العراق الفرصة لحفظ ماء الوجه وتجنّب الحرب، دعوة الملك الحسن الثاني ملك المغرب يوم ١٠ نوفمبر لعقد مؤتمر قمة عربي لحل الأزمة سلميًا. لكن هذه الدعوة لم تلق تجاوبًا من أحد تقريبا. فقد استمرّ العراق في عناده ووضع شروطًا تعجيزية للموافقة على القمة، من بينها استشارة العراق وموافقته على جدول الأعمال وعلى مكان انعقاد القمة وطرح كل القضايا العربية للبحث داخلها. كما طلب من أي قمة مقترحة أن تقوم بإلغاء القرارات الصادرة عن قمة القاهرة. أما الكويت ودول الخليج ومصر وسوريا فقد

رأت أن العراق غير مكترث بأي قرارات عربية، حيث أنه رفض قبل أيام في تصريح لوزير خارجيته قرارات الجامعة العربية الأخيرة، بينما رحبت دول المغرب العربي والدول الأخرى المؤيدة للعراق بالدعوة للقمة العربية. وكان من الواضح عمومًا أن الوضع لم يكن مشجعا لعقد مثل تلك القمة بالرغم من الجهود المخلصة التي بذلها ملك المغرب، الذي كان موقفه واضحًا لا لبس فيه من العدوان العراقي. فقد قال في نفس الكلمة التي وجّـه فيهـا الدعوة للقمة «إنه من المستحيل أن يمحو العراق بجرة قلم الدولة الكويتية ليجعل منها إحدى محافظاته كما أنه من المستحيل أن يفقد الشعب الكويتي بين ليلة وضحاها هويته ليصبح عراقيا».

ـ محاولات فاشلة لاختراق دول التحالف

استمرت مناورات العراق ومساوماته لتمييع الموقف واختراق صف دول التحالف وشق صفوفه دون جدوى. فقد عرض العراق أولا إطلاق سراح جميع الرهائن مقابل ضمان دولي بعدم توجيه ضربة عسكرية للعراق. ولكن هذا العرض رفض واعتبر محاولة للالتفاف على القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة. وبعد أن لم يجد أي تجاوب لهذا العرض أعلن أنه على استعداد للإفراج عن الرهائن إذا ضمنت اثنتان من خمس دول هما الاتحاد السوفيتي وفرنسا واليابان وألمانيا والصين عدم الهجوم على العراق.

كما عرض على بريطانيا إعادة طائرة الركاب البريطانية التي احتجزتها القوات العراقية بالكويت مقابل قيام السلطات البريطانية بشحن بعض قطع الغيار اللازمة لصيانـة الـطائرات المدنية العراقية. والمعروف أن هذه الطائرة كانت قادمة من الهند ومتـوجهـة إلى بريطانيا وقد وصلت إلى مطار الكويت الساعة الثانية من صباح يوم الخميس الثاني من أغسطس حيث تم احتجازها مع ركابها ولم تسمح لها السلطات العراقية بالمغادرة. ومن العروض اليائسة الأخرى التي قدمها النظام العراقي أيضا دعوته لبريطانيا «لفتح حوار متعمق حول الأزمة الراهنة والأمن في الشرق الأوسط عموما». وكـان رد بريطانيا الـطلب منه الانسحاب فوراً ودون شروط وعودة الحكومة الشرعية

وإطلاق سراح جميع الرهائن. ومن ناحية أخرى قام طارق عزيز بزيارة سريعة لمسقط يوم ٢١ نوفمبر ونقل رسالة من صدام للسلطان قابوس في محاولة فاشلة لتمييع الموقف وكسب الوقت. وقد كان واضحًا من أن الزيارة لن تؤدي إلى شيء ولكنها كانت من ضمن التصرفات الكثيرة التي يصعب تفسيرها والتي استمر النظام العراقي بالقيام بها ضمن محاولاته للسير في كل اتجاه.

كما كان من ضمن محاولات التمييع العراقية الدعوة لأهالي الرهائن الغربيين المحتجزين في العراق لزيارة ذويهم أثناء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة. وقد استمرت قرارات العراق بإطلاق سراح الرهائن دفعة بعد أخرى عند زيارة بعض الشخصيات السياسية والمسؤولين السابقين في الدول التي ينتمي إليها الرهائن. وقد شمل ذلك إطلاق سراح رهائن من المانيا وبلجيكا وبريطانيا واليابان وجنسيات أخرى في الأسبوع الأول من نوفمبر.

ومن الأمور التي تم الكشف عنها في هذا الوقت ما ذكرته صحيفة (حرّيت) التركية من أن صدام عرض على تركيا رشوة لقاء تغيير موقفها من أزمة الخليج. وقالت الصحيفة أن الوزير العراقي عصام الجلبي عرض في وقت سابق على وزير الدولة التركي «إيشين شابي» منح تركيا نفطًا بما يعادل ملياري دولار وذلك مقابل عدم تطبيق تركيا الحظر الاقتصادي. كما استمر العراق في المماطلة بموضوع السماح للرعايا السوفيت بمغادرة العراق إذ أن موقفه من هذا الموضوع لم يكن واضحًا مقارنة بموقفه تجاه الرعايا الأوربيين. فقد كان يصرّح تارة بأنه سيسمح للرعايا السوفيت بالمغادرة ويعود ليصرّح عكس ذلك تارة أخرى. وكان لذلك أثر عكسي على موقف موسكو تجاه العراق، حيث اضطر طارق عزيز بعد ذلك لزيارة موسكو آخر الشهر بعد استدعائه للتباحث معه حول إخلاء سبيل المواطنين السوفيت المحتجزين كرهائن في العراق كجزء من الدرع البشري. وقد هدّد ناطق باسم وزارة الخارجية السوفيتية العراق بأنه سيضطر إلى اتخاذ موقف صارم إذا لم يعمل العراق على إزالة كافّة العقبات أمام رحيلهم.

من ناحية أخرى استمر العراق في التهديد بضرب اسرائيل بالصواريخ وإشعال آبار النفط بالسعودية إذا ما تعرّض لهجوم أميركي.

ـ التفاعلات العالمية الأخرى والاتجاه نحو الحسم

استمرت الزيارات للوفود المختلفة للعراق من جميع أنحاء العالم في محاولة لثني العـراق عن موقفـه المتصلّب دون جدوى. كما تكثفّت الزيارات المتبادلة بين بعض رؤساء الدول العربية للبحث عن حل يُجنّب المنطقة ويلات الحرب دون نتيجة تذكر. كما قام بعض ممثلي النظام العراقي بزيارات سريعة لدول المغرب العربي والأردن واليمن والسودان لتسليم رسائل من صدام لرؤساء هذه الدول لتنسيق المواقف فيما بينها. أما دول الغرب فقد أخذت تتشدد في مواقفها يومًا بعد يوم للضغط على العراق في سبيل الوصول إلى حل سلمي. وقد بدأت دول الغرب في النصف الثاني من الشهر التشاور فيما بينها والتنسيق لاستصدار قرار من الأمم المتحدة يجيز استخدام القوة لإخراج العراق من الكـويت. وفي سبيل ذلـك بدأ وزير خارجية أمـيركا التشاور مع الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن بالإضافة إلى الدول الأخرى الأعضاء بالمجلس. كما بدأت مواقف دول أخرى كفرنسا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي تتحوّل بسرعة إلى هذا الاتجاه، بعد أن يئست من تجاوب العراق مع أي مبادرة معقولة للعثور على حل سلمى. كما بدأت بعض الدول العربية كالسعودية ومصر وسوريا وكذلك الكويت في التشدّد في مواقفها تجاه العراق ورفض أي نوع من التفاوض على حل وسط يعطي العراق أي ميزة أو مجال للمناورة. كما كان لتصريح بعض المسؤولين الليبيين من أن ليبيا «لم يعد يهمها من قريب أو بعيد قضية الخليج» مغزى، وذلك بعد أن يئس العقيد القذافي من ترتيب اجتماع بين الملك فهد وصدام حسين. وقد أعلن القذافي يوم ٢٨ نوفمبر عن إلغاء مؤتمره الصحفي الذي كان من المقرّر عقده وصرح بأن «جميع الأطراف ستدفع ثمن سياستها بما فيها العراق والسعودية والكويت».

وفي هذه الأثناء واصلت الولايات المتحدة جهودها للحصول على موافقة دولية بشـأن استصدار قرار من الأمم المتحدة يجيز اللجوء إلى القوة ضدّ العراق. وذكرت

مصادر أمريكية أن الاتحاد السوفيتي وعد الولايات المتحدة بأنه لن يمارس حق النقض (الفيتو) ضد قرار في مجلس الأمن يخوّل استخدام القوة لإرغام العراق على الانسحاب من الكويت، وأضافت المصادر أن واشنطن اقترحت على موسكو صيغة يقوم بموجبها مجلس الأمن بإعطاء مهلة معينة للأمم المتحدة لحل الأزمة سلميا وأنه بعد مرور تاريخ معين يبدأ تنفيذ القسم الثاني من القرار والذي يسمح باستخدام أي وسائل ضرورية منها استخدام القوة لحل الأزمة. وبذلك بدأ التحوّل الجذري نحو اتخاذ قرار حاسم لحل الأزمة من خلال استخدام الحل العسكري.

هذا وقد بدأت في هذه الفترة ـ ١٨ نوفمبر ـ زيارة الرئيس الأمريكي لبعض دول أوروبا والشرق الأوسط للاطلاع عن كثب على مواقف واستعدادات هذه الدول. وكان أول تصريح له أنه رفض مساومة الرئيس العراقي بإطلاق سراح الرهائن مقابل ضمان عدم نشوب الحرب، ووصف عرض صدام بأنه حيلة ساذجة وأنه لا يمكن التعامل مع إرهابي. كما صرح ناطق باسمه في نفس اليوم بأنه يعتذر عن الاجتماع بالملك حسين كما كان مقرراً من قبل في باريس نظراً لظروف الرئيس بوش التي لا تسمح بعقد الاجتماع.

وكان للزيارة التي قام بها الرئيس جورج بوش للمملكة العربية السعودية والبيان المشترك الذي صدر يوم ٢٢ نوفمبر أكبر الأثر في تعزيز الموقف، والتأكيد على عزم دول التحالف وفي مقدمتها الولايات المتحدة على إجبار العراق على الانسحاب من الكويت بدون أي شروط مسبقة، وحرمانه من جني أي مكاسب نتيجة عدوانه. كما كان لاجتماع الرئيس بوش بالرئيس حسني مبارك في القاهرة يوم ٢٣ نوفمبر والرئيس حافظ الأسد في جنيف يوم ٢٤ نوفمبر أثر كبير على تنسيق المواقف والاتفاق على الخطوات الضرورية القادمة في حالة عدم تنفيذ العراق لقرارات الأمم المتحدة. وقد صرّح الرئيس حسني مبارك في تلك الأثناء أنه يتعيّن استخدام القوة لحل المشكلة في الخليج إذا لم يتم حلّها سلميا.

أما في نيويورك فقد أخذت المشاورات بين دول مجلس الأمن تتكثّف حول إصدار قرار يخوّل الأعضاء استخدام القوة ضد العراق، إذا لم ينسحب من الكويت

خلال مدة تمتد ٤٥ يومًا تنتهي مع حلول ١٥ يناير ١٩٩١ . وكانت الولايات المتحدة حريصة على اتخاذ هذا القرار قبل نهاية شهر نوفمبر والذي تنتهي معه مدة رئاسة الولايات المتحدة لمجلس الأمن .

هذا وكان هاجس معظم دول التحالف عدم السماح للوقت بالمرور دون اتخاذ إجراء حاسم يؤدي إلى نقلة نوعية، يتمّ من خلالها التوجّه بصورة أكيدة نحو الهدف المطلوب دون تأخير. فقد أخذت الأيام تمر بسرعة، وبدأ القلق ينتاب صفوف دول التحالف ـ وفي مقدمتها دول الخليج ـ من أن مرور الوقت قد يؤدي إلى سرقة المبادرة من أيدي التحالف، مما يؤدي إلى بقاء المشكلة معلقة كغيرها من المشاكل الدولية دون حل. كما كان الرأي السائد بين صفوف هذه الدول أن هناك مناسبات ومواسم أخذت تقترب، وأن عدم حل القضية بالسرعة المطلوبة سيعقّد الوضع ويجعل الأمور تتراكم في غير صالح القضية. فلم تبق إلاّ أشهر قليلة ويحل شهر رمضان الذي يعتبر من الشهور العبادية المقدسة لدى المسلمين، حيث تكون توجهّات الناس ومشاعرهم متركزة نحو الأمور الدينية ولن يكون الناس في حالة نفسية تتقبل نشوب معارك طاحنة بين الدول الإسلامية. كذلك سيتلو شهر رمضان بأسابيع قليلة موسم الحج وهو التجمّع الذي ينتظره المسلمون كل عام ليؤدوا مناسكهم فيه بجو يتميز بالخشوع والتوجّه الخالص إلى الله دون أن تشوبه أي شائبة قد تعكر من صفائه، أو تؤثر على أجوائه المميزة أي تداخلات تفسد معانيه وتنحرف به عن هدفه الأسمى .

كما كان القلق يسود الأجواء من أنه إن لم تحسم هذه المشكلة قبل حلول شهر رمضان وموسم الحج فإن فصل الصيف الذي سيتلوهما سوف يجعل من الصعب الدخول في معارك صحراوية تحت درجات حرارة تزيد على ٥٠ درجة مئوية. وسيكون من الصعوبة بمكان تحقيق الأهداف بنفس درجة الكفاءة التي ستتم فيه أثناء فصل الشتاء. لذلك فإن امتداد فترة الأزمة إلى ذلك الوقت قد يؤجل حلّها إلى ما بعد انتهاء فترة الصيف لتمرّ عليها سنة كاملة فتصيبها عدوى الأزمات المزمنة الأخرى. لذلك كانت الجهود الأمريكية مركّزة بشكل لم يسبق له مثيل لاتخاذ قرار صريح من مجلس

الأمن وحسم الموقف في سبيل إضفاء صفة الشرعية الدولية على أي قرار بالتدخّل العسكري لحل الأزمة.

وما إن حل يوم الخميس الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠ إلاّ وكان مجلس الأمن الدولي قد أصدر قراره التاريخي رقم (٦٧٨) والذي يبيح استخدام كافة الوسائل الضرورية لضمان التزام العراق بالقرارات السابقة وإرغامه على الانسحاب من الكويت. وقد أيدت المشروع ١٢ دولة من بين أعضاء مجلس الأمن البالغ عددهم ١٥ دولة حيث اعترضت اليمن وكوبا على القرار وامتنعت الصين عن التصويت. وقد أعطى القرار العراق مهلة ٤٥ يومًا تنتهي يوم ١٥ يناير ١٩٩١ ليقوم بسحب قواته من الكويت وإلاّ واجه خطر الحرب مع قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد علق مندوب الاتحاد السوفيتي على هذا القرار مسميًا إياه «أم القرارات» مشيرًا إلى تسمية العراق للأزمة «بأم المعارك». وكانت بنود القرار تطالب بأن يمتثل العراق امتثالًا تامًا بالقرار (٦٦٠) وجميع القرارات اللاحقة ذات الصلة كما يأذن للدول الأعضاء بأن تستخدم جميع الوسائل اللازمة لدعم وتنفيذ القرارات السابقة في حالة عدم تنفيذ العراق لها تنفيذًا كاملاً قبل ١٥ يناير ١٩٩١ ويطلب من جميع الدول أن تقدّم الدعم المناسب للإجراءات التي تتخّذ بناء على هذا القرار.

وقد كان هذا القرار تتويجًا للجهود التي بذلت في هذا المجال والمفتاح الذي فتح الباب على مصراعيه أمام قوافل التحرير لقلع جذور الظلم والعدوان من على أرض الكويت الطاهرة.

وفي محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف وإعطاء السلام فرصة، اقترح الرئيس جورج بوش بتاريخ ٣٠ نوفمبر عقد اجتماع مع وزير خارجية العراق في واشنطن خلال الأسبوع الذي يبدأ في ١٠ ديسمبر، على أن يلتقي وزير الخارجية الأمريكي مع الرئيس العراقي في بغداد ما بين ١٥ ديسمبر و١٥ يناير للبحث في حل سلمي للأزمة. كما أعلن الأمين العام للأمم المتحدة بيريز ديكويلار عن استعداده للذهاب إلى بغداد لمحاولة إيجاد حل

سياسي للأزمـة. أما مجلس قيادة الثورة العراقي فقد أعلن رفضه لقرار مجلس الأمن واستعداد العراق لخوض الحرب (بكل اقتدار).

أمـا في الداخل فقد أدّى قرار مجلس الأمن رقم (٦٧٨)، إلى رفع المعنويات بصورة كبيرة والتأكيد للناس بأن يوم التحرير قريب. كما جعلهم يعدّون الأيام يومًا بعد يوم لشدّة تشوّقهم لحلول يوم ١٦ يناير، ولفقدان صبرهم وثقل الأيام على قلوبهم.

(٢) العراق . . . في مواجهة العالم

ـ مواقف العراق والعزّة بالإثم

تميّزت مواقف العراق في هذا الشهر ـ كما في الشهور السابقة ـ بالتعنّت والإصرار على المواقف السابقة. كما استمرّ في بناء التحصينات الدفاعية الكبيرة على طول الحدود الكويتية السعودية حيث شملت الأسوار المرتفعة والخنادق العميقة وزرع حقول الألغام في كل مكـان ووضع الأسلاك الشائكة وكأن المعركة ستكون على شكل حرب برية تقليدية بين جيشين متكافئين بالعدد والعدة والمستوى التقني. كما هدّد صدام في لقاء مع كبار مساعديه «أنه إذا شنّت القوات الأمريكية هجومًا مفاجئًا على العراق، فإنها قد تتمكّن في البـداية من السيطرة على مسـاحـات صغـيرة، لكن القوات العراقية ستخرجهم منها في هجوم مضاد». كما أذاعت وكالة الأنباء العراقية من أن العراق سوف يهاجم الـدول العربية التي تشارك في القوات متعدّدة الجنسيات الموجودة في الخليج وقـالت «إن الضربـة العـراقية المضادّة ستكون مدمرّة». وقد ذكرت مصر والسعودية بالتحديد. من ناحية أخرى أكّد محمد المشاط سفير العراق في واشنطن بأن العراق سوف يضرب إسرائيل بالصواريخ ويشعل النار في آبار البترول السعودية إذا ما تعرّض لهجوم أمريكي. كما أنذر اللواء منذر عبدالرحمن مدير التوجيه المعنوي بالقوات المسلّحة العراقية الولايات المتحدة يوم ١٨ نوفمبر من (مفاجأة) أعدّها العراق لإحباط أي هجوم أمريكي على قواته. أما سعدي مهدي صالح رئيس المجلس الوطني العراقي فقد أعلن متبجّحًا يوم ٢٠ نوفمبر بأنه «عندما يستعيد الفلسطينيون أرضهم ويقيمون دولتهم،

النداء

تصدر عن دار الغروبة للصحافة والطباعة والنشر

الجمعة ١٢ جمادى الاولى ١٤١١ هـ - ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠م - السنة الاول - العدد ١١٢ - (مدينة الكويت - العراق)

Friday, 30 November 1990 — 1st Year, No. 112 — Kuwait City

■ وطن الشهداء لن يغلبه الغزو الامريكي

■ طريق الشهداء طريق فلسطين

٢٤٫٥ مليار دولار نفقات الغزو سنويا

واشنطن - وع - ارتفعت تكاليف تواجد القوات العسكرية الامريكية المتواجدة في أراضي نجد والحجاز الى ٢٤،٥٠ مليار دولار سنويا نتيجة زيادة حجمها في المنطقة اثر استدعاء الرئيس الامريكي لقوات احتياطية اضافية.

ونسبت وكالة الانباء الالمانية الى تقرير وضعه مكتب الميزانية التابع للكونغرس الامريكي ان نسبة الزيادة تشكل ٣٦٠٪ بالمقارنة عن التكاليف التقديرية الامريكية التي وضعها المكتب لنفقات حشد القوات الامريكية في أراضي الجزيرة والتي كانت تقدر بـ ١٥٠ مليار دولار فقط.

واضاف التقرير ان الولايات المتحدة ستضطر بحلولها لتغطية اعباء هذه النفقات الاضافية.

القائد صدام حسين يؤكد أمام وفود ندوة تضامن الشباب العربي:

سنقاتل بطريقة ترفع رؤوس كل العرب والمسلمين

الذي يريد الحرب يتحمل وحده مآسيها أمام الله وأمام شعبه

نرى طائرة «الشبح» بوضوح وبالتكنولوجيا العراقية ونأمل ألا يتورطوا

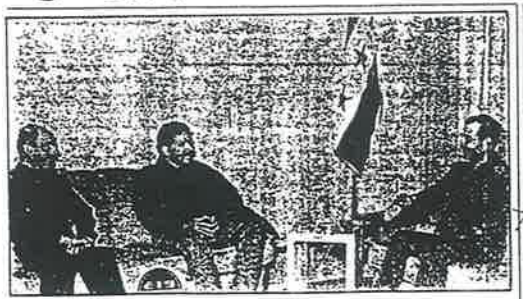

الرئيس القائد يستقبل رئيس نيكاراغوا السابق

العراق يحترم أي مسعى سلمي

أكد السيد الرئيس القائد صدام حسين ان الشباب في العراق ليس شكلا بل تعبيرا وأهم عنوان في تعبيره هو التصميم وبشرة الدفاع عن القيم العليا للأمة.

وقال السيد الرئيس القائد خلال حفل حضره سيادته جانبا من اعمال استقبال السيد سمدي مهدي صالح رئيس المجلس الوطني لاعضاء وفود الندوة الخامسة لتضامن الشباب العربي: اننا لا نتحدث بلساننا وانما نتحدث بضميرنا وعندما يكون موقف الضمير صحيحا يكون حتى الانسان الواحد وكأنه يتحدث بلسان الانسانية كلها لذلك نقول اننا مؤمنون تماما كما نؤمن بأن بأن هذه الجولة مع استمرارنتها وآثارها ستخرج فلسطين كاملة.

واضاف سيادته اننا كعرب ومسلمين ومؤمنين من كل الاديان أول من يؤمن بالقانون الدولي والشرعية الدولية ولكن ليس بالصيغة الاستثنائية وانما بالتطبيق العادل لها فاين هي

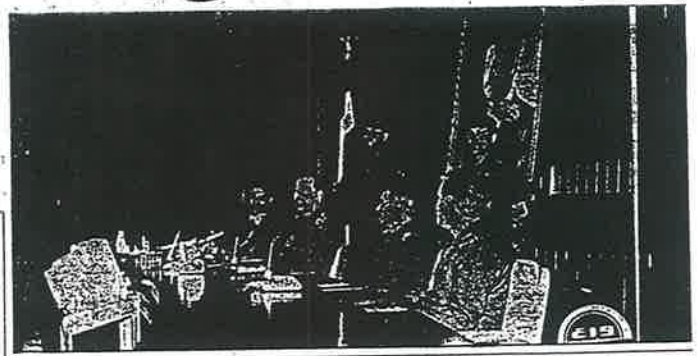

مناهضو الحرب يسهرون أمام الامم المتحدة

لا نخاف الشرطي الامريكي

وعندما تستعيد سوريا مرتفعات الجولان المحتلّة، وعندما تنتهي الأزمة اللبنانية، يمكن للعراق أن تقدم تضحية بانسحابها من الكويت».

وفي يوم ١٩ نوفمبر ١٩٩٠ أعلن العراق عن قراره إرسال ٢٥٠ر٠٠٠ جندي إضافي إلى الكويت لتعزيز قوّاته العسكرية المتمركزة هناك والتي تقدّر بنحو ٢٥٠ر٠٠٠ جندي آخر. وبذلك يصل عدد الجنود العراقيين في الكويت إلى نصف مليون جندي. في غضون ذلك صرّحت مصادر عسكرية أمريكية بأن زيادة عدد الجنود العراقيين بالكويت لن توفّر قدرة قتالية اضافيّة للعراق إذ أن معظمهم غير مدرّبين وأن ذلك لن يغيّر الخطط الأمريكية. كما أكّد الرئيس حسني مبارك «بأن الجيش العراقي سيضطر لدخول معركة غير متكافئة، وأضاف أن مشكلة صدام أنه بعيد عن حجم هذه الأزمة الدولية وأن لديه ثلاثة من المستشارين يصوّرون له واقعًا غير الواقع الحقيقي وهم طارق عزيز وسعدون حمادي وطه ياسين رمضان». وأكّد أن الغزو العراقي للكويت (له مهندسون من خارج العراق كانت تدفعهم إليه حاجتهم للمال، وظنّوا أنهم كانوا سيتقاسمون الغنائم). وأكّد أن «الأيام ستكشف أشياء لم نكن نتصوّرها وعندما يحين الوقت فإن لديّ الكثير الذي سأقوله».

من ناحية ثانية استمر صدام وإعلامه في نفخ أنفسهم وتصديق ما يقولون دون التفات إلى أي نصيحة أو وجهة نظر مغايرة لما يطرحونه من تصوّرات وأوهام. فقد قال في مقابلة مع شبكة سي. أن. أن. نشرتها جريدة (النداء) وغيرها من صحف العراق يوم ١ نوفمبر جواباً على سؤال ممثّل الشبكة عن إمكانية انسحابه من الكويت في سبيل منع خطر تدمير اقتصاد العراق ومستوى معيشته بأنه «إذا كان أي خطر ممكن أن يجعل الشعب الأمريكي ينسحب من واشنطن أو الشعب الانجليزي ينسحب من أي مدينة من مدن انجلترا، أو لنعد إلى الشعب الأمريكي لنستبدل واشنطن بآخر مدينة ألحقت بأمريكا، هاواي مثلا؛ إذا كان مجرّد الحصار أو هبوط مستوى المعيشة يجعل الشعب الأمريكي ينسحب من جزء من أرضه أو الشعب الفرنسي أو الشعب الانجليزي فيمكن على نفس القياس أن يناقش الشعب العراقي الأمر مع نفسه عند ذلك». وأضاف «أن القضية الآن ليست قضية هذا الجزء أو ذاك من العراق بل أصبحت القضية تكمن في موضوعين أساسيين هما قضية الشعب الفلسطيني المظلوم، والظلم

الاجتماعي والفوارق غير المقبولة داخل الأمّة الواحدة، بين الذين يتصرّفون خارج المسؤولية الملتزمة تجاه الأموال، وبين الجياع الكثر الذين لا يجدون لقمة العيش بالكاد . . . »وعندما سئل من هو صدام حسين أجاب «بأن صدام حسين مواطن عربي قومي وهو أحد عبيد الله المؤمنين يجاهد من أجل الحق ويرفض الظلم ولا يخشى إلاّ الله» . . . وفي مقابلة أخرى مع محطة التلفزيون البريطاني المستقل بعد أسبوع ادعى «أن العدوان ليس من شيمنا» كما نفى وقوع فظائع عندما سأله رئيس محرري المحطة عن الفظائع التي ترتكبها القوات العراقية بالكويت «من عمليات التعذيب التي جرت في الكويت وعمليات الشنق التي جرت في جامعة الكويت لطلاب كانوا يعارضون عملية ضمّ بلادهم وعن حالة قتل صبي يبلغ من العمر خمسة عشر عاما» . وزعم أن إذاعات الغرب «تحشو عقل المواطن الغربي بأمور كاذبة» . كما هاجم السيدة تاتشر وقال «إنها حملت حقيبتها وسافرت إلى السيد بوش والتقيا لوحدهما ولا أعلم إن كان معهما أحد وقررّا أن يغزوا الأراضي المقدّسة للمسلمين والعرب» .

ومن الملاحظ أن كل من كان يشاهد صدام وهو يهذي في خطاباته المطولة أو في مقابلاته الصحفية التي أصبحت شبه يومية، يرى أن هناك نقطتين لا تكاد تخفى على أحد. الأولى أنه كان يشعر بسعادة وهو يشاهد نفسه محاطًا بمندوبي الوكالات وهم يوجهون له السؤال تلو السؤال وهو يجيبهم بإسهاب مملّ خال من المعنى والموضوعية، ومع ذلك فهو يعتقد أنه أصبح عبقري زمانه في الفلسفة والفكر والسياسة والاقتصاد. أما النقطة الثانية التي كان يلاحظها الجميع فهي الكذب الصريح والتلفيق الواضح الذي كان من صفاته المميزة، وعدم استحيائه من الاسترسال في ذلك دون خجل مع علمه بكذبه ومعرفته بعلم الآخرين بذلك. كما كان من الواضح للجميع أن صداماً كان يعمل عكس ما كان يقوله تماماً ويتشدّق به من مُثل أخلاقية حميدة ومباديء إنسانية كريمة وأصول دينية سامية كان هو أبعد ما يكون عنها.

- تكثيف الإعلام المضلل

كان صدام في تلك الفترة كثير اللقاءات مع الرؤساء السابقين والمسؤولين المتقاعدين الذين رأوا في دعواته لهم بزيارة العراق فرصة سانحة للظهور من الظلام بعد

غياب طويل. وكان ذلك مناسبة (مفيدة) للجانبين لجني بعض الثمار التي قد تكون ثمينة. وكان من بين الذين زاروا العراق وقابلوا صدام هذا الشهر رئيس وزراء اليابان السابق ناكاسوني، ومستشار ألمانيا السابق ويلي برانت، ورئيس وزراء نيوزيلاندا السابق ديفيد لانغ، ورئيس وزراء الدنمارك السابق أنغر يورغنسن، ورئيس أركان الجيش المصري السابق سعد الدين الشاذلي و(الحاج) محمد علي كلاي بطل العالم السابق في الملاكمة، والمطران السابق كابوتشي وغيرهم كثيرون. وكان الأخير قد قدّم له هدية رمزًا للقدس ووعده بالنصر وتمنّى له التوفيق، كما أكّد له أنه يعيش في قلبه وضميره.

من ناحية ثانية استمرت الحملات الإعلامية المركّزة والموجّهة بهدف الاستهلاك المحلي وإشغال الجماهير (بسخونة) الموقف. إذ استمرت أجهزة إعلام النظام بتنظيم المظاهرات والمسيرات وحشد الناس زرافات بعد أن يتمّ خلق مناسبة ما لتحريكهم. فقد تمّ تنظيم مسيرة احتجاجية قام بها (الأطفال) يوم ٤ نوفمبر «استنكروا فيها منع الحليب والدواء عنهم من قبل بوش وتاتشر وقاموا بتسليم مذكرتي احتجاج للسفارتين الأمريكية والبريطانية». كما أرسل «طلبة المدارس في محافظة الكويت ٤٣٫٠٠٠ رسالة احتجاج إلى بوش استنكارا للغزو الأجنبي لمنطقة الخليج العربي وإدانة الاحتلال الأمريكي لأرض نجد والحجاز».

وقد عقد في بغداد يوم ١٤ نوفمبر مؤتمر لوزراء إعلام كل من العراق والأردن والمنظمة وموريتانيا واليمن وتونس. وقد أيّدوا موقف العراق وباركوا مبادرة ١٢ أغسطس (التي توفّر أساسًا جيدًا ومعالجة شاملة لكل قضايا منطقة الشرق الأوسط). كما صرح سعدالدين الشاذلي رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية الأسبق لتلفزيون بغداد يوم ١٩٩٠/١١/١٤ بأن «أي عملية عدوانية على العراق سيكون مصيرها الفشل. وأن من يعرف العراق لا يخاف من حجم الحشود». وقال «إن الوجود العسكري الأمريكي رغم خطورته وتهديده لأمن المنطقة لكنه مقارنة بحجم القوات العراقية المستنفرة يشير إلى أن العراق بخير». وشدد على أن «التفوّق الجوي الذي قد يتوفّر لدى القوات الأمريكية لن يحسم المعركة لصالح أعداء العراق».

ومن ناحية ثانية قام (المهيب الركن) صدام حسين القائد العام للقوات المسلحة بزيارة البصرة والكويت يومي ٢١ و٢٢ نوفمبر حيث «تفقّد أحوال المواطنين ثم زار جبهة الحقّ ضدّ الباطل والتقى بصناديد الفيلقين الرابع والثاني». وبعد أن أكّد المقاتلون النشامى المعنويات العالية أبدى (السيد الرئيس المهيب) صدام توجيهاته المناسبة للمقاتلين وقال إنه إذا ما فرض القتال على العراقيين فإنهم سيقاتلون بالطريقة التي تسرّ الصديق وكل المؤمنين وتغيظ الكافرين والأشرار بعد أن تصيبهم من جرّائها الهزيمة والخيبة والخسران».

وفي يوم ٢٢ نوفمبر نُظّمت مظاهرات في جميع مدن العراق احتجاجًا على زيارة الرئيس بوش للمنطقة. فقد «هدرت مدن العراق ذلك اليوم من أقصاها إلى أقصاها بمظاهرات جماهيرية احتجاجًا على زيارة بوش للأراضي المقدسة وبحب الرئيس». وكانت هذه الحشود المليونية (تحت السلاح) تردّد «أن السيوف العراقية ستقطع رقاب العملاء». وقد استغلّت أجهزة الإعلام العراقية استقالة السيدة مارغريت تاتشر في نفس ذلك اليوم من رئاسة الحكومة البريطانية ومن زعامة حزب المحافظين لزيادة حماس المتظاهرين. كما أعلن العراق عن ارتياحه، وشبّه سقوطها «بسقوط انتوني إيدن المعادي للزعيم الراحل جمال عبدالناصر أيام العدوان الثلاثي على مصر».

وفي خطاب ألقاه صدام بوفود (الندوة الخامسة لتضامن الشباب العربي مع العراق) يوم ٢٩ نوفمبر «أكّد بأن العراقيين سيقاتلون بطريقة ترفع رؤوس كل العرب والمسلمين». وأضاف «أننا نرى طائرة (الشبح) بوضوح بالتكنولوجيا العراقية عندما تأتي ولا يراد أن يبذل لها تعب كثير لكي نراها. ونأمل أن لا يتورّطوا ويتصوّروا أن العراقيين لن يروها لأننا لا نريد الحرب، أي نتمنى أن لا تقع، ولكن إن أراد الله أن تحصل فسوف يرون أن هذا الشبح العائد لهم يراه حتى راعي الغنم في الصحراء وسوف يرون كيف يسقط (شبحهم) هذا كما يسقط أي شيء آخر. وكما قلنا في مناسبات سابقة أن التعقيد لا يجب أن يواجه بالتعقيد بل بالبساطة. وانظروا إلى الدين الإسلامي وبساطته، وكل الديانات الأخرى بسيطة في مبادئها الأساسية، تتّحد في أمور أساسية كالوحدانية لربّ السماوات والأرض، وأن يشكر العبد ربّ السماوات والأرض بشكل

دائم، والسعي في الأرض وتطبيق العدالة بين الإنسان والإنسان . . . مبادىء بسيطة، قريبة من النفس . . . قريبة من القلب . . . ». كما قال: «إن إخوانكم هنا لا يخلون من تكنولوجيا لمواجهة التعقيد الغربي، ولكنّهم في الوقت نفسه سوف يعتمدون على البساطة، حيث سيحملون قليلاً من التراب ويذرونه في عين هذه التكنولوجيا المتطوّرة فيعمونها وتصبح لا ترى». وقال أيضا «اننا لا نتحدث بلساننا وإنما نتحدّث بضميرنا وعندما يكون موقف الضمير صحيحًا يكون حتما الإنسان الواحد وكأنه يتحدّث بلسان الانسانية ككل. لذلك نقول إننا مؤمنون تماما كما نؤمن بالله بأن هذه الجولة مع استمراريتها وآثارها ستحرّر فلسطين كاملة» وقال «إننا أول من يؤمن بالقانون الدولي والشرعية الدولية».

ومن الواضح أن هذا الخطاب الطويل ـ والمليء بكل ما هو متناقض مع مواقف الزمرة البعثية الحاكمة بالعراق، بالإضافة إلى بُعده عن المنطق والعقل خاصة عندما يشرح كيف أنه سيواجه التكنولوجيا الحديثة ـ لا يحتاج إلى تعليق، فهو يبيّن بنفسه المستوى الذي وصل إليه استخفاف هذه الزمرة وقيادتها بعقول من تتعامل معهم وتوجّه لهم (الإرشادات والنصائح).

وإمعانًا في التضليل فقد صدرت هذا الشهر عدة كتب ومؤلفات (تثبت) عراقية الكويت «والحقوق التاريخية للعراق بالمحافظة التاسعة عشرة». فقد تمّ تشكيل لجنة «للإشراف على التأليف الذي يخصّ المرحلة الراهنة التي تعيشها منطقة الخليج العربي». وقد صرّح رئيس لجنة التأليف وهو رئيس تحرير مجلة (الأقلام) طراد الكبيسي «إننا لا نعني بالتأليف الذي يخصّ المرحلة الراهنة، التأليف التعبوي كما قد يفهم البعض، لكنه التأليف الذي يكشف حقائق ما كان القاريء العربي يعرفها لولا أن المستجدات في الظروف قد استدعتها». وأضاف: «إن هذه اللجنة أشرفت على إصدار مجموعة من الكتب (العلمية) و(التاريخية) الموثّقة حول أحقية العراق بالكويت». ومن بين الكتب ـ أو الأوراق الصفراء ـ التي صدرت في هذه الفترة كتاب (الحقيقة التاريخية لعراقية الكويت) تأليف رضا الهاشمي، مظفر الأدهمي، نزار الحديثي، حسين

القهواني، ومصطفى النجار. كما صدر أيضا كتاب (الكويت عراقية) تأليف مصطفى النجار ومحمد البكّاء، وكتاب (كويت العراق والنضال في سبيل الوحدة) تأليف عبدالرحمن العزّاوي وجعفر عباس، وكتاب (بريطانيا وسياسة فصل الكويت عن العراق) تأليف مؤيد ابراهيم الونداوي وكتب صفراء أخرى كثيرة.

كما حفل هذا الشهر بمقابلات صدام مع أهالي الرهائن، الذين بدأ إطلاق سراحهم مع زوجاتهم الزائرات لهم بعد أن يقوموا بمقابلة صدام ويتمّ عرض المقابلات بالتلفزيون طوال ساعات البث. كا شهد هذا الشهر مقابلة (علمية) مطولّة عقدها صدام مع أحد (فطاحلة) الأطباء العراقيين مشعل الساري الباحث في علاج الأمراض السرطانية وخمسة عشر شخصًا عولجوا من قبله «وتمّ شفاؤهم من أمراض سرطانية مختلفة». فبعد أن قدّم لهم النصائح الإنسانية والتوجيهات السديدة أخذ يعطي من (فكره) ما أضفى على المقابلة الجو المعتاد الذي يسود مثل هذه المقابلات. فقد طلب من الطبيب «التحلّي بالصبر وتحمّل النقد وتمنّى أن يصبح ما يقوله (حقيقيًا) ليخدم الإنسانية». وممّا قاله أيضًا أنه «يتمنى بأن ما يقوله (الطبيب) يغدو ملموسًا على مستوى الإنسانية ككل وليس على مستوى العراق فقط، وأنتم بهذا متقدمون على الإنسانية وهذا هو الفخر، فنحن مثلا عندما نتمكّن أن نعالج كل مرضى العالم بهذا الدواء فإننا نكون في غاية السعادة بينما بعض الدول قطعت الغذاء والدواء عن العراقيين، فأين تكمن إنسانيتهم؟ إن الإنسانية تكون بالدرجة الأولى عند أقدم الحضارات، فأينما تكون أقدم الحضارات تكون الإنسانية أقدم وأعرق، لذا فأنتم في المقدمة في هذا المجال إن شاء الله وستكونون أحسن في المستقبل».

ـ الإجراءات والقرارات الجديدة لهذا الشهر

كان من أهم القرارات التي صدرت في هذا الشهر تعيين عزيز صالح النومان (محافظا) للكويت، أو بالأحرى حاكمًا عسكريًا عامًا ومطلقًا عليها بدلا من علي حسن مجيد الذي رقّي إلى منصب وزير الحكم المحلي للعراق. وقد أدّى النومان اليمين أمام

صدام يوم ١٤ نوفمبر بحضور علي حسن مجيد. ولم يكن لدى المرابطين أي شعور بأن أي شيء سيتغير.

هذا وقد مرّ الشهر الرابع على الاحتلال دون أن يتزحزح المواطنون عن مواقفهم بالعصيان المدني، بل زادوا إصرارا على عدم إعطاء المعتدي أي فرصة لاختراق صفوفهم والضغط عليهم لتنفيذ مخطّطاته. لذلك أخذ يحاول الترهيب والترغيب في سبيل ثني المواطنين عن مواقفهم. فبالنسبة لتبديل الهويات، ونظراً لعدم تجاوب أحد من المواطنين بتبديل هوياتهم، استمرّ العدو بالتهديد بضرورة قيام مواطني (محافظة الكويت) بمراجعة (مديرية الجنسية والأحوال المدنية) في منطقة الفروانية لاستبدال بطاقاتهم المدنية. وقد استمر الإعلان يومياً تقريباً بجريدة النداء دون مجيب، بالرغم من التأكيد على أن هذه البطاقة الشخصية الجديدة ستكون هي الوثيقة القانونية الوحيدة المعتمدة للأغراض الرسمية. كذلك استمرت صحفهم يومياً تقريباً بنشر الإعلانات والتصريحات التي تؤكّد أنه اعتبارا من ١٩٩٠/١٢/٢ سوف يُمنع تزويد أصحاب السيارات التي لا تحمل رقم (العراق ـ كويت) بالوقود والزيوت وكذلك يُمنع تصليحها في (الكراجات) اعتباراً من نفس التاريخ تحت طائلة العقاب. كما كان جنود السيطرات يؤكّدون على ذلك ويطلبون من الناس تبديل أرقامهم ويتعمّدون مضايقتهم ويهدّدونهم بقرب مصادرة سياراتهم.

وإمعانا وتسهيلاً للنهب المنظّم، قرّرت السلطات منح الموافقات على نقل السلع (والمواد المباعة بمحافظة الكويت)، التي صرّح بنقلها إلى محافظات القطر الأخرى «حيث يطلب تقديم مستندات تؤيد عائدية المال المباع للبائع ولا يستند في تقديم الطلب إلى أي أوليّات، كرخصة أو غيرها بل يكُتفى فقط بأن يكون لدى البائع عنوان واضح». وفيما يخصّ ذلك أفاد مسؤول في وزارة التجارة أن اللجنة المسؤولة عن ذلك تقوم بالتصديق على عمليات البيع بمعدّلات عالية. وقال «إن المعاملات التي أنجزت بهذه الفترة القصيرة وصل عددها إلى أكثر من ١٧٠٠ معاملة (اقتصادية) تشمل الملابس والكهربائيات والمواد الإنشائية والقرطاسية والمفروشات والأقمشة والأثاث والمواد

الغذائية والمنزلية». كما صدر قرار يوم ١٩/١١/١٩٩٠ من مجلس قيادة الثورة بمصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة العائدة إلى الشركات المسجلة بأسماء الأشخاص من عائلة الصباح.

وفي يوم ٢٥ نوفمبر بدأت (اللجان المختصّة) بتنظيم البطاقات التموينية في الكويت أعمالها «لتزويد مواطني المحافظة التاسعة عشرة بالمواد الغذائية الأساسية الضرورية».

(٣) الموقف بالداخل

ـ الأحوال المعيشية

اعتاد الناس بعد مرور ثلاثة أشهر على الاحتلال على نمط معين من المعيشة يختلف تمامًا عما كانوا يعرفونه من رخاء ونعيم. فقد أصبح الحصول على رغيف الخبز من الصعوبة بمكان بحيث يتطلب الوقوف ساعات بالطوابير الطويلة. كما أصبح البحث عن الغاز ومواد التموين وكذلك الوقود ـ بعد إغلاق عدد كبير من محطات الوقود ـ يمثل الشغل الشاغل للناس طوال النهار. كما كانت حاجات ومتطلبات المنازل تشكل عبئًا آخر على قائمة الأعباء اليومية. فقد أخذت كثير من التجهيزات المنزلية في الاستهلاك السريع والتلف بسبب انعدام الصيانة وغياب الفنيين المختصّين بهذه الإصلاحات. لذلك كانت إذا تعطلت الثلاجة أو الغسالة مثلاً فإن من الصعب الحصول على مصلّح مما يعني انتهاء هذه الخدمة إن لم يكن هناك بديل آخر في المنزل. وإذا توقّف المكيّف فإن ذلك يعني نهاية التمتّع بالجو البارد. وقد اضطر الكثير من المواطنين لشراء أجهزة جديدة من المخازن التي لم يتمّ نهبها بعد، وعلى الحساب طبعًا. وكان هذا بمثابة خدمة للبائع والمشتري. فالأول كان يريد أن (يتخلّص) من أكبر عدد ممكن مما تبقّى له من أجهزة حتى لا يتمّ نهبها، أما المشتري فبحاجة ماسّة لهذه الأجهزة التي اعتاد على استعمالها طوال السنين الماضية وهو الآن بحاجة أكبر لها، خاصة بعد سفر الخدم وخراب ما لديه من أجهزة. ومن الأمور التي حدثت أنه وعند بدء تهافت

المواطنين لشراء غسّالات ونشّافات الملابس وغيرها من أجهزة من مخازن التجار، وبعد زيادة الطلب اليومي عليها بصورة كبيرة إذا بجلاوزة البعث واستخباراته يقومون بتطويق المحلات التي تقوم بالبيع وإيقاف البيع والتسليم للمواطنين مدّعين أن الحكومة العراقية تريد تسوية (حساباتها الدائنة) مع أصحاب بعض تلك المخازن قبل بيع أي قطعة منها. وكان ذلك يعني نهب تلك المخازن بصورة كاملة بعد أيام وفي وضح النهار.

كما كان تعطّل خطوط الهاتف وكيبلات الكهرباء ومشاكل توصيل المياه من الأمور التي أصبحت كثيرة ومتكررة في تلك الفترة. فعلى سبيل المثال كانت أنابيب المياه تنفجر يوميا بالشوارع، مسببةً تدفّق المياه كالأنهار نظراً لزيادة الضغط على الماء وقلة المستهلكين بالمقارنة مع وفرة الإنتاج. وكان الجميع يحثّ على زيادة الاستهلاك لتخفيف الضغط على الأنابيب. ويعود سبب الضغط إلى سفر عدد كبير من السكّان بالإضافة إلى توقّف ريّ المزارع والأشجار بالشوارع، والتي بدأت تجّف وتموت من شدّة العطش. فقد مرّت عليها ثلاثة أشهر دون ري في جو يتميّز بشدّة الحرارة والجفاف. وكانت الورود وأشجار الزينة في الشوارع من أوائل الأشجار التي جفّت وماتت، تلتها الأشجار الأكثر مقاومة، ثم بدأت كثير من النخيل بالجفاف. كما أن معظم أشجار البيوت التي سافر أصحابها، وكذلك البيوت التي خلت من الخدم بدأت تجفّ الواحدة بعد الأخرى.

وكان الماء ينقطع عن الحي بأكمله عند حدوث عطل في أحد الأنابيب الرئيسية. وعند الطلب من الوزارة إصلاحه كانوا يطلبون تجهيز مكان العطل بعمل حفرة كبيرة طولها حوالي ثلاثة أمتار، وعرضها متر ونصف، وعمقها متران تمهيداً لإرسال فنيّيهم لإصلاح العطل. وكان ذلك يتطلب جلب عدد كبير من العمال السودانيين الذين تمّ جلبهم لنقل المسروقات بالشاحنات الكبيرة التي عادة ما يأتون معها من العراق. وعند إتمام عملية الحفر وتجهيز الموقع يحضر عمال الصيانة بوزارة الكهرباء لاستبدال الأنبوب وإصلاح العطل.

ومن الأمور التي كانت تسبب إزعاجا كبيراً للناس أيضا تراكم القمامة بصورة

كبيرة، وتجمّع الحشرات والحيوانات الشاردة حولها بصورة لم يسبق لها مثيل. وكانت القمامة تنقل في الأسابيع الأولى للغزو بسيارات البلدية التي تولّى قيادتها شباب المناطق وتطوّعوا بجمع النفايات من كل شارع ومنطقة ورميها في الساحات البعيدة. إلاّ أن انعدام الصيانة تسبّب في توقّف بعضها عن العمل، كما قام العراقيون بمصادرة ما تبقّى منها عند رؤيتها في يد الشباب بحجة تملّك الدولة لها وعدم جواز استعمالها من قبل الأشخاص غير المخوّلين بذلك. وقد تطوّع كثير من أصحاب الوانيتات الكويتيين بعد ذلك بنقل القمامة من مراكز التجميع إلى أماكن إلقاء النفايات في الساحات البعيدة، إلى أن بدأت سياراتهم بالاستهلاك لانعدام الصيانة. وقد تسبب ذلك في عدم انتظام هذه الخدمة ممّا أدّى إلى قيام كثير من الناس بنقل أكياس القمامة في صناديق سياراتهم إلى أماكن رمي النفايات. كما أن سكّان عدد من الأحياء رأوا في النهاية أن الطريقة الوحيدة المتبقية للتخلّص من أكوام النفايات المتراكمة هي حرقها. وقد انتشرت هذه الظاهرة في معظم المناطق فيما بعد، إذ أخذ سكان كل حي يجمعون الفضلات في أماكن متفّق عليها ليقوموا بحرقها مرة أو مرتين في الأسبوع. وكان (يوم الحرق) يشكل إزعاجًا كبيرًا للمنطقة وخاصّة للبيوت القريبة من مركز التجميع. وقد عانت هذه البيوت من الروائح الكريهة المنبعثة من الحرق بالإضافة إلى الأدخنة الكثيفة وحرارة اللهب وبقايا المحروقات. وكان الشباب يقومون بجمع الورق وأغصان الأشجار لإلقائها في النار لزيادة شدّة اشتعالها وسرعة حرق ما فيها من مواد متعفّنة.

ومن الأمور التي راجت في تلك الأيام، توجّه الناس لتربية الدواجن والأغنام والاعتناء بها نظرًا لزيادة أوقات الفراغ وكذلك للانتفاع بلحومها وقت الحاجة. فقد بدأ كثير من الناس بالتوجّه إلى دوار الفحم بالشويخ صباح كل يوم، حيث تحوّل الدوار والشوارع المحيطة به إلى سوق لبيع الدجاج والأغنام والطيور بالإضافة إلى الخضراوات والفواكه. وقد أصبح كثير من الشباب بعد فترة (خبراء) في أنواع الدجاج والحمام والطيور والأغنام. فقد كانوا يذهبون في الصباح الباكر بعد انتهاء فترة الحراسة الليلية إلى دوار الفحم لاستقبال عشرات الباعة القادمين من العراق لبيع ما لديهم من بضائع وخضراوات ودواجن. وكان الناس يتزاحمون حول الأقفاص لشراء الأنواع النادرة من

الدواجن والفصائل الغريبة من الطيور وأنواع الأغنام بأسعار رخيصة نوعا ما لتربيتها في الحظائر التي ملأت البيوت والشوارع. وقد ساعد ذلك في إشغال الأطفال الذين ملّوا من الفراغ بسبب عدم ذهابهم إلى المدارس، وعدم توفّر أي مراكز ترفيهية أو ثقافية لقضاء وقت فراغهم فيها. فكانوا يتسلّون في (رياضة) صراع الديكة وتدجين الحمام وتفريخ وتربية الصيصان وصناعة الأقفاص، بالإضافة إلى الألعاب المسلية الأخرى كسباق الدراجات ولعب الورق وكرة القدم والزراعة وتبادل أشرطة الفيديو والكمبيوتر التي أصبحت تشغل وقتهم طوال الليل.

ومن (الخبرات) التي اكتسبها الشباب بالنسبة للدواجن ضرورة تطعيمها وإعطائها الفيتامينات وبقية العناصر الغذائية لتتمكن من مقاومة الأمراض. وكان كثير منهم يتوجّه إلى مقر المشاتل بالعمرية لتطعيم ما يشتريه من الطيور. وكان ذلك المركز يضمّ عددًا كبيرًا من استخبارات وأزلام السلطات العراقية الذين يقومون بتفتيش السيارات تفتيشا دقيقا قبل السماح لها بالدخول. وقد تبيّن فيما بعد أن ذلك المركز كان من أكثر مراكز التعذيب رعبًا ووحشية. إذ كان الشباب الكويتي يؤخذ إلى هناك ليمارس معه أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي. وكانت النوعيات التي تحرس بوابات المشاتل مميزة بأشكالها الكالحة ونظراتها الحاقدة وتصرفاتها الاستفزازية لاستثارة الناس وتوريطهم في أمور قد تؤدي إلى الاعتقال أو الإهانة أو ربما سوْق الاتهامات دون مبرر. فقد كان من ضمن العبارات التي يوجّهونها للناس عند تفتيشهم ومشاهدة بعض الفواكه أو السمك في صندوق السيارة (أنتم تأكلون فواكه وسمك والناس جوعى» أو «ماذا تنتظر لتغيّر أرقام السيارة» وهكذا.

وكان موظفو المشاتل يحاولون توزيع الكميات المتبقية من الأدوية والفيتامينات على المراجعين الكويتيين قبل أن يقوم العراقيون بنهبها. كما كان بعضهم يتحدّث عن ممارسات أفراد جيش العدوان فيما يخص الثروة الحيوانية. إذ كان هذا الجيش يقوم يوميًا بذبح ٥٠ بقرة من أجود أنواع الأبقار الحلوبة في العالم والتابعة لهيئة الزراعة، ليقدّمها كوجبات غذائية للجنود دون وازع من ضمير، إذ أن قيمة البقرة الواحدة من هذا النوع

تصل إلى أضعاف سعر البقرة العادية، والتي يتمّ ذبحها للانتفاع بلحمها. وكانت هذه من ضمن الممارسات الإجرامية الكثيرة التي يصعب على المرء إحصاؤها.

ـ التصرّفات غير الحضارية للغزاة

لم يمرّ يوم واحد من أيام الغزو السوداء إلاّ وشهد من الأعمال الإجرامية والتصرّفات غير الحضارية ما يعجز الإنسان عن وصفه. فقد كان شعور الغالبية العظمى من العراقيين الذين وطئت أقدامهم أرض الكويت في تلك الفترة أن هذه الأرض مباحة لممارسة ما يحلو لهم من أعمال مهما كانت بشعة وهمجّية وغير متحّضرة. وقد زاد الأمر سوءًا أن الطبيعة التاريخية لهؤلاء الناس هي جزء من هذا اللون من الممارسات. فقد رأينا على مرّ السنين كيف يبطش العراقي بأخيه العراقي عند قيام انقلاب على الوضع، وكيف يتمّ (سحل) الخصوم وتقطيعهم إلى أوصال متناثرة، وصلب جثثهم بالشوارع أيامًا طويلة دون وازع من إنسانية أو ضمير. وقد شهدت الكويت ـ بكل تأكيد وبشهادة كل من تابع الأحداث أثناء الغزو ـ أسوأ مما شهده العراق نفسه من تجاوزات وتنكيل بكثير. وقد شهدت صور الشهداء والمعذبين على ذلك. فقد كان قلع الأذن أو العين أو الأصابع أو قطع اليد أو الساق أو بقر البطن واستخراج الأحشاء منه أو سلخ الجلد ـ والضحية لازال على قيد الحياة ـ من الأمور التي أصبحت اعتيادية وتمارس يوميًا من قبل الأجهزة الاستخبارية البعثية. وكان الضحية يقاسي من الآلام والانهيار النفسي دون أن يتحرّك لهم هاجس من ضمير أو وجدان.

كما كانت طريقة تنفيذ أحكام الإعدام من الخسّة والدناءة بحيث يصعب وصفها. فقد كان الغزاة يوصلون الضحية ـ بعد أن يشبعوه ضربا وتعذيبا ـ إلى منزل أهله بعد الاتصال بهم وإعلامهم بأنه قادم إليهم بعد قليل، وعند خروج الأهل لاستقباله يتمّ إنزاله من السيارة قرب باب المنزل ثم يتمّ إطلاق النار عليه أمام أفراد أسرته. وكانت معظم حالات تنفيذ الإعدام تتمّ بهذا الشكل. ومن الحوادث التي لا تنسى أن إحدى السيدات ظلت أكثر من شهر تبحث عن ابنها من مخفر إلى مخفر بعد

أن تمّ اعتقاله وأخذه من سيارته بعد العثور على منشورات لديه تحت المقعد. وكان كل رئيس مخفر يطلب منها عدة طلبات (للمساعدة في العثور عليه). وقد أعطت هؤلاء كل ما عندها من فيديوات وتلفزيونات وأجهزة الكترونية أخرى دون فائدة. وفي مساء أحد الأيام رنّ جرس التلفون وإذا برئيس أحد المخافر يخبر الأم أن ولدها سيصل صباح الغد. ولم تسع الفرحة هذه الأم فاتصلت بالجيران وطلبت منهم حضور وليمة الفطور صباح اليوم التالي في بيتها عند وصول ابنها. وبينما كانت تستعد لاستقباله مع جيرانها حوالي الساعة السادسة صباحا إذ بهم يسمعون بعض الطلقات النارية القريبة. ولم يأبهوا بذلك نظرا لتعوّدهم على سماع هذه الطلقات على الدوام. وما هي إلاّ دقائق حتى طرق الباب أحد الجيران وهو يصرخ، وعند فتح الباب عُثر على الابن البالغ من العمر سبع عشرة سنة ملقى أمام باب المنزل وهو مضرّج بدمائه.

كما أن شابا آخر ألقي القبض عليه للاشتباه بأنه من المقاومة، وقد ظل في المعتقل عدة أسابيع تحت التعذيب. وفي أحد الأيام تمّ الاتصال بأهله وإخبارهم بأنه سيتمّ إطلاق سراح ولدهم في صباح اليوم التالي. وعند وصول السيارة التي كانت تحمله تم طرق الباب ليتمّ فتحه من قبل والدته فما كان من الجلاوزة إلاّ أن أطلقوا عليه الأعيرة النارية وتركوه يصارع الموت أمام البيت، فصرخت الأم وتدافع أهل الولد نحوه فلاحظوا وجود رمق من الحياة فيه وكانت أخته طبيبة تعمل بأحد المستشفيات. فنقلته بالسيارة حالاً مع بقية أفراد العائلة إلى هناك وأُدخل العناية المركزة بعد أن قام الأطباء الكويتيون بتغيير اسمه وعمل هوية جديدة له باسم مستعار. وقد ظل الشاب تحت العلاج في العناية المركّزة حوالي ٢٠ يومًا إلى أن فارق الحياة.

وكانت هذه الأحداث تتكرّر يوميًا ويتناقل الناس الأخبار ممّا يزيدهم غضبًا وتحدّيًا لهؤلاء الهمج المتوحشين. وقد طالت الأعمال الإجرامية التي قام بها المعتدون حتى الحيوانات. فقد صحا أحد المواطنين صباح أحد الأيام وكانت عادته أن يمرّ بعد صلاة الفجر على الحظيرة الصغيرة التي أقامها أمام منزله، بعد أن اشترى عددًا من الدجاج والخراف ليتسلى بهم ويقضي بجانبهم وقت الفراغ الطويل، بعد أن انقطع عن عمله. وعند اقترابه من أحد الخراف لاحظ دما ينزف من مؤخرته. وعند فحصه تبين أن أحدًا قام بسلخ جلد الكِفْل بصورة (فنية) دقيقة حيث تم قطع الكِفْل (الشحم) وترك الجلد

معلقا والخروف في حالة يرثى لها.

أما السرقات فكانت تقع كل دقيقة وبشكل سافر، حتى أن أحدًا منهم لم يكن يتحّرج أو ينبض له حسّ من خجل وهو يمارس ذلك العمل. ومن الحوادث التي وقعت أن أحد الضباط العراقيين كان يتجوّل في أحد أماكن البسطات في مشرف، وإذا به يشاهد صبياً كويتيًا لا يزيد عمره عن عشر سنوات وقد وضع أمامه دراجتين جديدتين يعرضهما للبيع بعد أن تركه والده وذهب ليصطفّ بأحد الطوابير اليومية الطويلة. فسأله الضابط عن سعر الدراجة الواحدة فأجابه الصبي بمائتي دينار عراقي (أي عشرين دينارًا كويتيًا). فما كان من الضابط إلاّ أن أخذ الدراجتين وألقى ١٠٠ دينار عراقي على الصبي وانصرف. وقد سيطر الرعب على الصبي الذي لم يستطع أن يعترض وهو يرى الرشاش معلقًا على كتف ذلك اللص الذي لا يعرف للشرف العسكري أي قيمة. كما أن شابًا آخر يبلغ من العمر ١٦ عامًا كان يقضي وقت فراغه ببيع الخضراوات والفواكه مع عدد من أصدقائه مساء كل يوم، بعد أن يقضوا الصباح بجمع القمامة من الأحياء المختلفة بمنطقة مشرف بوانيت وإلقائها في إحدى الساحات البعيدة للتخلص من الروائح والحشرات. وكان مع أصدقائه في إحدى الأمسيات يحصون حصيلة البيع لذلك اليوم داخل السيارة، فصادف مرور سيارة عسكرية بها ضابط وجنود عراقيين. فما إن لمح الضابط وجنوده الدنانير حتى أمرهم بالتوقّف وإحاطة سيارة الشباب. ثم ترجّل الجنود وطلبوا من الشباب النزول من السيارة وأخذوا يضربونهم ضربا مبرحا ثم استولوا على الأموال بعد أن هدّدوهم بإطلاق النار عليهم.

ويروي أحد المواطنين أنه كان ذاهبًا لصلاة الفجر في أحد الأيام وكان بيته قرب المسجد. وكانت سيارته واقفة أمام باب منزله. وما إن خرج من المسجد بعد أداء الصلاة إلاّ وكانت سيارته قد سُرقت. ولم تستغرق العملية أكثر من سبع دقائق، مما يدل على (كفاءة الأداء) لهذا النوع من العمل بالنسبة للجيش (المغوار). وكانت سرقة السيارات أثناء الليل عملية لا يكاد يخلو منها شارع. لذلك كان جيش اللصوص في كثير من الأحيان يقوم بمضايقة وتهديد المواطنين الذين يقومون بالحراسة. وقد صادف في أحد الليالي أن أحد المواطنين كان متوجّها إلى بيته من مقر الحراسة القريب بعد أن انتهت فترة حراسته، وإذا به يشاهد أربعة جنود عراقيين داخل بيته يحاولون سرقة

سيارته، والخامس جالس في سيارة أمام باب المنزل ليراقب الوضع. فما كان من المواطن إلاّ أن رجع إلى مقر الحراسة، وأخبر المناوبين فهبّوا جميعًا وكانوا حوالي سبعة وتوجّهوا إلى المنزل وأحاطوا بالجنود وأخذوا يؤنّبونهم، ووقعت مشادّة بين الجانبين. فما كان من الجنود (الأشاوس) - وكانوا جميعًا مسلّحين - إلاّ أن تراكضوا نحو السيارة الواقفة بانتظارهم ليفرّوا مذعورين دون أي مقاومة.

وكان أحد المواطنين يملك مصنعًا في منطقة صبحان الصناعية، وقد استمرّ في زيارة مصنعه بين يوم وآخر للمحافظة على ما كان فيه من آلات ومواد. وقد شاهد في أحد الأيام عددًا من الجنود يطوّقون المصنع، وعند محاولته الدخول مُنع من ذلك. وقد حاول إفهامهم أن المصنع يعود له دون جدوى. وعند إصراره على الدخول تمّ إعلامه أن المصنع تحت حمايتهم وهو ممنوع من دخوله وطُلب منه مراجعة مخفر المنطقة. وعند مقابلة رئيس المخفر أخبره بأن المصنع تحت حماية المخفر وقد تم منع اقتراب أحد منه. وبعد نقاش طويل وافق الضابط على دخول صاحب المصنع لمصنعه لفترة قصيرة بعد أن أخبره صاحب المصنع بأنه يريد البحث عن أوراق التأمين الخاصّة بالمصنع. وكان شرط الضابط لصاحب المصنع أن لا يأخذ أكثر من ورقة واحدة فقط من المصنع في حالة دخوله. وأن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي يزور فيها المصنع. وقد أرسل معه بعض الجنود لمرافقته ليتأكّدوا من عدم أخذه (لأكثر من ورقة واحدة). وكان بالفعل شيئا يحزّ بالنفس، إذ دخل صاحب المصنع لمصنعه وهو محاط بالجلاوزة الذين كان همّهم نهب ما يمكن نهبه سواء أكان لهم أم للعصابة الحاكمة في بلدهم. وبعد أيام قليلة تمّ فك المصنع ونقل جميع آلياته والمواد الخام الموجودة فيه إلى العراق. كما تمتّ بعثرة وحرق جميع الأوراق والملفات والمستندات الموجودة بالمصنع شأنه شأن كل مؤسسة قام الطغاة بنهبها أثناء فترة الغزو.

كذلك يروي أحد المواطنين أنه كان متوجها في أحد الأيام لمخزنه المملوء بالأخشاب وإذا بسيارات الشحن تحيط بالمخزن وتقوم بنقل ما فيه من أخشاب. فحاول التفاهم مع رئيس العصابة وأبلغه أن المخزن عائد له وليس هناك أي أمر بنقل محتوياته، كما أنه لم يقم ببيع أي منها، ولكن دون جدوى. وبعد نقاش وأخذ ورد

طلب رئيس المجموعة من صاحب المخزن إحضار كتاب (بعدم تعرضّ) من (مدير التصنيع الحربي) المتواجد في مقر (معهد الأبحاث العلمية) بالشويخ. فتوجّه المواطن إلى هناك بعد أن طلب من المجموعة التوقّف عن الشحن لحين رجوعه. وبعد محاولات طويلة مع (المدير) وافق على إعطائه كتاب بعدم التعرّض، فأخذ المواطن الكتاب وكرّ راجعًا إلى المخزن فوجد الجلاوزة بانتظاره. فقدم لهم الكتاب طالبًا منهم التوقف عن التحميل وإنزال ما تمّ تحميله بسيارات الشحن. فما كان من رئيس المجموعة إلاّ أن قال له «هذا عيب . . هذا عيب» مشيرًا إلى أنهم سيتوقفون عن شحن كميات إضافية، أما ما تمّ تحميله فإنه يعتبر تبرعًا منه للدولة «ومن العيب إنزاله من السيارة».

كما يروي أحد أئمة المساجد ـ وكان غير كويتي ـ أنه شاهد جنودًا عراقيين وهم يقومون بنهب الآليات والمعدات التي كانت أمام المسجد الذي كان يؤم فيه المصلين والتي كانت تابعة لأحد المقاولين الذي كان يقوم بأعمال الترميم للمسجد. فأخبرهم بأنّ ما يقومون به من عمل لا يجوز شرعًا إذ أن هذا بيت من بيوت الله. فأجابه رئيسهم بأنه لا يوجد هناك شيء اسمه حرام، وأنهم إذا ما أتيحت لهم الفرصة وبقوا مدة كافية فإنهم سيقومون بنزع حتى الإسفلت من الشوارع ونقله للعراق.

ومن الحوادث التي وقعت في مشرف أيضًا أن أحد المواطنين كان عائدا إلى منزله مع ابنه بعد صلاة الجمعة، وعند وصوله إلى المنزل شاهد سيارة غريبة واقفة أمام الباب ولم يكن بداخلها أحد. وعندما دخل الرجل المنزل أحسّ بحركة مريبة. فدخل الغرفة فلم يجد أحدًا فيها وكان قد ترك زوجته وبقية أولاده هناك قبل ذهابه للمسجد. فأخذ يناديهم دون أن يجيبه أحد. وبعد قليل دخل الغرفة أحد الجنود العراقيين وكان مسلّحًا فأمره بالتوجّه للبيت المجاور. فما كان من المواطن وولده إلاّ أن توجّها إلى ذلك البيت. وعند دخولهما شاهدا أكثر من ١٥ شخصًا جالسين وقد وجّهوا رؤوسهم نحو الأرض وقد أحاط بهم عدد من الجنود العراقيين المسلحين وكان بينهم عدد كبير من النساء والأطفال، وكانت بينهم زوجته وبقية أولاده. ولاحظ وجود عدة جنود عراقيين فوق سطح المنزل وهم يشرفون عليه من هناك. كما شاهد حفرة كبيرة بالبيت وقد تمّ نبشها وكانت مملوءة بالذهب والمصوغات التي كان الجيران قد أودعوها في هذه الحفرة. وقد طلب رئيس المجموعة من المواطن وزوجته التوجّه مرة أخرى لمنزلهم تحت تهديد

السلاح. وبعد وصولهم طلب منهم تسليم الذهب والنقود التي لديهم، فأخبروه بأنهم أودعوها بالبنك. ولكن الجلاوزة لم يقتنعوا بذلك فانهالوا عليهم ضربًا بأعقاب البنادق وركلاً بالأحذية دون أن يحصلوا على نتيجة. فقاموا بتكسير أثاث المنزل وتفتيش الخزانات وأخذ التحف والفضيات والأشياء الثمينة ثم أعيدت العائلة إلى البيت المجاور. وبعد أن قام الجنود بنقل الذهب والأموال إلى سياراتهم طلبوا من الرهائن البقاء داخل البيت وعدم الحركة وإلاّ فسيتمّ إطلاق النار عليهم. وقد توجّهوا إلى سياراتهم وهربوا بالغنيمة. هذا وقد تمّ إلقاء القبض عليهم بعد عدة أيام في ضاحية صباح السالم بينما كانوا يقومون بنفس العمل. حيث تمّ تبادل إطلاق النار بينهم وبين جنود آخرين. ويروي المواطن أنه استدُعي للمخفر بعد أيام، وهناك تمّ عرضهم عليه فتعرف عليهم، وكانوا قد رُبطوا في جذوع النخل حيث كان الجنود يضربونهم بالسياط بعد أن تمّت مصادرة المسروقات (للدولة) أو (ممثّليها). ويبدو أن الحصيلة كانت ثمينة إذ حضر المدعو سبعاوي ـ أخو صدام ـ للتحقيق معهم وأخذ يتلذّذ بضربهم وتعذيبهم. وقد طلب سبعاوي من المواطن الكويتي المذكور ضربهم بالسوط ولكن المواطن رفض ذلك، فاستغرب سبعاوي قائلاً له أليس هذا هو الشخص الذي ضربك في بيتك فأجاب المواطن نعم. فقال سبعاوي ولماذا لا تنتقم منه؟ فقال المواطن يكفي أن الله قد انتقم منه بما يستحقه، وسأراه بعد قليل وهو يُعدم بعد أن تمّ الحكم عليه بذلك. ويستمرّ المواطن في سرد القصة فيقول أن سبعاوي توجّه ناحية رئيس المجموعة وهو يشتمه ويستجوبه وفي نفس الوقت يقوم بركله بحذائه العسكري. وفيما كان الاثنان (يتحاوران) إذا بسبعاوي يسحب مسدسه فجأة ويطلق النار على اللص الذي كان مربوطا بجذع نخلة، فيخرّ صريعًا ومضّرجًا بدمائه. ويبدو أن سبعاوي كان يتلذذ بالقتل بهذه الطريقة (المفاجئة) للضحية.

ـ نصب الخيام والإجراءات الاحترازية الأخرى *

أدّت كثرة حوادث السرقة المسلحة إلى زيادة حرص الناس وحذرهم وتوجّههم

---

* تناول هذا الجزء والذي يليه ما دار من أحداث في أحد أحياء منطقة مشرف ـ التي يسكن بها الكاتب ـ عند بدء عملية نصب خيام الحراسة، والتي انتشرت في تلك الفترة بصورة كبيرة.

نحو مزيد من التكاتف، والبحث عن الطرق الكفيلة بمنع هذه الأعمال أو على الأقل خفضها. وفي سبيل ذلك بدأ الناس في زيادة إضاءة الشوارع وذلك بوضع الكشّافات الضوئية في مختلف الأماكن وخاصة في الساحات المظلمة والشوارع الفرعية. كما تمّ سدّ بعض الممرات الضيقة بالسيارات المعطّلة أو طابوق الأرصفة كبير الحجم أو الأحجار أو حتى جذوع الأشجار الكبيرة بعد أن تمّ قطعها واستعراضها بالشارع المراد إغلاقه. كما قام عدد من الناس بشراء نوع معين من (صفارات الإنذار) الصغيرة وتركيبها في بيوتهم وتوصيلها بالبيوت المجاورة ضمن (شبكة اتصالات) يتمّ تشغيلها في حالة حدوث أي طارىء بهدف قدوم أكبر عدد ممكن من ساكني الحي للمساعدة.

وكان لبرودة الجو في الجزء الأخير من الليل وعند طلوع الفجر في تلك الفترة أثر سلبي على استمرار الحراسة أثناء تلك الساعات. وقد أدّى ذلك إلى أن يفكر الناس بطريقة أخرى للاستمرار في الحراسة الليلية دون أن يتسبّب البرد في (فركشة) العملية، خاصّة وأن عمليات السطو المسلّح قد أخذت في الازدياد، وبدأ الرعب يدبّ بين الناس بصورة كبيرة. وقد بدأ الذين يقومون بالحراسة في كثير من الأحياء يدخلون في إحدى دواوين (الفريج) في الفترة الأخيرة من الليل وعند الفجر لتجنب البرودة، مما يعني عدم ملاحظة ما قد يجري في الشارع، الأمر الذي ينعكس سلبًا على الهدف المرجو من الحراسة الليلية. وقد استمرت الحالة كذلك لمدة اسبوعين تقريبًا، رأى خلالها الناس أن ذلك الوضع لا يخدم الهدف المطلوب من وراء الحراسة. فكان أن اهتدى البعض إلى فكرة نصب الخيام في أماكن معينة من الشارع بحيث يمكن منها الإشراف على أكبر مساحة ممكنة منه وملاحظة ما يدور فيه، وفي نفس الوقت توفير الحماية اللازمة من البرد والمطر.

وكانت أول خيمة نصبت للحراسة في مشرف وربما في الكويت كلها هي الخيمة رقم (١) في الشارع السادس، وكان ذلك في النصف الأول من نوفمبر. وكان يوم نصب الخيمة من الأيام المشهودة. إذ أن الحماس أخذ الجميع فجلبوا كل ما كان لديهم من فئوس وأدوات حفر وبدأوا بتجهيز المكان وتنظيفه. وقد بدأت أعمال نصب الخيمة بعد صلاة العصر. وما إن حان موعد آذان المغرب حتى كانت أول خيمة قد نصبت، في

جو يصعب وصفه، إذ كان مزيجًا من التحدّي والتخوّف والضرب في المجهول. ولم يكن أحد ليعرف ماذا ستكون ردّة فعل الغزاة الذين قد يعتبرون ذلك نوعًا من التحدّي لهم والعصيان لأوامرهم بمنع التجوّل. وكانت الليالي الأولى للحراسة في الخيمة تتّسم بالرعب والحذر والخوف من المجهول.

هذا وعند اكتمال نصب الخيمة كان كل فرد من الحي يُحضر ما استطاع من تجهيزات وتموين و(كماليات). وقد تمّ توصيل الكهرباء والتلفون والماء في نفس الليلة، كما تمّ فرش الخيمة بأنواع السجاد والمطارح والمساند و(الدوّة) و(مطّارات) الماء والتلفزيون وأصبح الجميع يتسابقون في شراء أكياس الفحم والكيروسين والشاي والسكر والأواني وكل ما يخطر على البال. وأصبحت الخيمة من كثرة التجهيزات ووسائل الراحة (كغرفة العروس) التي سيتمّ زفافها للزوج السعيد. ولكن لم تكن السعادة حاضرة في تلك الأيام بالطبع، فقد كانت الكآبة هي المسيطرة على الشعور، والحنق على المعتدي الغاشم هو الطاغي على النفوس.

وبنصب الخيمة بدأت مرحلة اجتماعية جديدة. فقد أدت إلى زيادة الشعور بالتحدّي وبالقوة والتكاتف بين المرابطين. كما أدّى وجودها إلى بسط الشعور بالأمان حتى للذين كانوا قبل ذلك يتخوّفون من الحراسة الليلية (وخرق) قرار منع التجول. إذ بدأت كثافة الحضور بالازدياد وأصبحت الخيمة مركزًا اجتماعيًا هامًا أدّى إلى ترسيخ الحراسة وزيادة أهميتها. كما أن ذلك شجع عددًا كبيرًا من الأطفال للسهر طوال الليل والتجوال في الشوارع ما بين الخيمة وبيوتهم. ومع معرفة ضرر سهر الليالي على الأطفال وانعكاسه السلبي على صحتهم إلاّ أنه كان من الصعب منعهم من ذلك، إذ أن فراغهم طوال النهار أدّى إلى قضائه بالنوم ممّا جعلهم يصحون مع غروب الشمس ليبدأوا السهرة مع أصدقائهم طوال الليل. وقد كان لعب الأطفال والصبيان يبدأ بعد أذان المغرب، حيث كانوا يخرجون من بيوتهم بعد الغروب ويجوبون شوارع الحي بدراجاتهم التي أخذت بالذهاب والمجيء كالفراشات المتطايرة من كل جانب دون هدف إلاّ قضاء الوقت وتسلية النفس. فلا دراسة تشغلهم ولا اختبارات تؤرقهم، ولا حاجة للتيقّظ من الصباح الباكر. وكان وجودهم ـ على كل حال ـ يعطي قدرًا كبيرًا من

الأمان والشعور بالاطمئنان للكبار، الذين كانوا (يحتمون) بهم ويعتمدون عليهم في كثير من الأمور. فقد كان بعضهم يراقب ويُخبر عن أي شخص غريب يمرّ بالشارع سواء أكان من الجنود أم من غيرهم، ويقوم بنقل وقائع أي حدث قد يقع في الحي. كما أن عملية تنظيف الخيمة وإخراج السجاد والمطارح منها ونشرها بالشمس يومياً كان من الواجبات التي أنيطت بهم. وكانوا أيضا يقومون بتوصيل المواد الغذائية وبقية الأشياء من البيوت للخيمة التي بدأت تعج بأصناف الأطعمة مما كانت النساء تقوم بتحضيرها للرجال أثناء فترة الحراسة. فقد كان البرد يشتدّ بعد منتصف الليل وكان الحليب الساخن والبسكويت والمعجّنات المصنوعة في البيوت، وكذلك (الجريش والهريس)، وغيرها من أصناف الغذاء المحببة في مثل هذا الجو هي التي تعطي (الطاقة) وتزيد (الحماس) للاستمرار في الحراسة الليلية وإكمال السهرة حتى الصباح.

وكانت ظاهرة الخيام قد انتشرت بسرعة كبيرة، وأصبحت تملأ الشوارع والأحياء السكنية بالكويت مع نهاية شهر نوفمبر. وقد أصبح وجودها في الأحياء السكنية عامل أمن واستقرار للجميع. إذ كانت الخيام في الشوارع المتجاورة تتبادل الأخبار والمعلومات عن طريق الزيارات الليلية وكذلك المكالمات الهاتفية. فأي حدث يقع في أي شارع يتمّ نقله للشارع المجاور الذي يقوم بدوره بنقله للشارع الآخر وهكذا. وكانت الخيام تتناقل أيضا أخبار مرور سيارات العدو لتستعد لأي طارىء قد يقع. كما أصبحت منتدًى فكرياً خصباً تتبادل فيه الأخبار والآراء وتنقل إليه الأحداث العالمية والمحليّة. وكان الحضور يزداد بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً بعد أن يكون الجميع قد استمع إلى الأخبار والتطورات العالمية، سواء من الإذاعات أو من محطات التلفزيون المختلفة. وكان شهر نوفمبر مليئاً بالأحداث والتطوّرات المثيرة التي أثْرت النقاش وشدّت من عزيمة المرابطين خاصّة بعد بروز إمكانية استعمال القوة ضدّ المعتدي الهمجي الذي لم يكن ليرعوي دون ذلك.

ـ طلب (الإذن) لنصب الخيمة والحوار مع (الرفيق)

تنبه كثير من المرابطين بعد نصبهم للخيام بعدة أيام من خطورة هذا العمل واحتمال استغلاله من جانب العدو للبطش بهم، خاصّة وأن قانون منع التجوّل كان

لازال سارياً. فبدأوا يتشاورون فيما بينهم لاتخاذ خطوة تُجنّبهم بطش العدو، وفي نفس الوقت تجعل الحراسة الليلية مستمرة لحماية أعراضهم وأموالهم. وبعد نقاشات طويلة برزت فكـرة اتبـاع الأسلوب (الـدبلوماسي) الذي يخدم احتياجات وضرورات تلك المرحلة. وما بين معارض ومؤيد للفكرة رأي كثير منهم أنه لا يوجد سبب يمنع من إخطار المخفر في كل منطقة بعزم أهالي بعض الأحياء بنصب خيام لمراقبة منازلهم أثناء الليل، نظرًا لانتشار ظاهرة السطو المسلّح على المنازل وضرورة حماية الناس لبيوتهم وأعراضهم.

وقد بيّنت ردود الفعل المختلفة لكل رئيس مخفر مدى الفوضى والتسيّب الذي كان يعيش فيه الغزاة. إذ لم يكن يجمعهم هدف واضح أو مبدأ معين. فكل مسؤول منهم كان يعتبر نفسه (حاكمًا عامًا) للمنطقة التي وُليّ عليها ويعمل ويقرر حسب ما يشاء. فقد وافق بعض ضبّاط المخافر على نصب الخيام واعترض آخرون وهدّدوا بحرق أي خيمـة تنصب. كما كان (للمزاجية) دورها الكبير في التأثير على قرار الموافقة أو الرفض لبعض الضبّاط. وكان لما دار من نقاش بين (وفد) أحد الأحياء السكنية في مشرف ومسؤولي (المخفـر) هناك ـ والذي اتّخذ روضة مشرف مقرا له ـ مؤشرا لنوعية التفكير الذي كان يسيطر على العقلية التسلّطية لهؤلاء. فقد ذهبت إلى المخفر مجموعة مكـوّنة من ستة أفراد وطلبوا مقابلة المسؤول. وبعد (ترحيبه) بهم طلب لهم الشاي (الـذي لم يصل قط) واستفسر عن أوضاعهم. فأخبروه بالأوضاع غير الآمنة بالبلد وانتشـار الـرعب بين النـاس بسبب السطو المسلّح على البيوت وكثرة اللصوص من (الجنسيات المختلفة). وكان جالسًا بجواره أحد أصحاب هذه الجنسيات الذي دلّت نظراتـه و(كرشه) على لصوصيته وعدم اختلافه عن شاكلة مضيفه الذي كان يُدعى (العقيد نجم). وبعد نقاش طويل (تكرّم) العقيد نجم بالموافقة على نصب الخيمة ثم استفسر عن موقعها وقال أنه سيمرّ عليها (للاطمئنان). وقد ألقى (الرفيق) العقيد نجم (محاضرة) عن أمن المواطنين وضرورة الحفاظ على أموالهم وأعراضهم وراحتهم كما (أكّد) على أنهم جاءوا بهدف حماية (المواطن) وإزالة الظلم عنه؟؟!!

وقد أثير معه موضوع السطو المسلّح الذي يقوم به بعض اللصوص على المنازل

في وضح النهار والذي (يصادف) أن يكون معهم بعض العسكريين. كما أثير معه موضوع نهب بعض البيوت التي سافر أصحابها والتي تعتبر أمانة في أعناق الجيران. . . وهناك تحرّك (الرفيق نجم) من مقعده مبدياً عدم ارتياحه من (تمادي) الوفد في الطلبات وقال محتجا: «إن من بقي في بيته ولم (يشرد) فإن من حقّه أن يتمتّع بالأمان ويحافظ على ممتلكاته، أما الذين تركوا البلد (وشردوا) فإن أملاكهم تعتبر ملكًا للدولة ولا يحقّ لأحد أن يحافظ عليها، أو أن يمنع الدولة من مصادرتها. لذلك فإن ما يخصّكم هو أملاككم وبيوتكم، أما أموال وبيوت المغادرين فليس من حقكم التكلّم فيها». وقد حاول بعض أعضاء (الوفد) شرح واجبات الجيرة وحق الجار على الجار ولكن البعض الآخر أخذ يغمز له بغلق الموضوع وسدّ باب النقاش والاكتفاء (بالمكسب) الكبير الذي تمّ الحصول عليه بالسماح بنصب الخيمة، قبل أن يغيّر الرفيق رأيه. وقد بيّن هذا النقاش مستوى العقليات التي تسيّر الأمور والنوعيات التي سلطها النظام على الناس، والتي كان همّها الأكبر نهب ما يمكن نهبه قبل فوات الأوان.

ـ النشاطات الاجتماعية

زيارة المعتقلين والأسرى

حفل شهر نوفمبر بكثير من النشاطات المختلفة وكان أهمّها النشاطات الاجتماعية. كما بدأ الناس بتحرّكات مختلفة اتّسمت بالجرأة حتى وصلت حدّ المواجهة مع أزلام العدو في بعض الأحيان. وفي هذا الشهر بدأت تتضّح بعض الأمور التي كانت محاطة بالغموض من قبل. فقد تمّ التعرف على أماكن اعتقال كثير من المجنّدين والشباب الكويتيين الذين تمّ اعتقالهم من قبل جيش العدو سواء خلال الأيام الأولى للعدوان أم أثناء الأشهر اللاحقة. فقد كانت أماكن تواجدهم مجهولة طوال الفترة السابقة حيث قضى ذووهم الأشهر الثلاثة الأولى من الغزو وهم يسألون عن أماكن تواجدهم دون مجيب. كما كانوا يريدون معرفة ما إن كانوا لا يزالون على قيد الحياة. وقد ظهرت إشاعات كثيرة حول تواجدهم في سجون الموصل وبعقوبة والبصرة وغيرها من المدن العراقية. ولكن مع استمرار البحث والسؤال تمّت معرفة أماكن تواجدهم.

وقد بذل أهاليهم جهودًا كبيرة وأموالاً طائلة في سبيل الوصول إليهم والاطمئنان على أوضاعهم.

وكانت أول زيارة تمّت للأسرى في الأسبوع الأول من نوفمبر، حيث نجحت أم أحد الأسرى في الحصول على إذن لزيارة ولدها هناك بعد أن دفعت مبالغ كبيرة لأحد الضبّاط الذي عرّفها على إجراءات الزيارة بعد أن أخبرها بمكان تواجد ولدها. وكانت تلك بدايةً لتدفّق عدد كبير من أمهات وزوجات وأهالي المعتقلين والأسرى لزيارة أبنائهم. وكانت كلما زارت مجموعة من قريبات الأسرى أبناءها في المعتقلات عادت ومعها أسماء بعض الأسرى الكويتيين الآخرين في نفس المعتقل. وقد تبيّن أن آلافًا منهم كانوا يعيشون في معتقلات غاية في القذارة والضيق. إذ كان عشرات الأفراد يعيشون في عنابر لا تسع ربع عددهم وهم يعانون من شدة البرد والجوع والعطش. وقد فقد كثير منهم لياقته البدنية وانخفض وزنه بصورة كبيرة أدّى إلى صعوبة تعرّف أهله عليه في البداية. كما أصبحت ملابسهم رثّة بعد أن مرّت عليهم أشهر وهم لازالوا يرتدونها، ولا يكاد يُسمح لهم بغسلها إلاّ مرة واحدة في الأسبوع. كما كان عدد الحمّامات محدودًا ولا يسمح للمعتقل باستعماله أكثر من مرة كل ٢٤ ساعة. وكانت المضايقات والشتائم تنهال عليهم بسبب وبدون سبب. أما الغداء فكان عبارة عن (صمونة) مستطيلة واحدة باليوم لكل ثلاثة أفراد، وكانت أقسى من الحجر، وكانوا يستخدمون المنشار لقصّها واقتسامها بينهم. كما كان يقدّم لهم (الحساء) مرة باليوم وهو عبارة عن بصل مغلي بالماء. وكان يمنع عليهم حيازة الراديو أو سماع الأخبار. وقد مكثوا مدّة بدون أغطية إلى أن (تكرّموا) عليهم وزودّوهم ببطانيات رثّة كان الإيرانيون الذين أطلق سراحهم من نفس السجن، يستعملونها لمدة ثمان سنوات. وقد قام بعضهم بقصّها وخياطتها على شكل جوارب وقبعّات و(بلوزات).

هذا وعندما وجد الناس أبناءهم في هذه الحالة بدأوا يأخذون معهم الأطعمة والملابس وبقية الاحتياجات الضرورية والتي أصبحوا في أمسّ الحاجة إليها. وكان كل أسير يتقاسم كل ما كان يُحضره له أهله من طعام وكساء مع بقية زملائه. كما بدأ الناس في جمع الأموال وغيرها من الضروريات ليتمّ إيصالها إلى الأسرى. ولم تكن العملية

سهلة، إذ لم تخلُ من (إكراميات) ووساطات وما إلى ذلك من أمور معروفة في سبيل إيصال هذه الأشياء إلى يد الأسرى. فقد كان هناك (جيش) من المنتفعين في كل مجال من مجالات الحياة في ذلك البلد، الذي تمّ إذلال شعبه من قبل حكّامه ليصل إلى مستوى الكفاف ويفقد كثيرًا من الكرامة في سبيل الحصول على أي (مكسب). ومع استمرار زيارة أهالي الأسرى بدأت تتغيّر أحوالهم شيئا فشيئًا. فقد وصلتهم أكياس الرز والسكّر والطحين والمواد الغذائية الأخرى، بالإضافة إلى الملابس والبطانيات والكماليات، حتى أصبحت معتقلاتهم (تفيض) بكل شيء. كما نجح بعض الأهالي في إيصال (الممنوعات) إلى أبنائهم وهي الراديوات وأمواس الحلاقة والسكاكين. وقد استمرّ بعض التجار والأهالي في توصيل مبالغ كبيرة من أموالهم الخاصة إلى المعتقلين بصورة منتظمة إلى أن أصبحوا في وضع يُمكنهم فيه الحصول على كل ما يريدون. . . ما عدا الحرية. ومن الخدمات الجليلة التي قامت بها بعض النساء ما يعجز اللسان عن وصفه. فقد كانت بعض النساء تجمع في بيتها كل يوم ثلاثاء وأربعاء حوالي خمس عشرة امرأة من صديقاتها ليقمن بطهي الطعام وتجهيزه ليتمّ نقله بالسيارات مساء كل خميس إلى المعتقلين في السجون العراقية. وكان هذا العمل لا يخلو من الخطورة في وقت كان فيه العدّو يبحث عن أي حجة لاتهام الناس بالتآمر. كما قامت بعض النساء في تلك الفترة بتأجير أحد الباصات ليقوم بتوصيل أمهات وزوجات وبنات الأسرى إلى العراق أسبوعيًا ليقمن بزيارتهم في المعتقلات. وكانت تمر عليهن في بيوتهن ثم تعيدهن إليها بعد العودة.

وكان نزلاء معتقل بعقوبة أسعد حظًّا من غيرهم في المعتقلات الأخرى بكثير، نظرا لقربه من بغداد وبالتالي سهولة زيارته من قِبل أهالي المعتقلين. أما بقية المعتقلات فكانت لا تتوفّر فيها أدنى الاحتياجات الإنسانية. وقد قاسى المعتقلون فيها أشدّ أصناف العذاب.

الرسائل والمكالمات الهاتفية للأهالي بالخارج

كان من نتائج الاحتلال الهمجي تشريد كثير من الأسر وفصل أفراد الأسرة الواحدة عن بعضهم البعض وعدم إمكانيّة عودة من كان خارج الكويت يوم ٢

أغسطس. وكان كثير من الناس في الخارج لا يعرفون ما جرى لعائلاتهم التي ظلت داخل الكويت. وقد حاول البعض إرسال رسائل لأهلهم في الداخل بينما حاول كثير من المرابطين طمأنة ذويهم بالخارج عن طريق كتابة الرسائل لهم. وكان الوضع أسهل بالنسبة لمن كانوا في الخارج حيث كانوا يبعثون برسائلهم عبر الراديو أو من خلال المقابلات التلفزيونية من محطات دول الخليج. أما الرسائل المكتوبة فكان من الصعب إيصالها عن طريق البريد بسبب الرقابة العسكرية وخوف كلا الجانبين من الكشف عن عنوان السكن بالداخل. لذلك كان يتمّ تبادل الرسائل من خلال طرف ثالث من الأصدقاء الذين كانوا يتنقلون من الأردن إلى الكويت أو من سوريا أو من مصر. فقد سمحت سلطات العدو لغير الكويتيين بالتنقّل من وإلى الكويت ممّا سهّل عملية نقل الرسائل. فكان من له ابن يدرس في أمريكا مثلاً يرسل رسالة باليد مع أحد المسافرين من الكويت إلى سوريا أو الأردن حيث يقوم حاملها بإرسالها عبر البريد من هذه الدولة إلى أمريكا. أما الابن فكان يرسل الجواب إلى العنوان في سوريا أو الأردن ليتم إرساله من هناك مع أحد المسافرين إلى الكويت.

كما نشطت المكالمات الخارجية ابتداء من شهر نوفمبر. فقد كانت أعداد كبيرة من الأسر تتوجّه إلى البصرة أو إلى بغداد لتتمكّن من الاتصال بأبنائها في الخارج بعد أن تمّت معرفة أماكن تواجدهم. وقد انتشرت هذه الظاهرة فيما بعد حتى أصبحت طوابير الانتظار تستمرّ ساعات وأيام. وكان الناس يتحمّلون متاعب السفر الطويل من خلال الطرق التي امتلأت بنقاط التفتيش، والسكن بالفنادق العراقية ذات المستوى المتدني، كما كانوا يضطرون للأكل في المطاعم التي خلت من أي شيء اسمه النظافة، ليسمعوا صوت ولدهم أو قريبهم للاطمئنان عليه وطمأنته عليهم. ولم يكن الوضع يخلو من إهانات. فقد كان بعض أهالي البصرة والمدن العراقية الأخرى يقومون بمضايقة الكويتيين عند مشاهدتهم بالأسواق والفنادق. وكان البعض عندما يشاهد الكويتيين يقول (جاء أصحاب جابر) أو (بوش صار بوش) وكان قصدهم بالطبع الاستفزاز. وكان الكويتيون لا يعيرونهم اهتمامًا، لكن قلوبهم كانت تتوجّه إلى الله سائلين أن يعجّل بالانتقام من الظالمين.

وكان بعض المواطنين يتّصلون بذويهم في الخارج عن طريق أجهزة اللاسلكي التي كانت لدى بعض الهواة وبالطريقة التي ذكرناها في الفصل السابق.

معونات الحكومة وتبديل العملة

مع دخول الشهر الرابع للغزو شحّت أموال المواطنين ولم يبق لكثير منهم أي مبلغ يساعده على العيش الكريم. وقد اضطر عدد من المواطنين لمغادرة البلاد بعد أن وصل الحال بهم إلى بيع كثير من أجهزتهم الكهربائية وبعض أثاث منازلهم ليعيشوا من ورائها. وبالرغم من المساعدات المالية الكبيرة التي قدّمها بعض المحسنين إلاّ أن ذلك لم يكن يكفي لتغطية احتياجات جميع المرابطين.

وفي شهر نوفمبر بدأت بعض الجهات بتوزيع مبالغ معينة من المال على المواطنين من الحكومة. وبالرغم من قلّة هذه المبالغ إلاّ أنها أنقذت الموقف وساعدت كثيرًا من المواطنين على الصمود. وكان عضو لجان التوزيع يتّصل بأحد سكان الحي المعروفين ليحصر عدد المتواجدين في الحي تمهيدًا لتوزيع المبالغ عليهم. وبالرغم من دور هذه البادرة في حل جزء من المشاكل المالية الكثيرة للمواطنين إلاّ أن طريقة التوزيع لم تخلُ من المحاباة للأصدقاء والأقارب و(الكرم) في الإغداق عليهم. فقد استلم البعض أضعاف ما استلمه غيرهم كما أن هناك عائلات كثيرة لم تستلم أي مبلغ من تلك المعونات، وعاشت إلى يوم التحرير على الكفاف. ومن المهم التنويه أن هذا النوع من النشاط لم يخلُ من مخاطرة على الحياة، إذ أن استخبارات العدو كانت لا ترحم من يقوم بأي نشاط من هذا النوع. لذلك فإن من العدل أن نقدّر الدور الذي لعبه كل فرد شارك في هذا العمل الجليل بالرغم من السلبيات.

ومن الأمور الأخرى التي انتشرت في تلك الفترة تبديل العملة الكويتية بالعملة العراقية نظرا لمنع التعامل بالأولى. وكان سعر الصرف يتغير كل يوم تقريبًا حسب العرض والطلب. فقد كان أدنى سعر وصل إليه الدينار العراقي هو ١٠٠٠ دينار

مقابل ٩٠ دينار كويتي. أما أعلى سعر للدينار العراقي فكان ٢٥٠ دينار كويتي لكل ألف دينار عراقي. وكان الحذر والخوف يسيطران على جميع من كان يقوم بالعملية والتي كانت تحاط بسريّة تامة.

وكـان هناك سعران للدينار الكويتي. فالأرقام الملغاة كانت تحسب بأقل من الأرقام الأخرى بكثير. وقد وصلت نصف القيمة في بعض الأحيان. وكان لدى كثير من الناس أمل في استبدالها في يوم من الأيام عند عودة الحكومة. إذ أن كثيرًا من التجار والجمعيات التعـاونية باعوا المواطنين جميع أنواع البضائع مقابل الدنانير (المضروبة) حتى لا يظل المواطن بدون غذاء. كما باع كثير من المواطنين أثاثهم وحتى سياراتهم واستلموا هذه الدنانير التي لم يكونوا على علم بنية الحكومة بإلغائها إلاّ في وقت متأخر. كما كان لدى البعض هذه الدنانير منذ أيام عيد الفطر عندما استلمت هذه الدنانير الجديدة من البنك المركزي ليتمّ توزيعها على الأطفال (كعيديات).

الفصل الخامس
ديسمبر.. الأمل

(١) الموقف الدولي: التحوّل الكبير نحو الحسم

- المحاولات الأخيرة لإقناع العراق بجدية الموقف
- فضح ممارسات النظام العراقي الإجرامية وزيادة الضغط عليه.
- التطورات الأخرى التي حدثت في ديسمبر

(٢) ردود فعل النظام العراقي ومؤيديه

- تمسّك صدام (بحقوقه) بالكويت ومهاجمة الشعب الكويتي
- استمرار التخبّط وتحدّي الرأي العام العالمي

(٣) الوضع في الداخل

- تغلغل جنود العدو في كل حي وشارع
- مداهمة الخيام والتهديد بحرقها
- إعدامات اللصوص
- استمرار المقاومة ودورها في تعقّب المجرمين
- التهيؤ للحرب والاستعداد لمواجهة نتائجها
- الاستمرار في زيارة الأهالي للأسرى ومآسي المعتقلات والسجون

الفصل الخامس
ديسمبر.. الأمل

بزغ فجر اليوم الأول من ديسمبر والناس لا تكاد تحملهم أرجلهم من شدة الفرح والنشوة للإنجاز الكبير الذي تحقّق في نهاية نوفمبر بصدور قرار مجلس الأمن الذي أعطى العراق مهلة محدّدة للانسحاب من الكويت وإلاّ استخدمت ضدّه القوة لإخراجه. وكان المرابطون بانتظار مثل هذا القرار على أحرّ من الجمر وذلك للتأكّد من التوجّه الدولي وحسم الموقف. فقد كانت الأيام التي سبقت صدوره تمرّ كالدهور، بينما المواطنون في انتظار صدور مثل ذلك القرار، ليشدّ من أزرهم ويعطيهم الدافع لإكمال بقية المشوار. وكان شعور الناس قبل صدور القرار كالذي كان ينتظر مولودًا جديدًا ـ بعد عقم طويل ـ وهو يجتاز مخاضًا عسيرًا لا يعرف أي نوع من المولود سيكون بعده.

وكان الناس يهنّئون بعضهم البعض بعد صدور القرار كما لو كان ذلك اليوم يوم عيد. فقد كان التفاؤل يغمر القلوب والابتسامة لا تفارق الوجوه بعد أن تيقن كل مرابط بقرب يوم الخلاص. إذ كان لهذا القرار أثر إيجابي كبير أدّى إلى رفع المعنويات وطمأنة النفوس التي كانت ـ رغم كل الصعاب ـ متيقنةً من حتمية النصر. وقد بدأ المرابطون يعدّون الأيام، بل الساعات، في محاولة لاستباق الزمن والوصول ـ ولو بالخيال ـ إلى ذلك اليوم المنشود الذي سيرون فيه العدو وقد اندحر. وكان الزمن هو الحاجز الكبير الذي لم يكن بالإمكان اجتيازه او اختراق مجالة إلاّ بإطلاق العنان للخيال ليصل إلى ذلك اليوم المنتظر، متخطيًا الأيام الطوال التي سبقته، والتي كان الصبر فيها مرًا كالعلقم وثقيلا ثقل الكوابيس.

وبدأت أيام ديسمبر في المرور يومًا بعد يوم والآمال تزداد والمعنويات ترتفع والخيال يسرح ليصل إلى ما في الوجدان من رغبات وأحلام. وكان الله خير معين في اجتياز تلك المرحلة من الزمن الرديء الذي مرّ بمآسيه وأخطاره والتي لولا عناية الله ولطفه لعصفت بكل ما كان موجودًا على هذه الأرض من حرث ونسل. لكنّ إرادة الله

كانت للمعتدي بالمرصاد، فأعمت بصيرته ومنعته من تحقيق مآربه الدنيئة التي كان يخطّط لها منذ اليوم الأول لاجتياحه هذا البلد.

(١) الموقف الدولي: التحوّل الكبير نحو الحسم

ـ المحاولات الأخيرة لإقناع العراق بجدية الموقف

كان الجد في التوجّه نحو تنفيذ قرار مجلس الأمن هو الصفة السائدة للمرحلة التي تلت صدور ذلك القرار. وبالرغم من ذلك فقد قامت معظم دول التحالف ـ في محاولة لإعطاء الحل السلمي فرصة أخيرة ـ بالطلب من العراق بالتفكير جدياً بالموقف واتخاذ قرار شجاع لتفادي الدمار الذي سيحل به نتيجة لموقفه المتعنّت.

وكان لعرض الرئيس جورج بوش بمقابلة وزير خارجية العراق وسفر وزير خارجية الولايات المتّحدة إلى بغداد، في سبيل حل الأزمة سلمياً، صدى إيجابي كبير في الأوساط العالمية المختلفة. فقد رحبت دول التحالف بهذه المبادرة، بينما سارعت دولة الكويت بموافقتها عليها، بل ووصفها بالحكمة والجرأة وبُعد النظر. كما رحّبت بقية دول الخليج بتلك الدعوة وأيّدتها بريطانيا وفرنسا ومصر وسوريا. وقد أعلنت بريطانيا أن هناك تنسيقًا تامًا بين الولايات المتّحدة وبينها حول مبادرة الرئيس بوش، ووصفت تلك المبادرة بأنها الخطوة الأخيرة لاستنفاذ كل السبل السلمية قبل اللجوء إلى القوة وفقًا لقرار مجلس الأمن رقم (٦٧٨). كما أعلن العراق يوم ١ ديسمبر رسمياً عن قبول فكرة الدعوة وقال إن البلدين سيقومان بترتيب عملية التوقيت للّقائين. ومن ناحيته قام الرئيس جورج بوش بالاتصال بمعظم رؤساء دول التحالف لشرح الهدف من المبادرة. وكان من بين الذين قام بالاتصال بهم صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد والرئيس حسني مبارك. وقد أكّد الرئيس بوش أن الولايات المتحدة لن تدخل في مفاوضات مع العراق يمكن أن تتراجع فيها عن قرارات الأمم المتحدة. كما نفى ناطق رسمي سعودي ما تردّد من أن السعودية قد وافقت على أن تقدّم الكويت تنازلات إقليمية معينّة للعراق

مقـابل الانسحاب. أمّا الكويت فقد أكّدت أنه لا يمكن إجراء أية مفاوضات مع العراق ما لم تنسحب القوات العراقية من الكويت. وقد ناشدت كثير من الدول في تلك الفترة العراق لاتخاذ قرار شجاع بالانسحاب من الكويت لتجنيب نفسه والمنطقة من كارثة محقّقة قد تعصف بالجميع دون تمييز.

وفي هذه الأثناء أعلنت الولايات المتحدة أنها سترسل في غضون أسبوع ٣٠٠ طائـرة من نوع (ستيلث) المعـروفة بطائرات الشبح ليصل حجم القوة الأمريكية في المنطقة مع بداية يناير إلى ١٠٠٠ طائرة. كما أعلن ديك تشيني وزير الدفاع الأمريكي أنه لا يمكن قبول أي حل وسط بالنسبة لانسحاب العراق من الكويت، في حين بيّن استطلاع للرأي أن ٦٣٪ من الشعب الأمريكي يوافق على دخول الولايات المتحدة في حرب ضدّ العـراق إن لم ينسحب من الكويت. أما البريطانيون فيؤيّد ٧١٪ منهم اللجوء إلى الحرب في حالة رفض العراق الانسحاب. أما وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ادوارد شيفردنادزة فقد أعلن أن بلاده لن تتردد في استخدام القوّة ضدّ العراق إذا لزم الأمر لحماية مواطنيها المحتجزين هناك منذ غزو الكويت. وقد أعلن العراق بعد ذلك بيومـين ـ أي يوم ٥ ديسمبر ـ وبعد التهديدات السوفيتية السماح للخبراء السوفيت بالعودة إلى بلادهم. كما قرّر بعد ذلك بأيام إطلاق سراح جميع الرهائن الأجانب. وفي محاولة لتطويل عملية المفاوضات والمماطلة اقترح العراق أن يلتقي صدام بوزير خارجية أمريكا يوم ١٢ يناير وأكّد «أن العراق هو الذي يحدّد المواعيد المناسبة لزياراته واللقاءات برئيسه».

من جانبها أكّدت الولايات المتحدة أن المحادثات مع العراق يجب أن تنتهي قبل نهاية ديسمبر وذلك لقطع الطريق على أية محاولات قد تلجأ إليها بغداد لكسب الوقت وتحويل المحادثات إلى مفاوضات طويلة تمتدّ إلى ما بعد ١٥ يناير وهو الموعد النهائي للمهلة التي حدّدهـا مجلس الأمن الدولي. وكان الرئيس بوش قد صرّح أثناء لقائه بقيادات مجلس الشيوخ الأمريكي أنه بذل كل الخطوات الضرورية باتجاه الحوار وأن صبره يشارف على النفاذ، فيما صرح متحدّث باسم الإدارة الأمريكية أن واشنطن سوف

تلغي زيارة طارق عزيز إذا فشل العراق في تحديد موعد لزيارة بيكر لبغداد. أما جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا فقد أكّد موقف بلاده الرافض لعقد مفاوضات مع العراق حول الكـويت ورفض أي حل سياسي لهذه القضية لا يتضمن تنفيذ جميع قرارات مجلس الأمن الصادر بهذا الشأن، وأكّد أن الخيار العسكري لا زال مطروحًا. كما أكّد وزير الخـارجية الـبريطاني دوجـلاس هيرد أن المـطالبـات بإعـطاء مهلة للعقـوبات الاقتصادية المفروضة على العراق تعني منح القيادة العراقية الوقت الذي تحتاجه لتعزيز حشودها العسكرية وبناء المزيد من خطوط الدفاع. وكان السفير الأمريكي في القاهرة قد صرّح بأن الإدارة الدولية لأزمة الخليج هي اختبار لنجاح النظام العالمي الجديد وهو ما يستدعي العمل على ضرورة إنجاحها.

وفي الأسبوع الثاني من ديسمبر بدأت بعض الأصوات في الدول العربية تدعو لعقد مؤتمر قمة مصغر لحل القضية. كما زار الرئيس الجزائري العراق وبعض الدول العربية محاولا اقناعها بإعطاء فرصة أخرى للعراق لإعادة تقييم موقفه. إلاّ أن هذه المحاولات باءت بالفشل ورفضت مصر ودول الخليج هذه الفكرة. كما أعلنت المملكة العربية السعودية أنه لا يوجد هناك برنامج لزيارة رئيس الجزائر لها وأكدت أن موضوع إنهاء الأزمة أصبح الآن في يد الرئيس العراقي صدام حسين.

ـ فضح ممارسات النظام العراقي الإجرامية وزيادة الضغوط عليه

بدأت معظم دول العالم تمارس ضغوطًا مختلفة على العراق بعد قرار مجلس الأمن رقم (٦٧٨) وذلك لإجباره على الرضوخ للرأي العام العالمي. كما بدأت الأمم المتّحدة باتخاذ مواقف أكثر وضوحًا من ذي قبل. وفي أول قرار لها بشأن احتلال الكويت أدانت الجمعية العمومية للأمم المتّحدة يوم ٦ ديسمبر ١٩٩٠ الاحتلال العراقي والتجاوزات الخطيرة التي تمارسها السلطات العراقية. كما حمّل القرار العراق مسؤولية التجاوزات التي تتمّ وأكّد على أن خرق العراق للاتفاقيات الدولية يستوجب محاسبة المسؤولين عن إصـدار الأوامر بتلك الانتهاكات. كما أكّدت بعض المصادر زيادة حملات التنكيل والضغط التي يتعرّض له السجناء في سجن (أبو غريب) العراقي الذي أطلق عليه

(سجن الباستيل) وأعلن طبيب ايسلندي خرج من الكويت في أوائل ديسمبر أن الجنود العراقيين يتعمّدون إطلاق الرصاص على المواطنين الكويتيين بهدف القتل، حيث يصوبون أسلحتهم إلى الصدور وليس الأقدام أو الأيدي. وقال إن الجنود العراقيين يفعلون ذلك دون أسباب ودون تفرقة بين طفل صغير أو شيخ طاعن في السن. كما ندّدت لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتّحدة يوم ١٠ ديسمبر بالانتهاكات العراقية لحقوق الإنسان بالكويت، وكان العراق الدولة الوحيدة التي صوتت ضدّ القرار. كما أدان صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الممارسات الوحشية التي ترتكبها قوات الاحتلال العراقية بحق الشعب الكويتي في الداخل، وذلك في كلمته التي ألقاها بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان. من جانب آخر أدانت منظمة حقوق الإنسان في العراق في تقرير أصدرته من كندا ممارسات صدام ومرتزقته في الكويت. أما القادمون من الكويت للسعودية فقد ذكروا أن سلطات الاحتلال العراقي قامت بحملات تفتيشية على نطاق واسع في بعض المناطق، وفرضت عليها حظراً للتجوّل لمدة ٤٨ ساعة. هذا وقد قامت طفلة كويتية يوم ١٣ ديسمبر بتسليم رسالة مكتوبة لخافير بيريز ديكويلار من أطفال الكويت، عبّروا فيها عن رغبتهم في العودة السريعة إلى منازلهم ومدارسهم.

في غضون ذلك قرّرت الإدارة الأمريكية سحب سفيرها في الكويت يوم ٨ ديسمبر بعد إتمام رحيل جميع الرهائن الأمريكيين المتواجدين بالكويت، وأكّدت في نفس الوقت أن السفارة ستظل مفتوحة حتى عودة الحكومة الشرعية الكويتية. كما أكّد الرئيس بوش أن سحب السفير الأمريكي من الكويت سيسهّل اتخاذ القرارات الصعبة. أمّا القنصل الأمريكي في الكويت فقد صرّح عقب خروجه أن ما فعله العراقيون في الكويت هو أكبر عملية سطو مسلّحة في التاريخ. وأضاف أنه شاهد بعينيه دبابة عراقية من طراز (تي ٧٢) روسية الصنع وهي تحمل أدوات منزلية بينها ثلاجة، وحاملة جنود مدرعة تسحب قارب نزهة تمّ الاستيلاء عليه من نادي اليخوت في الكويت. في هذه الأثناء نظّمت اللجنة الكويتية العليا في لندن مؤتمراً صحفياً لعشرة من الرهائن البريطانيين ممّن تمّ الإفراج عنهم من قبل السلطات العراقية حيث فضحوا

فيه ممارسات العراق الإجرامية في الكويت. كما نجحت المقاومة الكويتية في تسريب تقرير من داخل الكويت يتضمن وقائع عمليات القتل الجماعي الذي تقوم بها سلطات الاحتلال العراقي فيما أعلن مصدر رسمي باللجنة الدولية للصليب الأحمر يوم ١٦ ديسمبر أن اللجنة لم تلق أي تعاون من سلطات الاحتلال العراقية لمساعدتها في التعرف على الأوضاع الصحيّة للمدنيين الكويتيين الذين تعرّضوا للأذى والتعذيب. كما أعلنت منظمة العفو الدولية يوم ١٩ ديسمبر أن وحشية القوات العراقية في الكويت صدمت مشاعر الملايين من الناس طيلة الشهور الأربعة الماضية، وإن كانت ممارسات مماثلة ترتكب في العراق منذ سنوات. وكانت منظّمة العمل الإسلامي في العراق قد أصدرت بيانًا طلبت فيه من الرأي العام العالمي التضامن مع ضحايا صدام من الشعبين العراقي والكويتي، وأوضحت أن هناك ٣٠٫٠٠٠ امرأة عراقية تقبع في سجون العراق بدون محاكمة، بالإضافة إلى مليون عراقي فارّين إلى الخارج.

وكان لهذه التقارير أكبر الأثر في تحوّل الرأي العام العالمي بصورة كبيرة ضدّ العراق وخاصة في الولايات المتحدة وأوربا. فقد أوضح الرئيس بوش للكونغرس هذه الممارسات التي جعلت المواطن الأمريكي يعيش مأساة المواطنين الكويتيين الرازحين تحت الاحتلال الهمجي، وأدّت إلى بروز غليان شعبي ضدّ العراق خاصّة بعد خروج الرهائن الأجانب الذين كانوا يختبئون في منازل المواطنين الكويتيين، الذين أحاطوهم بالرعاية وقدّموا لهم كل احتياجاتهم بالرغم من الإرهاب العراقي، وعقوبة الإعدام التي كانت تطبّق على من كان يؤوي المواطنين الأجانب. وكان هذا الموقف النبيل للمواطنين الكويتيين نحو ضيوفهم الأجانب أحد الأسباب الرئيسية التي أثرت إيجابيًا على مواقف شعوب أمريكا وأوربا وهزّت مشاعرهم، ممّا أدّى إلى وقوفهم خلف حكوماتهم وتأييدهم للحل العسكري ضدّ العراق لإنقاذ الشعب الكويتي. وفي هذا المضمار أشاد (دان كويل) نائب الرئيس الأمريكي بشجاعة الشعب الكويتي مشيرًا إلى حماية الكويتيين للرهائن الأمريكيين المحتجزين بالكويت وقال «إذا كان الكويتيون قد رفضوا الوقوف موقف المتفرّج فيما كان العراقيون يطاردون الرعايا الأمريكيين، فهل من الصواب أن يقف الأمريكيون متفرّجين على ما يتعرّض له الكويتيون من عمليات تعذيب وهتك للأعراض وممارسات وحشية أخرى».

وفي يوم ١٨ ديسمبر أكّد ثلاثة خبراء أمريكيون في شهاداتهم أمام الكونغرس أن صدام لن يرضخ للقرارات الدولية إلاّ إذا أدرك أن القوة ستستخدم ضدّه، ودعوا إلى عدم مكافأته على العدوان بأي تنازلات. وفي يوم ٢١ ديسمبر صرّحت مصادر أمريكية مطلعة أن الكونغرس بات مستعدًا لإطلاق يد بوش في إعلان الحرب بعد ١٥ يناير ١٩٩١. وقد صرّح جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي يوم ٢٣ ديسمبر أن تصرّفات القيادة العراقية لا تعطي أية بادرة أمل في عدم نشوب حرب في الخليج. كما صرّح مستشار الأمن القومي (برنت سكوكروفت) بأن الرئيس بوش عازم على إخراج صدام من الكويت ولو بالقوة، وأضاف أن الرسالة التي تريد الإدارة الأمريكية توصيلها إلى صدام هي أنها لم ولن تتراجع عن أهدافها المعلنة.

وفي يوم ٢٤ ديسمبر صرّحت مصادر عسكرية أمريكية أن الخطّة النهائية للمعركة المتوقّعة في الخليج سوف تتحدّد خلال اجتماع الرئيس الأمريكي بوش مع (ديك تشيني) وزير الدفاع(كولين باول) رئيس هيئة الأركان المشتركة بعد أن عادا مؤخرًا من زيارتهما للسعودية.

ـ التطورات الأخرى التي حدثت في ديسمبر

كان من الأحداث المهمة التي وقعت في ديسمبر استقالة ادوارد شيفردنادزة وزير خارجية الاتحاد السوفيتي يوم ٢١ ديسمبر والتي اعتبرها العراق ـ كالعادة ـ انتصاراً كبيراً له. كذلك استلم(جون ميجور) رئاسة الوزارة البريطانية خلفًا لمارغريت تاتشر، وتوجّه إلى واشنطن في أول زيارة له خارج بريطانيا بعد تسلّمه هذا المنصب للتشاور مع الرئيس بوش والتأكيد على موقف بريطانيا الثابت من الأزمة. كما عقد في يوم ٢٢ ديسمبر في الدوحة مؤتمر القمة لدول مجلس التعاون الخليجي الذي أكّد وقوف هذه الدول صفًا واحدًا ضدّ الغزو العراقي الغاشم للكويت. وقد توجّه صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد إلى الصين الشعبية بعد انتهاء مؤتمر القمة الخليجي للقاء القيادات الرسمية والشعبية بالصين التي أكّدت دعمها لتحرير الكويت وإدانتها للعدوان العراقي.

وفي يوم ٢٩ ديسمبر قام السيد دان كويل نائب الرئيس الأمريكي بزيارة المملكة العربية السعودية لتفقّد القوات الأمريكية وقضاء عطلة رأس السنة مع القوات الأمريكية هناك. وفي خطوة تؤكّد توقعات نشوب الحرب بدأت مجموعة من الدول الأوروبية في الاستعدادات لإغلاق سفاراتها في بغداد مع اقتراب موعد ١٥ يناير ١٩٩١ وتزايد احتمالات الحرب. كما بدأت تخطّط للقيام بترحيل الدبلوماسيين خلال أيام قليلة.

وفي يوم ٣١ ديسمبر بدأت القوات المتحالفة المرابطة بالخليج في بناء معسكرات اعتقال للأسرى العراقيين في صحراء السعودية تتّسع لحوالي ٢٥٠٫٠٠٠ أسير.

(٢) ردود فعل النظام العراقي ومؤيديه

ـ تمسّك، صدام (بحقوقه) بالكويت ومهاجمة الشعب الكويتي

ظلّ العراق متمسّكا بموقفه بصورة يصعب تفسيرها بالرغم من الضغوط العالمية وظهور شبح الحرب. فقد زعم طارق عزيز أن العراق يُصرّ على تمسّكه بما أسماه حقوقه بالكويت. كما استمرّت وسائل الإعلام العراقية بالعزف على هذا الوتر. وفي لقاء مع مجموعة من الصحفيين الأتراك قال صدام إن الحوار مع أمريكا سيكون غير ذي فائدة «ما لم تقم بإلغاء جميع القرارات التي أصدرها مجلس الأمن بخصوص أزمة الخليج». وكرّر مقولته بأنه غير مستعد لمناقشة قضية الكويت قبل حل القضية الفلسطينية.

وفي خطاب ألقاه صدام في وفد التجمّع الأردني يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٩٠ تكلّم كثيرًا عن فلسطين وعن المباديء وعن أن الغرب هو الذي أشعل الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠ لهدر طاقات العراق وإيران ثم عرّج على الكويت والكويتيين حيث قال «ثم جاءت الأدوار لتظهر على العرب، وأذكر مناسبتين منها ولابد أن أقول لكم إخواني أن السلطات الكويتية قد بدأت تشتري كل شيء ثمين في العراق، حتى

مسبحات الكهرب بدأوا يجمعهونها من السوق، التحف الفنية القديمة بدأوا يجمعونها ، وهناك دوائر تعمل خصّيصًا لتحطيم الاقتصاد العراقي وتتابع هذه الأمور لدرجة أن الدينار العراقي وصل إلى واحد من عشرين تقريباً من قيمة الدينار الكويتي». واستمرّ (القائد الوعد) في بثّ فكره الفذّ على مستمعيه المحترمين بقوله: «إن الكويتيين كانوا يبعثون سفهاءهم إلى العراق، ويحضرون في بعض النوادي ويقومون بعمليّات استعراضية بالشكل الذي يُظهرهم على حساب كرامة وقيم العراقيين. وكان البعض من أولئك السفهاء يقولون سنجعل الماجدة العراقية بعشرة دنانير. فتصوّروا لؤم التخطيط على حساب كرامة العراق لأنه يتحدّث باسم الأمة ولأنه يركز على الشرف عاليا». كما نفث سمومه وبيّن حقده على الشعب الكويتي، الذي نبذه ومرّغ أنفه بالتراب، في تلك المقابلة الهزيلة مع المجموعة الأردنية التي جلس أفرادها كالأخشاب المسنّدة وهم يستمعون لما يقوله بكل ذلّ ومهانة حين قال «إن الكويت كانت جزءًا من العراق، وشعبها جزء من شعب العراق، وأُفسد لدرجة أنه ضيّع إنسانيته، فالإنسان الذي لا يُؤمن ولا يعمل يفقد إنسانيته، أي إنسان في الكون من أي دين ومن أي مذهب ومن أي دولة كان. لقد جعلوا الكثير من شعب الكويت لا يعمل ولا يؤمن، ولو اطّلعتم على صور الحالة في داخل البيت الكويتي لرأيتم العجب. . . فكل معاني الأمراض والانحرافات الموجودة في العالم مجتمعة كلها في بعض أوساط المجتمع الكويتي. إنهم ٢٧٠ ألفًا ويخدمهم مليونان ونصف المليون فهل يجوز ذلك؟ إنها عملية تخريب، ثم يتحوّل هذا الاقتطاع الظالم الذي سكتنا عنه ـ وكان يمكن أن نرتكب خطأ تاريخيًا كبيرًا بالاعتراف به لولا أن إرادة الله بغير ما كُنّا نخطّط له ـ إلى وكر من الدبابير يلسع العراق ويفرّغ سمومه فيه ليضعفه تدريجيًّا إلى أن يُجهز عليه»*.

وقد دلّ ذلك الخطاب على ما يجيش في خاطر صدام من حقد ضدّ الشعب الكويتي الذي أثبت أنه لا يرضخ للظلم ولا يطأطيء رأسه للطغاة. فقد وقف شامخًا ثابتًا طوال تلك الفترة الحرجة رغم الأساليب الإجرامية التي استخدمها صدام ونظامه ضدّه. لذلك كان هذا الخطاب انعكاسًا لمشاعر صدام المليئة بالحقد ضدّ هذا الشعب

* تم نقل هذا الجزء من الخطاب كما كتب في جريدة (النداء) العراقية بتاريخ ٢٦/١٢/١٩٩٠.

الذي وقف بوجهه وأفشل جميع مخطّطاته وبعثر أحلامه. وفي محاولة لاستثارة عواطف المتجمّعين حوله أشار في نهاية خطابه إلى مؤتمر قمّة بغداد وقال إنه أثار قضية (أهله) في الأرض المحتلّة والظروف الصعبة التي يواجهونها وأهمية دعمهم أمام ذلك المؤتمر، وأضاف «انظروا إخواني فوالله إن كل قضية تستحق ألف رأس، وعندما يتذكرها المرء يخرج الدخان من أنفه وعيونه على بعض أولئك البشر. . . حيث أن مئات المليارات مكدّسة ونطلب منهم وكأنّنا نستجدي منهم. . . فبعد انتهاء المؤتمر رفعت الهاتف على عدد منهم وقلت إخواني أرجو أن تُسعفوا الأردن بسرعة وأسعفوا الفلسطينيين بسرعة بأي معونة فهم محتاجون يا إخواني. . . وكان الموضوع كله يدور على حوالي ١٥٠ مليون دولار».

وكان هذا هو الأسلوب الذي كسب فيه هؤلاء اللاهثين خلف السراب، إذ كان وعده لهم بتوزيع الثروة القومية عليهم هو الطُّعم الذي جعلهم يتراكضون خلفه ولا يعيرون للمنطق أو الحقيقة أي معيار، بل كان همّهم هو نيل رضاه وما يتبع ذلك من إغراءات. ففي تونس مثلاً أكّد اتحاد الأدباء والكتّاب العرب يوم ٢١ ديسمبر «أن الثورة الحضارية المتقدّمة التي فجّرها العراق ستفرض الوحدة العربية التي لا يقبل الإنسان العربي سواها بعد أن اختار الخوض في المنازلة الكبرى ضدّ قوى البغي والشر». كما أكّد أمين عام هذا الاتحاد في كلمة افتتح فيها أعمال المؤتمر السابع «أن العراق الذي اختار الانتصار المطلق لحقوق الإنسان العربي لن يتراجع أبدًا عن رفع راية الحق في المنازلة الكبرى التي ستهدم أوكار الذّل والفساد».

وفي الجزائر قدّر الفريق سعدالدين الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري السابق بأن خسائر الولايات المتحدّة الأمريكية في أي صِدام مسلح بمنطقة الخليج العربي لن تقل عن ١٠٠ر٠٠٠ إصابة بين قتيل وجريح. وقال في حديث بثّته إذاعة الجزائر يوم ١ ديسمبر «أن أمريكا متخوّفة جدًا من الإقدام على إشعال فتيل الحرب لأنها تدرك جيدًا حجم الخسائر التي ستُمنى بها سواء في الجانب البشري أم في الجانب الاقتصادي أم في الجوانب السياسية».

وفي عمّان ذكرت صحيفة الرأي الأردنية يوم ٢٤ ديسمبر أن الرادارات العراقية المحمولة جوًّا مثل (عدنان ١) تُمثل كابوسا كبيرًا لطائرات الشبح الأمريكية من طراز (اف ١١٧). ونسب محرر الشؤون العسكرية في تلك الصحيفة إلى تقارير الاستخبارات الغربية القول أن العراق تمكّن من اكتشاف هذا النوع من الطائرات على مسافات بعيدة وبطرق مختلفة وفق التكنولوجيا العراقية المتطوّرة.

وكان من الأمور المستغربة حقًّا في تلك الفترة ما لاحظه معظم المستمعين لإذاعة لندن العربية ومونت كارلو، وحتى إذاعة واشنطن في بعض الأحيان. فقد كانت تلك الإذاعات تقوم بالتركيز على بعض الأخبار التي هي في صالح النظام العراقي بالرغم من كونها غير صحيحة. وقد كانت تلك الإذاعات تنقل ما يقوله راديو بغداد وكذلك بعض المسؤولين العراقيين والأردنيين وغيرهم وتضعه في قالب يوحي للمستمع بصحته، بينما كان الجميع يعرف أنه مختلق. كما كان اختيار هذه الإذاعات للأشخاص الذين تتمّ معهم المقابلات اختياراً غير عادل ومتحيزاً للجانب العراقي ومؤيديه. فقد كانت تنتقي شخصيات معروفة بتحيّزها الكامل للنظام العراقي وتعطيها الفرصة الكاملة لبثّ سمومها واعتقاداتها المشبوهة ممّا جعلها تؤثّر سلبًا على معنويات الناس وخاصة المواطنين الكويتيين الرازحين تحت الاحتلال. كما أنّها أدّت إلى زيادة تأييد السائرين خلف النظام العراقي بسبب المعلومات المغلوطة التي كان يبثها أولئك المحسوبين على ذلك النظام. ونحن هنا لا نعني أن نعترض على إعطاء الفرصة للجميع لإبداء رأيه بصورة ديمقراطية وصريحة دون ضغوط، ولكن ذلك ما كان يجب أن يتم على حساب الحقيقة. فقد كان من الملاحظ أن أكثر من ٧٠٪ من المقابلات من تلك الإذاعات كانت تتمّ مع مؤيدين للنظام العراقي ممّا جعل الناس تشكّ في نزاهة المسؤولين عن تلك البرامج والإذاعات من بعض العرب الذين ينتمون إلى جنسيات معينة، خاصّة وأن أسلوب النظام العراقي في شراء الذمم لم يكن يستثني أحدًا، أو يفشل في الوصول إليه حتى ولو كان في كوكب آخر. وكان الشكّ يزداد عندما يستمع المواطن إلى اذاعات نفس هذه الدول وهي تذيع الأخبار والمقابلات باللغة الانجليزية. إذ كانت الأخبار تذاع بصورة واقعية تأخذ في الاعتبار كل الاتجاهات والميول ولا تميز أي جانب على آخر.

- ٠ استمرار التخبط وتحدي الرأي العام العالمي

استمر العراق دون توقّف في تخبّطه واستهتاره وتحدّيه للإرادة الدولية. فقد نقلت بعض الأوساط الخبرية أن المخابرات العراقية تستعدّ للقيام بأعمال إرهابية تخريبية في عدد من العواصم العربية والأوروبية. وقد جنّدت عدداً من العراقيين المقيمين بالخارج وبعض العرب للقيام بهذه الأعمال. وفي بغداد هدّد سعدي مهدي صالح رئيس المجلس الوطني العراقي يوم ٢٢ ديسمبر باستخدام الأسلحة الكيماوية إذا تعرّض الجيش العراقي لهجوم أمريكي، وأكّد أنه لا توجد لدى العراق أية نوايا للانسحاب من الكويت. كما كان من تصرفات العراق الهوجاء أنه بعث فاتورة قيمتها ١٥٠٫٠٠٠ جنيه استرليني لوزارة الخارجية البريطانية نظير إقامة ١٩ عاملاً بريطانيًا (من ضيوف العراق المحتجزين) بأحد الفنادق منذ شهر سبتمبر. وفي روما ذكرت مصادر مصرفية أن بنك (ناسيونال لاكروا) يلاحق الحكومة العراقية بعد أن أعدّ خبراؤه ملفاً كبيراً يتضمّن التجاوزات الخطيرة التي ارتكبتها حكومة بغداد بالتصرّف المشبوه في مئات الملايين من الدولارات، التي كان البنك قد قدّمها كقرض لتنمية المشروعات الزراعية وبناء محطات توليد الطاقة بالعراق. وكانت مصادر مصرفية فرنسية قد أكّدت قبل ذلك بأيام أن البنك المركزي العراقي قام بطلب تحويل معظم أرصدته المالية بالبنوك السويسرية والألمانية إلى حساب خاصّ بالبنك المركزي الأردني قبل الغزو العراقي للكويت بأيام.

في غضون ذلك ذكرت الأنباء أنه تمّ إعفاء وزير الدفاع عبدالجبار شنشل من منصبه وتعيين الفريق الركن سعدي طعمة عباس بدلاً منه. وقد صرّح وزير الدفاع العراقي الجديد يوم ٢٤ ديسمبر في أول لقاء صحفي له بعد تسلّمه منصبه الجديد «أن قواته سوف تسحق القوات الأمريكية والعربية إذا شنت هجومًا» وقال «إن وزير الدفاع الأمريكي وحلفاءه سيرون الأرض تحترق تحت أقدامهم». أما هاني الحسن المستشار السياسي لرئيس منظمة التحرير ياسر عرفات فقد أكّد يوم ٢٥ ديسمبر عقب اجتماعه بالرئيس العراقي بأن صدام أكّد له أنه لن يقبل بأية تسوية للأزمة قبل حل مشكلة فلسطين. وأضاف هاني الحسن «أن على الرئيس بوش أن يفهم أن الحرب لن تكون

النداء

تصدر عن دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

السبت ١٢ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ ٢٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٠ م - السنة الأولى - العدد ١٤١ - (دينار الكويت - العراق)

Saturday, 29 December, 1990 — 1st Year, No. 141 — Kuwait City

١٠٠ نائب أمريكي يعترضون على الحرب

واشنطن - واع - وقع مائة عضو ديمقراطي في مجلس النواب الامريكي على رسالة توجه ميلدر الموجهة الى الرئيس الامريكي والتي يعرب فيها عن اعتراضه على القيام باي عمل عسكري ضد العراق.. ونقلت شركة «اس بي اس» التلفزيونية عن ميلدر قوله في رسالته ان اي عمل عسكري في المنطقة يهدد بفقدان استقرار الامن العالمي وزعزعة الاستقرار في المنطقة ومصالحها ايضا.

متجرد ملاحظة

أعلنت وزارة الدفاع الامريكية أن فرقة من راقصات التعري ستقدم عروضا للقوات الامريكية في أرض المقدسات. وقالت ان الراقصات سيرتدين ثيابا فضفاضة وأغطية للرأس مراعاة لشروط فهد ! كيف يقول المسلمون، اذن، ان فهد يسيء الى الاسلام ؟!

ملاحظ

نص حديث الرئيس القائد صدام حسين إلى شبكة التلفزيون المكسيكي

سيهزم الجيش الأمريكي

بوش لم يتذكر المبادئ عندما ذهبت جيوشه لتحتل بنما

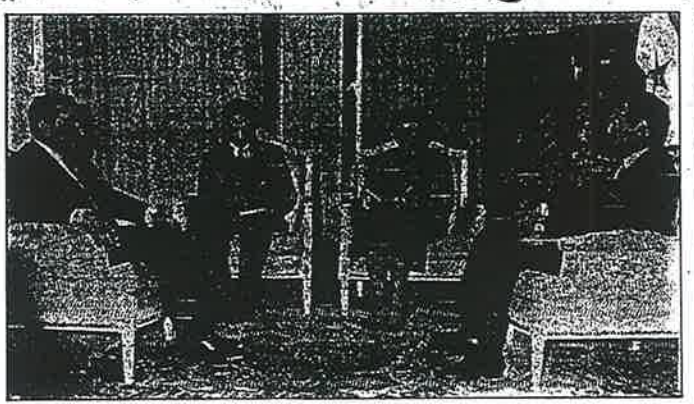

استقبل السيد الرئيس القائد صدام حسين الاثنين الماضي بعثة شبكة التلفزيون المكسيكي «ايكو».

واجرى السيد «فرناندو الكالا» نائب رئيس الشبكة رئيس البعثة مع السيد الرئيس القائد حوارا صحفيا وتلفزيونيا تناول اخر تطورات الاوضاع في المنطقة.

وحضر المقابلة السيد لطيف نصيف جاسم وزير الثقافة والاعلام.

● نص الحوار ص ٣ ●

خلال عام ١٩٩٠

نشاط واسع للرئيس القائد محليا وعربيا ودوليا

حفل عام ١٩٩٠ بنشاط واسع للسيد الرئيس القائد صدام حسين انعكس في حياة شعب العراق العظيم وفي الحياة العربية كلها حتى اصبح سيادته يحق رمز نهوض امة العرب وعنوان مستقبلها المشرق.

وتوزعت نشاطات سيادته في المجالات الرسمية والجماهيرية والحزبية وعلى النطاق الوطني والعربي والدولي.

فقد ترأس السيد الرئيس القائد خلال هذا العام ٧٠ اجتماعا لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب ومجلس الوزراء والقيادة العامة للقوات المسلحة والمسؤولين الاختصاصيين.

واستقبل السيد الرئيس القائد خلال هذا العام ٥٣ رئيس دولة عربية واجنبية و٩٢ مبعوثا لرؤساء الدول الشقيقة والصديقة ورؤساء حكومات ووزراء وسفراء عربا واجانب و٨٠ وفدا مهنيا وحزبيا وشعبيا محليا وعربيا واجنبيا.

وقام سيادته عام ١٩٩٠ بخمس زيارات رسمية خارج العراق.. كما قام السيد الرئيس القائد بـ ٢٥ جولة تفقدية لمحافظات العراق المختلفة واقضيته للاطلاع على احوال الشعب وتفقد سير المشاريع العمرانية وحملات التطوير التي شهدتها مدن العراق كافة بعد تحقيق النصر المبين.

واطلع السيد الرئيس القائد على عشرة معارض للهدايا التي قدمت لسيادته لمناسبات وطنية وقومية مختلفة تعبيرا عن الاعتزاز بقيادته الحكيمة ومواقفه القومية الاصيلة.

● أبرز النشاطات ص ٦ ●

النساء المحتجزات يواجهن القرصنة بكل صلابة

سفينة السلام ما زالت محاصرة

الصين مع الحل السلمي والاتحاد السوفيتي يعيد النظر

تصدع التحالف المعادي العراق

شمس الكرامة الآتية

سريعة وسهلة، وأن المنظمة سوف تقاتل إلى جانب العراق إذا ما اندلعت الحرب في الخليج». أما وزير الإعلام العراقي لطيف نصيف جاسم فقد أكّد مجددًا عدم تراجع صدام خطوة واحدة عن موقفه من احتلال الكويت وقال «إن موقفنا حيال هذه القضية ثابت الآن وحتى بعد ١٠ سنوات». كما أعلن طارق عزيز «أن الخليج سوف يشهد حمامات دم إذا ما رفضت الولايات المتّحدة وحلفاؤها الاستماع إلى وجهة نظر العراق ومناقشتها». وحذّر من أن الحرب ستقوم لا محالة إذا رفضت أمريكا الاستماع لمطالب العراق.

أما علي حسن مجيد وزير الحكم المحلي فقد صرّح لجريدة النداء يوم ٢٥ ديسمبر أن الكويت «أصبحت أحد الرموز الوطنية في نفوس العراقيين عمومًا وتستحق منا التضحية والاستشهاد». وأضاف أن محافظة الكويت تحتاج إلى جهد استثنائي لاسيما وأن الانجليز أفلحوا في غفلة من الزمن في اقتطاعها من العراق العظيم بغايات صهيونية معروفة لتفتيت تراث هذه الأرض العربية». وكانت صورة علي حسن مجيد هذا قد ظهرت في الصفحة الأولى من الجريدة المذكورة وخلفه نجمة سداسية كبيرة ممّا حدا بالسلطات العراقية إلى سحب تلك الجريدة من الناس وسؤال كل من كان يمرّ عبر نقاط التفتيش إن كانت لديه جريدة النداء لذلك اليوم. وقد اشتهرت هذه القصة في تلك الأيام.

هذا وقد استمر العراق في إصدار البالونات الإعلامية على صورة قرارات وإجراءات تعكس في ظاهرها استتباب الوضع الأمني وظهور العراق في المجتمع الدولي كدولة حضارية. فقد أعلن مجلس قيادة الثورة العراقي أن عفوًا عامًا قد صدر عن جميع العراقيين الهاربين إلى خارج البلاد ومن بينهم العسكريين، فيما حذّرت مصادر المعارضة من التعامل مع النظام العراقي ووصفت هذه الدعوة بأنها مناورة اعتياديه قام بمثلها صدام عدة مرات بالسابق ثم أعدم جميع العائدين. كما أعلن في بغداد عن تشكيل (لجان انضباط) في الجامعات والمعاهد العراقية لمواجهة أي بوادر لتحرّكات طلابية معادية للحكم.

أما في الكويت فقد مدّدت (مديرية مرور محافظة الكويت) مهلة تبديل (الأرقام

القديمة) للسيارات لغاية ٢٢ يناير ١٩٩١ . وقد علّقت صحيفة النداء قائلة «إنها مهلة كافية خاصّة وأنها تتعدّى نهاية فترة إنذار المهرج الأمريكي الشهير بوش» .

وقد راجت إشاعة قوية في منتصف ديسمبر من أن هناك لعبة يهيىء لها النظام العراقي لاختلاق سبب ينسحب على أثره من الكويت. وكانت الإشاعة تقول أنه يتمّ الإعداد للقيام (بمظاهرات شعبية) تطالب (بالتضحية بالمحافظة التاسعة عشرة والتمسك بالقائد). وقد تمّ الإعداد لهذه المظاهرة وتجهيز اليافطات التي سيتمّ رفعها فيها تمهيدًا لإعلان صدام عن (رضوخه) للإرادة الشعبية. وقد زعم كثير من الناس أنه شاهد بعض هذه اليافطات في أدراج مكاتب بعض المسؤولين العراقيين الذين عرضوها عليهم.

(٣) الوضع في الداخل

بالرغم من الفرحة العارمة التي عمّت المرابطين بصدور قرار مجلس الأمن الدولي بإعطاء العراق فترة محدّدة للانسحاب من الكويت، إلاّ أن بطش النظام العراقي وتصرّفاته الجنونية التي ازدادت شراسة جعلت المواطنين يعيشون في جحيم. فقد تكثفت المداهمات للبيوت، وازدادت ظاهرة الإعدامات أمام المنازل وانتشر أزلام الاستخبارات والجيش في جميع المناطق، بما فيها المدارس والمراكز الحكومية المختلفة، بالإضافة إلى المخافر مما أدّى إلى انعدام الأمن بصورة شبه كاملة. كما أصبحت ظاهرة الاستيلاء على السيارات التي لم تبدّل أرقامها ظاهرة يومية تتمّ في كل منطقة. وكان التركيز يتمّ على السيارات المرغوبة في العراق كالمرسيدس والشيفروليه والتيوتا وغيرها من السيارات التي يسهل بيعها في العراق. وقد سرقت مئات بل ربما آلاف السيارات بهذه الطريقة في ديسمبر بحيث أصبح مرور السيارات نادراً في الشوارع خاصّة بعد الساعة الخامسة مساء.

ـ تغلغل جنود العدو في كل حي وشارع

كان الجنود العراقيون وكذلك أزلام الاستخبارات لا يتجرّأون على دخول المناطق السكنية في الأشهر الأولى للعدوان بسبب الرّعب الذي دبّ فيهم بعد أن قام شباب المقاومة بملاحقتهم والفتك بهم. لكنّهم وبعد مداهمة معظم المناطق السكنية

وتفتيشها، وإعدام الكثير من شبابها، ووضع مراكز التفتيش أو السيطرات في جميع مداخلها ومخارجها، بدأ الجنود بالانتشار في تلك المناطق، خاصّة بعد أن نهبوا المدارس والمستوصفات والنوادي الرياضية والمراكز التثقيفية، واتخّذوها أماكن لسكنهم وجلب مسروقـاتهم والاحتفاظ بها داخلها. وكانوا يقومون بجولات يومية في معظم الشوارع لجسّ النبض ومعرفة ما كان يدور فيها. وكان كثير منهم يطرق الأبواب لطلب الطعام أو لمآرب أخرى كالسرقة وغيرها. كما كان يلاحظ أن عددًا منهم كان يبحث عن الطعام وحـاجيات أخرى في صناديق القمامة. وكانوا في معظم الأحيان يمشون في جماعات متباعدة زيادة في الحذر وخوفًا من أي طارىء.

كما بدأوا في أوائل ديسمبر ببناء الخنادق تحت الأرض في الشوارع الرئيسية لكثير من المناطق. وكانت هذه الخنادق تزوّد بجميع أنواع المواد الغذائية التي يحصل عليها الجنود والضبّاط بأية طريقة. وقد تمّت تغطية أسقف هذه الخنادق بالنباتات الصحراوية كالعرفج أو أغصان الأشجار أو المزروعات الأخرى (للتّمويه) حتى لا تستطيع أمريكا وحلفاؤها (اكتشاف) تلك المخابىء، بالرغم من أن القاصي والدّاني كان يعرف أماكن الخنادق والطريقة البدائية التي بُنيت فيها. وكانت بعض الخنادق أكثر (فخامة) من غيرها وحسب مستوى الساكنين فيها. فقد بُنيت في بعضها (غرف) للنوم وتمّ رصف أرضيتها بالبلاط وشوهدت جدران بعضها الآخر وقد تمّ تلبيسها (بالبورسلان). كما زُوّد البعض الآخـر بالأسرّة والسجـاد وكـل (أسبـاب الـراحـة). وكان ذلك بالطبع من (الغنائم) التي جادت بها أيدي الأشاوس الذين لم يتركوا بيتًا سافر أهله إلاّ ونهبوه ونقلوا ما فيه إلى العراق. وتعتبر هذه الأشياء التي زودت بها الخنادق من بقايا تلك الغنائم التي استغنى عنها (مكتسبوها).

زيارات (الضيوف الثقلاء) للخيام ومحاضرات (فطاحلة) العلوم العسكرية*

مع انتشار ظاهرة نصب الخيام في مختلف الأحياء السكنية بدأ نوع من الطمأنينة

---

* دارت الأحداث المذكورة في هذا الجزء والجزأين التاليين له في الخيمة التي نصبت في أحد أحياء منطقة مشرف التي يسكنها الكاتب.

يدبّ بين الأهالي، الذين أخذوا يشعرون بتواجد من يحميهم أثناء الليل، مما أدّى إلى انخفاض عدد السرقات في المناطق التي كانت بها حراسات ليلية وخيام. لكن ذلك لم يمنع أجهزة الاستخبارات العراقية من تكثيف أنشطتها في المناطق السكنية، وتعقّب الناس ومراقبة المنازل سواء للبحث عن المقاومة أم للسلب والنهب. وقد بدأ عدد من هؤلاء في دخول الخيام كأفراد عاديّين محاولين الحصول على أي معلومات من المواطنين الـذين لم يُشعروهم بأي ترحيب. لكنهم كانوا دائمي التواجد والمراقبة. فقد كانت سياراتهم تحوم حول تلك الخيام خاصة بعد منتصف الليل دون استخدام الإنارة بهدف مفاجأة الجالسين فيها. كما كان بعضهم يُطيل الجلوس بين المناوبين للحراسة ويحاول بدء نقاش معيّن أو حوار ما معهم لعلّه يحصل على معلومات معينة، إلاّ أن إجابة المتواجدين كانت دائمًا مقتضبة والتجاوب معهم كان معدومًا. لذلك انقطع بعضهم عن الـزيارة بعـد أن أحسّ بعـدم الترحيب به، بينما استمرّ البعض الآخر أملاً في الحصول على أي معلومات.

كما أخذ بعض الضبّاط والجنود بالتردّد على الخيام للهدف نفسه، أو في سبيل شرب الشاي على مدار الساعة، وتناول الأطعمة كالبسكويت والمعجّنات وغيرها مما كان متوفرًا بالخيام. وكان هؤلاء الضبّاط والجنود عديمي الحياء والغيرة كثيري الطلبات وكأنهم في بيوتهم. وكان إذا صادف عدم توفر بعض المواد الغذائية في بعض الأحيان يتساءلون أين الشيء الفلاني أو الحاجة الفلانية. وكانوا مُتلهفين لتناول أي نوع من الطعام من شدّة الجوع ورداءة الأكل الذي اعتادوا على تناوله. وكانوا لا يتورّعون عن طلب الطعام من أي شخص. وكان بعضهم يقضي ساعات طويلة في بعض الخيام، حتى أن كثيرًا من الجلوس كانوا يملّون من المجاملة ويتركون الخيمة ليتوجّهوا إلى مكان آخر لعلّهم يستطيعون النطق بكلمة. فقد كان الجميع كثيري الصمت أثناء تواجد هؤلاء حتى لا يُعطون أي فرصة لهم للحصول على أية معلومة وحتى يشعروهم بعدم الترحاب بهم.

وكان الكثير منهم عقيم التفكير محدود الذهن كالببّغاء، ينطق بما يتمّ تلقينه أو سماعه من أسياده بالرغم من حصوله على رتبة عالية بالجيش. فقد كان الواحد منهم

يصف إمكانيات الجيش العراقي وكأنه يتكلم عن أقوى جيش في العالم عدة وعدداً. وكانوا يردّدون ما يسمعون من إذاعتهم من أن الجيش الأمريكي لن يستطيع الصمود أمام التجهيزات والاستحكامات العراقية. وكانوا يعدّدون تلك التجهيزات من آلاف الدبابات والطائرات بمختلف أنواعها وكذلك الأسلحة الكيماوية (والسلاح المزدوج) الذي كانوا دائماً يؤكدون على أهميته ويتغنّون بقدرته على الفتك بأعداد كبيرة من الأمريكان. وبعد سرد كل هذه الخزعبلات يختمون قصصهم بوجود (السلاح السري) الذي لم يعلن عنه بعد ولا يعرف عنه أحد أي شيء بما فيهم الأمريكان. ويستطرد (خبراء الأسلحة) هؤلاء ليتوصّلوا إلى نتيجة بأن هذا هو السبب في عدم تجرّؤ أمريكا ببدء الحرب. كما يؤكّد آخر من (فطاحلة) العلوم العسكرية العراقيين بقوله أن هذا هو سبب (إلغاء) أمريكا لمناوراتها العسكرية التي كان من المقرّر إجراؤها في شهر نوفمبر الماضي، إذ أن «السيد الرئيس القائد» أنذرهم بإفناء قواتهم إن تجرّأوا وقاموا بهذه المناورة. ويجيبه (خبير) آخر بقوله إن عدم قيام الحرب ـ وكان هذا هو اعتقادهم الراسخ وأملهم الكبير ـ سيُثبت أن العراق أصبحت دولة عظمى لا يستطيع أحد الوقوف أمامها أو التعرّض لها. وكان كل هذا الهراء يروى على الجالسين الذين كانوا يلوذون بالصمت ويمرّ في مخيلتهم شريط الحرب العراقية الإيرانية، وكيف أن هؤلاء الجنود (الأشاوس) كانوا يفرّون كالجرذان أمام الإيرانيين الذين لم يكونوا يملكون جزءًا، ولو بسيطًا، من أنواع وكميات الأسلحة التي كانت بأيدي العراقيين. فكيف ـ والحال كذلك ـ سيصمد هؤلاء المتخلّفون أمام أكبر ترسانة أسلحة في العالم تمّ تجهيزها من قبل أكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ بهدف طردهم من أرض ليست بأرضهم، وهم بهذه الحالة من سوء التغذية والجهل المدقع بجميع الأمور، بما فيها الأمور العسكرية التي هي من اختصاصهم، أو هكذا يجب أن تكون.

السيد مالك ومعجزاته

كان من القصص التي سطّرها (صناديد القرن العشرين) ما يخجل أي عربي أن ينقلها، خاصّة وهو يروي ذلك عن أُناس من بني جنسه وعنصره. لكن صداماً لم يترك

أي قدسية لهذه القيم. فقد كان الجنود والضبّاط العراقيون يروون بعض القصص الخرافية ـ أثناء تردّدهم على الخيمة ـ والتي كانت تعكس عقليتهم المتخلّفة وعُقم تفكيرهم. فقد روى أحد الضبّاط أثناء تواجده بالخيمة قصة بعض (المعجزات) التي كان يقوم بها أحد (سادة) صدام. اذ كان هناك شخص يُدعى (السيد مالك) في العراق وهو مقرّب جدًا من (السيد الرئيس) الذي يستشيره في كثير من الأمور. وكان السيد مالك يقدّم كثيرًا من النُصح والخدمات (للقيادة). وكانت إحدى معجزاته أن جسر الكوت كان تحت حمايته أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وكان إذا قامت الطائرات الإيرانية بالهجوم على ذلك الجسر يقف السيد مالك عليه ناشرًا عباءته (بشته) بين يديه لحماية الجسر من القصف. وكانت القذائف تتساقط بعيدًا عن الجسر دون إصابته، وذلك بفضل السيد مالك!!! أما الضّابط الآخر فكان يومىء برأسه تأييدًا لقول رفيقه، بينما كاد الملل أن يقتل الجالسين لولا صورة (الباتمان) التي بدأت تطغى على مخيّلتهم وهم يسرحون بالتفكير حول وصف السيد مالك وهو واقف بعباءته ليحمي الجسر العتيد. . . ويستطرد هذا الضابط ـ مسطراً معجزات السيد مالك ـ فيقول إن صداماً كان في زيارة للسيد مالك في أحد الأيام، وبعد انتهاء الزيارة استأذن للخروج، لكن السيد مالك أصرّ على أن يتناول صدام ومرافقوه الغداء في بيته، إلاّ أن صداماً اعتذر لارتباطه بمواعيد سابقة وغادر المنزل. وعند محاولة تشغيل سيارات الموكب لم تتحرّك أي واحدة منها. وقد استمرّت محاولات التشغيل دون جدوى فاضطر صدام ومرافقوه للعودة إلى بيت السيد مالك وتناول الغداء عنده. وقد تمّ تشغيل جميع السيارات بعد ذلك وعاد صدام ومرافقوه من حيث أتوا. أمّا المعجزة الكبيرة الأخرى للسيد مالك فكانت انتقامه من أحد الأشخاص الذي كان يرافق زوجة أخيه لتوصيلها إلى أحد الأماكن، فما كان منه إلاّ أن خان أخاه واعتدى على عرضه. وعندما اشتكى الأخ المجني عليه للسيد مالك تمّ إحضار المعتدي (فدعا عليه) السيد مالك فتحّول نصفه العلوي إلى كلب والنصف الآخر بقي كما كان. وقد تمّ ربط ذلك (المخلوق) قرب بيت السيد مالك فترة طويلة ليقوم الناس بمشاهدته!!!

هذا وكان لتردّد الجنود والضبّاط ورجال الاستخبارات العراقيين على الخيام (ميزات) و (مساوىء) للجانبين الكويتي والعراقي. فمن الجانب الكويتي كان الخوف

من أنّ تواجد هؤلاء بالخيمة يعني الترصّد لما يجري بالمنطقة والتجسّس على المواطنين ومعرفة ما يدور بينهم ولو بصورة هامشية. وكان من الصعب على المرابطين بالطبع الطلب من هؤلاء عدم الجلوس معهم بالخيمة، بالرغم من أن تلك (الزيارات) كانت ذات محاذير ومخاطر قد تؤدي إلى عواقب وخيمة لو أن أحدًا زلّ لسانه وتلفّظ بكلمة لا تتماشى مع ميولهم. وقد حدث هذا بالفعل عدة مرات. فقد حدث أن كان أحد كبار السنّ من المرابطين يتبادل الحديث مع أحد الجنود فبدرت منه عبارة كانت ستؤدي إلى مشكلة لولا لطف الله. فقد ذكر لهم حديث الإمام علي بن أبي طالب عن أهل العراق عندما قال لهم وهو يخاطبهم «يا أهل العراق... يا أهل الغدر والنفاق...». وقد استدرك المواطن بعد قليل وغيّر مسار الحديث. أمّا في المرة الثانية فكان اثنان من رجال الاستخبارات يتحدّثون عن الإمكانات السياحية في شمال العراق والمناظر الجميلة والمناخ الرائع هناك، وكان أحدهم من الأكراد. فما كان من أحد الجالسين إلاّ أن بادر بالكلام وقال إن الشمال في العراق من أجمل بقاع الأرض وكان يُمكن للسياحة هناك أن تجذب الناس من جميع أنحاء العالم لولا طبيعة الشعب العراقي المحب للحروب. ولم يُعجب هذا الكلام رجل الاستخبارات الذي تغيّرت ملامح وجهه وكان سيبدر منه بعض ردّ الفعل المجهول لولا تقديم الشاي والبسكويت له (في الوقت المناسب).

أما (الميزة) في تردّد الجنود على الخيام فهي أنه وبالرغم من (ثقلهم) على القلوب إلاّ أن تواجدهم بالخيمة في بعض الأحيان قد يوحي لرؤسائهم بأن الشارع الفلاني أو الحارة الفلانية (مسالمة)، وتعتبر من الأماكن الآمنة بالنسبة لهم، وربما يؤدّي ذلك الشعور إلى التفكير بتخفيف المضايقات لتلك الأحياء وعدم تفتيشها بصورة مستمرة.

أما بالنسبة للعراقيين فكانت (الميزة) بالنسبة لهم التمتع بشرب الشاي في أي وقت وأكل ما لذ وطاب من المأكولات التي لا يحلمون بالحصول عليها سواء في العراق أم من خلال الوجبات التي تقدّم لهم من قبل الجيش. أمّا المساوىء من وجود الخيام بالنسبة لهم فكانت عدم تمكّنهم من السرقة والنهب. فوجود الخيمة كان يعني الحراسة المستديمة ورصد أي حركة مشبوهة من أي غريب قد يمرّ بالشارع، سواء أكان مترجلاً

أم في سيارة، مدنيًا كان أم عسكريًا. وكان هذا يزعجهم، خاصّة في أواخر الأيام في ديسمبر عندما استمرّت الحراسة ٢٤ ساعة في معظم الخيام.

وكان جنود الاحتلال لا يأمنون جانب أحد من الكويتيين، إذ كانوا يدخلون الخيام بأسلحتهم فيما كان واحد منهم على الأقل ينتظرهم في السيارة التابعة لهم خارج الخيمة.

ـ مداهمة الخيام والتهديد بحرقها

لم يكن كبار مسؤولي المخابرات العراقية مرتاحين من انتشار الخيام. إذ أن ذلك وضع حدا ـ ولو بصورة جزئية ـ لعمليات السرقة للسيارات والتي كانوا يقومون بها أثناء الليل، وكان هذا أحد أهمّ تخصّصاتهم. لذلك كانوا يضايقون أصحاب الخيام وينذرونهم بضرورة إزالتها. وقد هدّدوا بحرق كثير من الخيام ومعاقبة المتواجدين فيها إن هم استمرّوا في نصبها للحراسة مما أدّى إلى إزالة عدد كبير منها في أواخر ديسمبر فعادت بعدها عمليات السرقة بالازدياد. وكان الذين نجحوا في إبقاء خيامهم هم الذين استغلّوا ظاهرة خوف الضبّاط العراقيين من بعضهم البعض وتمكّنوا من إقناع أزلام المخابرات بأن لديهم موافقة من الرفيق فلان أو العقيد فلان للإبقاء على الخيمة. وكانت أسماء مسؤولي المخافر وتلفوناتهم تتداول بين الناس وتُستعمل لتخويف بعض الضباط الذين هم أقل رتبة منهم. وقد استفاد كثير من المواطنين من هذه الظاهرة. إذ كانت طبيعة المسؤولين في ذلك النظام الاستبداد بمرؤسيهم والرعب من رؤسائهم.

ومن المشاكل الكثيرة التي صادفها المناوبون للحراسة أثناء الساعات المتأخرة من الليل المداهمات التي كان يقوم بها أزلام الاستخبارات. فقد كانوا ينشطون في تلك الساعات نظرًا لخلوّ الشوارع من الناس مما يسهّل عمليات السطو. وقد حدث في إحدى الليالي أن كان عدد من المناوبين جالسين بالخيمة للحراسة بعد صلاة الفجر مباشرة، وكانت الساعة حوالي الخامسة صباحًا. وإذا بمجموعة من السيارات تدخل

الشارع فجأة وهي مطفأة أنوارها ومتوجّهة نحو الخيمة. وكانت المجموعة مكوّنة من أربع سيارات مدنية وسيارتين عسكريتين. فترجّل منها عدد من الضبّاط والمدنيين بعد أن وقفت عند باب الخيمة وسأل قائدهم من في الخيمة ـ بعد أن طلب منهم الوقوف ـ ماذا تعملون هنا؟ فوقف الجميع وكانوا ثلاثة وأجابوا بأنّهم يقومون بالحراسة. فنهرهم وقال إن الحراسة والأمن هو عملنا وليس من اختصاصكم. فحاول من بالخيمة تهدئته وطلبوا منه الدخول والجلوس لشرب الشاي والتفاهم. فدخل بعد تردّد ونقاش قصير وطلب من مرافقيه البقاء خارج الخيمة، فانتشروا حولها وهم يحملون أسلحتهم ووقف البعض الآخر قرب سياراتهم، وكأنّهم في مواجهة قوة عسكرية تتأهّب للهجوم عليهم. فأعاد رئيسهم السؤال مرة أخرى عن سبب البقاء بالخيمة إلى هذا الوقت بالرغم من قانـون منع التجوّل، وكانت تبدو عليه علامات السكر. فعرض عليه الشاي وعلى مرافقيه وكانوا ما بين خمسة عشر إلى عشرين شخصا. فشربوا الشاي بعد أن طلبوا من الذي قدّمه لهم أن يشرب قبلهم (خوفًا من أن يكون الشاي مسمومًا). ثم بدأ شبه استجواب للمتواجدين بالخيمة حيث تمّ إقناعه بعد حوار طويل بأن لديهم موافقة من (العقيد نجم) رئيس (مخفر) مشرف للحراسة. وقد نجح هذا الأسلوب معه. واستمرّ بعد ذلك في إلقاء محاضرة عن «السيد الرئيس القائد» وأن الجيش العراقي جاء لينقذ الكويتيين من الظلم والاضطهاد، وأن العراقيين والكويتيين أصبحوا شعبًا واحدًا بعد تحقيق الوحدة وما إلى ذلك من سفاهات. وفي حوالي الساعة السادسة صباحا، وقبل شروق الشمس بنصف ساعة تقريبا غادروا المكان بعد أن تركوا (رقم تلفونهم) ووعدوا (بالمساعدة) في حالة طلبها منهم في وقت الحاجة.

وبعد هذه الحادثة بخمس ليالٍ داهم نفس الشارع عدد أكبر من السيارات يصل إلى العشرة تقريبا وكانوا يريدون أحد البيوت بجانب الخيمة. فتوقّفت سياراتهم أمام ذلك البيت وبجانب الخيمة، ونزل مـا يقـارب ثلاثين شخصًا ما بين جندي وضـابط ورجـل مخابرات وأحاطوا البيت من كل جانب وفتحوا بابه ودخلوه. فتوجّه نحوهم من كان بالخيمة من الشباب ـ وكانوا أربعة ـ ليستفسروا عن الموضوع، فسألهم الضابط عن صاحب البيت فأخبروه بأنه مسافر. وكان في الواقع يتواجد أثناء الليل في

منـطقة أخرى خارج مشرف وتبقى عائلته بالبيت. وطلب رئيس المجموعة من أحد المتـواجـدين بالخيمة من الشباب الدخول معهم داخل البيت أثناء تفتيشه. وبعد الانتهاء من عملية التفتيش طلبوا من الشباب عدم إعلام أحد بموضوع التفتيش. وغادرت السيارات المنطقة. فتوجّه الشباب بعد ذلك نحو البيت للاطمئنان على العائلة وطرقوا الباب دون مجيب، وكان الباب مفتوحا. وعند محاولتهم الدخول هجم عليهم جنديان من داخل المنزل وألقوا القبض عليهم واقتادوهم إلى إحدى الغرف وإذا بعدد من الجنود والضبّاط الآخرين مختبئين في البيت لعمل كمين لصاحبه. وقد تمّ ضرب الشباب والتحقيق معهم وإبلاغهم بأن عقوبة ما فعلوه هي الإعدام. فحاول الشباب إقناعهم بأنهم جاءوا ليطمئنوا على النساء والأطفال حيث أنهم جيرانهم وأنّ النبي ــ صلى الله عليه وآلـه وسلم ــ قد أوصى بالجار ولكن ذلك لم يقنع العراقيين الذين استمرّوا بالتهديد. وبعد نقاش طويل طلبوا منهم مغادرة المنزل وعدم الرجوع إليه مرة أخرى كما هددوهم بالإعدام في حالة إبلاغ أحد بما حصل. فخرج الشباب وعادوا إلى الخيمة إلى أن بزغ الفجر وكان هذا موعد قدوم ربّ العائلة إلى بيته. وقد اعتاد أن يمرّ بالخيمة ليشرب الشاي يوميًا قبل التوجّه إالى المنزل. لكنّه في ذلك اليوم توجّه رأسًا نحو منزله فهبّ من كان بالخيمة وهم يؤشرون له بالابتعاد فأحسّ بالموضوع وما كان منه إلاّ أن غادر المكان بسرعة دون انتباه العراقيين المتواجدين داخل بيته. وقد اتصل بالخيمة عن طريق التلفـون بعـد حوالي نصف ساعـة حيث تمّ إعـلامـه بالموضوع. وبقي العراقيون ثلاثة أيام بالبيت دون نتيجة. وبعد خروجهم من البيت تبيّن أنهم كانوا يحاصرون النساء والأطفال في غرفة واحدة وقد انتشروا في جميع أنحاء المنزل، وكانوا يتخذون الغرف العلوية من البيت مكانًا لمراقبة ما كان يدور بالشارع. كما كانوا يُجبرون النساء على خدمتهم وطبخ الطعام لهم. ومن الأحداث التي ترويها العائلة أن طفلتهم البالغة من العمر سنتين كانت كثيرة الحركة وقد توجّهت في إحدى المرّات للغرفة التي كان يتواجد بها الجنود العراقيون. وبعد قليل سمعوا صوت الطفلة وهي تصرخ. وبعد توجّههم نحـوهـا تبـيّن أن أحد الجنود العراقيين قد أمسك بالطفلة وأحرق إصبعها بقدّاحة السجائر «عقابًا لها على تجرّؤها بالتوجّه لغرفتهم». كما أخبر أهلها بأن هذا سيعلّمها عدم الدخول إلى الغرفة مرة أخرى.

ـ إعدامات اللصوص

من المفترض حسب القوانين العراقية التي سنّها صدام وزمرته أن يتمّ إعدام اللصوص ومنتهكي الأعراض في حالة القبض عليهم. إلاّ أنه لو تمّ تطبيق ذلك القانون لما بقي ضابط أو جندي في الجيش العراقي على قيد الحياة. فقد بيّنت الأحداث التي وقعت في الكويت أن الجميع كان (يتحلّى) بهذه الصفة التي أصبحت من المميزات البارزة لهذا الجيش (المغوار). إذ لم يترك هذا الجيش بيتًا أو شقة أو متجرًا أو مخزنًا أو مصنعًا أو مخفرًا أو مستشفى أو مدرسة أو معهدًا أو كلية أو ناديًا رياضيًا أو وزارة أو مؤسسة أو طائرة أو سيارة أو قاربًا أو حيوانًا من أي نوع . . . أو أي شيء وقع عليه بصره إلاّ وسرقه. وكانت السرقة ظاهرة عامّة تحدث آلاف المرات يوميًا أمام الأشهاد ويتمّ نقل المسروقات بالشاحنات إلى العراق دون سؤال. ولكن وبعد استفحال قضية مداهمة المنازل والاعتداء على الأهالي وسرقة ما فيها من مجوهرات وأموال من قبل بعض الجنود والضباط (غير المخوّلين)، وزيادة شكاوى المواطنين وانتشار أخبار هذا النوع من السلب والنهب عالميا، رأى النظام أن هناك فائدة ـ ولو إعلامية ـ من وراء البحث عن كبش فداء يتمّ التضحية به وفي نفس الوقت يتمّ إظهار الموضوع للعالم الخارجي وكأنه موضوع عادي يمكن أن يقع في أي بقعة من العالم، حيث أن اللصوص يتواجدون في كل مكان.

وقد حدث بالفعل أن تمّ القبض على أعداد كبيرة من الضبّاط والجنود وموظفي الاستخبارات الذين قاموا بالسطو المسلح على المنازل واعتدوا على الأعراض ونهبوا الأشياء الثمينة. ولكن العقاب طُبّق على سبعة منهم فقط، لتحقيق الهدف الذي ذكرناه وهو التطبيل الإعلامي. وقد سبق ذلك استدعاء بعض المواطنين الذين سبق وأن تقدّموا بشكاوى للمخافر حيث تعرف بعضهم على عدد ممن تمّ القبض عليهم من العسكريين بعد أن عُرضوا عليهم. أما (القطط السمان) منهم فلم يحاسبوا أو يعاقب أحد منهم. وقد تمّ إعدام العسكريين السبعة أمام المواطنين وتمّ تعليقهم على أعمدة النور في بعض المناطق لعدّة أيام زيادة في الحرص على وصول (الرسالة الإعلامية) المطلوبة للعالم الخارجي.

وقـد (حـرص) «السيد محافظ المحـافظة التاسعة عشرة» على استدعاء بعض المواطنين الذين سبق وأن تقدّموا بشكاوى للمخافر حول هذا الموضوع وأكّد لهم على «اهتمام القيادة براحة وأمن المواطنين». كما قدم لهم أسفه على عدم معالجة تلك الظاهرة بصورة سريعة نظرًا «لنوعية الذين تقدموا بشكاوى في البداية». إذ كان معظمهم من الشيعـة ومن أصل إيراني حسب قوله، وقد أعطى هذا نوعا من الشك للقيادة بأن الموضوع غير صحيح وأن الهدف من تلك الشكاوى كان «لتشويه سمعة جيش العراق البـاسـل». وأضـاف أنه وبعد استفحال الأمر تأكّدت القيادة من صحته واتخّذت الإجراءات الكفيلة بمنعه. وكان هذا الزّعم بالطبع من ضمن المحاولات الكثيرة التي كان يقوم بها النظام العراقي لشقّ صفوف الكويتيين الذين وقفوا صفًا واحدًا في وجهه دون أن يفكّر أحد منهم لأي مذهب ينتمي، فهو يدافع عن أرضه وعرضه ضدّ غزاة طامعين لا يعرفون شيئا اسمه الدين أو المذهب أو العقيدة.

ـ استمرار المقاومة ودورها في تعقّب المجرمين

استمـرّت المقـاومـة في تعقّب جنـود الاحتلال وملاحقة أفراده بعد أن طوّرت أساليبها وأخذت تنفّذ عملياتها بعيدًا عن المناطق السكنية في تصيّد أرتال العدو ووضع السيارات المفخّخـة في أماكن تواجده. وقد تميّز شهر ديسمبر بتفجير عدد كبير من السيارات المفخّخة. وقد شهدت معظم مناطق تواجد العدو هذه التفجيرات. فقد وقع عدد لا بأس به من تلك التفجيرات في دوار مستشفى العظام كما وقع عدد آخر أمام بعض الفنادق وقرب مراكز تجمّعات العدو.

ومن الحوادث التي وقعت في تلك الفترة أن عددًا من الجنود والضبّاط كانوا قد داهموا أحد البيوت في إحدى المناطق السكنية، وتمّ نهب البيت والاعتداء على أهله. ووصل الخبر إلى إحدى فرق المقاومة التي كانت متواجدة في تلك المنطقة. فأخذ بعض أفـرادهـا أوصـاف الأشخـاص الذين قاموا بالجريمة ونوع سياراتهم من قبل العائلة المعتدى عليها. وبعد البحث عن هؤلاء في بعض المخافر القريبة تمّ العثور على السيارة

في أحدها. كما تمّ التعرف على بعض أفراد تلك المجموعة من قبل بعض رجال المقاومة الذين دخلوا ذلك المخفر بحجّة السؤال عن بعض المفقودين. وزيادة في التأكيد تمّ جلب أحد أفراد العائلة التي تمّ الاعتداء عليها فتعرفت على السيارة. فنصبت المجموعة كمينًا للسيارة حيث تمّ تعقبها وهي تغادر المخفر متّجهة إلى إحدى المناطق غير المسكونة والتي كان عدد كبير من البيوت فيها تحت الإنشاء. وكان في تلك السيارة أربعة عسكريين عراقيين ما بين ضابط وجندي. وعند ترجّلهم من السيارة توجّهوا إلى أحد تلك البيوت التي كانوا يحتفظون فيها بمسروقاتهم. فما كان من أفراد المقاومة إلاّ أن أطلقوا عليهم النيران وأردوهم قتلى. ثم دخلوا البيت للبحث عن مكان لإخفاء الجثث فيه وإذا بهم يفاجأون بوجود فتاة مربوطة في ذلك البيت. وعند الاستفسار منها تبيّن أن أولئك الطغاة كانوا قد ربطوها في ذلك البيت منذ فترة بعد أن خطفوها واعتدوا عليها. وقد قام رجال المقاومة بتوصيلها إلى أهلها في إحدى المناطق.

ومن الأعمال التي تمّ تنفيذها في ديسمبر أيضًا ما قامت به إحدى مجموعات المقاومة في فندق شيراتون في آخر ساعة من عام ١٩٩٠. فقد اتصل بهذه المجموعة بعض المواطنين وأخبروهم أن هناك إحدى الفتيات تشتكي من ممارسات بعض كبار الضبّاط العراقيين معها وإجبارها على مرافقتهم في حفلاتهم وأماكن تواجدهم، وهي تريد القيام بعمل ما ضدّهم. فما كان من هذه المجموعة إلاّ أن جهّزت قطعتين كبيرتين من الكيك، وقد تمّ رسم علم العراق عليهما وتزيينهما بالقطع الصغيرة من الحلويات والقطع التي تستخدم في تزيين الكيك. كما تمّ وضع كمية من (السيانايد)، وهي مادة سامة في إحداهما ووضعت عليها إشارة معيّنة لتتعرف عليها الفتاة. وتمّ تسليم القطعتين مساء ذلك اليوم إلى الجهة المتفّق معها على استلام (الهدية). ويبدو أن الحفلة في تلك الليلة كانت عامرة، لكن منفّذيها لم يستطيعوا متابعة أحداثها إذ تمّ القبض عليهم في الليلة التالية وهي ليلة الأول من يناير حيث تمّ مداهمة المنزل الذي كانوا يتواجدون فيه بالرميثية بعد أن تمّ الإبلاغ عنهم وترصّدهم، وكانوا حوالي ١٥ شخصا. ولم يكن هناك علاقة بين عملية ليلة رأس السنة التي قاموا بها في الشيراتون وموضوع القبض عليهم، إذ أن هذا تمّ عن طريق ترصّد الاستخبارات لهم منذ فترة.

وكـانت هذه المجمـوعـة ـ كما كان غيرها ـ طوال فترة الإحتلال تراقب نتائج عملياتها عن طريق إرسال بعض أعضائها إلى الموقع بعد إتمام كل عملية لمعرفة عدد القتلى من العراقيين ومستوى التدمير الذي حلّ بالعدو. كما كانت على اتصال دائم ببعض الأطبـاء الكـويتيين المتـواجدين بالمستشفيات المختلفة والذين كانوا يزوّدونهم بالمعلومـات عن عدد الجـرحى والقتـلى من العسكـريين العراقيين الذين يتمّ نقلهم للمستشفيات بعد كل عملية.

ـ التهيؤ للحرب والاستعداد لمواجهة نتائجها

بدأ كثـير من المواطنين منذ صدور قرار مجلس الأمن رقم (٦٧٨) بالاستعداد للحرب والتجهيز لأيامها وما قد يرافقها من أمور يجهلها كل مواطن عاش على هذه الأرض المسالمة، ولم يفكّر قط بمرور مثل تلك الظروف. وكان من أهم الأمور التي اهتم بها النـاس حصر (السراديب) في الأحياء السكنية وتوزيع العائلات فيها إذا نشبت الحـرب. وقـد اجتمـع سكـان كثير من الأحياء واتفقوا على طريقة إيواء الأهالي في السراديب، وتمّ تشكيل لجان لتنظيم عملية استخدام تلك السراديب، بعد دراسة سعة كل منها وعدد الأفراد الممكن استيعابهم في كل منها. وبعد تخصيص كل سرداب لعـدد معـين من النـاس بدأت العـائلات بجلب ما يخصّها من مواد كالبسكويت والخضراوات والبقـول المعلبة والحليب المجفف والسكر وبقية المواد الغذائية التي لا تحتاج الى الطهي. كما تمّ تخزين كميات كبيرة من المياه في براميل وسطول وزجاجات. كذلك وضعت بعض الأنواع من الأدوية ومواد الإسعافات الأولية وغيرها من أمور. أما المواد الغذائية الأخرى كالرز والعدس والماش والبصل وغيرها من مواد فكانت مكّدسة في معظم البيوت وكانت تكفي لأشهر طويلة. كما قام عدد كبير من المواطنين في تلك الأيام بشراء الخراف والدجاج الحي بأعداد كبيرة بهدف استخدامها للأكل عند عدم توفّر اللحوم المذبوحة. وقد تمّ شراء كميات كبيرة من الأعلاف للأغنام والدواجن. وقام كثـير من النـاس بشراء الكـمّامـات الواقية من الغبار والدخان والتي تستعمل عادة للزراعة. كما تمّ شراء كميات كبيرة من الكيروسين لاستعماله للطبخ في حالة انقطاع

التيار الكهربائي واضطرار الناس إلى الرجوع إلى هذه الوسائل إن طالت الحرب وساءت الأمور. وبدأ الناس أيضا بشراء الشموع والفوانيس والطباخات التي تعمل بالكيروسين، وأدوات المطابخ البدائية التي عفا عليها الزمن، ومرّت عشرات السنين على الكويتيين دون استعمالها. كما قامت بعض الأحياء السكنية بحفر آبار لاستخدام مياهها وقت الحاجة. وتمّ تنبيه أصحاب المنازل الذين لم يسدّوا منافذ التهوية وفتحات التكييف بالبلاستيك لمنع تسرّب الغاز، بضرورة القيام بذلك بأسرع وقت. كما طلب من الجميع التأكد من وضع أشرطة لاصقة على الزجاج منعا لتطايره في حالة كسره نتيجةً للغارات الجوية أو اختراق حاجز الصوت من قبل الطائرات المغيرة.

وقامت بعض النساء بعمل ملابس (واقية من الأسلحة الكيماوية) وذلك بخياطة (قميص وسروال) من أكياس القمامة البلاستيكية. وكانت كل واحدة تعرض ما لديها من أفكار على جاراتها لتستفيد من فكرتها أو تقوم بتطويرها. وقد تمّ عمل عدة (تصاميم) كانت بعضها (قمة في الكفاءة !!) في منع وصول الغاز السام إلى الجسم كما تفنّنت بعض النساء في تصميم الجزء العلوي من (اللباس الواقي) وذلك بوضع البلاستيك الشفّاف أمام العين ليتمكّن مرتديه من رؤية ما حوله. ولم تنس النساء أيضًا عمل أحذية من البلاستيك (لحماية الأرجل).

وكانت هذه الاستعدادات نتيجة لتأكّد جميع المواطنين بعدم تورّع النظام العراقي في استعماله الأسلحة الكيماوية أو أي أسلحة فتّاكة أخرى إن سنحت له الفرصة بذلك. إذ سبق له وأن استعملها ضدّ مواطنيه، وليس من المستبعد أن يستعملها ضد الشعب الذي تحدّاه ووقف حجر عثرة في سبيل تحقيق أحلامه المريضة. أما في واقع الأمر فإن جميع تلك الاستعدادات لم تكن لتصمد ولو للحظة واحدة لو أن الفرصة جاءت لذلك الطاغية وقرّر استعمال الأسلحة الفتّاكة. فلا تلك الكمّامات كانت ستقي مرتديها من الغازات الكيماوية السامّة، ولا الملابس البلاستيكية كانت ستحمي لابسيها من اختراقها والفتك بهم، ولا السراديب التي كان معظمها محاطًا بالشبابيك الزجاجية كانت ستشكّل دروعًا واقية للمحتمين بها. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي وقانا من شرّ ذلك الشيطان الأهوج بعد أن أعمى بصيرته وشلّ يده وكفانا الكثير من شروره والذي كان سينالنا منها أكثر، لولا رحمة الله ولطفه.

ـ الاستمرار في زيارة الأهالي للأسرى ومآسي المعتقلات والسجون*

بالرغم من تأزّم الأوضاع وصعوبة المواصلات والمشاكل الكثيرة التي كانت تواجه الأهالي عند زيارة أبنائهم في معتقلات وسجون العراق، إلاّ أن ظاهرة زيارة الأسرى استمرّت دون انقطاع في شهر ديسمبر. فالأهالي الذين انقطعت أخبار أبنائهم عنهم لمدة تزيد عن أربعة أشهر كانوا في وضع مستعدّين فيه للتضحية بأي شيء في سبيل رؤية أبنائهم. أما الأسرى فكانت زيارات أهاليهم بالنسبة لهم كالغيث الذي انهمر أو كباب الجنة الذي انفتح لهم. فبالإضافة إلى الخيرات التي وصلتهم بدأوا بسماع أخبار البلد والأهل والجيران ممّا رفع من معنوياتهم وجعلهم يتنفسون الصعداء. كما كانت تلك الزيارات فرصة لهم للتنفيس عما كان يجيش في خاطرهم من آلام وأشجان عاشوها منذ أول يوم تمّ اعتقالهم فيه إلى تلك اللحظات. إذ مرّوا خلال تلك الفترة بمواقف وحالات يصعب على المرء تخيّلها. فبالإضافة إلى العذاب النفسي الناتج عن فراق الأهل والعيش في أماكن لا يستطيع حتى الحيوان العيش فيها، كان هناك من الإرهاب والتهديد والإهانات ما لا يستطيع تحمّله بشر. وكانت تلك المعاملة تأتي لأتفه الأسباب.

وفيما كان الأسرى ينقلون لذويهم أساليب المعاملة اللاإنسانية التي كان يعاملهم بها العراقيون في أوائل أيام الأسر، كان الأهالي يسرحون في التفكير حول مصير أبنائهم عندما تندلع الحرب. إذ أن ذلك النظام وزبانيته لا يؤمن جانبهم خاصّة إذا وصلوا حدّ اليأس وبدأت ضربات الحلفاء تؤلمهم. وكان تخوّف الأهالي يدور حول إمكانية انتقام النظام العراقي من أبنائهم واحتمال استخدام جميع الأساليب الإجرامية المعتادة للقضاء عليهم.

أما الأسرى فقد كان الواحد منهم يروي تلك القصص العجيبة التي مرّت عليه، وكأنها شريط سينمائي طويل يأخذك من خلاله إلى مواقع وأحداث وآلام كثيرة

---

* تمّ سجن المعتقلين الكويتيين والمختطفين من قبل السلطات العراقية في سجون الرمادي وكركوك والموصل وبعقوبة وسجن أبوصخير بالبصرة ومعسكر الرشيد في بغداد.

تشعر وكأنك تعيشها معه. ويروي أحد الأسرى ما جرى له فيقول: تمّ أسرنا في اليوم الثاني من أغسطس من أحد الأماكن وتجميعنا في أحد الأحواش الكبيرة في صحراء الكويت لمدة يومين دون غذاء أو ماء، وكانت الشمس تسلّط علينا أشعتها الملتهبة وتكاد أن تؤدّي إلى غليان الدم في عروقنا. وبعد مرور تلك الفترة اتُّخذ قرار بنقلنا إلى العراق، وكنا حوالي ٦٠٠ شخص، حيث تمّ (شحننا) في ناقلات مكشوفة إلى البصرة ووضعنا في أحد المعسكرات هناك لمدة يومين آخرين قضيناها مفترشين الأرض. ثم تمّ نقلنا بعد ذلك بالقطار إلى معسكر الرشيد ببغداد حيث وُضعنا في أماكن محاطة بشباك حديدية. وتمّ تزويد كل شخص منّا ببطانية باليه، وكان كل منا يستخدم حذاءه كوسادة أثناء نومه.

وكانت (الوجبات الغذائية) تقدم ثلاث مرات باليوم وهي عبارة عن شوربة العدس صباحا، وهي لا تكاد تكفي لإشباع طفل صغير. أماّ وجبة الغداء فكانت تتكوّن من طبق صغير يطلق عليه العراقيون اسم (القصعة) ويحتوي على كمية من الرز رُشّ عليه بعض المرق، الذي هو عبارة عن بصل مغلي بالماء المالح، وكان يشترك فيه اثنا عشر أسيرًا كان نصيب كل واحد منهم لا يزيد عن ثلاث لقمات. أما العشاء فكان يتكوّن من صمونتين من النوع الذي يحتاج إلى مطرقة لكسره. وقد تمّ توزيعنا في عنابر وضع في كل عنبر ٨٢ شخصًا كانوا يشتركون في حمّام واحد. وكنا نصطف ثلاث مرات يوميا ليتمّ عدّنا. وكانت العنابر والحمّامات في وضع يُرثى له من القذارة والضيق، وكان الماء ملوثًا ودائم الانقطاع. وقد استمرّ الحال كذلك إلى أن تمّ نقلنا إلى الموصل بعد ثلاثة وعشرين يومًا من العذاب.

وقد تمّ توزيع الأسرى في الموصل على أربع قلاع كبيرة ذات جدران مرتفعة كان قد بناها الانجليز أثناء الحرب العالمية الأولى. ولم يكن أحد من الداخل يستطيع رؤية أي شيء خارج تلك القلاع لارتفاع جدرانها. وكانت بها بقايا بعض المزروعات التي كان يزرعها الإيرانيون الذين تمّ إطلاق سراحهم بناء على الاتفاقية التي وقّعت بين العراق وإيران قبل قدوم الأسرى الكويتيين بأيام.

وكانت الأوضاع المعيشية للأسرى في الموصل أفضل نوعًا ما، حيث كان انقطاع الماء أقل ممّا كان عليه الحال في معسكر الرشيد. كما سُمح للأسرى هناك بطبخ وجباتهم بأنفسهم ممّا أدّى إلى سد فراغهم واطمئنانهم إلى نظافة الأكل حيث كان الأكل قبل ذلك لا يصلح (للاستهلاك الآدمي)، بسبب رداءة الطهي والأوساخ التي كانت تُشاهد فيه في كثير من الأحيان. كما بدأ الأسرى بتوزيع العمل فيما بينهم، كالتنظيف والعناية بالزراعة وغسيل الحمامات والخدمات الأخرى. وبدأوا بإشغال وقتهم بتعلّم الحِرف المختلفة كصنع المسابيح من نوى النخل، ونحت الحصى والحجر وعمل أشكال مختلفة منه، وخياطة بعض أنواع الملابس البسيطة من البطانيات القديمة، وقطع الخشب وعمل أدوات مختلفة منه. كما قام بعضهم الآخر بتقديم دروس مختلفة لزملائهم بالمواد التي لديهم معرفة كافية فيها. ونظرًا لتخفيف الرقابة عليهم بعض الشيء هناك بدأ بعضهم برسم لوحات تعكس واقعهم، كما بدأوا بسماع الأخبار عن طريق عدد من الراديوات الصغيرة التي كانت في جيوب بعضهم عند أسره. وكان ذلك يتمّ تحت جنح الظلام حيث أن الراديو كان من أهم الممنوعات. وكانوا يجتمعون أثناء الليل حول الراديو لسماع آخر الأخبار، أو كان أحدهم يختبيء تحت البطانية لسماع الأخبار ثم يقوم بنقلها إلى باقي الأسرى.

وقد تمّ بعد فترة دسّ عدد من أفراد الاستخبارات العراقية بينهم بحجّة (مساعدتهم في التغلب على أي مشاكل قد تواجههم). ولكن الهدف الحقيقي من وراء ذلك كان الحصول على المعلومات، وكذلك محاولة بث المشاكل والخلافات والفتن بينهم. وقد نجح هؤلاء في اكتشاف وجود الراديوات لدى الأسرى حيث أنذروهم بتسليمها حالاً وإلاّ سيتمّ إنزال العقاب بهم. وقد اضطروا لتسليم بعض منها وبقي لديهم اثنان آخران اخذوا يستعملونها بسرية تامة. كما بدأوا بعد تلك الحادثة بالابتعاد عن أولئك الأشخاص وعدم التحدّث إليهم.

وقد نقل لهم أحد الحراس الذي كانوا يطمئنون إليه بعض الشيء، بأن أجهزة الاستخبارات العراقية كانت قد نجحت بصورة كبيرة في بثّ المشاكل والفرقة بين

الأسرى الإيرانيين الـذين كانت تستخـدم معهم نفس الأسـاليب التي فشلت في استخـدامها لبثّ الفرقة بين الكويتيين. فقد كانت تلك الأجهزة تبثّ الخلاف بين الإيرانيين الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة كالفرس والأكراد والعرب وكذلك ما بين أتباع المذاهب الدينية المختلفة، حتى وصلت الخلافات فيما بينهم إلى مستوى الضرب بالأيدي والأدوات الحادّة في كثير من الأحيان. وكان العراقيون يأتون أثناء وقوع العراك ليحاولوا (مصالحتهم) ليظهروا بمظهر الجهة المصلحة التي تنشد السلام والتفاهم. كما نقل إليهم نفس الشخص أن الإيرانيين ـ ونتيجة للمشاكل التي نجحت المخابرات العراقية في بثّها فيما بينهم ـ كانوا كثيري الطلب على المهدّئات والحقن وما شابهها والتي كان يزوّدهم بها الصليب الأحمر الدولي. أمّا الكويتيون فكانوا ولله الحمد من الوعي والفطنة بحيث لم تؤثّر فيهم هذه الأساليب الخبيثة ولم يحتج أي منهم لتلك الأدوية أو المهدّئات.

وقـد بقي الأسرى في معتقـل المـوصـل سبعين يومًـا تمّ نقلهم بعدها ـ يوم ١٩٩٠/١١/٦ ـ إلى سجن بعقوبة الذي يبعد عن بغداد حوالي ٧٠ كيلومترًا. وقد تمّ وضعهم في معسكر كبير يتكوّن من ٩ عنابر تمّ توزيعهم عليها حيث أسكن كل ٦٠ أسيرًا تقريبًا في عنبر. وكان المعسكر محاطًا بشباكٍ حديدية كانت تتواجد حولها عدة فرق للحـراسـة. وكان سجن بعقوبة هذا لا يختلف كثيرًا عن سجن الموصل. إذ كانت النظافة فيه معدومة وكان النوم فيه قليلاً بسبب كثرة الكلاب المتواجدة حوله والتي كانت تقضي الليل بالعـواء. كما كانت الفئـران والضفادع من السكان الدائمين في ذلك المعسكر الذي كان فناؤه يزخر بالمستنقعات المتكونّة من الأمطار. وقد تمّ قتل عدد من الثعـابـين أثنـاء تواجد الأسرى في العنابر بعد أن سقطت عليهم من السقف. أما العقارب فكانت تشاهد بكثرة.

وكانت هناك ميزة واحدة لسجن بعقوبة عن غيره. إذ تمّ تخفيف القيود فيه عن الأسرى كما تمّ تزويد كل عنبر بجهاز تلفزيون. ونظرًا لقرب بعقوبة من الحدود الإيرانية فقد كان من الممكن مشاهدة محطة تلفزيون إيران. وكان هذا بالنسبة للأسرى متنفسًا

جديدا يعطيهم نوعًا من الراحة لعدم اضطرارهم لمشاهدة تلفزيون بغداد مدة أربع وعشرين ساعة. لكن العراقيين كانوا قد أزالوا القطعة الخاصة بتوجيه الموجه ناحية محطات أخرى وذلك لمنع مشاهدة محطة تلفزيون إيران. فقام أحد الأسرى ممّن كان لديهم شيء من الخبرة الحرفية بقلع (زرار) من قميصه ونحته بطريقة (فنية) وتركيبه على التلفزيون وأخذوا يديرون الموجة حسب رغبتهم. فكانوا إذا غاب الحرس عنهم يديرونه على محطة طهران لسماع الأخبار العالمية التي كانت تذاع باللغة العربية من هناك لمدة ساعة باليوم. وكان واحد منهم يقف قرب الباب للتأكّد من عدم قدوم الحراس، حيث كان يعطيهم إشارة لتغيير المحطة عند قدومهم. وقد صادف في إحدى الليالي أن أذاع تلفزيون إيران بأنّهم سيعرضون برنامجًا خاصًا في الليلة التالية عن الدمار الذي قام به العراقيون في الكويت. فما كان من مسؤولي العنبر في صباح اليوم التالي إلاّ أن قاموا بأخذ جميع أجهزة التلفزيون في العنابر (للتصليح !!). وقد أعيدت في اليوم التالي بعد بثّ البرنامج الخاص بالكويت.

هذا وقد بدأت زيارات الأهالي للأسرى بعد نقلهم إلى بعقوبة بحوالي أسبوعين، أي في نهاية نوفمبر. وكان معظم أهالي الأسرى قد علم بوجودهم بالموصل بعد أن وصلت إلى الكويت قوائم بأسماء الأسرى الكويتيين هناك، وذلك عن طريق أحد (الأسرى)والذي كان يبلغ من العمر ستة عشر عامًا وتمّ إطلاق سراحه من ذلك المعتقل قبل نقلهم إلى بعقوبة بأيام. وقد اصطحب هذا الشاب معه قوائم بها أسماء الأسرى وتلفونات أهاليهم بالكويت. ولم تسلم هذه القوائم من أيدي زبانية البعث، إذ تمّ أخذ عدد منها وسُمح بإيصال العدد الآخر، وذلك بهدف الابتزاز. وقد اضطر الأهالي، بعد معرفة ذلك، بطلب أسماء أبنائهم من المخفر المعني مقابل دفع مبالغ من المال للمسؤولين عن ذلك المخفر. وبدأت زيارات الأهالي للأسرى تتكثّف بعد معرفة أماكنهم، حيث بدأت كل عائلة تتوجه أيام الثلاثاء والأربعاء إلى مطار الكويت القديم لشراء تذاكر الطائرة والتوجه من هناك بالباصات إلى قاعدة علي السالم للسفر من هناك بالطائرة إلى بغداد. وكانت إجراءات الزيارة للأسير تتطلّب ملء استمارة من (مكتب ضحايا الحرب) بالكاظمية. وكان يسمح للقريب من الدرجة الأولى للأسير بزيارته،

ويشمل ذلك الأب والأم والابن والبنت والأخ والأخت والزوجة. وكانت الزيارات تتمّ يومي الخميس والجمعة حيث يتمّ اللقاء في (مدينة صدام الرياضية) التي تبعد حوالي ٣٠ كيلومترًا عن سجن بعقوبة، و٦٠ كيلومترًا عن بغداد.

وكان لزيارات الأهالي لأبنائهم في الأسر أثرًا ماديًا ومعنويًا كبيرًا عليهم. إذ بدأت الأطعمة والملابس والأموال في التدفّق عليهم ممّا جعل أحوالهم تتبدّل من حال إلى حال. وبدأوا يستعيدون عافيتهم بعض الشيء ويتعرّفون على آخر أخبار البلد والأهل. وقد استمرّ هذا الوضع إلى ما قبل بدء الحرب الجوية حيث توقّفت المواصلات وانقطعت أخبار الأهل والبلد مرة أخرى.

الفصل السادس
يناير.. الحسم

(١) العام الجديد

- استمرار المناشدات لتجنّب الحرب
- الأسبوع الأخير من المهلة المحدّدة
- ووقعت الحرب
- (الهجمات) المضادّة والتصرّفات اللامسؤولة للعراق
- التطوّرات السياسية بعد بدء الحرب

(٢) الأحوال في الداخل

- الوضع ما قبل نشوب الحرب
- وتدق ساعة الخلاص
- بدء الهجوم الجوي وردة فعل المواطنين
- الغزاة . . . والصدمة
- استمرار بطش الغزاة على أشده
- الحياة الاجتماعية للمواطنين أثناء الحرب

الفصل السادس
يناير.. الحسم

(١) العام الجديد

ـ استمرار المناشدات لتجنّب الحرب

ناشد كثير من رؤساء الدول والحكومات صدام بمناسبة العام الجديد أن يعود إلى رشده ويفكر جدياً بما ستكون عليه النتيجة إن استمر في غيّه. كما أكّد رؤساء الدول الرئيسية في التحالف على عزمهم خوض غمار الحرب ضدّ العراق إن لم يطبّق قرارات مجلس الأمن الدولي قبل انتهاء الفترة المحدّدة له. كما أكّدوا على عدم استعدادهم للتفاوض حول القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي الداعية لانسحاب العراق من الكويت قبل منتصف يناير وعدم إمكانية ربط أزمة الخليج بأي أزمة أخرى. أما الحكومة الكويتية فقد أكّدت على عدم استعدادها لتقديم أي تنازلات للعراق بهدف التوصّل إلى تسوية سلمية لأزمة الخليج وأوضحت أن القرارات الدولية تنصّ على الانسحاب الكامل وغير المشروط من الكويت.

وفي تطوّر آخر أعلن في واشنطن يوم ٤ يناير أن المحاولات لعقد اجتماع بين صدام ووزير الخارجية الأمريكية قد توقّفت، وأن وزير الخارجية الأمريكية سيتوجّه إلى منطقة الخليج يوم ٦ يناير لبحث الوضع مع حكوماتها، فيما وافق العراق رسمياً على أن يجتمع وزير خارجيته مع السيد جيمس بيكر في جنيف خلال جولة الأخير في أوربا والشرق الأوسط. وفي هذه الأثناء أعلن جيمس بيكر عن عدم تفاؤله باحتمالات حل أزمة الخليج سلمياً مؤكداً أن استخدام القوة سيكون حتمياً في حالة عدم انسحاب العراق قبل الخامس عشر من يناير. كما أكّد الرئيس جورج بوش في خطاب للشعب الأمريكي يوم السادس من يناير أن لقاء جنيف لن يكون جلسة تتمّ فيها أي دبلوماسية سرية وأن العدّ التنازلي قد بدأ، وأشار إلى معاناة الشعب الكويتي الذي يعيش عدد كبير منه في خطر، وهو مع ذلك يقوم بإخفاء وحماية عدد من المواطنين الأمريكيين.

ـ الأسبوع الأخير من المهلة المحدّدة

شهد الأسبوع الثاني من يناير عدّة تطوّرات صبّ معظمها في محاولة لثني نظام بغداد عن إلقاء بلاده في الهاوية دون جدوى. وقد شهدت تلك الفترة العديد من الزيارات واللقاءات والمناشدات ولكنّها ذهبت أدراج الرياح.

فقد قدّمت المجموعة الأوروبية دعوة لطارق عزيز للاجتماع مع (جاك بون)وزير خارجية لوكسمبورج ورئيس المجموعة لتلك الدورة ـ وذلك بعد تحديد اجتماع بيكر وعزيز في جنيف ـ لكن العراق رفض الدعوة. كما زار وفد لدول عدم الانحياز برئاسة وزير خارجية يوغسلافيا بغداد لمحاولة التأثير على النظام العراقي لكنه فشل في مهمّته. وقد طلب النظام العراقي في بيان أصدره في نفس اليوم تأجيل الموعد الذي حدّدته الأمم المتّحدة لانسحاب العراق من الكويت فيما رفضت دول التحالف ذلك الطلب حالاً، مؤكدة أن ذلك الموعد نهائي وأن الفرصة الوحيدة للسلام تتمثّل في إدراك العراق جدية دول التحالف بتنفيذ قرارات مجلس الأمن في حالة عدم انسحابه. وفي لقاء مع الرئيس ميتران يوم ٨ يناير أكّد السيد جيمس بيكر ـ قبل توجهه للقاء طارق عزيز ـ أن هناك اتفاقًا كاملاً بين واشنطن وباريس فيما يتعلّق بضرورة تطبيق كامل لقرارات مجلس الأمن. وأضاف «نحن متفقون على أن فرص السلام هي الآن بين يدي الرئيس العراقي، إذ أنه يعرف تماما المطلوب منه». أما الرئيس الفرنسي فقد أكّد «أنه بعد منتصف الليل بتوقيت الولايات المتّحدة في ١٥ يناير ستدخل أزمة الخليج مرحلة جديدة يكون فيها الصراع العسكري مشروعًا». وأضاف «أن القوة الفرنسية سوف تشارك في أية عملية عسكرية لتحرير الكويت وليس من أجل تدمير العراق». هذا وقد وجّه الرئيس حسني مبارك نداءً لصدام حسين للانسحاب من الكويت وإنقاذ العراق والعرب والإنسانية من ويلات الحرب، وحذّر من خطورة الموقف مشيرًا إلى أنه إذا استمر الوضع على ما هو عليه فستحدث كارثة. أما طارق عزيز فقد صرّح في نفس اليوم «بأنه يحمل مقترحات وأفكار. وأن إجبار العراق على الانسحاب يعني اندلاع حرب طويلة ودموية». وأضاف مشيرًا إلى تمسّك نظامه باحتلاله للكويت «لا أعتقد أنه سوف يكون هناك تغيير فيما بين الآن والخامس عشر من يناير الجاري».

هذا وكانت عيون العالم وقلوبه ودعواته متوجهّة مساء يوم الأربعاء ٩ يناير نحو الاجتماع الذي طال انتظاره وعلّق كثير من الناس آمالاً كباراً عليه، إذ كان ذلك الاجتماع يمثّل بارقة الأمل الأخيرة للحل السلمي الذي يصبو إليه العالم بأسره. وفي لحظة بدء الاجتماع شعر العالم من أقصاه إلى أقصاه بأن الدم يكاد يجمد في العروق من شدّة القلق، انتظاراً لما سيُسفر عنه ذلك الاجتماع الذي سيُقرر مصير المنطقة برمتها، بل والعالم بأسره.

وانتهى الاجتماع بعد أن دام ست ساعات، وكان الجميع يتوقّع أن لا يطول أكثر من ساعة. وقد أعطى امتداد الاجتماع لهذه المدة أملاً ـ ولو ضئيلاً ـ بأن شيئاً ما يتمّ ترتيبه للوصول إلى نتيجة تحفظ المنطقة من كوارث الحرب. ولكن ـ وبعد انتهاء ذلك الاجتماع، ووسط ترقّب العالم بأكمله ـ أعلن وزير الخارجية الأمريكية في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء ٩ يناير بتوقيت جنيف أن مباحثاته مع طارق عزيز قد فشلت. إذ أن العراق لم يُبد أية مرونة على الإطلاق مضيفًا أنه لم يسمع شيئًا يشير إلى أن العراق سينسحب من الكويت. هذا وقد اجتمع الرئيس جورج بوش بعد إعلان فشل المباحثات مع كبار معاونيه لمناقشة النتائج المترتبة على ذلك الفشل. كما طلب الرئيس الامريكي من الكونغرس إصدار قرار يؤيد فيه استخدام كل الوسائل الضرورية لإرغام العراق على سحب قواته من الكويت.

وفي محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف، توجّه السكرتير العام للأمم المتحدة السيد بيريز ديكويلار إلى بغداد يوم السبت ١٢ يناير في مهمّة للحيلولة دون اندلاع القتال. وقال قبل بدء زيارته إن واجبه الأخلاقي يحتّم عليه أن يفعل أي شيء لتفادي حدوث أسوأ كارثة.

وقد رحّب الرئيس بوش بتلك المبادرة واصفًا ديكويلار بأنه الرجل الذي يستحق كل الثقة، وهو خير من يمثّل المجتمع الدولي في اللحظات الأخيرة لإنقاذ العالم من ويلات الحرب. كما أعلن قصر الأليزية أن الرئيس الفرنسي مصمّم على مواصلة جهوده

من أجل التوصّل إلى حل سلمي وهو يبذل محاولاته لإقناع العراق بتطبيق قرارات الأمم المتحدة، وأوضح المتحدث أن الجهود الفرنسية سوف تستمر حتى اللحظة الأخيرة المقرّرة لانتهاء المهلة التي حدّدها مجلس الأمن وهي الخامس عشر من يناير. أما الرئيس حسني مبارك فقد أعرب عن اعتقاده بأنه لا يوجد أمل في حل الأزمة سلمياً بعد محادثات بيكر ـ عزيز وقال إن الأمر يحتاج إلى معجزة. وفي دمشق ناشد الرئيس حافظ الأسد العراق بالانسحاب من الكويت لتكون هذه الخطوة مقدّمة لجو جديد في العلاقات العربية تقف فيه هذه الدول صفًا واحدًا في كل ما يهدّد وجودها ومصالحها. كما أكّد أن صعوبة الوضع ناجمة عن دخول العراق إلى الكويت وإلغاء وجودها كدولة مستقلة وعضو بالجامعة العربية والأمم المتحدة، وقال: إن ذلك التصرف غير مشروع ولا يحق للعراق أن يقدم عليه ولو من وجهة نظر وحدوية.

في هذه الأثناء وقبل اثنتين وسبعين ساعة من انتهاء مهلة مجلس الأمن كان السكرتير العام للأمم المتحدة في انتظار مقابلة رئيس النظام العراقي الذي أرجأ لقاءه معه ساعات عديدة جعله ينتظر فيها ذلك اللقاء، بينما هو يجتمع بأناس لا أهمية لهم بالنسبة للمشكلة مثل أورتيجا رئيس نيكاراجوا السابق وياسر عرفات وغيرهما. وقد خرج ديكويلار من الاجتماع بدون نتيجة حيث أعلنت واشنطن مساء الأحد ١٣ يناير فشل الاجتماع فيما بدأت فرص السلام تتلاشى. وفي خضم ذلك أيّد المجلس الوطني العراقي سياسة صدام الخاصّة بضمّ الكويت فيما اجتمع صدام بكبار قادته العسكريين وأعلن أنه لن يتراجع عن ضمّ الكويت وأن العراق استعدّ لدخول الحرب. أما الرئيس الأمريكي فقد أكّد أنه سيغلق أبواب المبادرات السلمية لحل أزمة الخليج بعد الخامس عشر من يناير وذلك بعد أن حصل على موافقة الكونغرس على إعطائه صلاحية استخدام القوة العسكرية لإخراج القوات العراقية من الكويت. وفي نيويورك أكّد السكرتير العام للأمم المتحدة أن مجلس الأمن لن يمدّد المهلة المحدّدة لانسحاب العراق من الكويت فيما أكدّ رئيس وزراء فرنسا أن وقت استخدام القوة قد حان لإعادة الحق إلى أهله.

أما رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور فقد أوضح أن المآسي التي يتعرّض لها

الكويتيون تحت الاحتلال لا تعدّ ولا تحصى وتساءل أي سلام يريده العراق؟ لقد رفض وزير خارجيته مجرد الإشارة إلى اسم الكويت وهو ما يعني أن القيادة العراقية لا تريد السلام. ووصف الحرب المتوقعة بأنها (حرب عادلة) بغضّ النظر عن نتائجها.

هذا وبمناسبة انتهاء الموعد الذي حدّده مجلس الأمن الدولي لانسحاب العراق من الكويت وجّه صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح كلمة دعا فيها المجتمع الدولي إلى الاستمرار في تكاتفه لإجبار العراق على احترام القرارات الدولية وسحب قواته من جميع الأراضي الكويتية.

وفي اللحظات الأخيرة وفي خطاب يجيش بالعاطفة والصدق والإحساس بالمسؤولية توجّه الرئيس حسني مبارك مساء يوم الثلاثاء الخامس عشر من يناير، وفي الساعات الأخيرة الفاصلة بين الحرب والسلام بنداء أخير إلى صدام ناشده فيه «أن يتجّرد من كل اعتبارات ذاتية لإنقاذ السلام وإنقاذ شعبه وأطفال العراق وأسر شهدائه من ويلات الحرب ورؤى الدمار التي يملك وحده أن ينقذهم منها». وأكّد «أن الموقف الآن أخطر كثيرا على أرضنا العربية وعلى شعوبها مما كان عليه العالم حين واجه الحرب العالمية الثانية التي انتهت بملايين الضحايا وخراب شامل في عدد كبير من دول العالم. وذلك بعد أن تطوّرت آلة الحرب الشيطانية عما كانت عليه منذ نصف قرن مما يضاعف من خسائر الأرواح ويزيد من آثار الدمار والخراب». كما قال: «إننا لسنا في خصومة مع شعب العراق ولن نكون، ولا في خصومة شخصية مع الرئيس العراقي الذي يملك وحده أن يتّخذ قرار السلام ليحمي شعب العراق وكل الشعوب من كوارث الحرب».

ولكن... لقد أسمعت لو ناديت حيا... ولكن لا حياة لمن تنادي.

أما في ساحة المعركة فقد وقف أكثر من مليون جندي وجهًا لوجه في حشد لم يسبق له مثيل في التاريخ فوق رقعة جغرافية محدودة، كُدّست فيها أحدث الأسلحة ما بين دبابات ومدرعات وقطع مدفعية ومضادّات صواريخ وطائرات مقاتلة من كل نوع وبوارج وحاملات طائرات وكل ما تفنّنت مصانع الأسلحة في العالم بإنتاجه.

ـ ووقعت الحرب

في الساعة الثالثة من فجر يوم الخميس السابع عشر من يناير ١٩٩١ بتوقيت الخليج، السابعة مساء من يوم الأربعاء السادس عشر من يناير ١٩٩١ بتوقيت واشنطن بدأت قوات التحالف الدولي هجومها الجوي الكبير في حرب تحرير الكويت ـ عاصفة الصحراء. وقد قامت بالهجوم المكّون من ثلاث موجات أكثر من ألف وثمانمائة طائرة أمريكية وبريطانية أقلعت من قواعد بوسط وغرب السعودية. كما اشتركت في الهجوم طائرات كويتية وسعودية. وقد تمّ قصف المنشآت والقواعد العسكرية العراقية ومراكز القيادة والسيطرة والمرافق العامة والجسور ومحطات المياه والكهرباء بهدف إصابة العراق بحالة شلل كامل. وقد تمّ إسقاط ١٨,٠٠٠ طن من المتفجرات على المنشآت العسكرية والمواقع الاستراتيجية المذكورة دون أن يظهر الطيران العراقي في الجو.

واستمرّت طائرات التحالف الدولي في غاراتها على المراكز الاستراتيجية في العراق بمعدل ٢٠٠٠ طلعة جوية يوميًا في الأيام الأولى للحرب ازدادت فيما بعد إلى معدل ٣٠٠٠ طلعة جوية باليوم. وقد استمرّت الغارات على مختلف المنشآت الاستراتيجية بما فيها منصّات مضادّات صواريخ سكود الثابتة والمتحرّكة ومنشآت الاتصالات والرادارات، ومواقع الحرس الجمهوري، والمطارات العسكرية. كما تمّ قصف المنشآت والمواقع للأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية وتحطيم وقطع بعض خطوط الإمدادات والتموين بالإضافة إلى وسائل الاتصالات ومستودعات الأسلحة غير التقليدية.

هذا وقد وجّه الرئيس جورج بوش بيانًا إلى العالم بعد ساعة من بدء العمليات العسكرية بدأه بقوله: «إن حرب تحرير الكويت قد بدأت...» وأكّد أن هذا العمل العسكري الذي يتم طبقًا لقرارات الأمم المتّحدة يأتي بعد نشاط دبلوماسي متصل من جانب الأمم المتّحدة والكثير من الدول الأخرى. وأضاف أن الدول الحليفة استنفذت كل الجهود المعقولة للتوصّل إلى حل سلمي ولم يبق هناك خيار إلاّ استخدام القوة لطرد صدام حسين من الكويت. كما قال أن الولايات المتّحدة مصمّمة على تدمير القدرات

النووية للعراق وأسلحته الكيماوية. وأعرب عن أمله في أن يتمكّن الشعب العراقي من إقناع زعيمه بأن يلقي سلاحه وأن يغادر الكويت. وأكّد أن الهدف من الحرب واضح وهو أن تعود الكويت حرة مرة أخرى وأن يمتثل العراق لقرارات الأمم المتّحدة.

هذا وقد حمّلت معظم دول العالم صدام مسؤولية اندلاع الحرب مؤكدةً بأن الخاسر الأكبر سيكون هو العراق وصدام.

ـ (الهجمات) المضادّة والتصرّفات اللامسئولة للعراق

أما صدام فقد وجه بيانًا قال فيه أن أمّ المعارك قد بدأت «وأن الكافرين وأعوانهم وحلفاءهم غدروا، فارتكب زميل الشيطان بوش جريمته الغادرة هو والصهيونية المجرمة وابتدأ بالمنازلة الكبرى...» كما وصف دول الغرب بعبيد التكنولوجيا ووعد كالعادة بتحرير فلسطين والجولان ولبنان.

وفي خضّم تلك الأجواء المشحونة بالتصميم لتدمير الآلية العسكرية العراقية من خلال الهجمات العسكرية المكثّفة والتدمير الشامل الذي تعرّضت له تلك المؤسسة، والضربات الموجعة لمختلف المواقع الاستراتيجية العراقية، لم يكن رد العراق على المستوى المتوقع، والذي طنطنت له وسائل الإعلام العراقية وتلك التي حذت حذوها. بل إن الرد كان هزيلًا وغير ذي قيمة إذ تمثل الجزء الأكبر منه في إطلاق تلك الصواريخ (الإعلامية) على حيفا وتل أبيب والرياض والتي أعطت مفعولا عكسيًا ضدّ صدام ومن وقف خلفه. فقد ارتفعت الأصوات في كل مكان تندد بالقصف العشوائي للمدنيين في إسرائيل، كما أدّى ذلك العمل إلى اكتسابها عطف العالم بأسره، خاصّة بعد أن التزمت بعدم الردّ على تلك الضربات، ممّا أدّى إلى تسابق دول الغرب في تقديم المعونات لها بالمليارات وتزويدها بالصواريخ المضادّة، والتي لم تكن تستطيع الحصول عليها بالسابق بتلك الكمية والسرعة. وكان من العجيب حقا أن تصّر القيادة العراقية على التمسّك بموقفها اليائس رغم الدمار الذي حلّ بالبلد والخراب الذي لحق بمؤسساته دون قدرتها على الرد، فيما يزداد الدمار ساعة بعد ساعة بل دقيقة بعد دقيقة

وهي بلا حول ولا قوة لعمل أي شيء لإيقاف ذلك الدمار. بل إن ذلك الموقف اللامنطقي الذي اتخذته يمكن تفسيره وكأنه دعوة إلى المزيد من الدمار والتخريب.

وتستمرّ الحرب وتتصاعد، ويزيد الدمار ويتسع، وفي المقابل تزيد الطنطنة وكأن ما كان يحصل لا يعني الذين يديرون الأمور من أبراجهم العاجيّة أو من مخابئهم التي اختبأوا بها مع أهليهم وجعلوا شعبهم وبلدهم يدفع الثمن باهظًا مقابل ركوبهم رؤوسهم وإصرارهم على موقفهم اللامنطقي.

ويستمرّ العراق في ارتكاب حماقاته، ويبدأ بأعمال تخريبيّة من نوع آخر. فيسلّط أزلامه على المنشآت النفطية في الوفرة وغيرها من المناطق ويبدأ في نسفها وتدميرها وحرق بعض الآبار وتفكيك وتعطيل الأجهزة الدقيقة للمنشآت، وسرقة قطعها المهمّة والحسّاسة ليشلّ حركتها. كما يبدأ بضخّ كميات هائلة من البترول في مياه الخليج مما يسبب كارثة بيئية ضخمة. وتتّسع البقعة النفطية يومًا بعد يوم لتصل إلى ٦٠ كيلو مترًا طولًا و ١٣ كيلو مترًا عرضًا يوم ٢٧ يناير. وتبدأ في ذلك اليوم الطائرات الأمريكية من طراز (اف ـ ١١١) بقصف صمّامات ضخّ البترول في ميناء الأحمدي بهدف وقف تسرّبه منها إلى مياه الخليج وتنجح العملية في ذلك، ولكن الكارثة تبقى تهدّد كل ما هو حي من كائنات في الخليج. كما تستمرّ طائرات التحالف في قصف مواقع القيادة الثابتة والمتحرّكة لمنصّات إطلاق صواريخ سكود وشبكات الاتصال وقوات الحرس الجمهوري. فيما استمرت صواريخ (باتريوت) في إبطال مفعول صواريخ سكود وتصيُّدها قبل وصولها إلى أهدافها العشوائية حيث أصابت كثيرًا من المدنيين والمنشآت المدنية. كما يتركّز حديث الدوائر العالمية ـ سواء السياسية منها أم الشعبية ـ على دقة الإصابات للأهداف التي تقوم بضربها طائرات التحالف، حيث يتمّ التركيز على الأهداف العسكرية، ويحدث ذلك رغم أن عمليات التدمير شاملة وتحقّق أكبر نسبة من الخسائر ودون أن تتعدّى حدود الهدف، وهو ما يعني عدم تعرّض المباني المجاورة للهدف أو سكانها لأية أخطار، وعلى عكس ما يدّعيه النظام العراقي. ويؤكّد الجنرال نورمان شوارسكوف قائد القوات الأمريكية أنه كان بالإمكان كسب حرب تحرير

الكـويت في يومين فقط وبسرعة وسهولة تامة لو أن القوات الحليفة لم تراع الحرص الشديد على عدم ضرب المدنيين والأهداف والمنشآت المدنية في العراق والكويت. وفي تطوّر جديد تبـدأ الأفواج من الطائرات العراقية ـ العسكرية منها والمدنية، المملوكة للعـراق وكذا المسروقة من الكويت ـ بالتدفّق على إيران بالعشرات خوفًا من المصير المحتوم. كما ينزح آلاف المواطنين العراقيين إلى الحدود الإيرانية عبر منطقة كردستان في الشمال وشلمجة في الجنوب وخسروى وعيلام ليصل عددهم إلى خمسين ألف نازح في الأسبوع الأول للحرب. ويقوم العراق بارتكاب حماقة أخرى يوم ٣٠ يناير وذلك بهجومه البري على مدينة الخفجي الخالية من السكان ليدفع الثمن غاليًا بعد يومين من ذلك الهجوم، حيث تمّ تدمير معظم دبابات وعتاد القوة المهاجمة، والاستيلاء على ما تبقّى من أسلحتها وقتل عدد كبير من المهاجمين وأسر المئات منهم.

وفي خطوة أخـرى غير حضـارية أعلن العراق أنه سيُعامل الأسرى من دول التحـالف كمجـرمي حرب، وأضاف أنه سيستخدم الأسرى الذين بحوزته كدروع بشرية ويضعهم قرب الأهداف الاستراتيجية «لردع دول التحالف ومنعها من قصف تلك الأهـداف». وفي يوم ٣٠ ينـاير أعلن العـراق أن أحد طياري القوات الدولية الأسرى لقي مصرعه نتيجة غارة جوية على بغداد. وقد أثار ذلك غضب واستنكار دول العالم التي لم تعد تعتبر النظام العراقي إلاّ عصابة من المجرمين الذين لا يعيرون أي احترام لشيء اسمه القانون.

ويستمر الوضع كذلك. فكلّما أقدم العراق على خطوة هوجاء كلّما كان الردّ عليه في الصميم بحيث أصبح لا يخطو أي خطوة إلاّ وتنقلب ضدّه. ولكنه استمر بتصرفاته تلك، كالثور الهائج الذي يريد مناطحة الصخر دون تفكير بما سيصيبه. وقد كانت النتيجة وخيمة وباهظة التكاليف.

ـ التطوّرات السياسية بعد بدء الحرب

أدّى نشوب الحرب إلى توقّف المبادرات السياسية لحل الأزمة سلميًا. كما كان وقوعها مفاجأة للذين كانوا يراهنون على عدم توفّر العزيمة لدى الرئيس بوش لبدئها

حيث ساقوا من الحجج والأوهام مابدأوا يصدقونها ويخدعون أنفسهم بها حتى صاروا ضحيّة لما قدّمت لهم أيديهم وعقولهم من أوهام. وقد بدأ سياسيو تلك الدول وممثلوها بالأمم المتحدة ـ وفي مقدّمتهم اليمن والأردن والسودان وتونس ومن لف لفهم ـ يطالبون بوقف الحرب واللجوء إلى مجلس الأمن لعقد جلسة علنية من أجل بحث حرب الخليج والدعوة لوقف العمليات العسكرية بشكل مؤقت واستئناف الجهود الدبلوماسية لحل الأزمة سلميا، وكأن الأشهر السبعة التي سبقت اندلاع الحرب لم تشهد أي جهود أو محاولات لمنع اندلاعها من الأساس.

أما دول الخليج وفي مقدمتها الكويت، فكان بدء العمليات العسكرية بالنسبة لها تأكيدًا على أن العالم بأسره يقف معها في هذه الأزمة من منطلق تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وفي سبيل إعادة الشرعية إلى نصابها وردع المعتدي. وكانت بيانات تلك الدول تعكس الشعور بالاطمئنان والتقدير لتلك المواقف المبدئية. فقد شكر صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد دول التحالف عل وقفتها المشرفة وهنّأ أبناء الكويت بقرب بزوغ فجر نصرهم وعودتهم إلى وطنهم بعد تحريره القريب من الغزو العراقي، وشدّد على أن من حق كل منهم الشعور بالفخر والاعتزاز على ما أظهروه من تضامن خلال المحنة القاسية، وأضاف أن بشائر النصر قد لاحت بعد نجاح جهود العالم المناصر للحق في مواجهة شريعة الغاب التي أرادها رئيس النظام العراقي. كما أصدر مجلس الوزراء الكويتي بيانًا بمناسبة بدء العمليات العسكرية، أعرب فيه عن شكره وتقديره لكل الدول الشقيقة والصديقة التي ساهمت وتساهم في عملية تحرير الكويت وهو ما يؤكّد شرعية هذه الحرب وضرورتها لتحرير الكويت. كما أكّد سمو ولي العهد أن العالم أجمع يشهد لحظات تاريخية فاصلة بين انتصار الحق والعدل، واندحار الباطل والعدوان. وأعلن مجلس التعاون لدول الخليج العربية في بيان له عن تصميمه على تحرير الكويت وفقا للقرارات الخليجية الصادرة عن المجلس والقمة العربية وقرارات مجلس الأمن الدولي، والتعاون مع القوات الدولية من أجل تحقيق ذلك الهدف. كما أكّد المجلس أن شعب الخليج لن ينسى جريمة الذين أيّدوا عدوان العراق وصفّقوا له وأهانوا شعب الكويت. هذا ورفضت وزارة الخارجية الكويتية الأفكار والمبادرات

المطروحة لوقف إطلاق النار، وأشارت إلى مواقف العراق المتعنتة والرافضة لجميع المبادرات التي طرحت قبل اندلاع الحرب بشكل ثبت فيه إصراره على العدوان. كما أكّدت أن حرب التحرير لا يمكن أن تشهد هدنة أو وقفًا لإطلاق النار قبل إتمام الانسحاب الكامل من الكويت وعودة الشرعية إليها.

وفي القاهرة أكّد الرئيس حسني مبارك أن عجلة حرب تحرير الكويت قد دارت، ولن تتوقف إلا بانسحاب القوات العراقية وعودة الشرعية إلى الكويت، وأكد أن هدف مصر هو المشاركة في حماية دولة عربية مسالمة وصغيرة من بطش دولة عربية كبيرة وأضاف: «إنه إذا وافقنا على مبدأ احتلال الأرض بالقوة فكيف نطالب إسرائيل بالتنازل عن الأرض المحتلّة أو حلّ القضية الفلسطينية؟» ووصف قيام نظام بغداد بضرب إسرائيل بالصواريخ بأنها مجرد (فرقعة) المقصود منها توريط مصر والأردن وسوريا والأمة العربية. وفي إسرائيل أكّد حاييم هيرتزوج رئيس إسرائيل «بأن الهجمات الصاروخية العراقية على إسرائيل خدمت مصالحها»، مشيرًا إلى أن تلك الهجمات ضمنت لإسرائيل أن تكون صاحبة صوت مسموع عند تسوية الأوضاع في المنطقة بعد انتهاء حرب الخليج. وكانت سوريا قد وصفت إطلاق الصواريخ على اسرائيل بأنه عرض مسرحي وطلبت من صدام التنحّي عن الحكم لأنه يقود بلده إلى الهاوية والدمار ولا يملك الشجاعة لاتخاذ قرار بالانسحاب من الكويت بهدف إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرض العراق. أما إيران فقد أكّدت حكومتها موقفها الحيادي وتعهّدت بعدم الانحياز إلى أي طرف من أطراف الصراع في أزمة الخليج. كما أكّدت أنها لن تسمح لأي طائرة عراقية تلجأ لإيران بمغادرتها إلاّ بعد انتهاء الحرب. وعقد مجلس الشورى الإيراني جلسة لمناقشة حرب الخليج تحدّث خلالها النواب عن أطماع صدام حسين الشريرة وأوضحوا خطر السكوت على صدام وهو يستخدم الإسلام سلاحًا كاذبًا ليؤمّن رأسه من الضربة التي سوف يتلقاها عاجلاً أم آجلاً. وقد كشف الرئيس الإيراني عن رسالة أرسلها له صدام حسين قبل بدء الحرب أشار فيها إلى أن الحدود بين بلديهما تمتدّ لمسافة تزيد على ١,٠٠٠ كيلو مترًا برًا و ٨٠٠ كيلو مترًا من الحدود البحرية، وهو ما يعني رغبة صدام في احتلال الإمارات وقطر وجزء من سلطنة عمان حتى مضيق هرمز. وكان الاتحاد السوفيتي قد

أعلن عن أسفه لفشل الجهود السياسية التي بذلت من أجل التوصّل لحل أزمة الخليج، وحمّل القيادة العراقية مسؤولية إفشال هذه الجهود السلمية لأنها (فقدت الرشد). كما وجّه الرئيس جورباتشوف نداء إلى صدام يوم ٢٠ يناير يطالبه بالإعلان فوراً عن عزمه الانسحاب من الكويت فيما وصف بيان لوزارة الخارجية السوفيتية قيام العراق بضرب إسرائيل بالصواريخ بأنها محاولة لتحويل طبيعة النزاع من احتلال الكويت إلى أزمة تعصف بالمنطقة وإشعال حريق هائل في الشرق الاوسط.

أما في بغداد فقد شملت الاتهامات التي استمرّ العراق بإطلاقها في كل اتجاه الأمين العام للأمم المتّحدة السيد بيريز ديكويلار الذي حمّله طارق عزيز (شخصيا) مسؤولية ما يحدث ضدّ العراق.

(٢) الأحوال في الداخل

ـ الوضع ما قبل نشوب الحرب

الخطوات الأخيرة قبل نشوب الحرب

لم تختلف الأوضاع الداخلية كثيرًا في النصف الأول من يناير عمّا كانت عليه في ديسمبر، لكن التكهّنات بدأت تزداد بحتمية وقوع الحرب، وبدأ من لم يستعد لها من قبل بالاستعداد. وقد ساد جو من التوتر وشدّ الأعصاب والغموض حول ما ستكون عليه الأوضاع إن اندلعت الحرب. فبالرغم من اشتياق الجميع لليوم الذي ستبدأ فيه الضربة التي من المتوقع أن تقصم ظهر العدو، إلاّ أن أحدًا لم يكن يعرف أو يستطيع التكهّن بما سيقوم به ذلك العدو الغادر من أعمال انتقامية ضدّ المدنيين العزّل، خاصة وقد خبر الناس نوعية ذلك النظام وأساليبة اللاإنسانية في البطش خلال فترة الشهور الخمسة السابقة.

وقد تميّزت فترة الأسبوعين التي سبقت اندلاع الحرب باندفاع الناس حول شراء مولدّات الكهرباء ومضخّات الماء وتخزين الكيروسين والبنزين في براميل كبيرة داخل

البيوت استعداداً للمجهول. كما كانت الطوابير أمام المخابز والجمعيات التعاونية ـ التي خلت تقريباً من كل شيء ما عدا السلع (غير المرغوبة) والخضروات والفواكه (الذابلة) التي كانت تأتي من العراق ـ تطول لتصل إلى عشرات الأمتار ينتهي الأمر بعدها للواقف بطابور المخبز برغيفين، وطابور الجمعية بعلبة بزاليا وصابونتين وقليل من السكر.

كما استمرّ كثير من (الفضوليين) بالتوجّه إلى الشويخ لشراء ما تقع عليه أعينهم من سلع ومواد غذائية ابتداءً من البيض والدجاج الحي والمذبوح ـ الذي كان يباع مجمداً وقد وضع في أكياس كبيرة من الجوت تشمئز منها الأنفس ـ إلى بطاريات الراديو والأشرطة اللاصقة والفوانيس والشموع وطبّاخات الكيروسين وغيرها من أشياء.

وكانت الشويخ قد بدت في تلك الأيام وكأنها مدينة أشباح بعد أن تم كسر أبواب معظم المحلات ونهب ما فيها من مواد. وكنت لا ترى أكثر من متجر أو اثنين وقد تم فتحهما للبيع بين كل خمسين متجراً مغلقًا أو منهوباً. أما المناطق التجارية في مدينة الكويت فلم يعد بها شيء اسمه الحياة، إذ تمّ نهب معظم متاجرها وحرق أعداد كبيرة منها ولم يعد يفتح فيها أحد متجره إلاّ عدد قليل جدًا من غير الكويتيين في المنطقة الصناعية في الشرق، حيث كانت تباع هناك بقايا علب زيت السيارات وبعض قطع الغيار التي نادراً ما تجد من يقوم بتركيبها بالسيارة.

وقد لاحظ كثير من المواطنين الذين كانوا يتنقلون بين تلك المناطق لشراء الحاجيات ـ بالإضافة إلى ملاحظة الأوضاع ـ أن معظم جنود السيطرات في تلك الفترة كان قد أصابهم الإحباط والملل من ذلك العمل الروتيني، الذي يقف الواحد منهم فيه ساعات طويلة دون غذاء أو ماء في كثير من الأحيان. وكان معظمهم لا يدقق في سيارات المارة إلاّ إذا صادف تواجد أحد الضبّاط أو رجال الاستخبارات بينهم. كما كانوا كثيري الطلبات للماء والغذاء. وقد استغل هذه الظاهرة شباب المقاومة الذين كانوا ينقلون بعض الأسلحة والذخائر بين بعض المناطق ويقدّمون لأولئك الجنود بعض المواد الغذائية.

الجو السياسي السائد قبل بدء الحرب

كان الجو السياسي العام في الداخل يتفاعل مع الأحداث وينصبّ نحو توقعات نشوب الحرب ونتائجها واحتمالات وقوع معجزة لمنع اندلاعها. إلاّ أن ميزان التوقّعات كان يميل نحو حتمية وقوعها خاصّة بعد ركوب صدام رأسه وعدم تزحزحه عن موقفه الرافض للانسحاب وفشل محادثات بيكر ـ عزيز وزيارة السكرتير العام للأمم المتحدة لبغداد. وكانت الحوارات السياسية تدور حول هذا الموضوع في كل مكان، سواء في الدواوين أو في خيام الحراسة أو في الطوابير الطويلة التي أصبحت كالمنتديات حيث تتحاور كل مجموعة من الواقفين فيها خلال ساعات الانتظار الطويلة، وذلك بهدف تبادل الآراء وسماع آخر الأخبار بالإضافة إلى تسلية النفس وقتل الوقت الذي يستغرقه الوقوف في تلك الطوابير.

وكان لتواتر الأخبار والتطوّرات بصورة متلاحقة في تلك الأيام أثر كبير على المعنويات. فما إن يأتي الخبر إلاّ ويتلاقفه الناس ليبدأوا بتحليل آثاره على احتمالات نشوب الحرب. ومع عدم المبالغة فإنه يمكن الجزم بأن ميول الأغلبية الساحقة من المرابطين أصبحت تتجه نحو الرغبة في وقوع الحرب بغضّ النظر عما سيصيبهم من ضرر. إذ كان الشعور العام هو ضرورة معاقبة المعتدي وجعله يدفع الثمن باهظًا، بالإضافة إلى ردع كل من تسوّل له نفسه في المستقبل في التفكير بالقيام بأي عمل مماثل. لذلك كانت الأخبار التي تزيد من احتمال وقوع الحرب ترفع من المعنويات إلى السماء. أما إذا ورد خبر يوحي باحتمال نجاح أي نوع من الوساطة أو الحل السلمي، فإن المعنويات كانت تتدنّى مما كان يؤدّي إلى غرق النفوس في متاهات الإحباط. فقد كان الحل السلمي لكثير من المرابطين يعني إمكانية تقديم تنازلات للمعتدي وبالتالي مكافأته على عدوانه، وفي نفس الوقت ضياع التضحيات الكبيرة التي قدّمها الشعب الكويتي ـ وخاصّة منها أرواح الشهداء ـ هباءً وفي أدراج الرياح. كما كان الناس يتوقون إلى رؤية المنطقة بعد الحرب وقد أُزيل منها ذلك النظام الدموي، الذي حكم العراق ما يقارب من ربع قرن، جعل فيه المنطقة تتخبّط من حرب إلى

حرب ومن نزاع إلى نزاع، مما أدّى إلى استنزاف خيراتها وخلق العداوات بين شعوبها وشقّ صفوف المجتمعات في كل دولة من دولها، بسبب ما أثاره ذلك النظام المستبدّ من فتن طائفية، وأحقاد قومية ومهاترات ونظريات لا تخدم في النهاية إلاّ مصلحته ومصلحة حزبه، الذي أصبح همه الوحيد الاستمرار بالحكم ولو كان ذلك على حساب أشلاء شعبه وشعوب المنطقة بأسرها. ولم يكن من الممكن اجتثاث ذلك النظام بدون توجيه ضربة قاضية تُحطّم إمكانياته الحربية الضخمة وتحط من هيبته أمام شعبه، وفي مقدّمتهم أولئك الذين ظلوا لسنوات طويلة ينتظرون الفرصة السانحة للانقضاض عليه، بالرغم من قلّة عددهم وتواضع امكانياتهم أمام ما يتوفر لديه من إمكانيات رهيبة لا تكاد تعد أو تحصى.

ـ وتدق ساعة الخلاص

كانت أمسية الأربعاء ليلة الخميس ١٦/١٧ من يناير تتميّز بعبق خاص في الداخل، جعلها تختلف عما سبقتها من ليال. فقد كان الجو العام فيها مشوب بالحذر لكنه مشحون بالتفاؤل ومفعم بالشوق ومليء بالترقّب لما قد يحدث خلال ساعات. وقد شعر الكثير من الناس بأن هناك حاسة سادسة تعتريهم، مؤكدة لهم أن الواقعة ستقع لا محالة قبل بزوغ فجر اليوم الجديد، لتزلزل الأرض من تحت أقدام المعتدين وتهزّ أركان وجودهم على هذه الأرض الطاهرة، التي ستلفظهم لا محالة وتقذف بهم إلى أتون الجحيم.

وكان صفاء تلك الليلة المباركة ودفء الحنين فيها للحرية وأحلام عودة الأم الحبيبة ـ الكويت ـ لأحضان أبنائها ـ بعد انتزاعها من مخالب تلك الوحوش الكاسرة التي لا تعرف شيئا اسمه الإنسانية ـ كان لذلك كله وقع خاص على النفوس، جعل جلّ من كان يعيش على أرض الكويت تلك الليلة لا يستطيع أن يغمض عينيه، ولا يكاد جفناه يطاوعانه على الانطباق. فهناك عرس من نوع جديد بين الكويت والحرية توشك طبوله أن تقرع في أية لحظة، وتستّعد أفواج المشاركين فيه للتوجّه إلى ساحة الاحتفال، حاملة معها مشاعل الفرح استعدادًا لبدء طقوس الزفاف... زفاف الحرية للكويت ... زفافًا سعيدًا لزواج أبدي لا يفترق فيه الطرفان.

وكـان الحـدس صادقًا . . .والحلم حقيقة. . .والأمل واقعًا يراه كل ذي قلب سليم، رؤية واضحة لاغبار عليها ولا تشوبها أية شائبة. فكان لزامًا على كل من شهد الحدث وعاش معانيه لحظة بلحظة، أن يسجد لله شكرًا ويحمده على نعمائه حمدًا كثيرًا لا نهاية له. فلولا عنايته ولطفه لما كان ما كان، ولما رأينا ذلك اليوم المشهود من تاريخ هذه الأرض الحرّة التي لفظت من قبل كثير من الغزاة عبر تاريخها الحافل.

ـ بدء الهجوم الجوّي وردّة فعل المواطنين

ما إن تعدّت عقارب الساعة الثالثة من فجر ذلك اليوم المبارك، وبعد الإعلان عن بدء الهجـوم الجوي بلحظات، إلاّ وكانت الهواتف تدّق في كل بيت من بيوت الكـويت من أقصـاهـا إلى أقصاها وكأنها تترنّم وتتّسق مع أزير الطائرات المتوجّهة لأهدافها المرسومة، معلنة بدء ساعة الصفر والتحرير. وكأن هذا الجهاز الأصّم يريد المشاركة بالفرحة التي غمرت كلَّ بيت. كما صعدت بعض النسوة أسطح المنازل وهي تطلق الهلاهل بأعلى أصواتها في كل اتجاه معلنة فرحتها التي طال انتظارها وتحدّيها للعدو الغـاشم. وكـانت أخبار الهجوم تتناقل بين الناس بسرعة تكاد تفوق سرعة البرق. وبـدأت إذاعات العالم تتسابق في نقل آخر التطورات بينما تسمر الناس قرب تلك الأجهزة لسماع كل خبر يصل من ساحة القتال ومن مراكز اتخاذ القرار. وكانت تلكَ اللّيلة من اللّيالي التي لا تنسى، حيث واصل الناس فيها اللّيل بالنهار دون كلل، ليشهدوا الساعات التي تاقوا إليها وكانوا ينتظرونها على أحر من الجمر.

وجـاء الصباح وبقي معظم الناس في بيوتهم يتابعون الأخبار والتطوّرات من خلال أجهـزة الـراديو وبعض محطّات تلفزيون دول الخليج. واستمرّت الاتصالات بالهاتف لتبادل البشرى والتهاني بينما خلت الشوارع تقريبًا من الناس. إذ حرص معظم المواطنين في اليومين الأولين للهجوم على عدم الخروج من البيوت إلاّ لحالات الضرورة لتحاشي الاحتكاك مع جنود العدو بينما بقي الجنود في جحورهم مختبئين، وبدأ بعضهم في الهروب من المخافر والمدارس خوفا مما قد يصيبهم من انتقام.

وفي الرميثية قام شباب المقاومة صباح ذلك اليوم بالهجوم برشاشاتهم وأسلحتهم

□ بعض المنشورات التي القتها قوات الحلفاء على مواقع جنود العدو في الأيام الأولى للحرب تحذر فيها الجنود وتطلب منهم ترك مواقعهم □

مساء وبذلك توقّفت الحراسات الليلية في البقية الباقية من الخيام التي لم يزيلوها. كما أخذ جنود الاحتلال في المرور على البيوت ليلاً طالبين منهم إطفاء أضواء الأسوار وإزالة الكشّافات التي كان الكثير من المواطنين قد وضعوها لإنارة الشوارع من أمام منازلهم. كما كانوا يطلقون النار على تلك الأضواء إن لم يتم إطفاؤها.

وبعد مرور فترة على بدء الهجوم الجوي واطمئنان سلطات العـدو من عدم وقـوع هجـوم بري وشيك عادوا مرة أخـرى لأسـاليبهم السـابقـة في السرقة والنهب والاستبداد. إذ استمر النهب (الفردي) للبيوت الخاليه وأخذ الجنود يدخلون ليلاً تلك البيوت لينهبوا الأشياء الخفيفة كالتحف والملابس والأجهزة الإلكترونية والمجوهرات، بعد أن يقوموا بكسر الأبواب والخزّانات. ونظرًا لتجمّع العائلات أثناء الليل في البيوت ذات السراديب وترك بيوتهم خالية، كان الجنود يراقبون تلك البيوت ليأتوا إليها ليلاً، أثناء غياب أصحابها عنها ليأخذوا ما يطيب لهم من أشياء، حيث لم تسلم معظم تلك البيوت من أيديهم، التي اعتادت على السرقة والمال الحرام. وكان المواطنون إذا عادوا في الصباح إلى بيوتهم وجدوا الأبواب مكسورة وبعض حاجياتهم مسروقة. وكان ذلك يتكرّر كل ليلة بالرغم من أن أصحاب تلك البيوت كانوا يقفلونها نهارًا ويضعون بعض الأثاث الثقيل خلف الأبواب التي تمّ كسر أقفالها ليأتوا في اليوم التالي ويجدوا أن تلك (الأثقال) قد أزيلت وأن أشياء أخرى قد سرقت. وقد هم بعض المواطنين بالمبيت في بيوتهم في بعض الليالي لمنـع جيش اللصوص من النهب ولكن الجميع حذرهم من خطورة ذلك، إذ أن أولئك الجنود لم يكونوا ليتورّعوا عن قتل أي عدد من البشر في سبيل الحصول على أتفه شيء ممكن التفكير به، كالراديو أو الساعة أو جهاز التلفون. وكان ذلك في الحقيقة يدل على دناءة تلك المجموعات من الرعاع التي يتكوّن منها جيش العـدو، فعملهم هذا لا يدل على دناءة نفوسهم فحسب، بل يكشف عن نوعيتهم المنحطّة التي لم يستيقظ لها ضمير ولم يتحرك لها شعور، وهي تسمع وترى وطنها وهو يتعرّض لأعنف الهجمات وأشدّ الضربات التي حطمت كل ما كان فيه من منشآت ومشـاريع، وهي لاتزال تفكّر بمصلحتها الذاتية من خلال سرقة أشياء لا تستحق الذكر من تفاهتها كالراديوات والأثاث وما شابهها.

ومن الأمور الاستفزازية التي قام بها جنود العـــدو في تلك الفترة كتابة الشعارات التي تمجّد طاغيتهم على جدران المنازل والمساجد وإنذار المصلّين «بهدم المسجد على رؤوسهم إن هم أزالوا تلك الشعارات». كما طلبوا من أئمة المساجد الإعلان بعد صلاة الجمعة بوجوب تسليم العسكريين لأنفسهم حتى لا يتعرّضوا لأي عقاب، زاعمين أن من يُسلّم نفسه لن يناله أي أذى.

وفي خطوة استفزازية أخرى تمّ منع بيع الخبز في بعض المناطق على الكويتيين الذين لم يستبدلوا بطاقاتهم المدنية بالهوية العراقية، مما يعني عدم استطاعتهم الحصول على رغيف الخبز نظرًا لعدم قيام أي منهم بتبديل تلك الهوية. كما تم في تلك الفترة طرد كثير من الشباب الكويتي الذين تطوّعوا للعمل في المخابز حتى لا يأخذوا معهم بعض الأرغفـة وتمّ استبدالهم بغيرهم من جنسيات أخرى. وقد منعت السلطات العراقية أيضا في تلك الفترة المواطنين الكويتيين من استخدام البطاقة المدنية للحصول على المواد الغذائية الأساسية بسبب عدم قيام أحد منهم باستبدال بطاقته بالهوية العراقية.

ـ استمرار بطش الغزاة على أشدّه

بالـرغم من أن هذا الشهر شهد بدء الضربة القاصمة للعدو والتي أدّت إلى دخـول الفـرحة إلى قلوب المواطنين واستبشارهم بنتائجها، إلّا أن كثيرًا منهم عانى الأمرّين خلاله بسبب ما لاقاه من مآسٍ وآلام. فقد استشاط المعتدي غضبًا بعد بدء الهجـوم وبدأ يصبّ جام غضبه على المواطنين العزّل على شكل اعتقالات عشوائية وبطش وتعذيب وإعدامات بالجملة وصنوف من الأعمال الإجرامية التي لم تشهد لها الأشهر السابقة مثيل.

فقد شهدت الأيام الأولى للشهر ـ وقبل بدء الهجوم الجوي ـ مداهمة أحد أكبر مراكـز المقاومة في الكويت، والقبض على قادة ذلك التنظيم وهم مجتمعون في أحد البيوت مساء يوم ٢ يناير، بعد أن تمّ رصد المكان ونشر قوة كبيرة في المناطق المحيطة

به، وكأن هناك جيشًا عرمرمًا ستتمّ المواجهة معه. وقد تمّ القبض على أكثر من ٢٥ عنصرًا من المقاومة بكل ما لديهم من أجهزة وسلاح في تلك الليلة، ونقلهم في باصات إلى أحد السجون تمهيدًا لنقلهم إلى بغداد. وقامت سلطات الاحتلال بممارسة جميع أنواع التعذيب والإهانة معهم قبل وأثناء التحقيق. كما تمّ اعتقال عدد كبير من ذويهم من أطفال ونساء ومسنّين وإبقائهم في المعتقلات لمدة تزيد عن أسبوع تمّ بعده إطلاق سراحهم. وقد وضعت كمائن في منازلهم خلال تلك الفترة في سبيل القبض على من يأتي للسؤال عنهم، حيث قُبض على أعداد أخرى من أقاربهم. وكان لذلك الحدث أكبر الأثر على خطط المقاومة التي كانت تنوي القيام بأعمال كثيرة حال وقوع الحرب. ولكن ـ لحسن الحظ ـ لم يؤد القبض على قيادة تلك المجموعة إلى كشف بقية الخلايا العاملة التي استمرّت في بعض الأعمال كتفخيخ السيارات وتصيّد أزلام النظام.

أما عملية الاعتقال للمواطنين العزل فقد استمرت في يناير على أشدها، اذ أخذت طابعًا مزاجيًا كان هدفه الرئيسي هو الابتزاز ولم يكن يخضع لأي مسببات أو تهم معيّنة. فقد كان شكل الضحية وسنّه واحتمال كونه من عائلة تستطيع دفع (فدية) معيّنة لإطلاق سراحه يكفي كسبب لاعتقاله. وكان الهدف واضحًا وضوح الشمس، وهو رغبة كل فرد من ذلك الجيش والاستخبارات بأخذ ما يمكن أخذه بعد أن أصبح الهروب وشيكًا. لذلك راجت في تلك الفترة ظاهرة خطف المدنيين وأخذهم للمخافر وإلقاء أي تهمة عليهم، بهدف تخويف أهاليهم والضغط عليهم لدفع ما يتيسر من أموال أو (هدايا) لإطلاق سراحهم. وكانت تهمة الانتماء إلى المقاومة أو مساعدتها من أسهل التهم وأخطرها في نفس الوقت، لتضخيم العملية أمام الأهل وترويعهم لتكون الفدية أكبر. وقد تمّ اعتقال المئات من المواطنين الأبرياء بهذه الطريقة في يناير ـ سواء قبل بدء الهجوم الجوي أو بعد ذلك. وقد حدث أن تمّ إلقاء القبض في إحدى المرّات على طفل عمره تسع سنوات كان يلعب أمام منزله وهو مرتديا لبس (الباتمان). ونظرًا لعدم معرفة الجنود (النشامى) لذلك النوع من اللبس، فقد ظنّوا أنه يرتدي (لباس المقاومة)، ممّا أدّى إلى اعتقاله وحجزه في المخفر. وكان ذلك الطفل البريء لا يستطيع النطق بكلمة واحدة من شدّة الخوف والدهشة. وقد ظلّ أهله يبحثون عنه طوال ذلك

اليوم من مخفر إلى مخفر دون أن يعطيهم أحد أي جواب. وكان هذا الأسلوب متبعًا في جميع المخافر ومراكز الاعتقال، إذ يدَّعي كل من فيه بأنه ليس لديهم ذلك الاسم. وبعد محاولات مستمرة وجهود كبيرة وتقديم بعض (الهدايا) وما شابه استطاع ذوو الطفل الاهتداء إلى مكان (اعتقاله)، وتمّ إقناع رئيس المخفر بأن هذا الطفل لازال في المرحلة الابتدائية ولم يصل سنه إلى العاشرة وهو لا يعرف حتى معنى المقاومة.

كما حدث في إحدى المرات أن اعتقل شاب في مشرف. وبعد جهود كبيرة بذلها أهله في سبيل إطلاق سراحه طلب رئيس المخفر جهازي فيديو. وبعد تقديم الجهازين عاد وطلب أيضا جهازي تلفزيون فقدّم له أهل الشاب الجهازين. فعاد وطلب منهم (كرتون ويسكي). فما كان من أهل الشاب إلاّ أن أبلغوا ذلك الضابط المنحطّ أنّهم يفضّلون بقاء ابنهم معتقلا على ارتكاب ذلك الإثم. وقد حدثت مئات الوقائع المماثلة في تلك الفترة التي أحس فيها الغزاة بقرب رحيلهم، ممّا زاد فيهم الميل للابتزاز والنهب.

أما أنباء التعذيب والتنكيل بالناس فقد كانت واضحة من الجثث التي كانت تلقى أمام منازل ذويهم بعد تنفيذ أحكام الإعدام. وكان جسم الشاب ـ الذي يتم إلقاء جثته أمام منزل أهله بعد إعدامه ـ يرى وهو شبه ممزّق من شدّة التعذيب. وقد قام بعض الأطباء الكويتيين المتواجدين في المستشفيات بتصوير جثث كثير من الشهداء وعليها آثار التعذيب المروِّع الذي يصعب على أي إنسان، لديه إحساس أن يلقي نظرة عليها من شدّة ما بها من تشوّهات وما تسبّبه من ترويع يعكس الوحشية والقسوة اللامتناهية وانعدام الضمير لدى منفذي تلك الأعمال الإجرامية.

ويصف أحد الأطباء جثّة شاب شاهدها في إحدى ثلاجات المستشفى الأميري فيقول كان ذلك الشاب قد قلعت إحدى عينيه وتمّ سلخ لحم ساقيه واستعمل المثقاب الكهربائي (الدريل) في ثقب جانبي صدره كما استعمل المنشار الكهربائي في شقّ رأسه من أعلى إلى نصفين وكان المخ قد خرج من الجمجمة نتيجة لتلك العملية... وممّا يزيد الألم والقشعريرة في النفس أن تلك الأعمال الهمجية كانت تنفّذ في جسم ذلك الإنسان البريء وهو لا يزال على قيد الحياة.

وبالنسبة للإعدامات لشباب الكويت الذين كانوا في عمر الزهور فقد وصلت حدًا لا يطاق في يناير من كثرتها. فقد كانت المقابر تستقبل الجثث يوميًا، حيث يقوم المتطوعون بدفنهم بعد أن يتمّ تسجيل أسماء البعض منهم، والذين إما أن تكون برفقتهم هوية أو أن يكون أهلهم قد أحضروهم. وكان عدد من الشهداء الذين تمّ دفنهم مجهولي الهوية، حيث كانوا يشاهدون في بعض الأحيان وقد ألقوا في أماكن مختلفة، ويتمّ جلبهم للمقابر من قبل بعض المواطنين.

ـ الحياة الاجتماعية للمواطنين أثناء الحرب

تغيّر مسار الحياة الاجتماعية للمواطنين بصورة كبيرة بعد بدء الحرب. فقد توقفت الحراسة الليلية بعد أن أصبحت الأوضاع الأمنية غاية في الخطورة. كما انقطعت الاجتماعات الليلية في معظم الدواوين التي لجأ إليها بعض المواطنين بعد أن تمّت إزالة خيام الحراسة التي أقاموها في أحيائهم. كما لجأت كل مجموعة من العائلات إلى السراديب المخصّصة لها والتي أصبحت تؤوي عشرات الأفراد من الناس بين رجل وامرأة وطفل ومسنّ. وقد قضى معظم المواطنين وقتهم طوال الأيام الأولى للحرب داخل البيوت التي تجمعوا فيها وهم لا يكادون يفارقون أجهزة الراديو لسماع آخر التطوّرات. كما بدأت النساء بالتعاون لتحضير الوجبات الغذائية للأعداد الكبيرة التي تجمّعت في كل بيت من تلك البيوت المحتوية على سراديب. وكان الازدحام شديدا في تلك (المخابيء) التي امتلأت بالأطفال والنساء والرجال وكان يتمّ وضع الفرش على الأرض في صفوف طويلة بجانب بعضها البعض كما لو كان المكان معسكرًا للجيش، فيما تمّ تقسيم كل سرداب إلى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء وذلك بوضع حاجز لفصلهما عن بعض. وقد وصلت أعداد المتواجدين في بعض السراديب إلى أكثر من مائة شخص، خاصّة في المناطق التي كان عدد السراديب فيها محدودًا، إذ كان سكّان عدة أحياء في بعض الأحيان يتوجّهون إلى السرداب الوحيد الموجود في تلك المنطقة لحماية أنفسهم من احتمالات القصف. وكان ميل الناس نحو التجمّع ضمن أعداد كبيرة يعطي نوعًا من الاطمئنان لهم، مما زاد حماسهم للتوجّه لتلك البيوت، وخاصة منهم النساء والأطفال الذين تشجّعوا أكثر للتواجد في تلك الأماكن، لزيادة الشعور

بالأمن في ظروف صعبة وغامضة، كتلك التي سادت في الأسبوعين الأولين للحرب. وكان معظم المواطنين يقضون الليالي بالسهر وسماع الأخبار ومناقشة الأوضاع والاحتمالات المختلفة. كما قلّت الزيارات وقلّ التنقل بصورة كبيرة بين المناطق وأصبح الاتصال الوحيد للاطمئنان على الأهل والأقارب من خلال الهاتف، الذي استمر بالعمل في بعض المناطق حتى بدء الهجوم البري.

وكانت تسمع أصوات الطائرات أثناء الليل وهي تخترق سكونه، لتهزّ الأرض وما عليها وهي متوجّهة إلى أهدافها، في وسط دعاء الناس لها بالنجاح في دك حصون المعتدين. وكان ضغط الهواء الناتج عن سرعة تلك الطائرات يكاد يصم آذان الناس وهي متواجدة في تلك المخابيء. وقد اعتاد المواطنون على سماع أصوات المضادّات التي كان جنود الغزو يطلقونها دون هدف، إذ كانت عادة ما تقذف بنيرانها الهزيلة بعد فوات الأوان، وبعد أن تكون طائرات التحالف قد انقضّت على أهدافها وأنهت مهمتها وصارت في طريقها للعودة من حيث أتت.

ومن الأمور المضحكة حقًا أن الجنود العراقيين كانوا يختبئون في خنادقهم أثناء مرور الطائرات المغيرة، وبعد تأكدّهم من انتهاء الغارة وابتعاد الطائرات عن أماكن تواجدهم يطلقون النار في كل اتجاه ليوحوا لرؤسائهم بأنهم غير غافلين عن الوضع. وقد حدث في صباح أحد الأيام أن مرّت إحدى الطائرات في طيران منخفض على أحد شوارع منطقة مشرف وكان الجنود مختبئين في أحد الخنادق المطلة على طريق الفحيحيل. وبعد مرور الطائرة وابتعادها خرج الجنود وهم يطلقون النيران ويرفعون أيديهم بعلامات النصر. فما كان من الطيار ـ وكان على الأغلب كويتيًا أو من إحدى دول الخليج ـ إلاّ أن عاد وقصف ذلك الخندق وأصاب عددًا ممّن كان فيه. وكانت تلك آخر مرة يخرج فيها الجنود من ذلك الخندق، إذ لم يتجرأ أحد منهم بالخروج مرة أخرى بعد ذلك. وفي حادث مماثل كان أحد المواطنين مارًا بإحدى نقاط السيطرة وإذا بعدة طائرات تمر من علو شاهق، فما كان من أحد الجنود إلاّ أن صوب مسدسه ناحية الطائرات وأطلق بعض العيارات النارية. فسأله المواطن عمّا كان يفعل؟ فكان جواب الجندي، بصوت خافت «إن المسألة كلها معروفة» ...أي بما معناه أن كل ما كانوا يقومون به هو بدون أساس.

ومن الأمور التي لاحظها كثير من المواطنين أثناء تواجدهم في ساعات النهار وهم جلوس في الحدائق الخلفية للبيوت أن (الوز) كان يطلق أصواتًا عالية قبل كل غارة جوية بحوالي دقيقة واحدة. وكانت الطائرات المغيرة تصل بعد ذلك ويراها المواطنون وهي تتوجّه للأهداف. وقد أدّى ذلك إلى استبشار المواطنين ـ الذين لاحظوا هذه الظاهرة ـ بأصوات الوز، إذ أنه كلما تمّ سماع الوز وهو يصيح، تبع ذلك غارة جوية، ممّا جعل الجميع ينتظر الوز ليطلق صياحه مؤذنا ببدء غارة جوية جديدة تقضّ مضاجع الأعداء.

هذا ومن الآثار التي خلّفها بدء القصف الجوي انقطاع المواطنين عن زيارة الأسرى نظرًا للأوضاع الغامضة وغير المستقرة، وكذلك المخاطرة الكبيرة التي تعتري تلك الرحلات الطويلة إلى داخل العراق، الذي كانت معظم مناطقه تتعرّض للقصف. وقد مرّت تلك الأيام على أهالي الأسرى والمعتقلين وهم في توتّر مستمر وخوف شديد على أبنائهم الذين أصبحوا تحت رحمة نظام فاشي لا أحد يعرف كيف ستكون ردة فعله ضدّهم وهو يتعرض لتلك الضربات. وقد راجت إشاعات كثيرة في ذلك الوقت أن بعض الأسرى حاول الفرار من السجون والتجأ بعضهم إلى إيران وتمّ القبض على البعض الآخر. كما كان بعض الأهالي يخشون أن يصيب القصف الجوي أبناءهم خاصّة وأن العراق كان قد هدّد من قبل بوضع الأسرى قرب الأهداف الحيوية.

هذا وبدأت الأوضاع تعود إلى حالتها بعد مرور حوالي عشرة أيام على الهجوم الجوي. فقد شعر الناس بالاطمئنان من دقة الإصابة للهدف وانعدام احتمال إصابتهم بأذى من جرّاء القصف. كما بدأ المواطنون بالتجمّع مرة أخرى ولكن بصورة غير ملفتة للنظر، إذ أن جنود الغزو كانوا يجوبون الشوارع ويحذّرون في كثير من الأحيان من (التجمهر). لذلك كان تجمّع المواطنين يتمّ داخل أحد المنازل أو في الحدائق الخلفية للبيوت أثناء النهار. أما أثناء الليل فكانت أعداد قليلة تتجمّع في بعض البيوت إلى ما بعد أذان العشاء بقليل لقضاء الوقت في لعب الورق أو التداول في المواضيع المختلفة، لتعود إلى أماكن تواجد عائلاتها بعد ذلك، وتبدأ السهرة التي كانت تستمر إلى ساعات الصباح الأولى. وبدأ كثير من المواطنين بزيارة أهاليهم مرة أخرى في المناطق المختلفة،

لَمْ يَبْقَ فَرقَ بَينَ نُقُودِكُمْ وَهَذِهِ الوَرَقَة
مَاهِيَ الأَشْيَاءُ المُتَيَسِّرَة في القُطْرِ والمَعْدُومَة
المَرَضُ مُتَفَشٍّ ، وَالأَدْوِيَة غَيرُ مَوجُودَة
المَجَاعَة مُنْتَشِرَة والأَغْذِيَة غَيرُ مُتَوَفِّرَة
الوَسَاخَة مَوجُودَة أما المَاء والصَابُونُ فلا يُوجَدْ
اَلسَّمْتُ مُخَيِّمٌ ، وَالكَهْرَبَاءُ مَقْطُوعَة
عِنْدَكَ الحَسَرَاتُ وَلَكَ حَاجَةٌ إِلَيْهِ ، لَكِنَّ
زَوْجَكَ لَيسَ مَوْجُودْ .
عِنْدَكَ خَوفٌ مِنْ صَدَّام ، لَكِنَّ عِصْيَانَكَ
غَيْرَ وَارِدٌ .
خَطَرُ المَوتْ مُحْدِقٌ بِكَ ، وَلَيسَ لَكَ
نِيَّة فِي تَغْيِيرِهِ .
أَيُهَا الشَعْبُ العِرَاقِي ، لَيسَ مِنْ حَقِّكَ
إِنْتِظَارَ مَا قَدْ يَتِمْ وَأَنتَ جَالِسٌ في بَيْتِكَ .
أَيُهَا العَسْكَرِي ، أَيُهَا المَدَنِي ، أَيُهَا الشُيُوخُ
أَيُهَا الشَبَابْ ، أَيَّتُهَا النِسَاءْ ، أَيُهَا الرِّجَالْ
جَاءَ وَقْتِ تَلْبِيَتِكُمْ لِنِدَاءِ الوَاجِبْ
هَيَّا لِنُغَيِّرَ النَوَازِعْ والأَزِقَّة ، لإِسْقَاطِ
صَدَّامْ وَأَعْوَانِهِ .

□ ألقت قوات الحلفاء ورقة تشبه الورقة النقدية العراقية من فئة ٢٥ دينار وقد كتب على أحد الجهتين منها أنه « لم يبق فرق بين نقودكم وبين هذه الورقة . . . » □

إمـا مشيًا على الأقـدام أو بواسطة الدراجات التي أصبحت أهم وسيلة للتنقل، أو باستعـمال السيارات التي تمّ تبـديل أرقامها والتي كان يتوفّر عدد محدود منها في كل منطقة. أمّا السيارات التي لم يتمّ تبديل أرقامها فقد اختفت من الشوارع في تلك الفترة.

ومن الآثـار التي خلّفها الهجوم الجوي اختفاء البسطات في المناطق السكنية بسبب انقـطاع سبـل المواصلات وزيادة ضغوط السلطات العراقية على أي كويتي يجدونه بين الباعة. لذلك توقّف معظم الكويتيين الذين اضطروا في بعض الفترات إلى بيع بعض الحاجيات والبضائع لكسب قوتهم، وابتعدوا عن مزاولة ذلك العمل بعد مصـادرة البضـائع العائدة لأعداد كبيرة منهم، واعتقال البعض الآخر في محاولة من السلطات العراقية لزيادة الضغط عليهم. وفي مقابل ذلك ازدهرت الأسواق والبسطات في منطقة الشويخ وفي ميدان حولي وفي شارع تونس وبعض المناطق الأخرى، حيث بدأ الجميع يتـوجّهون لتلك المناطق لشراء ما يحتاجونه. وقد اختفت في تلك الفترة الكثير من البضائع وخاصّة الخضراوات والفواكه والأعلاف التي كانت تأتي من الأردن عن طريق العراق. كما ارتفعت أسعار المواد الغذائية بصورة كبيرة جدًا بدعوى انقطاع المواصلات مع العراق، ممّا أدى إلى نقص البضائع نتيجة للمخاطرة الكبيرة التي كان يتعرّض لها من يقوم بإيصال تلك البضائع من هناك. وبدأ الناس يعتمدون أكثر فأكثر على بعضهم البعض في الأعـمال التي يستـطيعـون القيام بها، كإصـلاح الكهـرباء والأدوات الصحية وتمديدات المياه والبناء البسيط والترميم، بالإضافة إلى أعمال أخرى، كذبح المواشي وسلخها والحلاقة لبعضهم البعض وما شابه من أمور. كما بدت كثير من الأشجار وكأنها العيدان الخاوية من كثرة ما أصابها من تقليم وذلك لإطعام الحيوانات التي دبّ فيها الهزال من شدّة الجوع، بعد أن نفذت الأعلاف واضطر أصحابها إلى اللجـوء لقصّ الحشيش وقـطع أوراق شجـر المطّاط، الذي أصبح الغذاء الرئيسي للأغنام الجائعة قبل أن يتوجّه الناس لقطع سعف النخيل كمصدر أخير لإطعام ما لديهم من أغنام.

الفصل السابع
فبراير.. التحرير

(١) الحرب تستمرّ سجالاً والتدمير على أشدّه دون تحريك ساكن

- الضربات الجوية والدّمار المادي والمعنوي
- استمرار العراق بأساليبه المعتادة بالخداع والتخبّط والعنجهيّة
- مبادرات الرّمق الأخير
- استمرار تطبيل المؤيّدين لصدام بالرغم من وضوح الرؤية للجميع
- التحرّكات السياسية والتحوّل الإيجابي النسبي في الإعلام الكويتي والخليجي
- الاستعدادات العسكرية الأخيرة والاتجاه نحو الحسم
- الهجوم البري... والطريق إلى نهاية المشوار

(٢) الوضع في الداخل

- الوضع السياسي والعسكري وانعكاساته على المواطنين
- سرقات (النشامى) تطول كل شيء
- مآسي الأيام الأخيرة
- الهجوم البري
- ملحمة القرين
- الهروب الكبير
- يوم التحرير
- مشاهدات ما بعد التحرير
- عودة الأمور إلى طبيعتها شيئًا فشيئًا

الفصل السابع
فبراير ١٠ التحرير

(١) الحرب تستمرّ سجالاً والتدمير على أشدّه دون تحريك ساكن

كان من الغريب حقًا أن يمرّ على نشوب الحرب أسبوعان تمّ خلالهما تدمير أعداد هائلة من المنشآت والمصانع بالإضافة إلى جزء كبير من البنية الأساسية للعراق، والتي تمّ بناؤها على مدى سنوات طويلة، قدّم خلالها الشعب العراقي العرق والمال والتضحيات الجسيمة الأخرى في سبيل الوصول إلى ذلك المستوى من التطوّر، دون أن يحرّك ذلك ساكنا من قبل أي فرد من أفراد الجوقة الحاكمة للعراق وكأنّهم لا ينتمون إليه. كما أن تدمير الترسانه العسكرية العراقية، التي تمّ بناؤها على مدى العشر سنوات السابقة للحرب، لم يعطَ أي أهمية ولم يكن هناك أدنى شعور بحجم الكارثة التي حلّت بتلك المؤسّسة الضخمة. والدليل على ذلك أن تدمير المطارات والمنشآت التابعة لها والقواعد العسكرية والآليات المختلفة والتحصينات الضخمة، بالإضافة إلى إفناء الأفراد في الأيام الأخيرة للحرب ـ ضمن أكبر حملة تدمير شهدها التاريخ الحديث ـ مرّت دون أن تؤثّر البتّة على ضمائر وأحاسيس أولئك المتحكّمين في مصير العراق، وكأنهم يقولون ما دام رئيس النظام لم يتعرّض شخصيًا للخطر فلا قيمة ولا أهمية لمن سواه. وهذا فعلاً ما كان يردّده راديو بغداد في تلك الأيام، ممّا يعكس العقلية الغارقة في عبوديه الفرد، التي يتّصف بها كل أفراد المجموعة الحاكمة للعراق، والتي فضّلت السكوت على الدمار الذي حلّ ببلدها، والتمجيد بالطاغية المتسبّب في ذلك، خوفًا على مصالحها الشخصية الضيّقة، وتحاشيًا لبطش رئيس ذلك النظام.

ـ الضربات الجوية والدمار المادي والمعنوي

وصلت أعداد الطلعات الجوية ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ طلعة يوميًا في الأسبوع الأول من فبراير. وقد تمّ دك كل ما كان ينبض بالحياة من أشياء في العراق، فيما كان راديو بغداد يُطنطن بحتمية النصر وببشائر تحقيق أهداف أم المعارك.

ولم تبق جسور في العراق ولا طرق رئيسية أو سكك حديدية أو محطات توليد للطاقة الكهربائية أو مراكز اتصال أو منشآت اقتصادية أخرى، في أي من مدن العراق، من أقصاه إلى اقصاه، إلاّ وكانت عرضة لتلك الهجمات المدمّرة التي كان تأثيرها واضحا في شلّ الحركة الاقتصادية والمعيشية في العراق.

وفي بداية الأسبوع الثاني من فبراير بدأت الهجمات تأخذ منحى آخر بعد أن بدأت قوات التحالف في الهجوم على الطوابير المدرّعة والأرتال المتواجدة في الأنحاء المختلفة من ساحات القتال. وكانت نتيجة تلك الهجمات الفتك بأعداد كبيرة من جيش النظام العراقي وحرسه الجمهوري، وتدمير أعداد ضخمة من الدبابات والمدرعات والتجهيزات والمعدّات المختلفة من كل نوع. وقد أكّدت دوائر دول التحالف أن هذه الهجمات ستستمر بصورة مكثفة حتى يتم تدمير الجزء الأكبر من القدرات القتالية للعراق، تمهيدًا للهجوم البري الذي سيتم في الوقت المناسب وبأقل خسارة ممكنة لقوات التحالف.

وفي ساحات القتال بدأت أعداد كبيرة من القوات العراقية بالتسلّل عبر حقول الألغام متّجهة نحو قوى التحالف للاستسلام، فيما استمرت أعداد أخرى بالهروب عبر الحدود الإيرانية والتركية ممّا عكس الروح المعنوية المتدنية للقوات العراقية. وقد نقل هؤلاء الجنود بأن القوات العراقية تقوم بدفن مئات القتلى من قواتها يوميًا بالصحراء. وفي ظاهرة تعكس اليأس الذي أصاب قوات النظام العراقي استمرّت عشرات الطائرات العراقية بالفرار إلى إيران، فيما قام عدد منها ـ كما صرح بذلك الجنرال شوارسكوف ـ بمحاولة لقصف مقر صدام حسين وهي في طريقها إلى إيران دون أن تنجح المحاولة.

وفي تطوّر آخر بدأت البوارج الحربية الأمريكية ذات المدافع العملاقة ـ (ميسوري) أولا ثم تبعتها (ويسكونسن) ـ بقصف الأهداف العسكرية العراقية ومواقع المدفعية على السواحل الكويتية، فيما اتّجهت كاسحات الألغام إلى شمال الخليج قرب السواحل الكويتية لتطهير المنطقة من الألغام.

ـ استمرار العراق بأساليبه المعتادة بالخداع والتخبّط والعنجهية

لم يتوقّف النظام العراقي ـ ولو للحظة واحدة ـ عن محاولاته اليائسة للخداع والمماطلة بالرغم من الضربات القاضية التي كانت تأتيه من كل جانب. فقد كان

الخداع والمراوغة في الواقع من الطبائع الملاصقة لذلك النظام الذي لا يستطيع التخلّص منها. إذ كان في وسط المعمعة يتلقّى الضربة بعد الضربة فيما لم ينفك عن محاولاته الخروج من المأزق بالخداع والتضليل. فبعد فشل محاولته الأولى باستدراج إسرائيل حاول جرّ أطراف أخرى للساحة لعله يخفّف من تركيز الهجمات عليه. فقد أخذ يستصرخ المنظمات الثورية والأخرى التي تدّعي الإسلام في المشاركة بأم المعارك دون مجيب. كما حاول التأثير على بعض الدول الإسلامية لكنها لم تنخدع. وفي محاولة لجرّ إيران للسّاحة ادّعى أن قوات التحالف بدأت باستخدام الأجواء الإيرانية والتوجّه عبرها لشنّ غارات على أهداف داخل العراق، إلاّ أن القيادة الإيرانية نفت ذلك بشدّة، وأكّدت أنه لم ترد أية معلومات أو تقارير من الجهات العسكرية المسئولة تفيد بحدوث انتهاكات للمجال الجوي الإيراني من جانب القوات الدولية. وقد قام سعدون حمادي بزيارتين لطهران خلال أسبوعين محاولاً التأثير على موقف إيران دون نتيجة، إذ نفى رفسنجاني أن تكون بلاده قد طرحت مبادرات، مشيراً إلى أنه نقل (أفكاراً) إلى صدام عن طريق سعدون حمادي الذي أكّد عدم استعداد العراق لإبداء أية مرونة. كما زار حمادي دول المغرب العربي وحلفاءه في الأردن والسودان لعله يحصل على شيء منهم، لكنه كان أكثر علماً من غيره أن جوقة المصفقين هؤلاء ليس باستطاعتهم تقديم أكثر من التصفيق أو العويل، وحسب ما يتطلبه الوضع والظروف. وخلال جولته في المغرب العربي لم ييأس من تقديم طلب للملك الحسن الثاني بسحب قواته من الخليج، لكن رد الملك كان واضحاً وصريحاً بالرفض. هذا ولم ينس حمادي - ورغم الضربات المميتة التي تلقّاها الجيش العراقي- من أن يصرّح لدى وصوله إلى مطار الجزائر استعداد بلاده للحرب البرّية مؤكداً «أن الوضع العسكري على الجبهة مطمئن وليس هناك خوف على العراق». وكان قد صرّح من قبل وهو في عمّان في طريقه إلى المغرب أن بلاده ستخرج من الحرب منتصرة وأنها مستعدّة لمواجهة الهجمات البرية والبحرية والجوية.

وبالرغم من تخبّط النظام العراقي واستمراره في عنجهيته لم تنقطع المناشدات والمحاولات لثنيه عن موقفه طوال شهر فبراير وإلى ما قبل بدء الهجوم البري بساعات.

فقد استمرّ الملك الحسن الثاني في مناشدة صدام بالإصغاء لصوت العقل والإعلان عن انسحابه من الكويت حتى يمكن إيقاف الحرب الدائرة بالخليج. كما كشف الرئيس الليبي عن أنه أرسل رسالة إلى صدام قبل انتهاء مهلة مجلس الأمن بيوم واحد نصحه فيها بالخروج من الكويت، إلاّ أن صدام ردّ عليه مؤكدًا أنه سيحتفظ بها حتى ولو أدّى ذلك إلى اندلاع الحرب. وكان معمّر القذافي قد أكّد في حديث لطلبة الجامعات الليبية أن العراق كان يُخطّط لاحتلال الكويت منذ عشر سنوات. أما الرئيس حسني مبارك فقد توقّع أن لا تطول الحرب كثيرًا وشدّد على أن صدام في موقف صعب، وهذا ما يجعله يردّد دائمًا بأنه سيكسب الحرب. وفي واشنطن أكّد دان كويل نائب الرئيس الأمريكي أن المخرج الوحيد للحيلولة دون وقوع الحرب البرية في منطقة الخليج يتمثل في عودة صدام إلى رشده والإدراك أن احتلال الكويت لن يصبح أمرًا واقعًا.

من جانبه استمرّ العراق في محاولاته اليائسة لرفع معنويات مؤيدية، فأوعز إلى بعض المنظّمات الإرهابية لتقوم ببعض العمليات اليائسة حيث قامت بتفجير بعض القنابل هنا وهناك بالقرب من بعض المراكز والمؤسسات التابعة لبعض دول التحالف والتي لم يكن لها أي تأثير يُذكر. ومن بغداد جاءت بعض الأنباء التي تؤكّد الطبيعة الإجرامية للنظام العراقي وذلك باتباعه أساليب لم يسبقه فيها أحد. فقد أكّد الاتحاد الدولي لنقابات العمال أن السلطات العراقية أعدمت الكثير من العمال الأجانب الذين رفضوا الخدمة العسكرية والقتال إلى جانب الجيش العراقي في الكويت المحتلّة. واستمرارًا في تخبّطه أعلن النظام العراقي يوم ١٠ فبراير عن قطع علاقاته الدبلوماسية مع عدد من دول التحالف بينها الولايات المتّحدة وبريطانيا وفرنسا ومصر. وفي خطوة مخادعة أخرى لم ينس أن يدعو قوى المعارضة العراقية لتشكيل ما أسماه بحكومة الوحدة الوطنية ولكن تلك القوى ـ وهي صاحبة تجارب مريرة سابقة مع ذلك النظام ـ رفضت الدعوة على الفور وطلبت من صدام التنّحي عن السلطة إن كان فعلاً يرغب في إنقاذ العراق.

وفي خضمّ ذلك استمرّ العراق في ضرب بعض المدن السعودية والإسرائيلية بصواريخ سكود محاولاً تصعيد الموقف وجرّ إسرائيل للحرب دون جدوى. إذ أن

إسرائيل ليست من السذاجة في شيء حتى تفرّط بأفضل فرصة جاءتها من السماء لتضرب بها عدة عصافير في حجر واحد. فقد كان ما قام به العراق من حماقات هو الذي أعطى الفرصة الذهبية لإسرائيل ليتحقّق لها ما كانت تحلم بتحقيقه دون أن تتكبّد أي خسائر، بل كانت ترى كل ما تمنّته وهو يتحقّق دون أدنى تكلفة، اللّهم إلاّ تدمير عدد من البنايات والمنشآت البسيطة. وفي مقابل ذلك كسبت عطف العالم بأسره بالإضافة إلى حصولها على نظام دفاعي متكامل من صواريخ باتريوت دون أن تدفع أي ثمن لذلك. كما نجحت في تضخيم الأضرار التي لحقت بها لتحصل على مليارات الدولارات من المساعدات السخيّة، فيما بدأت القضية الفلسطينية تفقد التأييد العالمي نظرًا للمواقف المشينة لقياداتها التي أصبحت تابعة لنظام إرهابي لايحترم القوانين ولا المعاهدات الدولية. وأخيرًا وليس آخرًا نالت إسرائيل أعظم جائزة وذلك بتحطيم أكبر جيش عربي في المنطقة يملك أضخم ترسانة عسكرية تمّ بناؤها في الشرق الأوسط، بالرغم من عدم تقديم هذا الجيش أي شيء يستحق الذكر للقضية الفلسطينية، التي أشبعها صراخًا وولولة طوال عقود عديدة، دون أن يكون له موقف حاسم عندما كان يشتدّ الوطيس، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك. أما(أم المكاسب) التي حصلت عليها إسرائيل فكانت تحطيم فكرة التضامن العربي ووحدة الهدف والمصير، بعد أن سقطت هذه الشعارات في أول امتحان حقيقي لكثير من الشعوب، التي كان من المفترض أن تعيش آلام بعضها قبل آمالها، لكنها انجرفت مع السراب الكاذب الواعد بالغنى، والذي أسدل ستارًا من الغشاوة على عيونها، فحجب عنها الحق وجعلها تسبح في بحور تلك الأحلام المريضة. كما انكشف زيف معظم المنظّمات والأطراف العربية التي تبنّت تلك الأفكار دون أن تكون صادقة في ذلك أو مؤمنة بأي شيء مما كانت تقول. فقد تبيّن أن الأموال تفسد العقول وتلعب بالضمائر وبالتالي تحوّل الإنسان إلى مسخ، فهو بدون العقل والضمير لا يعود إنسانًا، لأن من أعظم ما منحه الله للإنسان هاتين النعمتين.

ـ مبادرات الرمق الأخير

كان الشلل شبه التام قد أصاب التحرّكات السياسية في فترة الأسبوعين التي

تلت نشوب الحرب، لكن الاستعداد لتقبّل شيء يؤدي إلى حلّ يتماشى مع قرارات الأمم المتّحدة كان موجودًا بين دوائر دول التحالف، لو أن العراق كان قد تجاوب مع مثل تلك التوجّهات. لكنه كان من الواضح أن النظام العراقي كان يُراهن ـ وبتأييد من المزمّرين خلفه كعرفات وكثير من المسؤولين الأردنيين، كما كان واضحًا من المقابلات شبه اليومية التي كانت تجريها معهم بعض الإذاعات العالمية ـ على أنّ الحرب البرية ستتحوّل إلى مغامرة باهظة التكاليف بالنسبة للولايات المتّحدة وحلفائها، ممّا سيضطرهم للبحث عن مخرج قد يكون في صالح العراق بعد أن يصمد قليلا لتتحوّل الأمور في صالحه. وكانت تلك هي الكارثة وقمة قصر النظر وعمى البصيرة. إذ يبدو أن (العقلية العراقية) ـ التي كان صدام كثير التفاخر بها وكثير الإشارة إلى أن الغرب لم يفهمها بعد ـ قد تجمّدت في وحول القرون السحيقة ـ وبقيت كما كانت عليه قبل ستة آلاف سنة ولم تتقدّم قيد أنملة لترى بعينها المجرّدة ـ وبدون حاجة إلى مجهر ـ إلى المستوى الذي وصل إليه العالم من تقدّم في علوم (الحساب) والتكنولوجيا والسياسة والسيكولوجيا وغيرها من علوم ومفاهيم.

وفيما كان العالم يراقب ما كان يدور في ساحات القتال، وكأنه شاهد عيان من كثرة التفاصيل التي كان يراها أمام عينيه وهي تُنقل إلى الشاشات الصغيرة في المنازل والمكاتب وحتى في الخيام وسط الصحراء، ظلّ العراق يتلقى الضربات المميتة دون أن يفهم الدرس. وتدخل أصدقاؤه الحقيقيون ـ وكانوا قليلين، لأن أعماله لم تترك له صديقًا حقيقيًا ـ بعد أن وعوا الدرس وتنبّهوا إلى فداحة الكارثة، وحاولوا وقف (المذبحة) التي كادت أن تفتك بالآلية العسكرية العراقية، وإعطاء العراق فرصة لالتقاط الأنفاس ولو لفترة قصيرة، علّه يستوعب ما كان يجري في الميدان، ليعود إلى رشده ويعرف مدى فداحة خطئه وحماقة تصرّفه. فوجه الاتحاد السوفيتي في بداية الأسبوع الثاني من فبراير نداءً إلى صدام دعاه فيه إلى إبداء نظرة واقعية للأمور والعمل على تجنيب بلاده والمنطقة المزيد من الدمار. كما عرض مساعيه الحميدة للتوسّط والبحث عن حل يرضي الجانبين واقترح إرسال مبعوثه الشخصي إلى بغداد لإجراء مباحثات مع القيادة العراقية. وقد توجّه بريماكوف إلى بغداد حال موافقة العراق على استقباله في محاولة أخرى لإيجاد تسوية

(سلمية) لأزمة الخليج، ولكن العراق أصدر بيانًا قبل وصول بريماكوف بساعات، أكّد فيه رفضه لوقف إطلاق النار قبل ما أسماه «تحقيق الانتصار الشامل»، ممّا جعل المبادرة السوفيتية الجديدة تموت في مهدها، بالرغم من أن الاتحاد السوفيتي كان ينوي تقديم بعض الميزات للعراق مقابل وقف إطلاق النار وانسحابه من الكويت، ممّا جعل دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتّحدة تتصلّب في مواقفها أكثر من ذي قبل.

وفي خطوة مفاجئة أعلن مجلس قيادة الثورة العراقي يوم الجمعة ١٥ فبراير استعداد العراق للموافقة على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٦٦٠) والانسحاب من الكويت بشروط تعجيزية، كانت تعكس عدم جدية العراق في معالجة الأزمة. وكان من بين تلك الشروط انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلّة، وانسحاب سوريا من الأراضي اللبنانية، وإعطاء ضمانات أمنية للعراق، وسحب القوات المتعدّدة الجنسيات، وإلغاء جميع قرارات الأمم المتحدة الصادرة ضدّ العراق منذ غزوه للكويت، ودفع تعويضات عن خسائر الحرب للعراق، وإلغاء جميع ديون العراق. وكان هذا البيان مدعاة للسخرية والاستهزاء حيث لم ينطو على أي جديد في التوجّه نحو الحل، بل كان الهدف منه إعلاميًا بالدرجة الأولى لإيهام الجماهير المخدوعة بأن موقف العراق قوي، وأنه المنتصر وهو الذي يملي شروطه.

وكان ردّ فعل العالم سريعًا وواضحًا في رفض ذلك البيان الذي لم يكن يستحقّ الردّ. فقد كان أول من رفض ذلك البيان الولايات المتّحدة الأمريكية وتبعتها جميع دول التحالف وكذلك الاتحاد السوفيتي الذي وجد نفسه في وضع محرج. وقد أجمعت دول العالم تقريبا على أن الحل الوحيد هو انسحاب العراق الفوري من الكويت بدون شروط وتنفيذ جميع قرارات الأمم المتحدة. وفي واشنطن أكّد الرئيس بوش بأن البيان العراقي هو خدعة، ويتضمّن شروطًا غير مقبولة، وأنه إن لم يبدأ الجيش العراقي انسحابًا فعليًا من الكويت فإن قوات التحالف ستستمر في الحرب وفقًا لقرارات مجلس الأمن.

وفي يوم ١٨ فبراير أعاد الاتحاد السوفيتي الكّرة وأعلن أنه قدّم خطة سلام جديدة سيقوم بنقلها طارق عزيز ـ الذي كان في زيارة خاطفة لموسكو ـ إلى صدام حيث تمّ

الطلب منه الردّ عليها بأسرع وقت ممكن. وقد طلب الاتحاد السوفيتي من دول التحالف تأجيل الهجوم البري لحين استلام ردّ العراق، لكن الولايات المتّحدة رفضت ذلك الطلب فيما أعلن الرئيس جورج بوش رفضه للخطّة التي اقترحها الاتحاد السوفيتي، مؤكدًا أنها تقلّ كثيرًا عما هو مطلوب مشيرًا إلى أنه ليس هناك مجال للمساومة أو التنازل عن أي شيء للنظام العراقي. وفي الطائف أعربت حكومة الكويت عن تقديرها للجهود والمساعي التي قام بها الاتحاد السوفيتي لإنهاء الاحتلال، مؤكدة أنه لا سبيل لتسوية الأزمة الناجمة عن الاحتلال العراقي لدولة الكويت إلاّ بالتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن.

وكان ردّ صدام على الخطة السوفيتية أن أرسل وزير خارجيته إلى موسكو مرة أخرى يوم ٢٢ فبراير وألقى خطابًا عشية سفر طارق عزيز إلى موسكو شنّ فيه هجومًا على دول التحالف، وزعم أنها لا تريد مواجهة القوات العراقية في معركة برية، مشيرًا إلى أن العراق سوف يواصل الحرب، وأن أم المعارك ستكون أعظم معارك الشهادة. وفي موسكو تلقّى طارق عزيز تحذيرًا شديدًا من الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف من أن الحرب في الخليج قد دخلت مرحلتها الأخيرة، وأن على بغداد أن تزن العواقب جيدًا. وفيما كان طارق عزيز يغادر موسكو أعلن العراق عن موافقته على المبادرة السوفيتية بالرغم من أنها لا تشير لا من قريب ولا من بعيد للقضية الفلسطينية التي تاجر بها النظام العراقي طوال الأزمة. لكن مصادر البيت الأبيض أكّدت أن قبول العراق للمبادرة السوفيتية لا معنى له، بالإضافة إلى أن المبادرة ذاتها غير مقبولة لدى الحلفاء لأنها لا تتماشى مع القرار رقم (٦٦٠) وبقية قرارات مجلس الأمن. وكان الرئيس جورج بوش قد أعلن يوم ٢٢ فبراير أن الحلفاء قرّروا منح صدام مهلة حتى ظهر يوم السبت ٢٣ فبراير لكي يبدأ بسحب قواته من الكويت دون شروط. كما أعلن أن الحلفاء قد وضعوا معايير محدّدة تضمن التزام العراق بقرارات الأمم المتّحدة. أما المتحدّث باسم البيت الأبيض (مارلين فيتزووتر) فقد أضاف أن شروط الحلفاء بوقف إطلاق النار تتضمّن إكمال العراق انسحابه من مدينة الكويت خلال ٤٨ ساعة، والانسحاب من جميع الأراضي الكويتية خلال أسبوع واحد،وأن يتمّ تبادل الأسرى

خلال ٤٨ ساعة بالإضافة إلى إزالة الألغام والشراك الخداعية في الكويت، في مقابل أن تتعهّد القوات المتحالفة بعدم مهاجمة القوات المنسحبة وفقًا للبنود السابقة، وأضاف أن أي انتهاك لهذه الشروط سوف يقابل بردّ عنيف من القوات المتحالفة.

ـ استمرار تطبيل المؤيدين لصدام بالرغم من وضوح الرؤية للجميع

وفيما كانت رحى الحرب تدور بشراسة لتطحن كل ما كان أمامها من أفراد وعتاد حشده النظام العراقي للمواجهة غير المتكافئة بينه وبين أكثر دول العالم تقدمًا وبأسًا، كان هناك عدد من المطبلين، الذين باعوا ضمائرهم وأخذوا يلقون بالتصريحات التي تنمّ عن عدم احترام للنفس أو لعقول الناس. فقد كان صياح عرفات ليليًا يسمع من الإذاعات التي يبدو أنها (عشقت) صوته وصدّقت تنبؤاته ـ ومثال ذلك إذاعة مونت كارلو ـ التي كانت تنقل كل ما كان يدلي به من تصريحات وتنبؤات ثبت أنها كانت هراء ليس لها أساس. فقد كان يؤكد أن أمريكا لا يمكن أن تنتصر على العراق بجيشه وقواته التي تعدّ بمئات الآلاف من الجنود (المجرّبين) للحرب،والذين سيواجهون الأمريكان الذين جاءوا إلى أرض غير أرضهم «ولا يحاربون عن عقيدة» وليس لديهم أي خبرة بالحرب الحقيقية. كما كان يكرر في كل تصريحاته تقريبًا أنه على اتصال يومي مع «أبو عدي» ليعرف منه تطورات الموقف أولاً بأول، مؤكدًا أن الموقف يدعو إلى الاطمئنان.

وكان دائمًا يركّز على أن هذه الحرب ستطول إلى سنوات مشيرًا إلى «زعم» أمريكا في بداية الحرب بأنها ستستغرق أيامًا قليلة بينما امتدت الآن إلى أسابيع، فيما بدأت أمريكا «تلمّح» إلى أن الحرب قد تستمر لعدة أشهر. ولم يكن هذا الخبير بكل شيء يعرف أنه لم تبق إلاّ ساعات على النهاية عندما صرّح مساء يوم الأثنين ٢٥ فبراير لإذاعة مونت كارلو ـ وأذاعته في نشرتها الإخبارية المسائية ـ بأنه يتوقّع أن تطول الحرب لعشر سنوات، وأنه كان مع عدة أشخاص في بيروت ـ وصفهم حسب تعبيره «بالقردين والحارس» ـ ولم تستطع إسرائيل أن تخرجهم، مضيفًا أنه لو أعطي كتيبتين لاستطاع البقاء في الكويت لعشر سنوات دون أن يستطيع أحد إخراجه منها.

كما أضاف أن أمريكا لم تأت إلى المنطقة حبًا في الكويت وآل «الصبّاح» بشدّ الباء، ولكنها جاءت للحفاظ على مصالحها وتحطيم قوة العراق. ومن الواضح من تصريح ذلك الشخص أنه كان يحاول أن يستهزيء بالكويت وبالعائلة الحاكمة فيها عندما أطلق عليها اسم الصبّاح (بشدّ الباء)، إذ أنه كان يعرف اللّفظ الصحيح حق المعرفة وهو الذي عاش على أرض الكويت عشرات السنين، وأكل من خيراتها وقبّل وجوه مسئوليها مئات بل آلاف المرات، عندما كان يزور الكويت أسبوعيًا تقريبًا ليحصل على ما كان يريد. ومن مهازل القدر، بل ربما من محاسن الصدف، أن تكون تلك الليلة ـ التي وصل فيها صراخ عرفات وهيجانه إلى أقصى حد عندما ختم (تصريحه) بعبارته الممجوجة «يا جبل ما يهزّك ريح» ـ هي آخر ليلة تواجد فيها جيش حليفه في الكويت، إذ لم تمرّ أكثر من ٢٤ ساعة على ذلك التصريح ـ الذي كان طالع شؤم على صدام ـ إلاّ وكانت فلول قواته تلوذ بالفرار من الكويت متوجّهة نحو المصيدة في طريق المطلاع ليتمّ حصدها عن بكرة أبيها وهي في طريقها نحو حدود العراق، مع كل ما كانت تحمله من مسروقات شملت كل ما طالته أيديها. وقد حقّ لنا أن نردّد بيت الشعر المأثور. .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أما أحمد بن بيلا فقد كانت تصريحاته أكثر اندفاعا وإعجابًا (بشخص) صدام. إذ لم يُدل بأي تصريح إلاّ وكان التمجيد «بالزعيم العربي الكبير» يتصدّره. فقد كان (معجبًا) إعجابًا شديدًا بذلك الزعيم الذي ثبت أن (أفضاله) كانت قد غمرت قائد الثورة الجزائرية السابق. ففي يوم ٢٢ فبراير صرّح أحمد بن بيلا لوكالة الأنباء العراقية بأننا كعرب «شهدنا مسألة سقوط التكنولوجيا وقدرتها على إخضاع الشعوب الحرة الحية، ورأينا الأخوة العراقيين يهزمون التكنولوجيا بعبقريتهم. وأن عبقرية الرئيس العظيم صدام ما بعدها عبقرية وهو فعلاً **عبقري كقائد عسكري وسياسي محّنك** ، وكل الشعوب العربية تنحني إكرامًا لهذا الرجل. . . إن رأسنا سيبقى مرفوعًا بصدام وسيبقى كذلك إلى الأبد».

وقد أعطت أحداث الايام القليلة التي أعقبت تلك التصريحات الجواب المناسب لهذا الزعيم (الثوري) . ولقد كان كل من يعرف بن بيلا وخبرته (وفكره) ومعرفته بالإمكانيات العسكرية غير المحدودة المتوفّرة لدى الغرب، والتي يمكنها سحق أضعاف مضاعفة من القوة التي كان يمتلكها العراق، لا يكاد يصدق أن ذلك التصريح صادر عنه. لكن من سمع صوته من إذاعة بغداد وبلهجته الجزائرية تأكّد أنه هو بعينه، خاصّة وقد رآه قبل أسابيع وقد جلس ذليلاً بجانب الطاغية كما جلس من قبله جميع الذين طبّلوا له وقبضوا الثمن. ولكن إذا عرف السبب بطل العجب. فالسبب الحقيقي لموقف بن بيلا هذا من الكويت يعود إلى نهاية عام ١٩٨٩ عندما كان يخطّط لدخول المعترك السياسي في الجزائر من جديد ليعيد (أمجاده) ، بعد أن طرده هواري بو مدين من السلطة، وعاش ما يقارب من عشرين سنة بين السجن والمنفى. فاتصل آنذاك بالمسؤولين الكويتيين طالبًا مساعدة مالية لتحقيق طموحاته، لكن طلبه هذا لم يلق أي اهتمام. فحاول أن يُدخل بعض الوسطاء في الموضوع دون نتيجة، فعاد وكتب إلى كبار المسؤولين معيدًا الكرة علّه يحصل على شيء ولكنه فشل. وكان هذا هو السبب الرئيسي في حقده على الكويت، والذي وجد ضالّته في عدوان صدام عليها (ليتشفىّ) بها بسبب عدم مساعدتها له في جهوده للعودة إلى السلطة، وكأن أموال الكويت هي أموال مُباحة تقدّم لكل من هبّ ودبّ وكل من لديه تعطّش أو طموح للوصول إلى السلطة على حساب الآخرين.

أما سعد الدين الشاذلي وغيره من عباقرة العسكريين العرب فإن تصريحاتهم باقتراب النصر للعراق وهزيمة أمريكا كانت تصمّ الآذان. ومن المؤكد أن ما كان وراء هؤلاء لم يكن يختلف عما كان يحرّك بن بيلا وأمثاله.

وكان من المؤسف حقًا أن يقوم بعض أدعياء الدين في زجّ أنفسهم في تلك الوحول، وحشر الدين الإسلامي الحنيف في مواضيع وممارسات كان هو أول الناهين عنها والمعاقبين عليها، كالاعتداء على الناس وهتك الأعراض والسلب والنهب. فبدلاً من أن يقوم هؤلاء - وبحكم علاقتهم بصدام - بنصحه بالبعد عن تلك الممارسات،

أخـذوا يبحثـون عن الحجـج والـذرائع ليبّرروا ما قام به من جرائم، وليكشفوا عن حقيقتهم وبُعـدهم عن كل ما نادى به الإسلام من مباديء وتعليمات، أولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف في وجه الظالم ونصرة المظلوم. وكان ما قاله أحد أدعياء الدين وإمام أحد مساجد عمّان، ويُدعى (عبد المنعم أبو زنط) ــ حينما اشتدّ الضغط العسكري على العراق وانكشف زيف ادعاءاته بقرب تحقيق النصر ـ يكشف نوعية هذه الشاكلة من الناس وبُعدها عن الاسلام ومبادئه. فقد صرح ذلك (الشيخ) « **بأن النـاس ستشـك في عدالة الله، إن لم ينتصر صدام في أم المعارك**». وهكذا ينكشف معدن هؤلاء الأشخاص الذين ابتُلي بهم دين الله الحنيف، وهم وأمثالهم أبعد ما يكونون عن هذا الدين، الذي ركبوا موجته في سبيل تحقيق مآربهم الشخصيّة البعيدة عن الدين بُعد السماء عن الأرض.

ومن باب العلم بالشيء تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المدّعي كان واحدًا من كثيرين كانوا على شاكلته، جاءوا إلى الكويت ونهلوا من خيراتها ما استطاعوا من خلال تقـديم «المحـاضرات الدينية والندوات الفقهية»، بعد أن دعاه إلى الكويت بعض المخدوعين فيه، والذين كانوا معه في صف واحد قبل اعتداء صدام على الكويت، مبررين كل ما كان يقوم به ذلك الطاغية من أعمال سواء داخل العراق أم خارجه.

هذا، وقد شهدت تلك الفترة أيضًا خروج بعض الأفّاقين الذين بدأوا باختلاق الأحاديث الملفّقة لخداع الناس وجرّهم خلف صدام. فقام بعضهم بترويج «حديث» نسبوه إلى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ادّعوا أنه يُشير إلى أن حربًا ستقع بين دول الكفر (الغرب) والعراق تقف مصر فيها إلى جانب دول الكفر ويقود العراق في تلك الحرب شخص اسمه (صادم) يكون النصر فيها حليفه. . . وكانت إحدى مزايا تلك الحرب كشف حقيقة الكثير من هؤلاء أمام الملأ.

ـ التحركات السياسية والتحوّل الإيجابي النسبي في الإعلام الكويتي والخليجي.

بدأت في فبراير بعض الـدلائل التي تشير إلى أن الإعلام الكويتي والخليجي

أصبح يتوجّه نحو وضع أفضل مما كان عليه في السابق، بعد أن استوعب الصدمة غير المتوقّعة والتي وضعته في موقع لم يكن في الحسبان ولم يكن مستعدًا لمواجهته. وبدأت تبرز في تلك الفترة بعض التطوّرات الإيجابية في وسائل الإعلام الكويتية والخليجية، والتي أصبحت تقف في وجه الزّخم الإعلامي الكبير الذي استمرّ به النظام العراقي ومؤيدوه. وقد أعطى ذلك بعض الاطمئنان للمواطنين وجعلهم يشعرون بأن مسئوليهم بدأوا في تفهّم الدور الحيوي للإعلام، وتأثيره الكبير على سير الأمور. وكان للتغيير الكبير في الأسلوب الإعلامي - بالرغم من مجيئه متأخرًا - أكبر الأثر في الانفراج النفسي لكل مواطن، إذ بدأ يرى أجهزته الإعلامية وقد أصبحت تواكب الوضع السياسي والعسكري بصورة أفضل من السابق، وتلعب دورًا مهمًا في سبيل إبراز عدالة القضية، ووضعها في إطارها الصحيح ليتعرف العالم بصورة عامة، والشعوب الإسلامية بصورة خاصّة على النواحي المختلفة لها. وكان من أهم ما برز من تغيير إجراء المقابلات مع الشخصيات العربية والإسلامية البارزة، واللقاءات مع بعض رموز المعارضة العراقية، بالإضافة إلى إذاعة التحليلات السياسية والعسكرية والتركيز على الناحية الإنسانية للمأساة.

كما بدأت وسائل الإعلام الخليجية وكذلك المصرية في إبراز دور الكويت في القضايا العربية والإسلامية، ومساعداته لتلك الشعوب وتبنّيه ودعمه للمواقف المبدئية التي كانت تناضل من أجلها تلك الشعوب أثناء كفاحها ضدّ الاستعمار والاحتلال الأجنبي. كما قامت بتعرية النظام العراقي أمام العالم من خلال ممارساته المتناقضة مع كل ما كان ينادي به من مباديء ومُثل، وقيامه بضرب مواطنيه بالأسلحة الكيماوية وتشريد الملايين من أبناء شعبه إلى خارج العراق، بالإضافة إلى إشعاله نار الحرب مع إيران واستعماله لجميع الأسلحة المحرّمة دوليًا فيها. ومن الأساليب الجديدة التي اتبعها أيضًا التركيز على الناحية الإنسانية من القضية، وإبراز الممارسات الإجرامية للنظام العراقي في الكويت من قتل للمدنيين وسلب لأموالهم وهتك لأعراضهم والبدء في تنفيذ سياسة الأرض المحروقة التي اتّبعها ذلك النظام.

وكان من التطورات المهمة التي لعبت دورًا سياسيًا وإعلاميًا بارزًا في سبيل

القضية، إرسال ممثلي سمو الأمير في الأسبوع الثاني من فبراير إلى عدد من رؤساء الدول الإسلامية والصديقة، لشرح ممارسات النظام العراقي في الكويت والتأكيد على حق الكويت في الحرية والاستقلال. كما كان لممثل الكويت الدائم لدى الأمم المتّحدة وسفير الكويت في واشنطن دور مميّز في شرح القضية سواء لممثلي الدول في الأمم المتحدة في نيويورك أو لدوائر الكونغرس والإدارة الأمريكية في واشنطن. وكان لإبراز الناحية الإنسانية ومعاناة الشعب الكويتي في الداخل أثر كبير في كسب مزيد من العطف للقضية الكويتية. كما كان لمناشدة مندوب الكويت الدائم لدى الأمم المتّحدة للمنظمات الدولية المعنّية بالمساعدات الإنسانية، الطلب من الحكومة العراقية السماح بتقديم المساعدات الإنسانية لسكان الكويت من مواطنين ومقيمين أثر كبير كذلك في جلب أنظار العالم إلى معاناة الشعب الكويتي في الداخل.

ومن أهم التصريحات التي أبرزت وجه الكويت المشرق وأساليبه الحضارية في تسيير أموره ما أكده سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بتاريخ ١٢ فبراير من التزام الحكومة الكويتية بالمشاركة الشعبية وتمسّكها بدستور عام ١٩٦٢ والحفاظ على الوحدة الوطنية واعتبار هذه الأمور من الركائز الأساسية التي لن تتراجع عنها الكويت حكومة وشعبًا، مؤكدًا على الالتزام بكل ما جاء في البيان الختامي للمؤتمر الشعبي الكويتي الذي عقد في جدة في أكتوبر عام ١٩٩٠ والذي عاهد فيه الشعب الكويتي وحكومته الله على التمسّك بما جاء فيه.

ومن الأمور التي أعطت القضية الكويتية دفعًا سياسيًا قويًا في تلك الفترة الخطاب الذي ألقاه الملك فهد بن عبد العزيز، والذي أوضح فيه ممارسات العراق غير الملتزمة بالأعراف الدبلوماسية، وطرقه في الخداع والمراوغة حتى في علاقاته وتعامله مع الدول، وقبل أن يقوم بغزو الكويت بكثير. فقد كان قراره شن الحرب على إيران مغامرة اتّخذها لوحده وزّج في معمعتها دول الخليج مما استنزف موارد المنطقة ثمان سنوات. كما بيّن الملك فهد كيفية إحراجه من قبل صدام عندما قام بزيارة بغداد عام ١٩٨٩ وطلب منه التوقيع على معاهدة عدم اعتداء بين البلدين قبل مغادرته بقليل، دون إعطاء

الفـرصة لقراءة الاتفاقية والتدقيق في بنودها، حيث قامت المملكة العربية السعودية بالتوقيع عليها من منطلق حسن النية ودافع الأخوة العربية. وقد أكّد العاهل السعودي بأن العـراق بممارساته غير الإنسانية ضدّ الكويت يجب أن يتحمّل عواقب اعتدائه وأعـمال النهب والتـدمير التي اقترفتها قواته في الكويت، مؤكّدًا على ضرورة أن يقوم العراق بدفع تعويضات للكويت والسعودية نتيجة ما سببّه لهما من أضرار من جراء غزوه للكويت.

ـ الاستعدادات العسكرية الأخيرة والاتجاه نحو الحسم

كان لزيارة ديك تشيني وزير الدفاع الأمريكي وكولن باول رئيس هيئة الأركان المشتركة للمنطقة في بداية الأسبوع الثاني من فبراير واجتماعهما بالقادة العسكريين لدول التحالف، وعلى رأسهم نورمان شوارسكوف قائد قوات التحالف، مغزًى كبيرًا وإشارة واضحـة نحو قرب بدء الهجوم البري. وقد قضيا يومين مع القادة الميدانيين وتفقدا الـوحـدات العسكـرية التي كانت تستعـد لتنفيذ عملية الهجوم البري ثم عادا إلى واشنـطن ، حيث قدّمـا تقـريرًا إلى الـرئيس بوش تضمّن تقييما على الطبيعة لنتائج العمليات العسكرية التي تمّت لذلك الحين.

وفي تلك الأثنـاء بدأت ضربـات الحلفـاء تزداد ضراوة وتـركيزًا على الأهداف الحيوية، ضمن خطة لعزل القوات العراقية في الجنوب وقطع طرق الإمدادات وشلّ تحركات الجيش العراقي، تمهيدًا لتوجيه الضربة القاضية. كما بدأت جيوش الحلفاء بضرب القوافل العسكرية للجيش العراقي فيما ازدادت الغارات الليلية على الحرس الجمهوري وبقية القطاعات العسكرية. وقد واصلت طائرات (التورنادو) البريطانية قصف الجسور ومواقع صواريخ (سلك وورم) فيما تعرّضت بغداد ليلتي ١٨ و١٩ فبراير لأعنف هجوم منذ بدء الحرب، حيث سقط عليها عدد من صواريخ (توما هوك كروز) نجم عنها ٣٠ انفجاراً جعل العاصمة ترتجف كما وصفها أحد المراسلين. كما استمرّت الـطائرات الأخرى في مهاجمة أهداف محدّدة في مدن الناصرية والفاو وأبو الخصيب

بالإضافة إلى البصرة، التي أصبحت معزولة تمامًا عن العالم بفعل القصف المكثّف لطائرات الحلفاء لها على مدى أسبوعين متتاليين. كما قامت طائرات الاستطلاع بالتحليق المستمر فوق مسرح العمليات لرصد تحرّكات القوات العراقية على طول الجبهة. وقد أعلن الرئيس جورج بوش عن رضاه التام لسير العمليات العسكرية وأكّد أن نتائج الحملة الجوية مؤثّرة جدًا، فيما أكّد مسؤولون بريطانيون أن عملية تحديد الموعد المحتمل لشنّ الهجوم البري تدخل فيها اعتبارات متعدّدة، منها الحاجة إلى تخفيض القدرة الحربية للعراق إلى أدنى حدّ ممكن لأن هذا يعني تقليل الخسائر البشرية بين صفوف قوات التحالف. وفي يوم ١٨ فبراير أكّد مسئولون عسكريون وسياسيون بالعاصمة الأمريكية أن الحرب البرية سوف تبدأ خلال أيام معدودة بهجوم شامل تشنّه قوات التحالف برًا وبحرًا وجوًا على القوات العراقية في الكويت، بعد أن أكملت قوات التحالف ترتيب مواقعها واتّخذت مواقع هجومية، حيث تحرّكت المدرعات وحاملات الجنود إلى المواقع الأمامية فيما تمّ تجميع ٣١ سفينة حربية تحمل ٣٠,٠٠٠ من مشاة البحرية، استعدادًا لعملية الإنزال الضخمة على شواطيء الكويت. هذا وكانت طائرات القوات المتحالفة قد بدأت قبل فترة من ذلك في إلقاء منشورات تحثّ المواطنين العراقيين على الجلاء عن المدن الجنوبية في العراق، كما ألقت منشورات أخرى تحذّر القوات العراقية من أن قصفًا جويًا سيبدأ على بعض المواقع وطلبت منها ترك معداتها وإنقاذ نفسها قبل فوات الأوان.

ـ الهجوم البري. . . والطريق إلى نهاية المشوار

في الساعات الأولى من صباح يوم الأحد الموافق ٢٤ فبراير (بتوقيت الخليج) بدأت جيوش الحلفاء بشنّ هجومٍ بري كاسح اندفعت فيه نحو الكويت، مخترقة خطوط الدفاع العراقية الأولى، وذلك بعد أن أعطى الرئيس جورج بوش قائد القوات المتحالفة الجنرال نورمان شوارسكوف الضوء الأخضر لشنّ الهجوم البري لتحرير الكويت. وكان الرئيس بوش قد اتّخذ ذلك القرار قبيل لحظات من انتهاء المهلة التي كان الحلفاء قد حدّدوها للعراق كي يسحب قواته من الكويت. وقد توجّهت تلك القوات عبر خمس محاور نحو الكويت فيما دخلت قوات أخرى الأراضي العراقية لتطويق

فلول الجيش العراقي المنسحبة والهاربة. وقد اشتمل الهجوم على إنزال جوي بالمظّلات في عدة مواقع. وشارك في الهجوم حوالي ربع مليون جندي من قوات التحالف، بالإضافة إلى سبع عشرة ألف قطعة مدفعية فيما شاركت البوارج البحرية في دك المواقع العراقية بقذائف ضخمة تزن الواحدة منها طناً من المتفجّرات. كما استمرت أسراب الطائرات في قصف مختلف المواقع العراقية، في حين هاجمت قوات أخرى تجمّعات الحرس الجمهوري وخطوط الإمداد الخلفية. وفيما بدأت أفواج من الجنود العراقيين بتسليم أنفسهم كانت آلاف أخرى تتساقط في ميادين القتال بين قتيل وجريح. وفي خضمّ ذلك أصدر الجيش العراقي بياناً ادّعى فيه أن قواته المسلحة نجحت في سحق الهجوم الذي شنه الحلفاء زاعماً أن القوات العراقية تسيطر على الموقف.

وفيما توغّلت القوات الأمريكية والبريطانية والحليفة الأخرى نحو الكويت من جهتي الجنوب والغرب توجّهت القوات المصرية باتجاه مدينة الجهراء. أمّا القوات الفرنسية فقد دخلت مسافة خمسين كيلو متراً داخل الأراضي العراقية دون أن تلقى أية مقاومة تذكر. وما إن حلّ اليوم الثاني للهجوم حتى كانت قوات التحالف تُحكم قبضتها على الكويت وتحاصر القوات العراقية التي بدأت تظهر عليها دلائل الانهيار بعد أن تمّ تطويقها. وبدأت أفواج الأسرى تزداد بصورة لم يسبق لها مثيل، حيث كانت الكتائب تستسلم بكامل عتادها، فيما كان يتمّ تدمير مئات الدبابات الأخرى والعربات وغيرها من آليات ومدافع.

هذا ولم تنجح القوات العراقية سوى في أعمال التخريب التي طالت المئات من آبار النفط حيث أشعلت فيها النيران، كما بدأت بحملات يائسة من التدمير المنظّم للمنشآت الحكومية والمباني العامة داخل الكويت فيما ينمّ عن الحقد الدفين لدى تلك القوات المهزومة. ومن الأعمال الإجرامية الأخرى التي نفّذتها القوات العراقية أيضًا القيام بحملة إعدامات لأعداد كبيرة من الشباب الكويتي وخاصّة الذين تمّ تعذيبهم وذلك بهدف إخفاء أي دليل على ذلك.

وفي اليوم الثالث من الهجوم البري أُعلن أن قوات الحلفاء المندفعة داخل الأراضي العراقية وصلت إلى نهر الفرات وقطعت بذلك أي خط رجعة للقوات العراقية

وعـزلتها تمامًا. كما أعلن عن محاصرة أعداد كبيرة من قوات الحرس الجمهوري التي منعت من العودة إلى العراق إلاّ بعد أن تلقي أسلحتها.

وفي يوم ٢٦ فبراير أعلن مسؤول عسكري كويتي أن قوات الاحتلال العراقية قد انسحبت تمامًا من مدينة الكويت والمناطق المجاورة لها وأن عناصر المقاومة الكويتية سيطرت على مخافر الشرطة في تلك المناطق.

وفي أجواء ملؤها الشعور الجّياش بالاعتزاز بأرض الكويت العزيزة وترابها الطاهر تمّ صباح الأربعاء ٢٧ فبراير رفع علم الكويت الحرّة خفاقًا في احتفال أقيم في العاصمة وسط أهازيج المواطنين وهتافاتهم وهم يرون أبناء جيشهم الباسل وقد صاروا بينهم وقد تمّ النصر المؤّزر واندحر العدو الغاشم يجرّ أذيال الخيبة والعار.

وفي خضم تلك الأجواء وما كان يدور فيها من أحداث وتطوّرات لم يتردّد صدام ـ وبدون أدنى قدر من الخجل ـ من أن يقف ليلقي خطابًا على شعبه المسكين وجيشه المندحر وزبانيته منزوعي الغيرة ليقول لهم ولكثير ممّن هرولوا خلفه دون تفكير أو وعي، بأن قواته انسحبت من الكويت وأنه مضطر لذلك مشيرًا إلى أن القسطنطينية لم يتمّ فتحها في أول معركة، محاولاً وضع شخصه المغرور في مصاف الفاتحين الذين ملأوا التاريخ الإسلامي فخرًا وعزة، بينما لم يجلب هذا القزم على شعبه إلاّ الكوارث والويلات.

(٢) الوضع في الداخل

بدخول شهر فبراير كان قد مرّ أسبوعان على بدء الحرب حقّق خلالهما الحلفاء إنجازات كبيرة أهمّها تدمير الجزء الأكبر من سلاح الطيران العراقي بالإضافة إلى حرق آلاف الدبابات والعربات وقطع المدفعية، وشلّ كثير من المنشآت الاقتصادية والاستراتيجية في العراق.

وقـد أصـاب الرعب الجيش العراقي داخل الكويت وأصبح يحتمي بالمناطق السكنية ويختفي في البنـايات خوفًا من القصف الجوي. كما كانت الخنادق تغصّ بأولئك الجنود الذين ثبت أن همّهم الأكبر كان النجاة بأنفسهم والحصول على أكبر كمية ممكنـة من المسروقات والاحتفاظ بها لحين العودة إلى بلادهم. وكانت معنوياتهم قد وصلت إلى أدنى مستوى بعد أن بدأ معظمهم يعي ما كان يصيب بلدهم من دمار. فقد أصبحت أجهزة الراديو في متناول أيديهم من كثرة ما سرقوا منها، بالإضافة إلى التلفزيونات التي أصبحت الخنادق لا تخلو منها، خاصّة بعد أن قاموا بتمديد أسلاك كهربائية لتلك الخنادق وتوصيل الكهرباء إلى الكثير منها. وبالرغم من خوف واحدهم من الآخر إلاّ أن سماع الأخبار كان يتمّ بصورة أو بأخرى لتلهّفهم لمعرفة ما كان يدور حولهم من أحداث.

ـ الوضع السياسي والعسكري وانعكاساته على المواطنين

شهدت بداية شهر فبراير تكثيف الطلعات الجوية التي كان كثير من المواطنين يُتابعونها من على أسطح منازلهم بعد أن كانوا في البداية يتوجّهون إلى المخابيء عند سماع أصوات المدافع المضادّة للطائرات وهي تقذف بحممها إلى السماء دون نتيجة.

وكان الأطفال يلوحّون نهارًا للطائرات ـ معتقدين بأنها تراهم وترصد حركاتهم ـ تدفعهم إلى ذلـك براءتهم وحبهم لوطنهم ونـظرتهم لتلك الـطائـرات على أنها رسل الحرية، ووسيلة الخلاص لهم ولذويهم من سطوة المعتدين التي حرمتهم من كل شيء. أما أثناء الليل فكان كثير من المواطنين يراقبون من على أسطح منازلهم مرور الطائرات وهي في علو شاهق مخترقة سكون الليل موجّهة ضرباتها للمعتدين. كما كانوا يسمعون الانفجارات الرهيبة ويشاهدون الشرر الأحمر وهو يتصاعد من بنادق الجنود البائسين حيث لا تكاد تلك الرصاصات تصل إلى عُشر المسافة المطلوبة إلاّ وتعود لتهوي نحو الأرض حاملة معها الخيبة والفشل في الوصول إلى الهدف. وكانت سحب الدخان الكثيف ترى من كل جانب وهي تغطي السماء لتحجب الوهج المخيف ـ المنطلق من

الآبار التي بدأ الطغاة بحرقها ـ والذي كان يسيطر على الأفق من كل جوانبه، ليروي قصة الحقد الدفين الذي أعمى قلوب تلك الوحوش البشرية، ولم يُبق لديها أي رابط حقيقي بالإنسانية. وقد جرح عدد من المواطنين من شظايا المضادات التي كانت تسقط في كل مكان، فيما نُقل عن استشهاد أحد المواطنين عندما اخترقت إحدى الشظايا جسمه اثناء قيامه بإصلاح أنبوب الماء في فناء منزله. أما المنازل فقد أصيب كثير منها بالشظايا والصواريخ التي كانت تتطاير في الجو قبل أن تسقط عشوائيًا هنا وهناك. وقد حدث أن سقط صاروخًا على أحد المنازل غير المسكونة في مشرف ممّا أدّى إلى اشتعال النار فيه بينما أصابت بعض الشظايا ٤ خزانات للماء في عدد من البيوت المتجاورة في أحد شوارع منطقة مشرف بالإضافة إلى إصابة سيارة وواجهة أحد المنازل في نفس الشارع. وكانت ضربات الطائرات والبوارج البحرية دقيقة على العموم إذ أن إصابتها كانت مباشرة وفي الصميم. ومن الأمثلة على ذلك إصابة إحدى الشقق التي كان يسكن فيها رجال الاستخبارات العراقيين في إحدى بنايات منطقة الفنطاس دون إصابة بقية البناية. فقد تمّ ضرب الشقة وإزالتها تقريبا من البناية التي كانت الشقة تقع في إحدى زواياها.

القلق من إطالة أمد الحرب وتغيير مسارها

استمرّ الناس في متابعة ما يدور من أحداث والقلق يساورهم حول عدة قضايا. فقد مرت أكثر من ثلاثة أسابيع على بدء الحرب الجوية، دون رؤية شيء مادي وملموس يدل على تأثر العراق من جرّاء تلك الضربات، وتحوّل الموقف بصورة واضحة نحو اندحار جيش المعتدين. وكان ارتفاع عدد الطلعات الجوية اليومية إلى ما يقارب من أربعة آلاف طلعة يؤدي إلى الدهشة والاستغراب بالنسبة لحجم إمكانيات العراق العسكرية والاقتصادية، والتي مرّ عليها ما يقارب الشهر وهي تتعرض يوميا للضرب من قبل أكبر وأقوى جيوش العالم دون تأثير واضح. وكان للآراء والتحليلات التي كانت تدور حول القضية في الأوساط السياسية والعسكرية في دول التحالف، والتي كانت تُنقَل من خلال وسائل الإعلام العالمية، من أن الحرب قد تستغرق أسابيع ولربما أشهر

أخرى أكبر الأثر في زيادة قلق المواطنين، وجعلهم يعتقدون أن العملية ليست بالسهولة التي تصـوّروها في البداية، والتي كانت توحي بأن الهجوم البري سيصاحب الهجوم الجوي أو يعقبه بأيام قليلة. ومما زاد الأمور سوءًا أن تصريحات مؤيدي صدام كانت تزداد قوة فيما تستمرّ إذاعات لندن ومونت كارلو وواشنطن وغيرها في التركيز على قوة الجيش العراقي وإمكانياته الكبيرة. ومن الأمور التي كان لها أكبر الأثر في توتّر أعصاب المرابطين وتخوّفهم من اتساع نطاق الحرب وتغيير مسارها، الضربات التي استمرّ العراق في توجيهها إلى إسرائيل محاولا استدراجها إلى ساحة المعركة.

فقد كان قلق المرابطين كبيرًا من أن ينجح صدام في جرّ إسرائيل وإجبارها على اتخـاذ قرار بالردّ على ضرباته، مما يعني نجاح خطته في إشعال نار الحرب في المنطقة كلّها. وبذلك يكون قد نجح في إبراز نفسه كقائد لحرب مقدّسة بين الدول الإسلامية من جهة ودول الغرب وإسرائيل من جهة أخرى. وكان هذا سيؤدي إلى تحقيق مآربه في إحراج بعض دول التحالف كمصر وسوريا واحتمال بروز ضغوط محلية من شعوب تلك الدول ومنظماتها وأحزابها قد تؤدّي بها إلى تغيير مواقفها. لكن السحر انقلب على الساحر بعد أن وقفت مصر وسوريا بكل حزم لتدين تصرّفات العراق، وتكشف عن مخطّطاتـه متسـائلة عن أسبـاب غيابـه عن ساحـات الحرب أثناء النزاعات العربية الإسرائيلية المسلّحة في الستينات والسبعينات، وكذلك مواقفه المريبة أثناء ضرب الملك حسين للفلسطينيين في أيلول الأسود عام ١٩٧٠.

أما التطور الآخر الذي أقلق المواطنين فكان ما أعلنه العراق من أن طائرات التحـالف قامت بقصف ملجـأ للمدنيين في بغداد، مما أدّى إلى قتل مئات النساء والشيوخ والأطفال، فيما بدأت الإذاعات الموالية له وكذلك وكالات الأنباء العالمية في إبراز ذلك الحدث. وقد نجح العراق ولعدّة أيام في توجيه أنظار العالم ـ وبمساعدة أجهزة الإعلام الغربية نفسها ـ والتي كان من سياستها البحث والتركيز على الأخبار ذات الـطابع الخاص والتي تعطي نوعا من الإثارة، في سبيل جلب انتباه مشاهدي التلفزيون ومستمعي الإذاعات، لتحقيق سبق إعلامي يضع تلك المؤسسات في مقدّمة

وسائل الإعلام التي تتسابق في (تصيّد) الأخبار المهمّة لتنقلها إلى المشاهدين المتلهفين لسماعها في الوقت المناسب. وكان لذلك التطوّر تأثيرًا سلبيًا كبيرًا كاد أن يؤدّى إلى نجاح خطط العراق الإعلامية في كسب تعاطف المنظّمات الإنسانية، التي حاول أن يجرّها من قبل إلى صفّه حينما ركّز على عدم توفّر الحليب والغذاء لأطفال العراق. لكن دول الغرب وأجهزة الإعلام فيها أدركت فيما بعد أهداف العراق من تلك الضجّة، وتم تحويل أنظار الناس إلى ما كان يدور في ساحات القتال.

التخوّف من نجاح المحاولات لتمرير المبادرات المزعومة عن طريق الحلول الوسط

في ظل تلك الأجواء، أعلن راديو بغداد يوم ١٥ فبراير على أن بيانًا جديداً صادراً عن مجلس قيادة الثورة سيذاع في ذلك اليوم، ممّا جعل المواطنين يترقّبون ذلك البيان وينتظرون ما سيطرحه من أفكار لعلّه يأتي بشيء جديد، بالرغم من عدم الشعور بأي تفاؤل لما سيكون عليه الحال، خاصّة وقد خبر المواطنون ذلك النظام وعرفوه من خلال معايشتهم له لمدة تزيد على الستة أشهر. وما إن بدأ المذيع بقراءة تلك المقدّمة المعتادة المليئة بالعبارات الرنّانة والإسفاف الممقوت حتى وعرف المواطنون أن ذلك البيان لن يختلف عمّا سبقه من مناورات إعلامية لا تلبث أن تتبخّر.

فقد بدأ البيان بالهجوم على الولايات المتّحدة ودول الخليج ثم دول التحالف متهمًا تلك الدول بالتآمر على العراق. وقد استمرّ في ذلك الأسلوب إلى أن أشار إلى العدوان العراقي على الكويت قائلا «إن أحداث الثاني من آب عام ١٩٩٠ لم تكن في جوهرها وواقعيتها كما صوّرتها الدعاية الأمريكية والاستعمارية وكما رواها الحكّام الخونة من أتباع أمريكا. فقد كانت انتفاضة وطنية وقومية وإسلامية ضدّ المؤامرة والمتآمرين، انتفاضة ضدّ الظلم والانحلال وضدّ الفساد وضدّ الهيمنة الإمبريالية الصهيونية الاستعمارية على المنطقة، وضد المتآمرين الذين أصبح دورهم مكشوفًا في المؤامرة الأمريكية الصهيونية. لذلك أسفر الحلف الإمبريالي الصهيوني الأطلسي عن حقيقة

أهدافه ونواياه منذ الساعات الأولى لتلك الأحداث. فحشد الجيوش والقوات ونظّم أكبر وأخبث حملات التضليل والكذب والخداع التي شهدها العالم في العصر الحديث. وسخّر هذا الحلف الإمبريالي الصهيوني الأطلسي الخاسىء والخسيس مؤسسة الأمم المتّحدة لتصدر ضدّ العراق وبسرعة لا مثيل لها سلسلة من القرارات الجائرة التي لا سابقة لها. . . » ويستمرّ البيان في سرد تلك العبارات المعروفة والتي لم يخل منها أي من البيانات التي سبقته، ليصل إلى القول «وقد انتصر العراق في هذه المنازلة. . . انتصر لأنه بقي صامدًا شجاعًا مسلمًا عزيز البأس قوي الإرادة، انتصر لأنه حافظ على المبادىء وعلى القيم الروحية المستمدّة من دينه الحنيف وتراثه العريق، وأن خسائره في الماديات في هذه المعركة على رغم كثافتها تهون إزاء احتفاظه بروحه العزوم وإيمانه الراسخ بالمبادىء وتصميمه القوي على مواصلة طريق النهضة والتقدّم».

ويمضي البيان على نفس المنوال إلى أن يقول: إنه مستعد للتعامل مع قرار مجلس الأمن رقم (٦٦٠) بهدف التوصّل إلى حل سياسي مشرّف ومقبول بما في ذلك الانسحاب. وتأتي بعد ذلك الشروط المعروفة والتي شملت كل ما دار بخلد واضع ذلك البيان ليصل إلى القول: إن من شروط العراق أيضا «إعادة ما دمّره العدوان بالعراق طبقا لأفضل المواصفات على نفقة دول التحالف دون أن يتكلّف العراق شيئا بالإضافة إلى إلغاء الديون المترتبة على العراق ودول المنطقة التي لم تشترك بالعدوان على العراق». وكان ردّ الحلفاء سريعًا على هذه المبادرة إذ أنها لا تنمّ عن أي جدية ولم تكن تهدف إلى شيء أكثر من الضجيج الإعلامي الذي لا طائل من ورائه.

وفيما كان شعور المواطنين يتّجه ناحية اليقين من استحالة الحل السلمي نظرًا لما احتواه البيان من إسفاف وتخرّصات عقيمة تدعو للسخرية، إذ بأصوات الطلقات من البنادق والمدافع وغيرها تصمّ الآذان، فيما بدأت قوافل السيارات المحمّلة بالجنود تجوب الشوارع بينما أخذ الجنود بالتصفيق والهتاف معربين عن فرحتهم، بعد أن (تلقّفوا) نبأ الانسحاب ممّا جعلهم يطيرون فرحًا من وقع المفاجأة عليهم. وقد اهتزّت الكويت من أقصاها إلى أقصاها ذلك اليوم لمدة تزيد على النصف ساعة من كثرة ما أطلق من

رصاص وما سُمع من صراخ وهتافات وأهازيج أطلقها الجنود البؤساء، لتثبت هزيمة كل ما نادوا به من شعارات جوفاء ومباديء مزعومة. وقد عكس ذلك التصرّف ما كان بداخلهم من يأس وهبوط في المعنويات جعلهم يتفاعلون مع أول بادرة أمل لعودتهم من حيث أتوا. لكنها كانت فرحة لم تتمّ، إذ لم تمرّ إلاّ دقائق قليلة حتى بدأ الوجوم يخيّم على وجوههم من شدّة الصدمة بعد أن بدأوا يسمعون الشروط التعجيزية التي أوردها البيان. فعادوا مرة أخرى إلى واقعهم المرير بعد أن عاشوا لدقائق معدودة وهم يهيمون في بحور الأحلام عندما سمعوا كلمة الانسحاب للمرة الأولى، فجعلتهم يقفزون بخيالهم إلى ما كانوا يتمنّون ـ وهو وقف الحرب ـ إلى أن جاءتهم الصدمة التي أقضت مضاجعهم بعد أن علموا بأن (الشروط) التي وضعها البيان كفيلة بوأده وإرجاعهم إلى نقطة البداية.

هذا وكان المواطنون ـ في بداية الأسبوع الثالث من فبراير ـ يعيشون أيامهم وهم يشعرون بقربهم من النصر، لكن بعض التطوّرات السياسية، التي كانت تقع بين الفترة والأخرى كانت تؤرقهم، لتخوّفهم من نجاح العراق وحلفائه في إقناع دول التحالف بالوصول إلى حل وسط للأزمة. وقد سيطر القلق على المواطنين بعد أن أعلن عن المبادرة السوفيتية أثناء تواجد طارق عزيز في موسكو والتي جاءت بهدف انتشال الجيش العراقي المنهار من براثن الهزيمة، وقد أصبح قاب قوسين منها. فقد كانت تلك المبادرة في نظر المواطنين محاولة لإنقاذ ماء وجه صدام، وفي نفس الوقت تأكيدًا لدور الاتحاد السوفيتي في المنطقة على حساب قضية الكويت العادلة. ومن خلال استعراض بنود تلك المبادرة يتبّين أنها كانت في صالح النظام العراقي أكثر من أي جهة أخرى، حيث كانت ستعطيه مزايا كثيرة من شأنها أن تجعله يتشدّق أكثر بأنه المنتصر في الحرب. وكان أسوأ ما فيها بالنسبة للمواطنين ـ بالرغم من اعتقادهم بأن كل ما فيها كان سيئًا ـ أنها تعطي للعراق مهلة تطول واحدًا وعشرين يومًا لإكمال انسحابه. وهذا ما جعل المواطنين يعيشون على أعصابهم من شدّة القلق والخوف من أن توافق دول التحالف على تلك المبادرة. فلو أن تلك المبادرة كانت قد أُقرّت لما بقي شيء ينبض بالحياة في الكويت، إذ أن العدو كان قد أعدّ العدّة ـ وقد علم باقتراب اندحاره ـ لتخريب كل ما يمكن أن تطوله يداه. وكانت التعليمات الكتابية التي تمّ إصدارها لأزلامه والتي تمّ العثور

عليها بعد هزيمته المنكرة أكبر دليل على ذلك. كما أن مقدار الخراب والتدمير الذي طال كل شيء في الكويت ـ والذي قام به الجيش العراقي قبل وأثناء انسحابه ـ كان سيتضاعف عشرات المرات لو أن مثل تلك المبادرة كانت قد أُقرّت. لذلك فإن رفض دول التحالف وفي مقدّمتهم الولايات المتحدة الأمريكية لتلك المبادرة قطع الطريق أمام العراق لجني أي مكسب سياسي يمكن أن يتشدّق به، خاصّة وأنه كان يطالب الاتحاد السوفيتي بإضافة بند في تلك المبادرة يدعو إلى إلغاء التعويضات. علمًا بأن أحد بنود تلك المبادرة كانت تنصّ على إلغاء معظم قرارات الأمم المتحدة بعد انسحاب العراق من الكـويت، مما يعني أن الاتحاد السوفيتي لم يكن يصرّ على أن يقوم العراق بدفع تعويضات الحرب. وقد كان الشعور بالانفراج كبيرًا بين المواطنين بعد أن تمّ إجهاض تلك المبادرة التي كانت ستؤدي إلى زيادة معاناتهم، وتعطي الفرصة لقطعان الجنود المتوحّشين بالانتقام منهم وتدمير ونهب كل ما كان سيقع عليه بصرهم.

ـ سرقات (النشامى) تطول كل شيء

كان لاتخاذ الجنود العراقيين لبعض المنازل الخالية في الأحياء السكنية مقرًا لهم مع بداية القصف الجوي أسوأ الأثر على المواطنين. فبالإضافة إلى اتخاذ تلك المنازل أوكارًا للتجسّس والضغط على المواطنين كانت منطلقًا (لغزواتهم) الليلية على المنازل الخالية الأخرى في الشوارع القريبة. وقد كانوا فعلاً جيران سوء، إذ أن وجودهم جعل المواطنين لا يأمنون على أموالهم ولا على أرواحهم خاصّة وأن معظمهم أصبحوا جياعًا ومنهكـين ولديهم رغبة جامحة في الانتقام، سواء من الكويت أو من المواطنين وبأي شكـل من الأشكال. وكان يُرى العشرات منهم جالسين على الأرصفة وقد وضعت أسلحتهم بجانبهم فيما كانوا يرتدون الملابس العسكرية وفي أرجلهم شباشب (الزنّوبة) المسروقة من المحلات والبيوت. وكانوا ينتظرون ساعات طويلة وهم في تلك الحالة لتمرّ عليهم سيارات (التموين) وترمي عليهم أعدادًا قليلة من الأرغفة التي لا تسدّ رمق نصف عددهم ولـو لوجبـة واحدة. وقد قام بعضهم بقطع كثير من نخيل الشوارع ليأخذوا منها (الجمّار) ـ وهو لب الجزء السفلي من جذع النخل أو فسيلها ـ والذي يكون عادة طرياً ويمكن أكله.

وقد سطا أولئك الجنود في أواخر الأيام حتى على الدجاج الذي كان المواطنون يقومون بتربيته. ففي أحد الأحياء مثلا، كان أحد المواطنين يحتفظ بحوالي عشر من الدجاج الرومي كان قد اشتراها قبل نشوب الحرب الجوية. وكانت تجوب الشارع خلال النهار لتتناول ما تجده في طريقها من حبوب وأعشاب وبقايا طعام هنا وهناك. كما كانت هناك أعداد من الدجاج في نفس الشارع وقد رقدت إحداها على البيض في إحدى الزوايا، ولم يبق على موعد فقس البيض إلاّ أيام قليلة. وفي صباح أحد الأيام التي سبقت الهجوم البري، استيقظ صاحب الدجاج الرومي فلم يجد حتى واحدة منها. وعندما أخبر جاره عن الموضوع أفاده الأخير بأن البيض الذي كان تحت دجاجته قد سُرق أيضا. ويبدو أن (لص الدجاج) هذا لم يستطع اللحاق بالدجاجة الراقدة على البيض ليسرقها، فاكتفى بسرقة البيض الفاسد. وممّا يجدر ذكره هنا أن سكان ذلك الحي كانوا قد دخلوا المنزل الذي كان يسكنه الجنود بعد هروبهم يوم التحرير، فوجدوا بقايا الدجاج الرومي، كالريش والأحشاء بعد أن تمّ ذبحه وأكله من قبل النشامى. وفي حادثة أخرى خرج مواطن من بيته صباح ذات يوم فرأى جنودًا يسرقون أحد الخراف التابعة له فحاول منعهم لكنه لم يستطع اللحاق بهم إذ كانوا قد وضعوا الخروف في سيارتهم وانطلقوا به. وقد بقي أحدهم لعدم استطاعته اللحاق بهم لبطئه في القفز بالسيارة. فدخل المواطن في مشادّة كلامية مع الجندي وإذا بضابط قادم فسأل عن الخبر فأخبره المواطن بالقصّة. فأمر الضابط الجندي بالذهاب لمجموعته وإرجاع الخروف حالاً. وبعد دقائق عاد الجندي ومعه خروف أبيض، علمًا بأن الخروف المسروق كان أسود. وكان لدى مواطن آخر عدد من الخراف كان يضعهم أثناء الليل في مكان محاط بسياج من الشبك الحديدي. ففقد في إحدى الليالي اثنين من خرافه، وشك في أن (جيرانه) من الجنود (الأشاوس) قد سطوا عليهم، فوضع بقية الخراف في الليلة التالية داخل إحدى الغرف التابعة للملحق في البيت وأقفل عليهم الباب. وفي الصباح اكتشف أن الجنود قد سرقوا خروفا آخر وأخرجوه من الغرفة من خلال فتحة المكيف. وهكذا بدأ مستوى جيش (الأشاوس) بالانحدار شيئًا فشيئًا حتى في اللصوصية، ليصل إلى سرقة الخراف والدجاج وشباشب الحمام وما في مستواها من أشياء بعد أن انتهى من (تنظيف) كثير من المنازل من الأثاث والأجهزة المختلفة.

ومن الحوادث التي تعكس مستوى الجهل والتخلّف الذي كانوا يعيشون فيه أن عصابة من الجنود كانت قد سطت على أحد المنازل الذي كان به مصعد كهربائي فقاموا بكسر باب المصعد ظنًا منهم أنه خزينة، ليجدوا أن تلك (الخزينة) خالية ولا تحتوي على شيء.

وكان لصدور قرار منع تزويد المواطنين بالوقود يوم ٦ فبراير من قبل سلطات الاحتلال «بسبب عطل فني في منشآت النفط» أثر كبير في اختفاء تلك (السلعة) من السوق ووضعها في مصاف السلع النادرة التي تباع في السوق السوداء. وقد أصبح البنزين شحيحًا نتيجة لذلك القرار ممّا وضع المواطنين في أزمة خاصّة بعد انقطاع الاتصالات الهاتفية بين المناطق في جميع أرجاء الكويت بعد ذلك بيوم واحد. وقد أدّى هذا إلى انقطاع الاتصال بصورة تامة بين المناطق المختلفة ممّا نتج عنه عدم معرفة ما كان يدور في كل منطقة نتيجة انعزالها عن بقية المناطق. وكان عدد كبير من المواطنين قد توقّع انقطاع الوقود في تلك الفترة، فقام بشراء وتجهيز عدد من الجالونات والبراميل لتخزين البنزين بها قبل قرار المنع. وكان بعض الجنود في بعض محطات البنزين آنذاك يُسهِّلون عملية شراء الوقود للمواطنين بمن فيهم من لم يُبدل أرقام سيارته، في مقابل إعطائهم بعض المواد الغذائية كالخبز والجبن والمربى، وخاصّة في الأيام الأخيرة التي أصبح الجوع فيها ينهش أولئك الجنود، ويجعلهم يقومون بأي عمل في سبيل الحصول على الطعام. وكانت بعض النساء يذهبن عدة مرات في اليوم إلى المحطات التي اشتهر (مسؤولو البوابة) فيها بالسماح للمواطنين بملء سياراتهم بالوقود أثناء غياب أزلام الاستخبارات، في مقابل إعطائهم بعض المواد الغذائية. وكان بعض الجنود يدعون النساء إلى إبلاغ صديقاتهن بالمجيء لشراء الوقود وإحضار بعض الطعام لهم في المقابل. أما من لم يكن لديه مخزون من الوقود في فترة المنع فقد اضطر لشراء البنزين من ميدان حولي وغيره من (الأسواق) بمبلغ ١٨٠ ديناراً عراقيًا للوعاء البلاستيكي الذي يسع ٤ جالونات، أي بسعر ٤٥ ديناراً عراقيًا للجالون (٤٫٥ ديناراً كويتيًا). وكان (باعة البنزين) هؤلاء يصطفّون في شارع عمّان وفي الطريق الدائري الخامس الفاصل بين الرميثية والسالمية ليبيعوا ما لديهم من بنزين وزيت سيارات وما شابه ذلك من مواد. كما أصبح بعض أفراد الجيش الشعبي أيضا من (تجّار الوقود).

وكـان من أثـر وقف بيع البنزين أن نوعًا جديدًا من السرقات بدأ يظهر على السـاحة، وهو سرقة الوقود من خزانات السيارات. فكان المواطن يتوجّه صباحًا إلى سيارتـه ليجد أن البنزين قد تمّ (شفطه) ولم يبق في الخزّان أي وقود يمكن أن يحرّك السيارة في حالة الضرورة. فقد أدّى قرار المنع إلى جعل تلك المادة تستحـق أن تكون من بين المواد الثمينة التي يسطو اللصوص على المنازل من أجل سرقتهـا.

ومن (طريف) ما وقع من أحداث بالنسبة للبنزين أنه وقبل منع بيع الوقود بأيام قرر كبير مسؤولي مطافىء الشويخ ـ وكان من المرابطين ـ توفير كمية كافية من البنزين لتشغيل ما تبقّى لديه من سيارات الإطفـاء وقت الحـاجـة. فتـوجّـه بإحدى سيارات الصهاريج (التناكر) إلى مقرّ وزارة النفط لأخذ تصريح بملئه بالوقود، لكن المسؤولين العـراقيين رفضـوا تزويده مجانًـا، فتـبّرع أحد التجّار بالمبلغ المطلوب وتوجّه مسؤول المطافىء إلى وزارة النفط مرة أخرى ليشتري الوقود. وبعد (مفاوضات) طويلة معهم شملت أيضا (تحقيقًا) معه عن المصدر الذي زوّده بالمبلغ، وافقوا على بيعه الكمية المطلوبة. فملأ الصهريج بعد دفع المبلغ وتوجّه به إلى مركز الإطفاء وملؤه الاطمئنان بتوفّر مخزون كاف لوقت الحاجة. وعند أوّل محاولة منه لملء خزّان سيارة الإطفاء بالوقود من ذلك الصهريج قام الجنود المتواجدون بالمركز بمنعه من استخدام ذلك المخزون، وأخـبروه أنهم ينـوون الاحتفـاظ به (لليوم الأسود). وقد بذل جهودًا كبيرة في سبيل الحصول على شيء بسيط منه دون جدوى، فاضطر للشراء من محطات البنزين لملء سيارات الإطفاء. وعندما أغلقت المحطات أبوابها بسبب قرار المنع، قام الجنود ببيع البنـزين على المـركـز لملء سيارات الإطفاء بعد أن احتفظوا به لليوم الأسود!! وكان مسؤول المـركز مضطرًا للشراء بعد أن حصل على المبالغ المطلوبة من بعض التجّار الذين كانوا يتبرّعون لمثل تلك الأعمال.

وكان من الملفت للنظر حقًا سرعة إنجاز (مهمّة) السرقة التي كان ينفّذها خبراء ذلـك (الفن) من النشـامى، الذين أصبحوا يُجيدونه بصورة لم يسبقهم فيها أحد. فكانت المجموعة منهم تُجهز على (ضحيّتها) بسرعة تكاد تسبق البرق، ولا تمرّ دقائق

معدودة إلاّ وتكون المهمّة قد أُنجزت. فإذا كانت (الضحية) سيارة مثلاً فإنها تصبح كالهيكل العظمي خلال فترة قياسية لا تزيد عن ساعة. وإذا كان (الهدف) منزلاً فإن (النمل البشري) الذي يسطو على ذلك المنزل يكون قد أكمل المهمّة، وشحن كل ما فيه من أثاث وممتلكات أخرى في الشاحنات المتوقّفة أمامه، وتركه (على البلاطة) خلال ساعات الظلام الخمس التي تأتي بين منتصف الليل وبزوغ الشمس، مهما كان يحوي ذلك المنزل من أثاث ومقتنيات. أما إذا كانت (الغنيمة) مصنعًا أو مخزنًا فإنه يصبح (كالعصف المأكول) خلال أربع وعشرين ساعة. لذلك فإن وصف صدام لجيشه وحرسه الجمهوري بأنهم (رجال المهمّات الصعبة) كان وصفًا صحيحًا ينطبق عليهم تمامًا. لكن تلك المهمّات كانت مهمّات من نوع آخر، بعيدة كل البعد عمّا ينجزه الرجال الحقيقيون. ومن الأمثلة على سرعة إنجاز تلك المهمّات والكفاءة في تنفيذها، أن أحد المواطنين كان يستخدم (الوانيت) التابع له في توصيل المواد الغذائية لجيرانه وزبائنه بعد أن يقوم بشرائها من الشبرة. وكان ذلك المواطن قادمًا في أحد الأيام من الشويخ حين تعطّلت سيارته، فنزل محاولاً إصلاحها ولكن دون فائدة، فتوجّه إلى أحد الأماكن القريبة للاتصال بالتلفون. وعند عودته إلى السيارة، بعد فترة وجيزة، شاهدها وقد سُرقت إطاراتها الأربعة وجميع المقاعد والأضواء الأمامية والخلفية وأصبحت لا تكاد تصلح لشيء. فقام المواطن ـ وقد سيطر عليه الغضب والتصميم على عدم إتاحة الفرصة لأولئك اللصوص للاستفادة من بقية أجزاء السيارة ـ بإشعال النار فيها وتركها تحترق.

وقد وقعت حوادث أخرى في أواخر أيام الحرب دلّت على وجود (تجارة متخصّصة) تتّصف ـ بالإضافة إلى سرعة الإنجاز ـ (بتراكم الخبرات) في كل مجال من مجالات السرقة والنهب. ففي مساء يوم الاثنين الذي سبق (يوم الهروب) جاء أحد أصحاب الشاحنات الكبيرة وطلب من مسؤولي محطّة مطافىء الشويخ المحافظة على شاحنته التي أوقفها قرب المركز ليأتي عند الفجر ويأخذها. وكانت السيارة مملوءة لآخرها بجميع أنواع الأثاث الذي يبدو أن صاحب السيارة قد فرغ لتوّه من نهبه من أحد المنازل. وعند منتصف الليل، وبعد نقاش طويل بين الشباب الذين كانوا يعملون في محطة الإطفاء، قرروا إشعال السيارة وتركها تحترق لمدة ساعة ليقوموا بعد ذلك بصبّ

الماء عليها حتى يتمّ إتلاف الشاحنة وما فيها من أثاث مسروق، وإيهام سلطات الاحتلال ـ في حالة مساءلتهم ـ بأنّهم قاموا بمهمّتهم بإطفاء الشاحنة عندما شاهدوها وهي تحترق. وقد تمّ إنجاز العملية حسب الخطّة. وعند الصباح جاء صاحب الشاحنة وإذا به يشاهدها في تلك الحالة. فغادر المكان حالاً مع مرافقيه ـ بعد تفحّص الشاحنة لمعرفة ما تحتاجه من قطع ـ ليعود بعد ساعات قليلة ومعه أربعة إطارات وماكينة كاملة وكل ما يلزم لتشغيل الشاحنة. وخلال فترة قصيرة تمّ تركيب كل ما احتاجته تلك الشاحنة من أدوات وآلات ليقوم بتشغيلها والتوجّه بها إلى العراق.

أما أشهر السرقات (الرسمية) الفاضحة فكانت في أواخر أيام القصف الجوي، عندما لاحظ (النشامى) كثرة الدرّاجات التي كانت تجوب الشوارع بعد أن اختفت السيارات، بسبب إيقاف تزويد المواطنين بالوقود وانتشار ظاهرة مصادرتها. فقد أصبحت الدرّاجات هي الوسيلة الوحيدة للمواصلات تقريبًا إن لم يرغب المواطن بالتنقّل سيرًا على الأقدام. فما كان من النشامى في أحد الأيام إلاّ أن أحضروا الشاحنات وأوقفوها قرب جسر مشرف ليتمّ عمل (كمين) تمّ على أثره إيقاف كل سائق درّاجة لتصادر دراجته ويُطلب منه مغادرة المكان حالاً ومشيًا على الأقدام إلى حيث أتى قبل أن تنزل به أشدّ العقوبات (بتهمة) ركوب الدراجة. وقد أسفرت تلك (الغزوة) عن مصادرة أكثر من مائتي دراجة في يوم واحد قرب جسر مشرف فقط.

ـ مآسي الأيام الأخيرة

الأوضاع المعيشية ومعاناة المواطنين

كان شهر فبراير من أصعب الشهور من الناحية المعيشية والأمنية. فبعد انقطاع الاتصالات الهاتفية ومنع بيع الوقود أصبح ضغط الماء منخفضًا بصورة كبيرة ممّا أدّى إلى عدم وصوله إلى المنازل ذات الطابقين أو أكثر، علمًا بأن المشكلة كانت قد بدأت قبل ذلك بفترة طويلة ولكن بصورة أخفّ. وقد اضطّر كثير من المواطنين إلى استخدام

المضخّات التي كان البعض قد اشتراها والتي أصبحت تُستخدم بالتناوب بين الجيران بعد أن قام من لديه مضخة بإعارتها لهم لاستعمالها لبضع ساعات يوميًا في كل منزل. كما اضطر بعض المواطنين إلى نقل المياه بالسطول والأواني الصغيرة من البيوت التي كانت تصلها المياه فيما قام البعض بمدّ أنابيب (هوزات) بلاستيكية من خزّانات البيوت الخالية لتوصيلها إلى بيوتهم. وقد أصبح الاستحمام في تلك الأيام من علامات الترف إذ كان الهمّ الأول هو الشرب. كما أن غسل الملابس صار من العادات الأسبوعية مما اضطر المواطنين إلى ارتداء الملابس لعدّة أيام بعد أن كانت تبدّل يوميًا. أما النباتات والأشجار فإن وصول الماء إليها لم يكن ممكنا حتى في الأحلام.

وبالنسبة للغاز فبعد أن كان من الممكن الحصول على (سلندر) واحد لكل بيت بين فترات متباعدة، قد تمتدّ إلى أسبوعين أو أكثر ـ بعد الوقوف ساعات طويلة في الطوابير ـ أصبح ذلك من خيالات الأيام الخوالي. لذلك تحوّل الطبخ في المنازل التي لديها طبّاخات كهربائية إلى استخدام تلك الطباخات قبل انقطاع الكهرباء. أما من لم يتوفّر لديه ذلك فقد اضطر إلى استخدام الكيروسين بعد أن كان قد اشترى الطبّاخات التي تستخدم ذلك الوقود عندما كان يستطيع الوصول إلى البسطات. ومن لم يشتر ذلك النوع من الطبّاخات فقد أخذ بالبحث عنها بين أكوام الأجهزة والأثاث القديم المتراكم في زوايا السراديب أو الغرف المهجورة في كل بيت. وقد استعملت الأخشاب وأغصان الأشجار في كثير من البيوت لصنع الخبز في التنّور البدائي الذي قام المواطنون بشراء أعداد منه من البسطات، عندما كان العراقيون يجلبونه معهم في أوائل الأيام. وقد ساعد ذلك المواطنين بصورة كبيرة إذ أن كثيرًا من النساء بدأن يخبزن الخبز ويوزّعنه على الجيران بعد إغلاق كثير من المخابز في منتصف فبراير.

أما بالنسبة للوضع الأمني فكان لانخفاض الروح المعنوية لجيش الغزاة وتململهم أثر كبير على تصرّفاتهم تجاه المواطنين. فكان البعض منهم يتصرّف وقد بدا عليه الوهن والإنهاك وعدم الاكتراث حتى أصبح لا يهتم بشيء إلاّ ملء معدته والانتظار لما سيأتي به القدر. وكان ذلك واضحًا على كثير من جنود السيطرات. أمّا أزلام الاستخبارات

فكانت نظرتهم تختلف عن غيرهم وكذلك تصرّفاتهم، وذلك بسبب التصاقهم بالسلطة ومعرفتهم بحرصها عليهم وعدم التفريط بهم عندما تشتدّ الأزمة. إذ أن كل الإمكانيات كانت تحت تصرّفهم وبالتالي كان باستطاعتهم الهروب حال وقوع الخطر عليهم. لذلك كانت تصرّفاتهم غاية في الوحشية وخاصّة في الأيام الأخيرة. فإذا صادف وجود أحدهم في نقطة تفتيش مثلا يرفض اعتبار البطاقة المدنية للمواطنين كهوية شرعية ويقوم بالتحقيق معه عن سبب عدم تبديلها بالهوية العراقية. وكان الهدف من ذلك واضحًا وهو الابتزاز وزيادة الضغوط على الناس ومضايقتهم. وكانوا قبل هروبهم بأيام يطرقون أبواب المنازل ويختارون السيارات التي تعجبهم ويأخذونها قسرًا من داخل البيوت. وكانوا إذا دخلوا منزلاً وشاهدوا سيارة وقد رُفعت إطاراتها أو أُزيلت بطاريتها في محاولة لمنع سرقتها، يطلبون من المواطن تركيب الإطارات أو إرجاع البطارية لمكانها وتجهيز السيارة لتكون جاهزة عند عودتهم بعد ساعة من الزمن وإلاّ فإنهم سينزلون بصاحبها أشدّ العقاب.

أما الاعتقال العشوائي للمواطنين بدون سبب والتنكيل بهم والتفنّن بتعذيبهم في المعتقلات ورمي الجثث مجهولة الهوية بالشوارع فكانت من الأمور المعتادة في الأيام الأخيرة للحرب. كما أن حوادث حرق المخازن والعمارات والمكاتب فقد كانت تحدث عشرات المرات يوميًا حيث كان يتمّ سرقة ما فيها من بضائع ومن ثمّ حرقها سواء على أيدي الجنود أنفسهم أم على أيدي الفئات المتعاونة معهم. ويروي أحد رجال الإطفاء بأنه بينما كان متوجهًا لإطفاء إحدى الحرائق في أواخر الأيام إذ به يشاهد عددًا من موظفي إحدى شركات الأثاث وهم ينهبون معارض تلك الشركة بالشويخ بالتعاون مع بعض الجنود العراقيين. ونظرًا لعدم استطاعته منعهم طلب منهم متوسّلاً عدم القيام بحرق المحل بعد نهبه، (فأكّدوا) له بأنهم لن يحرقوه !!!

خطف الناس من منازلهم . . . المهمّة الأخيرة (للنشامى)

قام جيش الغزاة المهزوم في الأيام الأخيرة، وبعد أن أحسّ بقرب الهزيمة، ببعض الأعمال التي ربما لم يسبقه أحد في التاريخ بالقيام بها. فقد راح ذلك الجيش ابتداء من

يوم الخميس ٢١ فبراير بخطف الناس من الشوارع والمساجد والأسواق وحتى من بيوتهم، وجمعهم في باصات أو شاحنات أو وانيتات وأخذهم إلى المخافر في مناطق سكنهم تمهيدًا لإرسالهم للعراق. ولم يسلم من ذلك الرجل المسن أو الصبي الذي لم يتعدّ عمره ١٤ سنة. وكانت تؤخذ هوياتهم ويتمّ تفتيشهم في المخافر ثم يُرسلون بالمئات إلى (مراكز التجميع) في سجن الأحداث أو غيره من الأماكن. وكانت توسلات أهاليهم ورجاء أمهاتهم أو زوجاتهم لدى الضبّاط بإطلاق سراحهم تذهب أدراج الرياح دون أن تحرّك ساكنًا لأي من أولئك الوحوش. وكانت أصوات النساء تُسمع وهي تصيح وتولول وتتوسّل من كل جانب وهي تحيط بتلك السيارات التي امتلأت بالمواطنين الأبرياء دون مجيب. وكان واضحًا أن تلك النوعية من البشر ـ إن جاز اعتبارها بشرًا، بعد كل ما قامت به من جرائم ـ قد ماتت ضمائرها واعتادت على التمتّع بمشاهدة الناس وهي تتألّم. بل إنه من الممكن القول أن رؤيتها للناس وهي تتألّم أمامها كانت إحدى الوسائل المسلية بالنسبة لها، والتي كانت ترتاح إليها نفسياتهم المريضة. وقد تمّ جمع آلاف من المواطنين الأبرياء ما بين يومي الخميس ٢١ فبراير والسبت ٢٣ فبراير وإرسالهم إلى سجون ومعتقلات العراق، في محاولة لاستخدامهم كوسيلة ضغط عندما يحين الوقت لذلك. وقد زُجّوا في معتقلات وسجون لا تصلح حتى لسكن الحيوانات.

سجون ومعتقلات من نوع آخر

ويروي أحد المواطنين الذين أخذوا عنوة من منازلهم ظهر يوم الخميس ٢١ فبراير وسط صراخ أهاليهم ـ بعد أن تمّ دخول المنزل من قبل الجلاوزة وسؤالهم عن صاحبه ـ بأنهم أركبوه السيارة تحت تهديد السلاح وكان بها عدد من المواطنين الذين تمّ القبض عليهم بنفس الطريقة. فخرجت زوجته وأطفاله وهم يصيحون طالبين إطلاق سراحه، فما كان من الضابط إلاّ أن نهرهم ووجّه كلامه للمواطن مؤنّبًا ومتسائلاً عن سبب إحضار النسوة للدفاع عنه، مؤكدًا أن ذلك لن يجدي نفعًا. وفي تلك الأثناء خرج أحد أقاربه من المنزل المجاور للسؤال عن الخبر فطلب منه الضابط ركوب السيارة تحت تهديد السلاح فلم يكن أمامه أي خيار آخر. وقد توجّهت السيارة ناحية مخفر المنطقة

فيما تمّ إخبار المعتقلين بأنه سيتمّ التحقيق معهم لعدّة دقائق ثم يعيدونهم لمنازلهم. وعند وصولهم إلى المخفر وجدوا هناك باصات مملوءة بالرجال من كل الأعمار. وبعد التحقيق معهم وتفتيشهم وأخذ ما كان في جيوبهم من أشياء تمّ (شحنهم) في إحدى الشاحنات التي توجّهت بهم إلى سجن الأحداث. وعند نزولهم طلب منهم الحرّاس التوجّه إلى العنابر التي كانت مملوءة بآلاف المواطنين الآخرين. وكان حارس البوابة يستهزىء بهم - وهم يدخلون إلى السجن - قائلا «ليأتي بوش الآن ويدافع عنكم». وقد تمّ توزيعهم بين العنابر المختلفة حيث ناموا تلك الليلة في الظلام الدامس على الأرض الإسمنتية متوسدّين أحذيتهم، فيما بقوا ٢٤ ساعة هناك بدون طعام. وفي اليوم التالي قاموا بجمع بعض النقود ممّن كان لديه بقايا لم يتمّ الاستيلاء عليها أثناء التفتيش حيث وصلت إلى ٣٠٠ دينار عراقي أعطيت لأحد الحرّاس لشراء طعام لهم. وبعد غياب ساعة عاد وبيده إناء به عدد قليل من البيض زاعمًا أنه لم يعثر على شيء غيره. فاضطر المعتقلون أن يقتسموا البيض وقد أهلكهم الجوع حيث اقتسمت كل مجموعة من الأشخاص بيضة واحدة. وكان عدد أفراد كل مجموعة يتراوح ما بين ٧ أشخاص إلى ١٢ شخصًا. هذا وقد (تكّرم) عليهم سجّانوهم في مساء اليوم الثاني بإعطائهم صمونة واحدة لكل فرد، وكان ذلك النوع من الصّمون مصنوعًا من خليط الشعير والنخالة وغيرهما من بقايا الحبوب والذي كان أقسى من الحجر.

وفي أثناء وجود المعتقلين في سجن الأحداث علم بعض الأهالي بوجودهم هناك، فجاءوا للسؤال عنهم وتوصيل بعض الحاجيات إليهم لكّن السلطات العراقية بدأت باعتقال الزوار من الشباب وزجّهم بالسجن مع بقية المعتقلين. وفي مساء يوم السبت الموافق ٢٣ فبراير تمّ إخراج المعتقلين من سجن الأحداث وصفّهم في طوابير طويلة تمهيدًا لترحيلهم، في باصات وزارة التربية المسروقة، إلى سجن (أبوصخير) بالبصرة حيث وصلوا إلى هناك بعد منتصف الليل. وكان الوضع هناك أكثر تعاسة من سجن الأحداث، إذ تمّ وضع كل ٣٠٠ شخص في عنبر لا يسع في الحقيقة لنصف ذلك العدد. وكان المعتقلون يقضون معظم وقتهم هناك ما بين الوقوف والجلوس، إذ لم يكن هناك متسعًا من المكان يستطيع السجين أن يستريح فيه. كما أنهم واجهوا

مشاكل كثيرة فيما يتعلّق بالنوم وعدم توفّر مياه الشرب والحمّامات. وقد اضطر أكثرهم للنـوم وهم جلوس في الأسبوع الأول أو البقاء مستيقظين أثناء الليل، لينام وا خلال النهار في الفترة المسموح لهم فيها بالخروج إلى فناء السجن حيث كان يخرج بعضهم إلى هناك فيكون العنبر أقل ازدحاما.

كما أنّهم كانوا يعانون من البرد القارس لعدم توفّر عدد كاف من البطانيات. وقد ازدادت الأوضاع سوءًا عندما كانوا مكتظّين أثناء إحدى الليالي في وسط ذلك العنبر المـزدحم، وإذا ببـابـه يُفتح ويتمّ إدخال ١٢٠ معتقلاً إضافيًا إليهم مما جعلهم لا يستطيعون حتى الجلوس. وقد اضطروا إلى قضاء معظم وقتهم أثناء فترة الاعتقال وقوفًا في ذلك العنبر، والذي وصل عدد المعتقلين فيه إلى ٤٢٠ شخصًا، فيما لم تكن مساحته تزيد عن ١٣٨ مترًا مربعًا (إذ كان طول القاعة حوالي ٢٥ مترًا وعرضها ٥ر٥ مترًا). وكـان معـظم المعتقلين هناك يتناوبون بالنوم بين بعضهم البعض، حيث كان ينام بعضهم وهو جالس بينما ينتظره زميله وهو واقف لعدّة ساعات. وقد قضى الكثير منهم الليل وهو متكيء على الحائط لينام دقائق ويصحو دقائق أخرى، إلى أن يأتي الصباح بعد أن يكون قد أنهك جسمه من الوقوف لساعات طويلة في البرد القارس. وكانت إحـدى المشـاكـل الـرئيسية بالنسبة لهم عدم توفّر المياه، إذ اضطر الكثير منهم إلى (تصفية) مياه المستنقعات (والخُبر) ـ التي تكوّنت إثر هطول الأمطار ـ وذلك من خلال استعمال الغترة (الكوفيه)، لفصله عن الطين والأتربة العالقة فيه، تمهيدًا لاستعماله للتنظيف وغسل الأطراف وما شابه ذلك.

وكان واضحًا من تصرفات النظام العراقي في الأيام الأخيرة أن همه الرئيسي كان اعتقال أكبر عدد ممكن من المواطنين الكويتيين بهدف استخدامهم كورقة رابحة للابتزاز وكسب بعض الميزات. ولم يكن يهتم بنوعية أو مرتبة من يتمّ القبض عليه، إذ كان من المعتقلين طفـلاً عمره خمسة عشر سنة بينما كان أكبرهم سنًا شيخا كان يبلغ الرابعة والثمانين من العمر. وقد قاسى بعض كبار السن كثيرًا من المتاعب والآلام لكثرة ما تعرّضوا له من إنهاك، إذ كان بينهم عدد من المرضى والعاجزين. لكن ذلك لم يكن له أي أثر على تصرفات النظام العراقي تجاههم.

ـ الهجوم البري

توقّع معظم المواطنين بأن يكون توقيت الهجوم البري متزامنًا مع انتهاء فترة الإنذار الذي وجّهه الرئيس جورج بوش للعراق بالانسحاب. وكانت فترة الإنذار تنتهي ظهر يوم السبت الموافق ٢٣ فبراير بتوقيت واشنطن، أي فجر يوم الأحد ٢٤ فبراير بتوقيت الخليج. وقد سهر كثير من المواطنين طوال تلك الليلة وهم يتابعون الأخبار في انتظار نبأ بدء (الضربة القاضية) التي ستكون بمثابة النهاية للفصول الطويلة التي مرّت من خلالها الأزمة، والتي عانى منها المواطنون ما عانوا، وصبروا طويلاً في انتظار الظفر بمعايشة تلك الساعات الفاصلة التي حرصوا على أن يتتبّعونها لحظة بلحظة.

وكانت بعض الإذاعات قد نقلت أنباء عن بدء الهجوم البري في الساعات الأخيرة من مساء يوم السبت، إلاّ أن الخبر لم يتأكد الا بعد صلاة الفجر ليوم الأحد ٢٤ فبراير. وكان وقع الخبر عظيمًا على المواطنين الذين بدأوا في الاستعداد لاستقبال الأيام الحاسمة التي ستعقب الهجوم وستشهد اندحار المعتدين. ومع قدوم صباح يوم الأحد أضحى الناس في عالم يختلف عما سبقه من أيام. فقد امتلأت قلوبهم بالفرحة والاستبشار وهم يتابعون ما كان يدور من أحداث وتطوّرات. وقد (التصق) معظم الناس في ذلك اليوم بأجهزة الراديو مفضّلين عدم الخروج إلى الشارع بعد أن شعروا بخطورة الوضع وضرورة تجنّب مواجهة جنود الغدر، خاصة بعد حملة خطف المواطنين من الشوارع والبيوت التي كان قد بدأ بها العدو قبل أيام. وكان تركيز الناس ينصبّ على تقدم جيوش التحالف ومتابعة ما كان يدور في ساحات القتال من خلال سماع الإذاعات. وكان الراديو هو الصديق الوحيد الذي بقي معهم حتى النهاية بعد انقطاع التيار الكهربائي مع الساعات الأولى للهجوم البري، وبالتالي عدم مشاهدة التلفزيون، وانقطاع الاتصال بالجيران والأقارب أثناء فترة الهجوم البري نظرًا لبقاء معظم الناس في بيوتهم، بالإضافة إلى توقّف تبادل الأحاديث والأخبار من خلال الهاتف الذى توقّف عن العمل مع بداية فبراير تقريبا. لذلك كان جهاز الراديو هو

الصديق الحميم بحق في تلك الأيام العصيبة حيث كان المصدر الوحيد لنقل الأخبار والتطوّرات أولا بأول بعد أن حُرم المواطن من بقية الوسائل.

أمّا بالنسبة لجيش الغزاة فقد كان الهجوم البري بمثابة الضربة القاضية التي قصمت ظهورهم وشلّت تفكيرهم وجعلتهم لا يعرفون من أين وكيف ستكون النهاية. فكانت سياراتهم تُرى أثناء تلك الفترة وهي تجوب الشوارع والطرق داخل المناطق السكنية دون هدف وبدون وعي. وكان كثير من الناس يتابعون تحركات جيش العدو من نوافذ المنازل بعد أن فضّلوا البقاء داخل منازلهم تجنبا لمواجهتهم. وكانت الشوارع في تلك الفترة قد خلت من كل شيء تقريباً ما عدا بعض سيارات جيش الاحتلال وبعض سيارات المطافىء والإسعاف وعدد قليل جدًا من السيارات المدنية، التي خرجت لحالات ضرورية والتي كانت تنطلق كالسهم في الشوارع الرئيسية بين فترات متباعدة وهي متوجّهة إلى حيث تريد.

ومع مرور اليوم الأول للهجوم البري ودخول اليوم الثاني بدأت الأمور تتضّح أكثر فأكثر بعد أن بان الانهيار العسكري والمعنوي على جيش العدوان، سواء في ساحات القتال أم في الداخل. ففي ساحات القتال بدأت الأخبار تصل عن استسلام جنود الاحتلال بالآلاف وهم يخرجون من خنادقهم كالجرذان المذعورة رافعي الأيدي أذلاّء، لا يتورّعون عن تقبيل أحذية جنود الحلفاء بينما أكلت أجسادهم الأمراض الجلدية وغيرها من الأوبئة وامتلأت ملابسهم بالقمل والأوساخ وأهلكهم الجوع والعطش. وبالرغم من كل ذلك كانت إذاعتهم تنفي وبدون حياء كل ما كان يقع أمام الأشهاد، زاعمة في أول رد فعل لها على أنباء استسلام جنود (أم المعارك) بدون مقاومة، أن ذلك لم يحصل وأن ما تدّعيه بيانات جيوش التحالف ما هي إلاّ حرب نفسية. وفي تصريح لناطق عسكري عراقي كذّب هذا الناطق «تصريحات المدعو الجنرال شوارسكوف قائد القوات الأمريكية والصهيونية في الجزيرة والخليج جملة وتفصيلاً» وأضاف: «إننا نستغرب أن يصدر هذا التصريح من جنرال وهو يحتوي على معلومات لا تحدث إلاّ في الأفلام الأمريكية. وأن هذا الجنرال يؤكد والحمد لله أنه لا

يعـرف شيئًـا عن بسـالـة الجنـدي العراقي وعن مضائه. ولكن الأيام سوف تعلّمه الكثير. . .وإذا كان هذا الجنرال قد أطلق هذا التصريح في إطار الحرب النفسية فإنه في هذه أيضا قد أثبت بأنه محدود الفكر والذكاء، ضحل في ثقافته. . . » وقد أثبتت الأيام من الذي كان محدود الفكر والذكاء ومن هو الجندي الجبان الذي لا يملك من الإنسانية إلاّ الاسم.

وكـانت الأيام الثـلاثـة التي شهـدت الهجـوم البري مليئة بالأحداث وسرعة التطوّرات وتسابقها مع الزمن. وكان لها وقع خاص على المواطنين الذين كانوا يتابعون أنباء تقدّم ودخول جيوش التحالف إلى مشارف المناطق السكنية في الكويت في أية لحظة. وكانت بعض الإذاعات الخليجية في تلك الأثناء تذيع بعض الأنباء التي كان القصد من ورائها التمويه على العدو الذي ثبت أنه كان في قمة الغباء والتخلّف في كلّ تصرّفاته. فقد نقلت بعض وكالات الأنباء نبأ إنزال بحري كثيف على سواحل الكويت، فيما طلبت إذاعة الكويت في نداء لها إلى المواطنين البقاء في منازلهم لأن إنزالاً جويًا سيتمّ في منطقة الرميثية. فصعد الناس على سطوح المنازل وتوجّه شباب بعض المناطق المجاورة إلى الرميثية يدفعه الحماس ونشوة الانتصار دون أن يرى ما يدل على ذلك.

أما الجيش العراقي في الداخل فقد أصبح في دوّامة لا يكاد يجرؤ أحد منه على الخروج من المنازل التي اختبأ فيها في المناطق السكنية وبين المدنيين. وكان في حالة خروجه يُرى وهو يسير في مجموعات كبيرة من السيارات المسلّحة المملوءة بالجنود الذين بدا عليهم الرعب والرهبة.

ومع بداية اليوم الثالث للهجوم، وفي ظل انقطاع التيار الكهربائي، انشغل الناس بالتخلّص ممّا لديهم من مواد غذائية كانت تملأ الثلاّجات والبرّادات، بعد أن بدأت تذوب أو تفسد. وقد شهدت مراكز تجميع القمامة تلك الأيام مئات الأصناف من المواد الغذائية المثلّجة والمبرّدة، كاللحوم والأسماك والأجبان والبيض والخضراوات وما شابهها وقد ألقيت هناك لتأكلها القطط والكلاب وغيرها من الحيوانات الجائعة. أما

المواطنون فقد قضوا الأيام بل الأسابيع اللاحقة وهم يأكلون الوجبات النباتية والمعلّبات التي احتفظوا بها لمثل تلك الظروف. وكان الإفطار في تلك الفترة يتكوّن من الخبز والشاي والفول (المعلب) أو العسل إن وجد. أما الغداء فكان يتكوّن من الرزّ بالماش (المموّش) أو الرزّ بالعدس (المعدّس) أو مرق البطاطا والبصل المطبوخ مع معجون الطماطم. وكان العشاء لا يختلف عن ذلك ممّا أدّى إلى (انتفاخ) بطون المواطنين من جرّاء أكل تلك البقوليات وتحوّلهم إلى نباتيين بالإجبار. وقد استمرّ الحال كذلك إلى منتصف شهر رمضان عندما بدأ التيار الكهربائي يعود شيئا فشيئا، واللحوم تصل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتّحدة وغيرهما من الدول.

ـ ملحمة القرين

في الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد الموافق الرابع والعشرين من فبراير، ومع بداية ساعات الهجوم البري، كان عدد من شباب المقاومة يخطّطون للمهمّة التي انتظروا من أجلها طويلا، وهي الالتحام بقوات العدو وملاحقته عند بدء دخول قوات التحالف إلى الكويت، حيث كان الاعتقاد السائد بأن حرب شوارع ستقع مع جيش الغزاة في تلك الفترة. وكانوا مجتمعين في منزل أحدهم، الذي اتخذوه مع المنزل المجاور له مقرًا لهم، وجمعوا أسلحتهم فيه. وكانت أسلحتهم تتكوّن من الذاتيات والمسدسات والقنابل اليدوية ورشاشين من نوع (الاستقلال). وكان المنزل يقع في منطقة القرين. وفيما كانوا منهمكين في الإعداد للدّور الذي ينتظر كل منهم استعدادًا للاشتباك مع العدو، إذا بالباب يُطرق. فتوجّه أحدهم إلى الشبّاك فوجد سيارتين للاستخبارات العراقية واقفتين أمام باب المنزل، وقد ترجّل منهما شخصان وأخذا بطرق الباب، فقرّروا عدم فتحه. وكانت تلك الفترة تشهد حملة الغزاة المشهورة لخطف الشباب الكويتي من البيوت. وكان الجنود إذا طرقوا الباب ولم يُفتح لهم يقتحمون المنزل من على السور، في محاولة لمعرفة إن كان بين سكّانه أي من الشباب ليأخذوهم عنوة. وكانوا في حالة خلوّه من السكان يقومون بسرقة ما فيه من أشياء ثمينة. وفي تلك اللحظة أمرهم قائدهم باقتحام المنزل، فصعد أحدهم السور محاولاً الدخول. وهنا رأى الشباب ـ وكان

□ بيت القرين كما ظهر بعد ان دكته دبابات العدو قبل ٢٤ ساعة من هروبها □

عددهم عشرين، بينما كانت الأسلحة تملأ المنزل ـ بأن الوضع أصبح حرجًا. إذ أنه في حالة اكتشاف قوّات العدو لذلك العدد من الشباب والأسلحة التي لديهم فإن مصيرهم سيكون معروفًا. لذلك قرّروا عدم ترك العدو يحصل على تلك (الغنيمة) بدون ثمن، فقرّروا المقاومة. وقد شكّلت تلك اللحظات بداية إحدى الملاحم البطولية التي دارت على أرض الكويت بين رجال المقاومة وقوات العدو. وقد بدأت المعركة عندما أطلق أحد الشباب النار على رجل الاستخبارات الواقف قرب السيارة فأرداه قتيلاً. ثم قرّرت المجموعة تقسيم نفسها إلى مجموعتين، انتقلت إحداها إلى البيت المجاور وبقيت الثانية في نفس المنزل، الذي استمرّ الشباب المتواجد فيه بتبادل إطلاق النار مع رجال الاستخبارات. وما هي إلاّ لحظات حتى كانت أعداد كبيرة من قوّات العدو تحيط بالمنزل وتحاصره وهي بكامل أسلحتها، فيما أخذت النيران تأتي من كل جانب. وقد استمرّ العراقيون بإطلاق النار بصورة مكثّفة بينما كان شباب المقاومة يردّون عليهم بصورة محدودة وحينما تكون الإصابة شبه مؤكّدة والهدف واضحًا، وذلك حفاظًا على الذخيرة من أن تنفذ بسرعة دون أن تصيب العدو إصابات مؤثرة. وقد استمرّ الوضع كذلك حوالي ساعتين، دون أي محاولة من جانب العدو لاقتحام المنزل. وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحًا بدأ العدو بجلب أعداد إضافية من الجنود وبدأ باستعمال قذائف (الآر. بي. جي). وفي تلك اللحظات أحسّ الشباب بأن النهاية تقترب، فزاد تصميمهم على عدم الاستسلام وقرّروا رفع علم الكويت فوق أعلى نقطة في المنزل، بينما تعالت أصوات التكبير بينهم. وقد تجلّى حقد العدو وبصورة واضحة في تلك اللحظات عندما وجه نيران أسلحته نحو العلم، الذي رفرف عاليًا ولأول مرة في سماء الكويت منذ بدء الاحتلال، متحديًا الغزاة. كما استمرّ تبادل إطلاق النار فيما كثّف العدو ضرباته ناحية المصدر الذي كانت تنطلق منه نيران رشّاش الاستقلال، الذي فتك بعدد كبير منهم. وقد أدّى ذلك إلى استشهاد الشاب الذي كان يستخدم ذلك السلاح، ممّا أدّى إلى إضعاف مقاومة المجموعة، خاصّة بعد أن امتلأ المنزل بالأدخنة والغبار والحرائق التي انتشرت في كل جانب من جوانبه. وهنا قرّرت بقية المجموعة الانتقال إلى المنزل المجاور بأسلحتهم لإيهام العدو بانتهاء المقاومة، خاصّة وأن النار كانت لاتزال لم تُطلق بعد من ذلك المنزل. وبعد هدوء الوضع بدقائق حاولت

في سبيل ذلك جميع الحواجز التي تقف أمامها. وكانت لا تتردّد بالسير على الركام المتناثر في الساحات التي تمرّ عبرها، أو المرور من فوق الحفر والركوب على الأرصفة أو تجاوز بعضها البعض بصورة هستيرية، ممّا أدّى إلى وقوع العديد من حوادث التصادم فيما بينها. وقد بدأ كثير من المواطنين أثر ذلك متابعة الأوضاع من الطوابق العليا لمنازلهم وهم يسمعون الشتائم المتبادلة بين الجنود، والصراخ فيما بينهم وهم يتسابقون لركوب السيارات فيما كان كل واحد منهم يريد النجاة بنفسه وترك كل ما سرقه من أشياء. وكان الصياح يتعالى بينهم مؤكدًا عدم وجود أي فرصة لأخذ أي شيء معهم حتى لا يتسبّب ذلك في تأخّرهم عن اللحاق بمن سبقهم في الهروب. وبالرغم من ذلك لم تسلم السيارات التي كانت متواجدة في الطرق من أيديهم. فقد كانت كل مجموعة منهم لا تخلو من (خبير) في تشغيل السيارات، بدون الحاجة إلى استخدام المفتاح، وذلك بكسر مكان المفتاح بالسيارة وتوصيل الأسلاك (جطل). لذلك لجأت أعداد كبيرة منهم في تلك الليلة إلى سرقة الكثير من سيارات المواطنين الواقفة أمام المنازل لاستخدامها للهرب.

وكان الناس يسمعون كل ذلك الضجيج دون علم بحقيقة ما كان يجري، خاصة وقد غطّى الظلام الدامس كل شيء ولم يكن يخطر على بال أحد بأن الهزيمة قد حلّت بجيش الغزاة في تلك اللحظات، وجاءتهم الأوامر بالهرب بأسرع وقت. وكان بعض المواطنين يستمع إلى إذاعة بغداد في ذلك الوقت وهي تزعم وكالعادة بتحقيق الانتصارات، وتذيع الأغاني الحماسيّة التي لم تترك أي نوع من المديح إلاّ وكالته للطاغية. وقبل توقّف الإذاعة عن البث بدقائق أعلن المذيع، وقد بدا على صوته أثر الهزيمة ونبرة الانكسار، بأن بيانًا بالانسحاب من الكويت قد صدر للقوات العراقية المتواجدة هناك. ولم يأخذ كثير من المواطنين ذلك الخبر بجدية، نظرًا لعدم ثقتهم بكل ما كان يذيعه بوق ذلك النظام. إلاّ أنه وبعد قليل بدأت إذاعات العالم تتناقل خبر الانسحاب أو بالأحرى الهروب. في تلك الأثناء ظن كثير من المواطنين ومن خلال متابعتهم لتحرّكات القوات العراقية في الشوارع، بأن إنزالاً أمريكيًا وشيكًا سيقع وأن هناك احتمالاً ببدء حرب شوارع، مما يعني حتمية دخول القوات العراقية لمبيوت، سواء

للاحتماء بداخلها أم بهدف الانتقام. فقام كثير منهم نتيجة لذلك بإخراج أسلحتهم من المخابىء والحفر استعدادًا لما سيقع. وكان بعض المواطنين قد درب النساء والأولاد على استعمال بعض أنواع الأسلحة الخفيفة كالمسدسات وغيرها وقد تمّ توزيعها عليهم لمواجهة كل الاحتمالات. وكان الحماس في تلك الأيام قد وصل القمّة حتى أن الموت أصبح لا يخيف أحدًا، بعد أن وصلت فظاعة الجرائم التي ارتكبها العراقيون إلى درجة أشنع من أن توصف، وأصبحت الشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن والعرض أمنية يتمناها كل إنسان كويتي بقي على هذه الأرض وعايش تلك الأيام السوداء.

وبالرغم من كل ما أصاب جيش الغدر من ذل ومهانة في تلك الليلة، إلاّ أنهم لم يتخلّوا عن نزعتهم الإجرامية ورغباتهم الدنيئة في السلب والنهب، وإلى آخر رمق. فقد وقعت بعض الحوادث أثناء هروبهم دلّت على مدى الانحطاط الذي أوصلهم إليه ذلك النظام وحزبه. ومن الأمثلة على ذلك أن أحد الضباط، وكان آمرًا لأحد القطاعات كان يتردّد على إحدى خيام الحراسة في أحد شوارع منطقة مشرف، وكان يحصل على بعض الهدايا والمأكولات مقابل (حمايته) لذلك الشارع من سطو اللصوص، أو بالأحرى عدم تسليط أزلامه للسرقة من البيوت في ذلك الشارع. وفي ليلة الانسحاب مرّ على مجموعة الحراسة التي اتخذت أحد البيوت مقرًا لها بعد أن أُزيلت الخيمة، وكانت الساعة تقارب السابعة مساء. وكان الجوّ في تلك الليلة مشبعًا برائحة الغاز نظرًا لاتجاه الرياح القادمة من الجنوب والحاملة معها الغازات المنبثعة من الآبار، التي بدأت تحترق. وكان الضابط مع مرافقيه يرتدون كمّامات. فتوقّف عندهم مدّعيا بأن الأمريكان قد ألقوا بالقنابل الكيماوية وطلب منهم الحذر والبقاء داخل البيوت وعدم الخروج تحت أي ظرف «والمحافظة على الأطفال» نظرًا لاحتمال وقوع الخطر عليهم. فطلب أحد المواطنين منه أن يحافظ على منزله نظرًا لأنه سيقضي تلك الليلة في سرداب الجيران فسأله الضابط عن موقع المنزل فأدلّه عليه. وعندما حلّ الصباح توجّه المواطن إلى منزله، بعد سماعه بهروب جيش الغزاة، فإذا به يرى المنزل وقد كسرت أبوابه وتمّ نهب ما فيه من أجهزة الكترونية وملابس وأشياء خفيفة أخرى.

وفي ليلة الهروب أيضًا لاحظ بعض الجنود مولّدًا للكهرباء وهو يعمل في أحد

الأحياء حيث كان يغذّي حوالي عشرة منازل بالطاقة. فحاولوا إيقافه لكنّهم لم يعرفوا الطريقة فوجّهوا نحوه رشاشاتهم في محاولة لإسكاته وإذا بصاحب المنزل يخرج في تلك اللحظة. فسألهم عن الخبر فنهروه وادّعوا بأنهم يريدون وقف المولد نظرًا لوصول إخبارية بقرب حدوث إنزال أمريكي، وضرورة إطفاء الأنوار حيث أنّهم يقومون بالاستعداد (لحماية المواطنين). وفي تلك الليلة أيضًا كان بعض المواطنين يتجمّعون في أحد المنازل لمشاهدة محطة الـ(سي. أن. أن)التلفزيونية وكان عددهم يقارب العشرين. وفي حوالي الساعة التاسعة رنّ جرس الباب فتوجّه صاحب المنزل إلى سمّاعة الباب ليسأل عن الطارق فأخبروه بأنّهم جنود من المخفر. وما هي إلاّ لحظات واذا بالمتواجدين بالمنزل يتسابقون إلى منافذه المختلفة ليتوجه كل منهم إلى منزله. وبعد فتح الباب تبيّن أن الجنود كانوا يبحثون عن وقود لملء سياراتهم استعدادًا للهرب.

ـ يوم التحرير

كان صباح يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير من أهدأ ما مر على الكويت من أوقات منذ بداية الغزو الغادر، وعلى العكس من الليلة التي سبقته. فقد تميزت الساعات الأولى منه بهدوء رهيب لا يكاد المرء يسمع فيه صوت مخلوق واحد في الشوارع. كما تميز ذلك الصباح بظلام دامس لم يسبق له مثيل حيث لم يكن هناك أي أثر لنور الشمس، بينما غطى الدخان الكثيف كل شيء وأصبح الوضع وكأنه منتصف ليلة حالكة السواد من شدة الظلام. وقد صحا المواطنون ليبدأوا ـ وكالعادة ـ أول لحظات استيقاظهم بسماع نشرات الأخبار. وكانت جميع الاذاعات تتحدث عن قرار العراق بالانسحاب لكنها لم تكن على علم بالوضع داخل الكويت. كما انقسم المواطنون الى قسمين، القسم الأول كان قد تابع عملية هروب الغزاة وسمع ضجيجهم طوال الليل، لكنه لم يكن يعرف الى أين وكيف انتهت العملية. أما القسم الثاني من المواطنين فلم يكونوا على علم بما جرى أثناء الليل بل صحوا على سماع خبر الانسحاب من الاذاعات فيما أصابتهم الحيرة وعدم التصديق. فقد كان جيش الغزاة لايزال متواجدا في كل مكان من الكويت بكل أسلحته ومعداته الى ما قبل حلول الظلام من اليوم السابق.

□ أحد الأبار المشتعلة بنار الحقد كما بدا أثناء الليل □

وعلى أثر سماع الأخبار بدأ الناس بالخروج من البيوت وملاقاة جيرانهم والسؤال عن خبر الانسحاب فيما كان الجميع يؤكد سماع النبأ من كل الإذاعات تقريبا. وفيما أخذ المواطنون بالانتشار في الشوارع القريبة من بيوتهم والاقتراب شيئا فشيئا من التي كان الغزاة يتّخذونها مراكز لهم إذا بهم لا يجدون أثرًا للجنود. وكانت الساعة لم تتعدّ السادسة صباحًا، فبدأ بعض المواطنين بدخول تلك المنازل وكذلك المدارس فإذا هي خالية وليس بها من أثر سوى بعض الأثاث المبعثر وبقايا ما تركه الجنود من ملابس قديمة وغيرها. وفيما بدأ الخبر ينتشر من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع ومن حي إلى حي عن عدم وجود أي أثر لجيش الغزاة، صار الناس يتجمّعون في مجموعات كبيرة وهم يتناقلون الخبر ويحاولون استيعاب المفاجأة وهم لا يصدّقون ما حصل. وقد بدأ بعض الشباب بركوب سياراتهم والمرور بالشوارع وإعلان نبأ الانسحاب وهروب جيش الغـزاة. كما قام مواطنون آخرون بإعلان النبأ بواسطة الميكروفونات من على أسطح منازلهم فيما بدأ الأطفال بالتوجه إلى أماكن إخفاء أعلام الكويت وصور سمو الأمير وولي العهد والخروج إلى الشوارع وهم يحملونها والفرحة تغمر قلوبهم. وما إن قاربت الساعة الثامنة صباحًا حتى كان الناس يملأون الشوارع والتجمّعات تزداد والابتسامة ـ التي لم يعرفها الكويتيون خلال السبعة أشهر ـ لا تكاد تفارق محيّا كل مواطن، وقد عادت إليه الفرحة بعد ليل كالح وطويل. كما بدأت السيارات تجوب الشوارع وقد زُيّنت بالأعلام والصور فيما صعد الناس إلى أسطح المنازل وأخذوا يرفعون الأعلام التي لم يهن عليهم التخلّص منها أو إتلافها بالرغم من أن الغزاة كانوا يعتبرون الاحتفاظ بها جريمة يعاقب عليها بالإعدام. وكانت الأعداد الكبيرة للأعلام التي أُخرجت في ذلك الصباح من كل بيت مفاجأة للجميع. فقد كان المواطنون يخفون في بيوتهم ذلك الرمز الحبيب الـذي لم يكـونـوا ليتخلّوا عنـه مهما كان الثمن، ليذكّرهم طوال فترة المحنة بحريتهم واستقلالهم وعزّتهم وكرامتهم رغم أنف الغزاة الطامعين. كما أن احتفاظهم بذلـك العلم ـ الذي سيظل بمشيئة الله وبفضل سواعد أبناء الكويت المخلصين خفاقًا إلى الأبد ـ كان يؤكّد إيمانهم الراسخ بحتمية النصر والخلاص من قبضة الطغاة مهما طال الزمن.

وما إن قاربت الساعة الثانية عشر ظهـرًا حتى كانت شوارع الكويت بجميع

منـاطقها تشهد أكبر تظاهرة في تاريخها من خلال المسيرات الضخمة للسيارات التي أخرجها المواطنون من مخابئها، بعد إعادة تركيب عجلاتها وبطارياتها وأخذوا يجوبون بها الشوارع وهم يهتفون بحياة الكويت وهزيمة المعتدين. كما بدأت في نفس ذلك اليوم الزيارات للأقارب الذين لم يروا أو يسمعوا عن بعضهم البعض منذ فترة تزيد عن الأسبوعين، فيما أخذ المواطنون يهنّئون بعضهم البعض وهم يعيشون أحلى لحظات العمر بعد أن عاد الحق إلى أهله واندحر الظالم وخاب أمله ودفع الثمن باهظًا جزاء جرائمه. وكان الشعور السائد بين المواطنين في تلك اللحظات هو مزيج من النشوة والانفراج والفرحة الغامرة التي عرّجت بهم نحو عالم جديد يختلف عن العالم الذي كانوا يعيشون فيه قبل ساعات، بعد أن أُزيل الكابوس وتمّ كسر القيد وأصبح المواطن يشعر بأنه عاد حرًا طليقًا يتنفّس الصعداء ويشتمّ أريج الحرية ويتذوّق عذوبة الانتصار. وكانت بالفعل لحظات يعجز اللسان عن وصفها ويقف القلم حائرًا أمام عظمتها لا يستـطيع تفسـير عطاءاتها الروحية وتأثيراتها المعنوية على المواطن الذي نسي ــ بعد معايشته إياها ــ الآلام والمآسي التي مرّ بها خلال سبعة أشهر من القهر والاستبداد. ولقد كانت تلك اللحظات الفريدة التي عاشها المرابطون ـ بما كان يصاحبها من زهو ونشـوة وشعور بالعزّة والفخار ـ أكبر جائزة نالها أولئك المرابطون، الذين عاشوا تلك اللحـظات التي لم يشعـر بحـلاوتهـا أحد غيرهم، وهم يرون بأعينهم انهيار الباطل وانتصار الحق وعلوّه شامخًا رغم أنف المعتدين.

ولقد كان يوم التحرير يومًا عظيمًا لا ينسى ولا يمكن أن تُمحى من الذاكرة كل لحظة من لحظاته المجيدة. إلاّ أن فرحة الكثير من المواطنين لم تكتمل بعد أن علموا في نفس ذلك اليوم، وعند زيارتهم لذويهم بقيام جيش الغزاة المهزوم بخطف الشباب من أبنائهم أو إخوانهم أو أقاربهم عندما شعر بقرب الهزيمة. وقد سيطر الحزن والمرارة على الكثير من العائلات الكويتية، التي راحت تزور أقاربها لتشاركهم الفرحة في الانتصار، وإذا بها ترى الكثير من أبنائها الأعزّاء وقد خطفتهم أيدي الغدر والخيانة. وكان وقع ذلـك شديدًا على الجميع بعـد أن كانـوا قد عُزلوا عن بعضهم البعض لمدة تقارب الأسبوعين بعد انقطاع الاتصالات، ليفاجأوا بعد ذلك بتلك الأخبار المحزنة. وكان

الجميع يتوجّه إلى الله أن يعين أبناءهم على أولئك الظالمين ويفكّ أسرهم وينجّيهم من شرور البغاة.

وفيما بدأت مسيرات الفرح تأخذ طريقها في طول الكويت وعرضها، توجّهت أعداد كبيرة من شباب المقاومة وغيرهم من المتطوعين إلى مخافر الشرطة في مختلف المناطق للاستقرار فيها بهدف حفظ الأمن والنظام لحين وصول جيوش التحرير. كما بدأ الناس بمشاهدة فلول الجيش المهزوم وبعض أفراده الذين سيطر عليهم الذعر حيث تمّ إلقاء القبض عليهم وتجريدهم من أسلحتهم وتسليمهم للمخافر فيما بلغت أعدادهم المئات مع نهاية ذلك اليوم. وكانوا يحاولون الاعتذار عمّا بدر منهم من أعمال وجرائم ملقين اللوم على حكومتهم، زاعمين أنهم كانوا مجبرين على كل ما قاموا به من أعمال. وكانت أعداد كبيرة من أفراد الجيش المهزوم قد (نُسيت) في الخنادق والمنازل بعد أن هرب المسؤولون عنهم بجلدهم. كما أن أعدادًا أخرى منهم كانوا نيامًا واستيقظوا في الصباح فلم يروا أحدًا من رفاقهم.

ـ مشاهدات ما بعد التحرير

استمرت المسيرات التي قام بها المواطنون يوم التحرير بعد ذلك يوميًا ولمدة تزيد عن أسبوعين. وقد كانت مئات السيارات المليئة بالأطفال ومعهم الآباء والأمهات تجوب الشوارع رافعة الأعلام والشعارات الوطنية، تغمرهم الفرحة بالانتصار وكأنّهم يريدون التنفيس عن الكبت الذي استمرّ جاثمًا على صدورهم لمدة سبعة أشهر. وكانت تظاهرات الفرح تلك تبدأ صباح كل يوم مارّة بالشوارع الرئيسية والطرق السريعة متوجّهة إلى الأحمدي جنوبًا وإلى الجهراء شمالاً. كما أن آلاف السيارات كانت تبدأ مسيرات المساء في شارع الخليج العربي من المسيلة جنوبًا إلى نهاية ذلك الطريق قرب فندق السلام، في وسط أهازيج النساء والأطفال. وكانت سيارات جنود دول التحالف تمرّ عبر تلك المسيرات وسط هتافات المواطنين لها وهي تلوّح بأيديها بعلامات النصر. كما كان الناس يوقفون كل سيارة أو مصفّحة تابعة لدول التحالف للحديث مع أفرادها

والتعبير لهم عن شكر الصامدين لتلك الجيوش التي أنقذتهم من قبضة المحتلّين. وكان الأطفال والعائلات يلتقطون الصور التذكارية مع الجنود الذين أصبحوا لا يمرّون بشارع إلاّ ويلاقون الترحيب ويؤدي لهم الجميع التحية عن طريق استعمال أبواق السيارات أو علامات النصر. كما كان المواطنون يتوجّهون يومياً إلى ساحة العلم حيث كانت أعداد كبيرة من الجنود تتجمّع هناك وتلتقي بالمواطنين لتسمع منهم القصص والأحاديث عمّا دار لهم أثناء فترة الاحتلال. كما قامت أعداد كبيرة من المواطنين بالتجمهر أمام سفارات دول التحالف وخاصّة السفارة البريطانية والأمريكية، والتي أرسلت ممثليها الدبلوماسيين في أوائل أيام التحرير. وكانت طائرات الهيلوكبتر تهبط في الساحات المقابلة لتلك السفارات وسط هتافات الأطفال الذين كانوا يحملون كاميراتهم لتصوير أحداث تلك الأيام المجيدة.

ورغبة من المواطنين في التعرف عن كثب على ما قام به جيش العدوان من أعمال تخريبية ودمار، استمرّوا في زيارة المناطق والأماكن المختلفة ليشاهدوا ما قام به العدو من أعمال إجرامية طالت كل شبر من أرض الكويت. ومن الأمور التي اعتاد عليها المواطنون خلال تلك الأيام المرور على مواقع جيش الغزاة المهزوم والنزول داخل الخنادق وتفحّص الآليات المبعثرة بالشوارع ومشاهدة (التحصينات) التي كان العدو قد بناها في كل مكان. وكانت كل الآثار التي تركها العدو تدل على مستوى التخلّف الذي كان يعيش فيه. ومن بين تلك الآثار كانت الأسلاك الشائكة التي نصبها على امتداد السواحل وكذلك الحفر التي غطّاها بالأعشاب وكأنه يريد بذلك خداع تلك الدول التي وصلت فيها طرق الرصد وعلوم الحرب إلى مستوى يحتاج العراق إلى مئات السنين ليصل إليها. كما شاهد المواطنون (الأسلحة التمويهيّة) التي استخدمها العدو، وكان من ضمنها خزانات (الفايبرجلاس) المستخدمة في المنازل لتخزين المياه. فقد قام بسرقة المئات منها من على أسطح المنازل ووضعها على السواحل حيث تمّ تركيب أنابيب المياه ذات الأحجام الكبيرة عليها، لتظهر على شكل مدافع قاصدًا إيهام جيوش الحلفاء بأنها دبابات. وكان ذلك فعلاً يدعو إلى الاستهزاء والسخرية.

أما الخنادق والحفر فكانت (تزخر) بالمسروقات من كل نوع، ابتداء من لعب الأطفال بأنواعها إلى المجوهرات ثم الأجهزة الالكترونية والملابس وأكياس الرز والسكر

والطحين والشاي والمعلّبات وكل ما طالته أيديهم من مواد تمّت سرقتها من المنازل والمخازن.

وعند دخول البيوت التي سكنها الغزاة كانت تبدو وكأنّها مجمّع للقمامة من كثرة الأوساخ والقاذورات المتراكمة بداخلها، والتي كانت تشاهد حتى في غرف النوم التي كانوا يأوون إليها بالإضافة إلى تجميع تلك الأوساخ قرب أماكن الطبخ التي كانوا يحضّرون وجباتهم فيها. فقد كانت القذارة جزءًا لا يتجزّأ من حياتهم الاعتيادية. أما حوائط الغرف فقد شوّهت بسبب كتابة الشعارات عليها بأنواع الأصباغ المختلفة، بالإضافة إلى السواد الذي أصابها من تراكم الأدخنة. فقد كانوا يستخدمون كل غرفة من الغرف لكل الأعمال ابتداء من الطبخ إلى الأكل والنوم وجمع الأوساخ بأنواعها. وكانت معظم المنازل قد نهبت بالكامل ولم يبق بها أي أثر للأثاث الذي كان فيها قبل أن يسكنها الغزاة. هذا وقد تمّ حرق أو تفجير عدد كبير من المنازل في يوم الهروب لاحتوائها على بعض الوثائق والأوراق والآثار التي أرادوا التخلص منها. ومن لأمور الملفتة للنظر أن بعض المواطنين لاحظ وجود علم الكويت في بعض المنازل التي سكنها الغزاة وقد تم فصل الجزء الأبيض منه لاستعماله، فيما يبدو، للاستسلام وقت الحاجة، وذلك برفعه أمام جيوش التحالف كما صنع (الأشاوس) في ساحات القتال.

أمّا المدارس فقد تمّ نهبها بالكامل حيث تمّ نقل المقاعد والألواح والأجهزة المختلفة والدفاتر قبل أن يتّخذها الغزاة مقارًّا لهم. كما شوهدت أعداد كبيرة من الجثث في بعض المدارس التي اتّخذت كمراكز للتعذيب. ولم تسلم المستوصفات من أيديهم حيث بدت وكأنها بيوت مهجورة بعد سرقة كل ما فيها. وبالمرور على الأسواق كانت المحال التجارية والمخازن تبدو وكأن زلزالاً مدمرًا قد أصابها. فمنها ما تمّ حرقه بالكامل ومنها ما تمّ كسر أبوابه ونهب كل ما فيه وبعثرة ما لم يرغبوا في حمله من أثاث وأوراق. أما في المناطق الصناعية فقد تمّ فك عدد كبير من الآلات والمعدّات ونقلها للعراق بالإضافة إلى سرقة المواد الخام والمنتجات المصنّعة وقطع الغيار وحرق عدد كبير منها. وفي منطقة أمغرة الصناعية تمّ إزالة أسوار غالبية مصانع الطابوق لاستعمالها في بناء

التحصينات، بعد أن تمّ سرقة كل ما كان فيها من آلات وقطع غيار وطابوق جاهز. وفي منطقة العارضية تمّ نقل كل ما كان في المخازن من مواد تقدّر قيمتها بمئات الملايين من الدنانير، من جميع أنواع المواد الاستهلاكية والبضائع الأخرى بالإضافة إلى الآلات والمعدّات والأجهزة المختلفة العائدة للمواطنين. أما بالنسبة للعمارات السكنية فمعظم شققها أصبحت بلا أثاث بعد أن قامت الشاحنات على مدى سبعة أشهر بنقل كل ما فيها إلى العراق والأردن، ضمن أكبر حملة نهب منظم شهدها التاريخ الحديث.

وبالمرور على المكتبات العامة فهي أيضًا لم تسلم من يد جيش اللصوص الذي قام بسرقة كل ما احتوته تلك المراكز الحضارية من كنوز للمعرفة ووسائل غاية في التقدّم تعتبر مفخرة من مفاخر هذا العصر. أمّا جامعة الكويت ومعهد الأبحاث العلمية والمتحف الوطني ووزارة التخطيط وقصر السيف ومعظم المؤسّسات الثقافية والمراكز الصحية المختلفة والأماكن الترفيهية وكل ما كان يدلّ على شيء اسمه الحضارة فقد تمّ سرقته وتدميره. وقد دلّ ذلك على أن تلك الفئة لا تنتمي إلى هذا العصر، إذ أن كل ما قامت به كان ضدّ التقدم والعلم والتطوّر والإنسانية. وقد أثبتت بعملها هذا أنها على نقيض مع كل تلك المبادىء والقيم.

وأثناء المرور على كل تلك المعالم كان المواطنون يشاهدون آلاف السيارات المبعثرة في الشوارع وقد سُرق معظم ما فيها من أجزاء ولم يبق منها إلاّ الهيكل الحديدي. كما أن أكوام القمامة كانت تنتشر في جميع الأماكن بالشوارع والساحات، فيما تمّ حرق جزء منها وظلّ الباقي متعفنًا وقد انبعثت منه روائح تزكم الأنوف. وكانت كثير من أرصفة الشوارع قد تكسّرت بسبب مرور الدبابات والمصفّحات والشاحنات عليها بينما كانت حواجز الطرق التي أقامها الغزاة لاتزال تملأ الشوارع والطرقات. ونظرًا لمرور تلك الدبابات والآليات الثقيلة للعدو في غالبية الشوارع الرئيسية فإن تلك الشوارع أصيبت بالتلف، مما كان له آثار واضحة على السيارات المارّة عليها وخاصّة على الإطارات التي بدأت تتلف بسرعة من جرّاء ذلك.

وعند التوجّه إلى الأحمدي أو برقان أو غيرهما من المناطق، كان المواطنون يشاهدون الآبار المحترقة التي تبّين ما قامت به يد الحقد من أعمال بربرية لا يمكن

تصوّرها. فقد كانت كميات الدخان الرهيبة وكرات اللهب الضخمة، التي تقذفها الآبار وسط الأصوات المنبعثة منها، والتي تشبه هدير المياه المنطلقة من الشلالات تضفي نوعًا من الرهبة على الموقف، وكأنها تريد أن تنطق لتحكي قصّة الوحوش القادمين من كوكب لا أحد يعرف ماهيّته، ولا يمكن فهم البواعث من وراء تصرّفات سكانه، لأن كل ما كانوا يقومون به كان بعيدًا عن المنطق ولا يمتّ للخير بصلة ولا يعرف شيئا اسمه الإنسانية.

وفي محاولة من المواطنين لإكمال الصورة لديهم من جميع جوانبها، والوصول إلى معرفة نهاية تلك القصّة المأساوية التي عايشوا جميع فصولها، كان الكثير منهم يحرص على متابعة تداعياتها إلى النهاية. لذلك حرص الكثير من المواطنين على التوجّه شمالاً لمشاهدة (طرق الموت) التي مرّ عبرها الجيش المهزوم، وهو يحاول الفرار من المصير المحتوم الذي ساقه إليه القدر جزاء ما اقترفه من أعمال. وكانت النهاية التراجيدية هناك على امتداد الطريق الدائري السادس وطريق الجهراء وطريق المطلاع ـ أكبر من أن توصف، وأعظم من أن يستطيع أي أنسان أن يتصوّرها. فقد أصبحت الصحراء وعلى امتداد البصر وعلى جانبي تلك الطرق تعجّ بحطام كل ما قام ذلك النظام بشرائه من أسلحة ومعدّات بمليارات الدولارات خلال العشرين سنة الماضية. وكانت الدبابات المحروقة وغيرها من مصفّحات ومدّرعات وآليات ثقيلة وشاحنات تُرى وهي مبعثرة هنا وهناك وقد أصبحت هشيمًا لا يصلح لشيء. كما كانت تحيط بها من كل جانب آلاف السيارات المدنية التي قام الغزاة بسرقتها من المواطنين، وقد قُصفت من الجو وتناثرت منها المسروقات التي نُهبت من الناس عنوة دون وازع من ضمير.

وبمشاهدة ذلك الركام الهائل من بقايا الجيش المهزوم واستذكار ما قام به من أعمال وحشية يصعب على أي إنسان أن يتصوّرها، لا يسع المرء هنا إلاّ أن يستذكر قول الله سبحانه وتعالى «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجّيل، فجعلهم كعصف مأكول»* صدق الله العظيم.

* سورة الفيل ـ الآيات (١ ـ ٥)

وهكذا كانت خاتمة تلك القصّة بكل ما احتوته من معان وأبعاد تعطي الدليل القاطع على أن نهاية الطغاة لابدّ وأن تأتي يوما ما لتعطي العبرة لمن يعتبر وتُري الناسَ الحكمة الإلهية التي لو تفكّروا فيها مليًّا لأنارت لهم الطريق ولجعلتهم ينشدون الخير للجميع ويعملون كل ما في وسعهم من أجل الحق والسلام.

ـ عودة الأمور إلى طبيعتها شيئًا فشيئًا

استمرّ المواطنون يوميًّا في مشاهدة الآثار المدمرّة التي خلّفها العدوان عن طريق الـزيارات للمواقع المختلفة. ومع إصرارهم على متابعة المسيرات اليومية للتعبير عن فرحتهم، بدأت الأمور تعود شيئًا فشيئًا إلى طبيعتها ويشعر المواطنون مرة أخرى بالأمن والاستقرار، بعد أن فقدوا تلك النعمة طوال الأشهر السبعة العجاف التي أنساهم فيها الاحتلال طعم الراحة والطمأنينة. فكان معظم الناس، وبعد قضاء ساعات النهار بتلك الجولات الطويلة، يأوون إلى مراقدهم في الساعات الأولى من الليل، خاصّة وقد بدأ التعب والإنهاك يظهر على أجسادهم من أثر السهر المستمرّ، وتوتّر الأعصاب طوال تلك الشهور المظلمة، التي صمدوا فيها دون الالتفات إلى ما كان يصيبهم من متاعب وآلام جسدية. كما أن انقطاع التيار الكهربائي في الأسابيع الأولى التي تلت التحرير، وعدم وجود وسائل ترفيهية كالتلفزيون، لقضاء ساعات الليل بمشاهدته كان سببًا في النوم المبكّر، بالإضافة إلى الشعور بالأمن والإحساس بالراحة النفسية، بعد أن أصبحوا لا يخافون من قدوم زوار الليل. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت الكويت تبدو وهي غارقة في الظلام الدامس بعد ساعات قليلة من غروب الشمس، وقد خيَّم عليها الهدوء الرهيب، وكأن كل ما كان عليها من أشياء يريد أن ينطق ليقول كفى ما رأينا من ويلات ومآس ومعاناة.

وقد شهدت فترة ما بعد التحرير تداول كثير من الأحداث والقصص التي مرت على المواطنين والتي أظهرت معدنهم الأصيل وقوة إيمانهم وثباتهم على الحق. وبالرغم من بساطة ما قام به بعضهم من أعمال في سبيل بلدهم، إلاّ أن الهدف من وراء ذلك

كان نبيلاً، ونابعا من نفوس فوّضت أمرها إلى الله فأنجاها من شرّ المعتدين. ومن الأمور التي تداولها بعض المواطنين مثلاً أن عددًا من النساء نذرن على أنفسهن، ومنذ بداية العدوان، أن يُصمن للّه إلى أن يتمّ تحرير الكويت من براثن المعتدين. وقدثبتت تلك النساء على ذلك وأنجزن النذر وأتممن الصوم وهنّ صامدات طوال السبعة أشهر، إلى أن منّ الله عليهن وعلى الجميع بنعمة التحرير. وزيادة في شكرها لله على نعمته، واصلت إحداهن صيامها بعد التحرير إلى نهاية شهر رمضان حيث أفطرت مع حلول عيد الفطر المبارك. كما أن امرأة أخرى أقسمت على أن لا تمسّ يدها الدينار العراقي ما دام جيش الغزاة يدنّس أرض الوطن. وقد شوهدت تلك المرأة العجوز مع بعض بناتها في بعض الأماكن وهي تطلب منهن إخراج تلك (الدنانير الملوّثة) من الحقيبة لتقوم بشراء بعض الحاجيات. ورغم بساطة تلك الممارسات إلاّ أن مدلولاتها كانت كبيرة ومعانيها كانت رائعة في رفض كل ما يمت للمعتدين بصلة.

وكان من ضمن الأعمال التي قام بإنجازها عدد من المواطنين تبديل أسماء بعض الشوارع. فقد قطع عدد منهم على نفسه أن يقوم بذلك عند التحرير، بينما قام بعضهم أثناء فترة الاحتلال، بشراء علب الأصباغ المطلوبة لذلك الغرض. وما إن حلّ اليوم الثاني للتحرير حتى توجّه أولئك المواطنون من منطقة مشرف وهم يحملون السلالم وبقية العُدد اللازمة، ليبدأوا بشارع بغداد فيغيّروا تسميته إلى (شارع التحرير). أمّا شارع عمّان فقد أصبح (شارع الشهداء) فيما تمّ تغيير اسم شارع صنعاء إلى (شارع المرابطين) وشارع تونس إلى شارع (عاصفة الصحراء).

وبعودة الأمور إلى طبيعتها ورجوع الأرض إلى أهلها أصبح الهمّ الرئيسي للمواطنين هو عودة أبنائهم الأسرى، الذين احتجزهم العدو ظلمًا وعدوانًا. إذ ليس لهؤلاء المواطنين أي ذنب اقترفوه سوى كونهم كويتيين، لم يرضخوا لأوامر المحتلّين ولم يقبلوا التعاون معهم. وكان لإصرار العدوّ على تعليق هذه القضية وعدم إعادة هؤلاء الأبناء إلى ذويهم أكبر دليل على أن هذا النظام الجائر ليس له مكان بين الأمم المتحضّرة. إذ أنه وبالرغم ممّا أصابه وأصاب شعبه من ويلات فإنه لم يرعوِ. لهذا كان

لزامًا على أمم الأرض جميعًا أن تقف وقفة صلبة ضدّ هذا النظام لعزله وتحجيمه لإ ء الفرصة لشعبه ـ إن كان لازال هناك من مجيب ـ لاقتلاعه من جذوره وإراحة العالم من شروره.

الفصل الثامن

دروس مستفادة

- الوحدة الوطنية
- الاستفادة من دروس الماضي
- دولة المؤسسات والعدالة وسيادة القانون
- التركيز على العنصر الوطني في البناء وتأكيد الثقة فيه ومحاسبته
- عصر المصلحة المتبادلة والتعاون الاقتصادي
- الأمن أساس الرخاء والاستقرار

الفصل الثامن
دروس مستفادة

من المهمّ بمكـان أن لا تمرّ هذه الكارثة دون أن نأخذ منها الدروس والعبر. فالإنسان العادي، بمعايشته اليومية، يمرّ بمواقف وأحداث، تكون مصدراً لإثراء فكره ومعرفته، وعاملاً لصقل تجربته، مهما صغرت تلك الأحداث والمواقف. فكيف بنا، وقد عشنا تلك الأيام الرهيبة، ولا يُصبح كل يوم من بقية أيام عمرنا يوم عطاء، ومصدر طاقة للعمل الجاد والمخلص، الذي يجب أن تُترجم فيه تجربتنا إلى واقع ملموس نبني من خلالـه أرضية صلبة لكويت المستقبل، تلك الكويت التي صقلتها التجارب، وعلمتها المحن. إن ما يجب أن نراه في أيامنا المقبلة هو الكويت القوية راسخـة الجذور وثـابتـة العزيمة، التي لا تهزّها عاديات الزمن ولا تزحزح كيانها رياح الحقد. وليس ذلك ضرب من الخيال أو أحلام عابرة تزول مع الأيام، لكنّه مطلب ملح ليس صعب مناله ولن يتحقّق إلاّ بعزيمة الرجال إذ أن لكل هدف سبيل، وطريق بناء الأوطان يجب أن تتكـاتف فيه كافّـة الجهـود وجميع الأيدي الخيّرة ليكون البناء راسخًا لا تؤثّر فيه المؤثرات، داخلية كانت أم خارجية.

ـ الوحدة الوطنية

من المسلّم به أن الوحدة الوطنية لأي شعب هي السلاح الأول الذي يُعتمد عليه عند الملمات وإذا دعت الحاجة للوقوف في وجه الأعداء ومن يريد النيل منه. فإذا كان ذلك السلاح قويًا صعب على العدّو اختراق الصفوف، وإن لم يكن كذلك فعلى ذلك البلد السلام. ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا». * كما يقول في آية أخرى «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم». ** صدق الله العظيم.

* سورة آل عمران آية (١٠٣).

** سورة الانفال آية (٤٦).

ولقد أثبتت تلك النظرية صحتها في كل الظروف والأحوال، وكان آخرها فترة العدوان العراقي على الكويت. إذ كان لوقفة المواطنين صفًا واحدًا ضدّ العدو أكبر الأثر في إفشال مخطّطاته وإرباك جهوده وتبخّر أحلامه. فقد أدّى العدوان إلى تكاتف المواطنين ـ بجميع فئاتهم، وعلى اختلاف انتماءاتهم السياسية والعقائدية ـ وتوجيه كافّة طاقاتهم وجهودهم نحو هدف واحد وهو مقارعة العدو والوقوف في وجهه وتفويت الفرصة عليه حتى لا ينجح في تحقيق مآربه. وقد أثمرت تلك الوقفة الرائعة وكان صداها يصل إلى جميع الاصقاع، ليعلن للعالم أجمع أن المعتدي لم ينجح في الحصول حتى على متعاون واحد من أفراد الشعب الكويتي، الذي رفض التعاون معه بأي شكل من الأشكال. كما تجّسدت تلك الوحدة الوطنية في كثير من المواقف الأخرى التي اثبتت أن هذا الشعب صاحب مواقف أصيلة تتجلّى بأبهى صورها وقت الملمّات، لكونها نابعة من جدوره الممتدّة في هذه الأرض الطيبة التي كانت على الدوام منبعًا للخير وملجأ للهاربين من الظلم. وكان شعور كل من عاش عليها أثناء الأزمة أنه جزء من عائلة كبيرة يسهر على راحة كل أفرادها، لأن ما سيصيب أيًا منهم سينعكس عليه. فكان ما رأيناه من وقفة صلبة كان لها الأثر الكبير في الوصول إلى ما تمنّيناه من عزّة ونصر.

لذلك فإن في مقدّمة ما يجب أن نتعلّمه ونعيه من الأزمة أهمية الوحدة الوطنية وضرورة العمل على ترسيخها وبنائها على أسس متينة لا تهزّها النائبات. كما يجب أن نؤكّد أن الوحدة الوطنية ليست ترفًا بل ضرورة، وهي ليست شعاراً يرفع أو أغنية تردّد، بل يجب أن تكون واقعًا ملموسًا يعيشه كل مواطن مهما كانت انتماءاته السياسية أوالفكرية. فمن مسؤوليتنا جميعا أن نعمل على إقامة المجتمع الذي يسوده القانون والعدالة ويشعر فيه الجميع بأنهم سواسية. ومن المهم أيضا أن تسود المجتمع روح المحبة والإخاء والتسامح وتحمّل الرأي الآخر حتى لا يؤدي أي اختلاف في وجهات النظر إلى سوء في الفهم قد يؤدّي إلى نتائج ضارّة بالجميع. كما أن ما يجب أن نتعلّمه ضرورة التكاتف ورصّ الصفوف والعمل يدًا واحدة ونبذ الحزازات والفتن بجميع أشكالها، وكشف المروّجين لها، وخاصّة في مرحلة البناء وعلاج الجراح. إذ أن كل مجتمع لايخلو من أناس همّهم العيش من وراء شقّ الصفوف وزرع الفتن، ليبرزوا على أكتاف السذج والغافلين من الناس، والذين تحرّكهم أفكارهم البسيطة وقناعاتهم

السطحية وردود فعلهم العفوية، فيؤدي ذلك إلى انجرافهم في التيارات المشبوهة دون وعي، ممّا يؤدي إلى انشقاق المجتمع وولوجه في متاهات ليس لها نهاية، وأحقاد وعداوات لن تكون النتيجة من ورائها بأفضل ممّا واجهناه. كما أنه ليس من المستبعد أن يؤدّي ذلك ـ لا سمح الله ـ إلى خلق (صدام) جديد، ليس عراقيًا هذه المرة. ومن المهمّ هنا أن نستذكر أن صدام كان قد (خُلق) كقائد وحتى (كبطل) بهذه الطريقة من قِبل الذين أوصلوه الى ذلك الموقع فوق أكتافهم وصفّقوا له، ولم يتفكّروا بما كان يقوم به من أعمال، فكانوا أول من دفع الثمن غاليًا، لقربهم منه وانخداعهم بشعاراته، لتعمّ شروره بعد ذلك على الجميع.

ـ الاستفادة من دروس الماضي

إن ما أعطى صدام الفرصة، وأوهمه بأننا شعب ضعيف ومتفكّك، هو ما كان يدور بيننا من مهاترات وجدل عقيم نتيجة لخلافات جانبية مصطنعة، كان ولا يزال يمكن حلّها دون عناء، لو أخلصت النيّات وصفت القلوب. لكن صدام تصوَّرها وكأنها انشقاقات عميقة جعلته يتوهَّم بأن الفرصة سانحة له لينقض على الفريسة وهي في أسوأ حالات الضعف والوهن. وكان من خطئنا أننا زدنا الثقة فيه وبأمثاله من الأدعياء، وانجرفت أعداد كبيرة منّا خلفه بفعل إعلامه المضلل وانخداعنا وتصديقنا لكل ما كان يقول ويفعل، تدفعنا بذلك الكثير من الدوافع التي كانت العصبية القومية في مقدمتها. وقد أعمانا ذلك عن رؤية كثير من الحقائق والشواهد التي كانت واضحة للعيان. لكن غشاوة العصبية كانت أمضى من كل شيء، فأعشتنا عن رؤية ما كان واضحًا وضوح الشمس، وجعلتنا نغفل عن الخطر الداهم على أبوابنا، وننغمس في ما عداه من أمور لا ترقى إلى مستواه من الخطورة، دون وعي وإدراك. فأيُّ كويتي (عاقل) كان سيجزم بالنفي، ويُجيب باستنكار واستخفاف، وربما بغضب وعجرفة، لو أنه سُئل قبل الثاني من أغسطس بأسبوعين أو ثلاثة فقط، عن احتمال مرور الكويت بما مرّت فيه من تشريد لشعبها في جميع أصقاع الأرض، وتقتيل لشبابها، واعتقال

وتعذيب لأبنائها وبناتها، وتدمير شامل لمنشآتها وبُنيتها الاقتصادية، وهدر ليس له نهاية لمواردها واحتياطياتها التي بنتها عبر عقود طويلة من الزمن. ولم يكن أحد ليصدّق أن مثل ذلك (القائد الملهم) يمكن أن يقوم يومًا ما بما قام به من أعمال ضدّنا، يندى لها جبين الإنسانية، بالرغم من أنه كان متمرسًا بمثل تلك الأعمال منذ زمن بعيد، وكان معظمنا يعلم بذلك، لكن التّعامي عن الحقيقة والإرهاب الفكري الذي كان سائدًا منع الكثيرين من إبداء الرأي السديد.

لهذا يجب أن نقرّ ـ إن أردنا لمسيرتنا المستقبلية ككويتيين وكعرب أن تكون ثابتة ولا تشوبها الانحرافات ـ أننا نتحمّل قسطًا وافرًا من المسؤولية في إبراز هذه النوعية من القيادات، من المتسلّقين للسلطة واللاهثين خلف الزعامة من (أشباه الرجال) الذين وصلوا إلى مقدمة الصفوف على أكتاف الجماهير البائسة ليوصلوها إلى ما وصلت إليه من بؤس وشقاء. فصدام حسين ونظامه كان نتاجًا طبيعيًا للفكر السائد بين معظم الأوساط العربية والإسلامية، وفي مقدّمتها الأوساط الشعبية قبل الحكومية. فقد كان للانجراف العاطفي للناس خلف الشعارات البرّاقة، وغياب التفكير العقلاني عند شعوبنا، وانعدام النظرة العلمية والواقعية للأمور، وعدم وزنها بميزان العقل، وتصديق كل ما يريد منا المتسلّطون تصديقه دون نقاش، هي الأسباب الرئيسية للأوضاع التي نعيشها كعرب وكمسلمين ونعاني منها. فصدام لم يكن سيئًا ومخربًا منذ الثاني من أغسطس، وإنما كان كذلك منذ اليوم الأول لاستيلائه على السلطة، بل وحتى قبل ذلك. لكن المؤلم حقًا أننا خُدعنا بشعاراته، ليس كمواطنين عاديين فحسب، بل كمثقّفين وكتاب وأدباء وأساتذة وصحفيين ورجال دين، وحتى كمسؤولين. ولم نُعر اهتمامًا لما كان يقوم به من أعمال إجرامية ضدّ شعبه وجيرانه، بل كان بعضنا يصف تلك الأعمال بالبطولات. لكننا، وعندما مسّنا شره، وبدأنا نتحسّس الآلام من وراء ظلمه، (اكتشفنا) معدنه، وعرفنا أساليبه. ومع ذلك، فهناك ـ مع الأسف ـ ملايين أخرى من العرب والمسلمين لا تزال مخدوعة به وبنظامه، غارقة في ظلام الجهل، وبحور العبودية للفرد، التي كادت أن تُنصِّب منه صنما يُعبد ـ ولم يكن هو غير ذلك قط على كل الأحوال ـ وكأن هذه الملايين تنتظر دورها لتُعاني من ظلمه قبل أن تقول كلمة حق فيه.

ـ دولة المؤسسات والعدالة وسيادة القانون

لو كان النـظام العراقي ديمقراطيًا لما قامت تلك الحروب التي أشعلها خلال العشر سنـوات الماضية، ولما ذاقت شعوب المنطقة وفي مقدّمتها الشعب العراقي ما ذاقت من كوارث، ولما عانت ممّا هي فيه الآن. فحكم الفرد لا بدّ وأن ينتج عنه أخطاء كبيرة، تتكرّر وتتراكم إلى أن يصبح من المستحيل علاجها. ويزيد في تضخمها عدم سماع آراء الآخـرين واجتهـاداتهم ونصـائحهم، والاعتـماد على مجامـلات المقـرّبـين والمستفيدين، وكذلك المنافقين، الذين يُشكلون بمجملهم ومع مرور الأيام حاجزًا كبيرًا بين الحاكم وعامّة الناس. فالمقرّب من هذا النوع من الحكام لا يتحسّس مشاكل ومعاناة المواطن العادي، والمستفيد لا يُهمّه ضرر ما سواه من الناس، خاصّة وإن كان من الانتهازيين اللاهثين وراء المادة وبأي وسيلة. أمّا المنافق فهو إنسان ذليل، همّه رضا سيده ومصلحته الخاصّة، وهو بعيد عن هموم غيره ممن يبحث عن سبل العيش الكريم من خلال الطريق المستقيم، المملوء بالعثرات والعراقيل، وخاصّة في أيامنا التي نعيشها.

لذلـك فإن الـديمقـراطية وسيادة القـانون والاعتماد على المؤسّسات بدلاً من الأفـراد، هي الركائز الثابتة والأسس الدائمة لدولة المباديء والعدل والمساواة وتكافؤ الفرص. ففي ظل القانون يمكن محاسبة كل فرد من أفراد المجتمع مهما كبر مركزه، وإعطاؤه ماله ومؤاخذته على ما عليه. فالمحسن يجب أن يكافأ ولو بكلمة حق تُميِّزه عن غيره، وتعطيه الدعم المعنوي والمكانة المرموقة بين المواطنين. والمسيء يجب أن يجازى ـ ليس بهدف العقاب فحسب ـ بقدر ما هو لثني غيره عن سلوك نفس السبيل.

والديمقراطية تحمل في طياتها آليات تصحيح الأخطاء وهي صمّام الأمان ضدّ أي انحراف أو تفرّد بالسلطة. فبإعطاء الفرصة للجميع للإدلاء بآرائهم دون خوف أو ضغط، تُتاح الفرصة للحاكم لسماع آراء الجميع والأخذ بما يراه الأغلبية. فإن كان ذلك القرار خاطئًا عرف الجميع بخطئه وتحمّلوا جميعًا مسؤوليته واتفقوا على إصلاحه. وإن

كان مصيباً استفادوا منه جميعًا، وهذا هو الهدف المنشود. وبتطبيق الديمقراطية نكون قد سايرنا العصر الذي نعيش فيه وتماشينا مع طبيعة الأشياء. فالانسان بطبيعته مغُرم بالحرية، مُقدِّر لما تعطيه له من ميزات، يحترم من يسمع رأيه ويُبادر بالودّ لمن يختلف معه في الرأي دون مساس بكرامته. وبحجب الحرية عن الإنسان تكون النتيجة عكس ذلك. ولقد رأينا في الماضي القريب دولاً تتهاوى وعروشًا تتساقط ورؤوسًا تتطاير من أثر الكبت والظلم وحبّ التسلّط. ومن الثوابت البديهية أن للحرية حدود وللديمقراطية أصول يجب أن تُتبَّع ليعمّ الاستقرار ويسود النظام. فالحرية تعني أولاً احترام حرية وكرامة وحقوق الآخرين وعدم المساس أو الإضرار بهم، بينما تكون الديمقراطية الحقّة من خلال إبداء الرأي دون التعدِّي على الغير، ماديًا أو معنويًا. كما أن أجواء الحرية، بما يُصاحبها من طرح للأفكار المختلفة والآراء المتعدّدة والاجتهادات المتباينة، والتي لا تشوبها ممارسات الضغط والإكراه، تؤدّي بالضرورة إلى نضوج فكري، وقفزة حضارية يكـون المستفيد الأول منها عامة الناس. ذلك لأن تلك الأجواء تُهيِّء كل ذي فكر وصاحب خبرة للإبداع والعطاء، في سبيل استقرار ورفاهية المجتمع وعزّته. ومن المؤكّد أن ذلك لن يتحقّق بصورة دائمة وراسخة إلاّ بسماع الآراء المختلفة في جو تسوده الحرية والأمان.

أما دولة المؤسّسات فهي الصفة المميِّزة للدولة الحديثة المواكبة للعصر والتي لا تعتمد على الفرد، الذي قد يزول بزواله ما تمّ تشييده من بناء وعطاء وإنجازات. فالفرد بطبيعته زائل مهما طال به الزمن، والمسؤول المتحلِّي بالوعي والإدراك هو الذي يتبنَّى ويُصر على إبراز دولة المؤسّسات، للحفاظ على المنجزات من الاندثار والضياع في غفلة من الزمن. وفي سبيل أن تكون الأمور في نصابها فإن وضع الشخص المناسب في المكان المناسب وتكريس مبدأ تكافؤ الفرص يجب أن يطبق فعلاً لا قولاً، وبغضّ النظر عن الآراء السياسية أو المباديء العقائدية لأي مواطن. فذلك شيء يخصّه ومن الصعب تغييره بالضغط والإكراه. وبدون هذا التوجّه ستكون الفرصة سانحة للمتسلِّقين الذين لايملكـون من الكفـاءة إلاّ اللسـان اللاهج بالمديح والإطراء، والذي سيوصّلنا إلى عواقب لن تكون أفضل مما رأيناه، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد عايشناها وخبرنا نتائجها فعلاً لا قولاً.

ـ التركيز على العنصر الوطني في البناء وتأكيد الثقة فيه ومحاسبته

كان من النتائج الإيجابية للعدوان العراقي ظهور حقائق كثيرة كنا نغفل عنها، بل ولم نكن في يوم من الأيام نستطيع تصديقها لولا أننا رأيناها كواقع ملموس أمام أعيننا. فقد كانت الرؤية السائدة بيننا هي أن شبابنا المترف الذي ترعرع في رفاهية من العيش لن يستطيع مقارعة عوادي الزمن إن هي أقبلت عليه. وكان قلقنا كبيرًا على مستقبله وما ينتظره من مصير إن حدث وواجه مصاعب الحياة التي لا تستثني أحدًا. لكنه، وبعد وقوع الأزمة بأيام معدودة، رأينا بأعيننا كيف نهض أولئك الشباب وفعلوا المستحيل في سبيل أرضهم ومواطنيهم. إذ ما إن جاءت الفرصة إلاّ ورأينا الأغلبية الساحقة منهم يُشمِّرون عن السواعد ويدخلون في كل مجال، ليُبدعوا فيه ويُحقّقوا المعجزات. فكان منهم من حمل السلاح واستمرّ في مقاومة العدو إلى يوم التحرير. ومنهم من طرق مجالات الحياة المختلفة وخاض غمارها في سبيل تأدية واجبه تجاه وطنه، بالرغم من عدم معرفته بأسرارها. لكن إصرار ذلك الشباب على القيام بدور ما في سبيل وطنه، كان هو المحرّك الحقيقي الذي ساعدهم على تخطّي الصعاب، وصقل المواهب في أيام قليلة حقّقوا خلالها المعجزات. وكان ذلك كله يدور رغم المخاطر المحدقة بهم والتي كان يمكن أن تؤدي إلى نتائج وخيمة في أي لحظة. لكن ذلك لم يخفهم لأن الدافع من وراء تطوّعهم كان صادقًاوصافيًا، ونابعًا من قلوب مليئة بالإيمان والإخلاص. وقد دفع بعضهم حياته ثمنا لتلك الوقفة المبدئية العظيمة. فقد ألقي القبض على المئات من الشباب والشابات الذين تطوّعوا للعمل الوطني بمختلف قطاعاته، وسُجن البعض منهم وعُذِّب، بينما أعدم الكثيرون دون أن تنثني عزيمتهم أو يغيِّروا مسارهم. وسُيسجِّل التاريخ بأحرف من نور تضحيات أولئك الشباب الغيورين على وطنهم والذين ضحّوا بأعز ما يملكون في سبيل عزته، فكانوا بحق ـ سواء من استشهد منهم أم من بقي على قيد الحياة ـ في مقدّمة صفوف الجنود المجهولين الذين رفعوا صوت الكويت عاليًا شامخًا أمام الأمم.

لذلك كان لزامًا علينا أن لا نغفل هذه الظاهرة وأن نعطي شبابنا الفرصة لأن يساهم في بناء وطنه ونفتح له الأبواب في كل المجالات ليعمل ويبدع، وليخطيء ثم

يُصيب، وليجرب ويتعلّم. فبدون ذلك سنبقى معتمدين على الغير إلى الأبد، دون أن نبني الثقة بأبنائنا الذين عندما سنحت لهم الفرصة ـ وكانوا في أحلك الظروف وأصعب المراحل ـ حقّقوا ما لم يتوقعه أحد منهم. وإننا لنجزم أنهم لو أعطوا الفرصة الآن سيثبتون أنهم عنصر إيجابي في البناء كما كانوا كذلك في الصمود. ومن المهم التأكيد أيضًا أن الاعتماد على المواطنين في المقام الأول وإعطائهم المجال للعمل الجاد المثمر هو السلاح الحقيقي والأساس الراسخ الذي يجب أن يقوم عليه البناء. وبدونه سيكون البناء هش الأساس، يهوي مع أول نسمات للريح.

ـ عصر المصلحة المتبادلة والتعاون الاقتصادي

نظرًا لكون الكويت من أغنى دول العالم فإن كثيرًا من الدول بذلت جهودا كبيرة للتقرّب منها وكسب صداقتها، تمهيدًا للاستفادة من المساعدات الكبيرة التي كانت تقدّمها من خلال المؤسسات والصناديق التي أنشأتها لذلك الغرض. وكانت الكويت قد وعت، ومنذ زمن بعيد، أهمية معاونة الدول الفقيرة في العالم الثالث. كما كانت الرائدة في هذا المجال منذ أوائل الستينات حيث أنشأت الصندوق الكويتي للتنمية بجانب برنامج المنح الحكومية. واستمرّت الكويت بطيب نية وصدق، وهي تحاول مساعدة تلك الدول وشعوبها للتغلّب على مشاكلها الاقتصادية عن طريق المشاركة في بناء المنشآت الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. وهذا، كما نراه، واجب إنساني يجب أن لا نغضّ النظر عنه، بل يجب إنماؤه والتوسّع فيه بصورة مدروسة وخالية من المجاملات والضغوط. لكن ذلك البرنامج التنموي، بالإضافة إلى المساعدات الأخرى التي قدّمتها الكويت لكثير من الدول لم تخلُ من سلبيات، أدّت إلى عكس ما كان يُرتجى منها. كما أن تجربة العدوان علمتنا أن عدداً من الدول التي قدمنا لها يد المساعدة لم يكن تقرّبها منا ناتجًا عن إخلاص أو قناعة بذلك، بقدر ما كان للابتزاز وانتهاز الفرص للحصول على أكبر قدر من الأموال، لبذلها في أمور أبعد ما تكون عن الغرض المعلن. كما أن ممارسات كثير من حكومات تلك الدول كانت واضحة فيما يخصّ توجيه تلك الأموال. ولم تكن تلك الممارسات تخفى على أحد، خاصّة وأن أخبارها كانت تتناقل

بين الفئات المختلفة من الناس لوضوحها، وربما لعدم تحرّج القائمين عليها من فعلها.

وكانت المجاملات الدبلوماسية والتحرّج من التدخّل في (الشؤون الداخلية) تمنعنا من الاشارة إلى تلك الممارسات والطلب من منفّذيها توجيه الأموال نحو الهدف الذي أعطيت المساعدات من أجله، تحت طائلة إيقاف تلك المساعدات. وكان من المؤسف حقًا أن الطرف الآخر هو الذي كان يُمارس الضغوط ويضع الشروط في بعض الأحيان، وكأن الكويت هي الطرف المدين لهم والجهة التي يجب أن ترضخ لإرادتهم. وهذا ما جعل كثيرا من تلك الدول تتمادى في مواقفها معتقدة بأن ما كانت تأخذه منا هو حق لها، ونصيب ثابت يجب أن يصب في الإناء الذي تختار، دون مناقشة. وقد أدى تغاضينا عن ذلك إلى زيادة تمادي تلك الدول بينما مضينا في تقديم التنازلات بعد التنازلات، وبدون مقابل، في سبيل إرضاء بعض الأطراف التي جعلت من نفسها وصِيةً على كافة قضايا المنطقة العربية وتطلّعات شعوبها، وكل ما يخصّ تلك الشعوب من أمور، دون أن يعطيها أحد ذلك الحق أو تكون مؤهّلة لذلك. ولم نكن نفكّر ونحن نقدم تلك المساعدات والتنازلات بالمردود أو المقابل الذي يجب أن نحصل عليه نظير ما نقدّمه، بالرغم من أن ذلك من أبجديات العلاقات الدولية والمصلحة المتبادلة و(الموازنة) بين المصالح المشتركة للأطراف المعنيّة. كما أننا لم نستطع أن نستخدم برنامج المعونة الكويتي الطموح طوال تلك السنوات إعلاميًا ليترسّخ في وعي الشارع العربي أن الكويت تقوم بواجبها وباستخدام آليات معترف بها نحو تخفيف الفجوة بين الغني والفقير. بل كانت الكويت بمثابة البقرة الحلوب التي تجود بما لديها دون حساب، بينما عرف الآخرون كيف يأتون وعلى أي وتر يعزفون لينالوا مبتغاهم، بعد طرحهم للشعارات الرنّانة التي هم أبعد ما يكونون عنها.

وبمرورنا من خلال تلك التجربة المريرة، لابد وأن نكون قد تعلّمنا الدرس وعرفنا الصديق وميّزناه، وخبرنا الطامع والمتشفّي. كما أن تجربتنا تلك تُشير وتؤكّد أننا جزء لا يتجزأ من دول الخليج العربية وقطعة لا تنفصل عنه، وأن مصلحتنا ومستقبلنا

معه ومع دوله. كما أننا لابد وأن نكون قد تعلّمنا أن المصلحة الاقتصادية والنواحي الأمنية هما في مقدّمة الأهداف التي تسعى إليها الدول الحريصة على استقرارها ونموها، وأن ذلك لن يأتي إلاّ بمراعاة حقوق وواجبات جميع تلك الدول. كما أنه من مصلحة الجميع أن تكـون خطط التعاون والتكامل الاقتصادي، وربما الاتحاد أو الوحدة في المستقبل، مبنيَّة على أُسس علمية مدروسة وبرامج تنفيذية واقعية، تأخذ كافة الظروف والمصـالـح المحلية بالاعتبـار وبقدر الإمكان، وتستفيد من التجارب المماثلة للدول المتقـدّمـة، حتى لا نصل إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها التجارب السابقة في منطقتنا العربية، والتي انتهت إلى الفشل وإجهاض فكرة التعاون.

ـ الأمن أساس الرخاء والاستقرار

من البديهي أن الأمن والاستقرار هما أساس كل حضّارة وتقدم، وبدونهما لا تستقيم الأمور ولا تُبنى الحضارات ولا تزدهر الدول. والأمن بشقَّيه ـ الداخلي والخارجي ـ صنوان يكمل أحدهما الآخر، وكلاهما حيوي ومصيري في سبيل استقرار الأمم.

وتعتـبر العـدالـة الاجتـماعية وسيادة القـانـون وحـرية الـرأي وإرساء دعائم الديمقراطية من العوامل الرئيسية لبناء الأمن الداخلي، وجعل كل مواطن يشعر بقيام الدولة برعاية مصالحه وحماية حقوقه والاهتمام بمستقبل أبنائه. وبهذا تُبنى الثقة بين الحاكم والمحكوم، والمواطن وأخيه المواطن، ويتحقّق بذلك أكبر إنجاز في طريق الأمن والاستقـرار، وبـالتـالي يكـون المجـال مفتـوحًا للبنـاء بجميع جوانبه، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولنا في الدول العريقة بالديمقراطية ومؤسّساتها التي ارتكزت عليها في البناء أكبر دليل على ذلك.

أمـا الأمن الخارجي فهو أمر آخر ولابد من توافر مقوّماته. ولاشك أن الأمن الداخلي هو أحد متطلّباته الرئيسية، لكن ذلك لن يُغني عن تحقيق وتوفير المتطلبات

المهمة الأخرى وبأي حال من الأحوال وبأي تكلفة. فقوة الدول تأتي من عوامل لا تكاد تحصى، وفي مقدّمتها الكثافة السكانية والقاعدة الاقتصادية القوية، ووسائل الدفاع الحديثة المبنية على التكنولوجيا المتطوّرة التي وصلت إلى مستوى تعجز العقول عن تخيلّه، بالإضافة إلى الحنكة والذكاء في استخدام تلك الوسائل، كما أن مساحة أي دولة وعمقها الاستراتيجي هي من الأمور التي تعطيها ميزات غاية في الأهمية للركون إليها وقت الضرورة. ونظرًا لأن بعض تلك المتطلّبات الأساسية بالنسبة لدولة الكويت لم تكن حاضرة، فقد كان من السهل على النظام العراقي أن ينفّذ مخطّطاته مستغلاً تلك الظروف وغيرها، والتي تعتبر عوامل ضعف دائمة، ومن الصعب، بل ربما من المستحيل التغلّب عليها. لذلك فإننا نرى أنه لزامًا علينا كمواطنين وحكّام، أن لا نتردّد في البحث عن السبل الواقعية الكفيلة بحماية مكتسباتنا ومستقبل أرضنا وأجيالنا من أي عدوان خارجي. وقد ثبت عمليًا أن حسن النية، والثقة الزائدة، والمجاملات، والمساعدات الاقتصادية لا تجدي نفعًا ولا تبدّل النوايا أو تؤثّر في النفوس المريضة. كما أن من المهم التأكيد على أن الدول ـ وفي كثير من الأحيان حتى المؤسسات الصغيرة ـ لا تدار بهذه الأساليب العفوية البسيطة. بل من الضروري البحث عن سبل واقعية يُركن إليها في أوقات الخطر، لتكون الرادع الحقيقي لأي كان، وقبل أن يفكر بالقيام بأي عمل عدواني. كما أن من المهم أن يفهم من ينوي القيام بأي عدوان، بأنه سيكون الخاسر الأكبر والمتضرّر الحقيقي لأي عمل عدواني ينوي القيام به قبل شروعه فيه. وهذا بالطبع لا يمكن تحقيقه بالاعتماد فقط على قوّتنا الذاتية ولا على قوة بعض من يشاركوننا المصير. ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

(الفهرس)

الصفحة

الاهداء ٥
تمهيد ٧
مقدمة ١١
شكر وتقدير ١٥
الفصل الأول: أغسطس . . . الصدمة ١٩
(١) اليوم الأول . . . وقوع الكارثة ١٩
- أسلوب تنفيذ المؤامرة ٢٠
- ردود فعل المواطنين ٢٢
- إعلام العدو ٢٥
(٢) اليوم الثاني للعدوان وما تلاه من أيام خلال الأسبوع الأول ٢٩
- الوضع السياسي ٢٩
- الوضع الداخلي ٣٤
- أساليب المقاومة ٣٦
- الحراسة الليلية ٤٤
- تحدي العدو والاستعداد للمواجهة ٤٥
(٣) الأسبوع الثاني للغزو وما بعده ٥٠
- الأحداث المهمة عالميا ٥٠
- مواقف وتصرفات العراق وردود الفعل العالمية تجاهها ٥٢
الإعلام والأزلام ٥٢

المبادرات المتلاحقة والبيانات والمؤتمرات ٥٣
تخبطات النظام العراقي وإصراره على تحدي المجتمع الدولي ٥٥
مشاريع التنمية المزعومة والمظاهرات المدبرة ٥٧
السلب والنهب ٥٩
الهجوم على الجمعيات التعاونية ونهب المواد الغذائية ٦٠
- الوضع في الداخل ٦٢
التكبير كأحد أساليب الاحتجاج ٦٢
مظاهرات المواطنين والأسلوب الفاشي في مواجهتها ٦٣
انتظام عملية الحراسة وأخذها صفة الديمومة ٦٤
ازدياد تلاحم المواطنين وتكاتفهم في وجه العدو ٦٧
تصاعد وتطور أعمال المقاومة المسلحة ضد المحتلين ٧١
الإشاعات وتأثيرها على المواطنين ٧٥
الفصل الثاني: سبتمبر . . . الأمر الواقع ٨١
(١) الذكرى الحزينة ٨١
(٢) الأحداث الرئيسية التي شهدها هذا الشهر ٨٢
- تصريحات رئيس العصابة ومساعديه ٨٤
- محاولات العراق الفاشلة للمماطلة وكسب الوقت ٨٥
- موقف الأردن وبقية المتاجرين ٨٨
- خطاب الرئيس الفرنسي بالامم المتحدة ٩١
- خطاب الرئيس جورج بوش للشعب العراقي ورد صدام عليه ٩٢
- مبادرات صدام الأخرى والهجوم على (الامبرياليين) ٩٥
(٣) تطورات الموقف في الداخل ٩٦
- تأقلم الناس مع الوضع الجديد من الناحية المعيشية ٩٦

- أساليب العصيان المدني ومعاناة الصامدين ٩٨
- استفزاز المواطنين ١٠١
- مسلسل السرقات ١٠٢
- انتشار الفساد ١٠٨
- القوانين والقرارات الجديدة وقلب الحقائق ١٠٨
- تزوير التاريخ ١١١
- تصرفات جنود الاحتلال وشعور المواطنين تجاههم ١١٣
- التهريج اليومي والمقابلات التلفزيونية مع الجنود (الأشاوس) ١١٨

(٤) تأقلم المواطنين مع الوضع وتفاعلهم مع الأحداث المطروحة بالساحة ١١٩
- تفاعل المواطنين مع الأمر الواقع ١١٩
- مناقشات ليالي الحراسة الطويلة ١٢١

تحليل الأحداث والمواقف السياسية ١٢١
اتق شر من أحسنت إليه ١٢١
حكمة الهيبة ١٢٣
أحلام اليقظة ١٢٦
الإعلام الكويتي ١٢٨
العراق والمستقبل ١٣٠
الحرب . . . الحرب هي الأمنية ١٣١
مواقف مريبة ١٣٢
مواقف كان يمكن أن تؤدي إلى وضع أفضل ١٣٣
وقفة الأخ . . . مقابل وقفة الأجنبي ١٣٥
فلسطين ١٣٥

بقية الدول المؤيدة لصدام ١٣٦
الوفاء فضيلة مفقودة ١٣٨
الفصل الثالث: اكتوبر . . . القلق ١٤٣
(١) القلق وانعكاساته على المرابطين ١٤٣
(٢) التطورات السياسية العالمية ١٤٤
- تتابع الأحداث وتضارب التصريحات ١٤٤
- حرب المدن ١٤٧
- تحركات العراق ومؤيديه ١٤٩
(٣) استمرار سياسة الاحتواء والتسلط وفرض القوانين على البلاد ١٦٠
- انتشار عدوى التخلف ١٦٠
- النهب المنظم ١٦٢
- الجداريات والاجراءات التعسفية الأخرى ١٦٤
- محاولة العدو طمس كل ماله صلة بالتراث الكويتي ١٦٥
- الإعلان عن فتح المدارس ومقاطعة المواطنين لها ١٦٧
- سيل القوانين والقرارات الجديدة ١٧٠
تبديل الهوية «وقانون الإقامة الجديد» ١٧٠
تقنين البنزين ١٧٦
وقف التعامل بالدينار الكويتي ١٧٨
- معاناة المواطنين ١٧٩
معاملات الاقامة ١٨٠
انجاز معاملة تبديل لوحة السيارة ١٨١
التحايل على ازلام النظام ١٨٢

- تفتيش المناطق السكنية وتمركز قوات العدو فيها ١٨٤
- القبض على بعض رموز العمل الوطني ١٨٦
- ازدياد عدد المغادرين للبلاد وانعكاس ذلك على الوضع ١٨٧
(٤) الصمود وتطور أساليب المقاومة والرفض ١٨٩
- تكاتف المواطنين وبروز أهمية الوحدة الوطنية ١٨٩
- المقاومة المسلحة ١٩٢
- أساليب أخرى للمقاومة ١٩٥
- الخدمات الطبية ودور الأطباء والجهاز الطبي ٢٠٢
- المطافىء والدور الذي قامت به لخدمة المواطنين ٢١٠
- الدورة المالية والاقتصادية ودور التجار في صمود المواطنين ٢١٦
- الاتصالات بالخارج ٢٢٠
- النشاطات الاجتماعية ودور المرأة في دعم الصمود ٢٣١
الحمام الزاجل ٢٣٤
الفصل الرابع : نوفمبر . . الترقب ٢٤١
(١) تفاعلات الموقف الدولي ٢٤٢
- بداية التفهم الدولي لأبعاد الموقف وبروز احتمالات الحل العسكري ٢٤٢
- تعزيز القدرات العسكرية ٢٤٤
- محاولات فاشلة لاختراق دول التحالف ٢٤٦
- التفاعلات العالمية الأخرى والاتجاه نحو الحسم ٢٤٨
(٢) العراق . . . في مواجهة العالم ٢٥٢
- مواقف العراق والعزة بالإثم ٢٥٢
- تكثيف الإعلام المضلل ٢٥٥

- الاجراءات والقرارات الجديدة لهذا الشهر ٢٥٩
(٣) الموقف بالداخل ٢٦١
- الأحوال المعيشية ٢٦١
- التصرفات غير الحضارية للغزاة ٢٦٥
- نصب الخيام والاجراءات الاحترازية الأخرى ٢٧٠
- طلب (الاذن) لنصب الخيمة والحوار مع (الرفيق) ٢٧٣
- النشاطات الاجتماعية ٢٧٥
زيارة المعتقلين والأسرى ٢٧٥
الرسائل والمكالمات الهاتفية لأهالي الخارج ٢٧٧
معونات الحكومة وتبديل العملة ٢٧٩
الفصل الخامس: ديسمبر . . . الأمل ٢٨٣
(١) الموقف الدولي: التحول الكبير نحو الحسم ٢٨٤
- المحاولات الأخيرة لاقناع العراق بجدية الموقف ٢٨٤
- فضح ممارسات النظام العراقي الإجرامية وزيادة الضغط عليه ٢٨٦
- التطورات الأخرى التي حدثت في ديسمبر ٢٨٩
(٢) ردود فعل النظام العراقي ومؤيديه ٢٩٠
- تمسك صدام (بحقوقه) بالكويت ومهاجمة الشعب الكويتي ٢٩٠
- استمرار التخبط وتحدي الرأي العام العالمي ٢٩٤
(٣) الوضع في الداخل ٢٩٧
- تغلغل جنود العدو في كل حي وشارع ٢٩٧
زيارات (الضيوف الثقلاء) للخيام ومحاضرات (فطاحلة) العلوم العسكرية ٢٩٨
السيد مالك ومعجزاته ٣٠٠

- مداهمة الخيام والتهديد بحرقها ٣٠٣
- اعدامات اللصوص ٣٠٦
- استمرار المقاومة ودورها في تعقب المجرمين ٣٠٧
- التهيؤ للحرب والاستعداد لمواجهة نتائجها ٣٠٩
- الاستمرار في زيارة الأهالي للأسرى ومآسي المعتقلات والسجون ٣١١
الفصل السادس: يناير . . . الحسم ٣١٩
(١) العام الجديد ٣١٩
- استمرار المناشدات لتجنب الحرب ٣١٩
- الأسبوع الأخير من المهلة المحددة ٣٢٠
- ووقعت الحرب ٣٢٤
- (الهجمات) المضادة والتصرفات اللامسئولة للعراق ٣٢٥
- التطورات السياسية بعد بدء الحرب ٣٢٧
(٢) الأحوال في الداخل ٣٣٠
- الوضع ما قبل نشوب الحرب ٣٣٠
الخطوات الأخيرة قبل نشوب الحرب ٣٣٠
الجو السياسي السائد قبل الحرب ٣٣٢
- وتدق ساعة الخلاص ٣٣٣
- بدء الهجوم الجوي وردة فعل المواطنين ٣٣٤
- الغزاة . . . والصدمة ٣٣٧
- استمرار بطش الغزاة على أشده ٣٣٩
- الحياة الاجتماعية للمواطنين أثناء الحرب ٣٤٢

الفصل السابع : فبراير . . . التحرير ٣٤٩
(١) الحرب تستمر سجالا والتدمير على أشده دون تحريك ساكن ٣٤٩
- الضربات الجوية والدمار المادي والمعنوي ٣٤٩
- استمرار العراق بأساليبه المعتادة بالخداع والتخبط والعنجهية ٣٥٠
- مبادرات الرمق الأخير ٣٥٣
- استمرار تطبيل المؤيدين لصدام بالرغم من وضوح الرؤية للجميع ٣٥٧
- التحركات السياسية والتحول الإيجابي النسبي في الإعلام الكويتي والخليجي ٣٦٠
- الاستعدادات العسكرية الأخيرة والاتجاه نحو الحسم ٣٦٣
- الهجوم البري . . . والطريق الى نهاية المشوار ٣٦٤
(٢) الوضع في الداخل ٣٦٦
- الوضع السياسي والعسكري وانعكاساته على المواطنين ٣٦٧
القلق من إطالة أمد الحرب وتغيير مسارها ٣٦٨
التخوّف من نجاح المحاولات لتمرير المبادرات المزعومة عن طريق الحلول الوسط ٣٧٠
- سرقات (النشامى) تطول كل شيء ٣٧٣
- مآسي الأيام الأخيرة ٣٧٨
الأوضاع المعيشية ومعاناة المواطنين ٣٧٨
خطف الناس من منازلهم المهمة الأخيرة (للنشامى) ٣٨٠
سجون ومعتقلات من نوع اخر ٣٨١

- الهجوم البري ٣٨٤
- ملحمة القرين ٣٨٧
- الهروب الكبير ٣٩١
- يوم التحرير ٣٩٤
- مشاهدات ما بعد التحرير ٣٩٨
- عودة الأمور الى طبيعتها شيئًا فشيئًا ٤٠٣
الفصل الثامن: دروس مستفادة ٤٠٩
- الوحدة الوطنية ٤٠٩
- الاستفادة من دروس الماضي ٤١١
- دولة المؤسسات والعدالة وسيادة القانون ٤١٣
- التركيز على العنصر الوطني في البناء وتأكيد الثقة فيه ومحاسبته ٤١٥
- عصر المصلحة المتبادلة والتعاون الاقتصادي ٤١٦
- الأمن اساس الرخاء والاستقرار ٤١٨